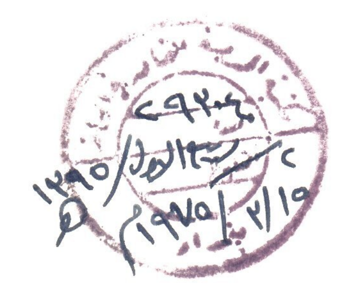


مرشد الجمعة

تأليف

كمال الدين الطائي



١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

مطبعة سلمان الأعظمي - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

ان من أمَنّ الناس عليّ بعد الله تبارك وتعالى ، هو أبي الحاج عبدالمحسن بن الحاج بكتاش العسافي الطائي العالم العامل ، المؤمن القانت لله •

فلقد كان رحمه الله وطيب ثراه لا يعرف من الدنيا غير تدريس طلابه (العلوم الدينية وعلوم الآله ـ كما يسمونها ـ) بدون كلل أو ملل ، وذلك منذ الفجر وحتى صلاة الظهر ، ومن بعد صلاة العصر حتى صلاة المغرب ، باذلا جهده لاحاطتهم بمختلف أقوال العلماء في المادة التي يدرسونها ، ثم بيان رأيه بعد ذلك ليكون الطلاب على بصيرة بنواحي تلك المادة وتفرعاتها ، وقد تخرج عليه جمهرة من أفاضل العلماء والقضاة والمدرسين •

كان رضي الله عنه يقضي وقته بين المدرسة والمسجد والدار ، بعيداً عن الناس ، متجنباً لغطهم وجرائرهم ، فما سمعته ولا سمعه غيري يذكر أحداً بسوء •

كان رحمه الله وطيب ثراه لا يبخل حتى باللباس الذي عليه ، وكانت داره مأوى وملجأ للضعفاء من أقاربه وذوي رحمه ، يقنع بالكفاف من العيش • توفى أبوه وترك ثروة طائلة من ابل وعقارات تنازل عنها لاخوانه لئلا تشغله عن طلب العلم •

لقد كنت والله أغبطه وأتمنى أن أسير على خطاه ، كان رضي الله عنه يتحاشى من كلمة عالم ويجيب كل من ينعته بها : اننا طلاب علم وأين نحن

من العلماء ، تلك الكلمة التي أصبح يطلقهـا حتى الطـلاب المبتـدئين على أنفسهم .

ثم هو الذي علمني ووجهني واختار لي هذا المسلك وأحبني حباً يفوق حب الآباء لأبنائهم ، وأعتقد بأني عشـت وأعيش الآن من بركات دعواتـه الصالحة .

وان الألم ليحز في نفسي الى الآن لتسببي في إيلامـه وحزنـه عنـد اعتقالي من قبل الانكليز وخدمهم من العرب بعد حوادث (مايس ١٩٤١) لشدة حبه ووجده علي .

إني أهدي كتابي هذا (من هدى الجمعة) الى روحه الطاهرة دون غيره من كتبي السابقة ، لأنه هو الذي علمني أسلوب الخطابة فيما كان يلقيه من منبر (جامع النعمانية) وكيف كان يعطي الحوادث حقها ، حتى كـان يطلق عليه بعض طلاب العلم بالخطيب العصري ، وكان يلقي خطبته بالنغم الذي كان سائداً آنذاك ، فيؤثر بالسامعين لعذوبة صوته ورقته وحلاوته . واني لاتقدم بالرجاء وأتوسل الى من أفاد أو استفاد من هذه المجموعـة أو اقتناها أن يدعو لأبي بالرحمة والرضوان لخدمته العلم والدين طـوال حياته الصالحة والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

كمال الدين الطائي

تقرير لجنة فحص الكتب الدينية
في رئاسة ديوان الاوقاف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين •

فقد ألقيت اليّ هذه الرسالة الكريمة التي تحوي مجموعة من الخطب المنبرية صاغتها براعة عالم ديني جليل من بيت علم ودين أصيل الا وهو سماحة استاذنا العلامة الشيخ كمال الدين الطائي حفظه الله • فهممت أن أكتب عنها فور وصولها الي ولكن ما شرعت في قراءة خطبة منها حتى وجدتني مدفوعاً بدافع قوي الى الاسترسال لقراءة بقية الخطب فقضيت معها بضعة أيام كانت متعة وجدانية بعيدة المدى وسياحة عقلية عميقة الأثر • أودع فيها شيخنا الفاضل كلما عثر عليه من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الصحيحة والحكم العالية وعرض بديع لآثار سلفنا الصالح وصدق جهادهم وبلائهم في الاسلام فيما يتعلق بتلكم المواضيع التي تناولها باسلوب خطابي جذاب وبعبارات تلفت الذهن للفهم وتوقظ النفس للاتعاظ ويتآخى في ثناياها ورع الايمان ومنطق العقل والكلام المؤثر في النفوس الآخذ بمجاميعها لا يتأتى كل وقت ولا يتسنى لكل متكلم فهو طراز من الكلام يجيء عفواً لمن استملوا ذلك من المستندين الى ذخر ثمين في قلوبهم من الحكمة وفصل الخطاب • لذلك كله اعتقد جازماً بأن هذه المجموعة من الخطب جليلة الأثر • حميدة الثمر • من حقها أن تكون تحفة دينية يتهاداها أبناء الاسلام ويجيلون بها أبصارهم ويعملون في معانيها بصائرهم والسلام •

محمد رمضان
رئيس لجنة فحص الكتب الدينية
في رئاسة ديوان الاوقاف

المقدمة

لسيادة الاستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو مجمع البحوث الاسلامية في الازهر الشريف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين •

هذا كتاب يضم بين دفتيه مجموعة من الخطب المنبرية ، ألقاها فضيلة الشيخ كمال الدين الطائي في أيام الجمع ، لتكون بين أيدي القراء : يستفيد منها بخاصة خطباء المساجد في اعداد خطبهم يوم الجمعة ، ويستفيد منها غير الخطباء عامة في الاطلاع على معلومات دينية وتاريخية واجتماعية وسياسية •

وهذه المجموعة من الخطب ، ليست كل الخطب التي ألقاها فضيلة الشيخ كمال الدين الطائي بل هي خطب مختارة من خطبه المنبرية فهي خلاصة تلك الخطب وزبدتها ، ولكنها تدل على اتجاهه في اعداد الخطب ومنهجه في وضعها •

لقد عرفت الشيخ كمال الدين الطائي أول ما عرفته من قراءة مقالاته في مجلة الهداية الاسلامية حين كنت تلميذا في متوسطة مدينة الموصل • وقد اعجبتني تلك المجلة نظراً لاتجاهها الاسلامي السليم ولأن كبار الكتاب يومذاك في سنة ١٩٣٥ كانوا يكتبون فيها ، وكانت تعالج القضايا الدينية واللغوية والأدبية والاجتماعية وحتى السياسية بصراحة ووضوح •

واشتركت في تلك المجلة الدسمة ، وأصبحت من قرائها الدائبين على قرائتها وأصبح معي صفوة من طلاب المدرسة يقرأونها ويتأثرون بمقالاتها •

وشاء الله أن أزور بغداد في أواخر عام ١٩٣٧ للانخراط في الكلية

العسكرية فسألت أول ما سألت حين وصلت الى بغداد عن الشيخ كمال الدين الطائي •

وفي يوم من أيام الجمعة كنت في مسجد (النعمانية) الواقع أمام البريد المركزي القديم بالقرب من دار الضباط ، وكان الشيخ خطيباً لذلك المسجد •

وقبيل الصلاة كان الشيخ يجلس وحده في إيوان المسجد ، يقرأ في أوراق منضدة بين يديه ، فاقبلت عليه مسلما على استحياء ، وذكرت له أنني من قراء مجلته المعجبين •

وكنت أظن قبل مواجهته أنه شيخ وهِمٌ بلغ من العمر عتيا ، ولكنني فوجئت بأنه شاب في مقتبل العمر ، لا يزيد عمره على الثلاثين عاما ، وكان ذلك في أواخر عام ١٩٣٧ كما ذكرت •

وبقدر مقالاته النارية واندفاعه الشجاع في كل ما يكتب ، بقدر ما وجدته متواضعاً خجولا لا يتكلم الا همساً ودخلت المسجد معه ، فصعد الى مكان قراءة القرآن الكريم ، وأخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم بصوت فيه عذوبة وفيه حنان وفيه رقة وفيه حلاوة ، وكانت قراءته باسلوب عراقي أصيل •

وجاء وقت القاء خطبة الجمعة ، فاعتلى المنبر والقى خطاباً جامعاً ، ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل، وكما كان يتلو القرآنالكريم تجويداً ، ألقى خطبة الجمعة أيضاً تجويداً •

ومضت السنون ، وانتقل من مسجد (النعمانية) الى مسجد (المرادية) الكائن مقابل وزارة الدفاع في بغداد ، وكنت أحضر خطاباته أيام الجمع وأنصت اليها ، فنشب جدال عنيف بين أصحابه المقربين ، فريق يريدون أن يلقي خطبة الجمعة استرسالا ، وفريق يريده أن يلقيها تجويداً •

وتغلب الفريق الذي أراده أن يلقي خطبة الجمعة استرسالا ، فخضع الشيخ لارادتهم ، ولو أنني أسفت أسفاً لا مزيد عليه لأنه ترك التجويد في خطبه ، وكنت أرى التجويد أكثر تأثيراً وأبلغ أثراً •

ان هذا الكتاب ، هو عصارة تجارب سنين طويلة في اعتلاء المنابر والقاء خطب الجمع ، قضاها المؤلف في رصد الاحداث ، والتفكير في معالجتها ، وكتابتها بأسلوب سهل ممتع بعيداً عن الاطناب ، والقائها على الناس حتى اذا أصبحت لديه مجموعة ضخمة من الخطب عاد اليها مرة أو مرات منقحاً وأخيراً اختار أهم تلك الخطب ، وأخرجها للناس علماً ينتفع به •

وبالرغم من أهمية هذه الخطب ، الا أنني لا أوصي ولا يوصي المؤلف الفاضل أن ينقلها الخطباء نقلا أميناً ويلقوها على الناس كما هي • بل الذي أوصى به ويوصي به المؤلف معي ، أن تكون هذه الخطب ـ مصدراً ـ من مصادر الخطباء يقتبسون منها وينهجون نهجها ـ خاصة في مطابقة الظروف الراهنة ـ لفحوى خطاب الجمعة ، والاهتمام بالتركيز والاختصار جهد الامكان أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أقل الناس كلاما ، وكانت خطبه مختصرة ولكنها تحوي جوامع الكلم •

ان ارتجال الخطبة دون التفكير في مضمونها مسبقاً ، يؤدي الى التهافت في القول والاسترسال في الكلام واضاعة أوقات المصلين سدى دون جدوى •

والخطبة الناجحة لا تقاس بطولها ، بل تقاس بفائدتها ولا توزن بكميتها بل توزن بكيفيتها ، فهي وسيلة لا غاية ، والنجح في الخطبة لا يتم الا بالتفكير العميق والاعداد الدقيق والاختصار الشديد •

ولعل جمع هذه الخطب في كتاب ، يستثير همم الخطباء الآخرين ، لجمع خطبهم وتنسيقها وطبعها في كتاب أيضاً ، لنهيء للخطباء مصادر

يرجعون اليها عند اعداد خطبهم ، وحتى لا يسدل النسيان أستاره على جهود ثمينة وتجارب مفيدة وعلم نافع .

وقد جمع قسم من خطباء السلف الصالح خطبهم ، فما أحرى الخلف أن يتبع آثار السلف .

واليوم اذ أقدم هذا الكتاب القيم أشعر بأنني أقوى ما أكون أملا في أن يملأ فراغاً ويسد حاجة .

والذي أتمناه على الخطباء أن يعدوا خطبهم المنبرية ليستفيدوا ويفيدوا .

وأن تكون تلك الخطب مناسبة للظروف والاحوال ، لتكون ذات أثر على السامعين .

وان تكون خالصة لوجه الله ، تقول الحق وتغضب له وتزجر الباطل وتغضب منه .

وأن تكون خارجة من القلب لتؤثر في القلب .

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله ، سيد القادات وقائد السادات ، أمام المجاهدين وخاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين .

محمود شيت خطاب

كلمة الافتتاح
لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد علي الطعمي
مبعوث الازهر للعراق

الخطابة فن جميل جذاب ، وأداة لها دورها البارز الذي ساير الامم في تاريخها القديم والحديث على حد سواء .

والانسان لا غيره هو القادر على صناعة هذه الخطابة ، لأن الله تعالى شرفه بالنطق وأمده بالفصاحة وعلمه البيان ، فاستطاع هذا الانسان الذي هو سر الله في أرضه ، أن يعرب عما يجول في خبايا نفسه بعبارات نثرية وشعرية وخطابية جاءت عفوا ، أو عن طريق التفكير والممارسة والتمرين .

ولا شك ان العرب من يوم أن خلقهم الله ، وهم فرسان هذه الملاحم الخطابية ، ورجالها الأبرار ، الذين خاضوا غمارها ، واتخذوا لها منابر وأسواقا ، فاخروا فيها وطاولوا ، وكروا وفروا ، حتى صنعت منهم رجالات لا تزال خطبهم الرنانة منهلا عذباً ، يعطي العطاء من غير أن ينضب له معين ...

وجاء الاسلام ونزل القرآن باللغة العربية ، فأينعت ألفاظها وأزدهرت معانيها ، وبذلك صارت هي أفصح اللغات وأقدرها على التطويع والأداء والكتابة وأيسرها على الحفظ والفهم والمحاكاة ، وأجملها من حيث التركيب والتنسيق والتعبير ولولا هذا ما صمدت هذا الصمود الضارب في أغوار التاريخ ، ولولا هذا ما حطمت كل التحديات التي أرادت غزوها ... ثم محوها من قائمة اللغات ...

ومن غير شك أن نزول القرآن بهذه اللغة الجميلة ، كان بمثابة تطوير للقرائح ، استطاعت ان تسموا به في التفكير ، وان تجدو في الاسلوب

وان تبتكر في المعاني والموضوع ، وان شئت فقل كان لنزول القرآن ، وما جاء في أقوال الرسول (ص) تغيير جذري أثر في الأدب العربي تأثيراً فعالا جعله في قمة الآداب ، وعلى رأسها الخطابة التي ترعرع شأنها ، وأصبح ذووها يستشهدون في كلماتهم الخطابية بمزيد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي قالها الرسول عليه السلام •

ومن هذا اليوم المبارك الذي نزل فيه قول الله تعالى « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » •

أقول من هذا اليوم المبارك ، والخطابة أخذت تحتل المركز المرموق لدى أبناء الضاد ، وراح هؤلاء الابناء الميامين يعطونها الكثير من الوقت والجهد ، وهي تعطيهم الاكثر من الخطباء الألباء ، الذين يفقهون القلوب ويثقفون العقول •

وفي صدر الاسلام اعتلى المنابر رجال أنجبتهم الاحداث ، فجاءت خطبهم كفلقات الصبح فأثرت في مجريات الأمور وجعلتها تسير حثيثاً الى أمجاد سجلها التاريخ على صفحاته بمداد من الفخر والخلود •••

وبعد ذلك برز أدباء على مسرح التاريخ الطويل خطبوا ودرسوا فنون الخطابة ، وقالوا فيما ينبغي أن يكون عليه الخطيب من رباطة جأش وفصاحة لسان وقوة جنان حين يخطب ، وظهر كتّاب قاموا بدور المؤلفين فأجادوا وأفادوا ، وغذوا الاريحيات التي لديها استعداد وكفاءات •

ومن هؤلاء الرجال الذين خطبوا ودرسوا وألفوا في هذا المضمار ، على نحو علمي موزون فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ كمال الدين الطائي ، ذلك الرجل الذي أسس منهاج خطبه على الموضوعية البحتة والايجاز الحافل بالمعنى ، والتأثير الذي يوقظ المستمعين ويشد انتباههم ، ويشوقهم

الى ما يسمعون ، وفي الوقت نفسه نراه يخاطب مستمعيه بلغة عصرية رائدة ، ومواضيع تتصل بحاضرهم ، ومستقبلهم وترسم لهم الطريق المستقيم ..

وليس أخطر على الخطيب من أن يتكلم في موضوع بعيد كل البعد عن مواءمة العصر الذي يعيش فيه ، وليس أخطر على الخطيب أن يتكلم من غير تركيز وتعبئة وتفهم ، ملقياً الحبل على الغارب في أطناب لا طائل تحته ، وحشو مخل ، ودليل في غير موطن الدليل ...

ومن هنا تقع السلبية أو الانفصال بين الخطيب ومستمعيه لانه لم يشحذ مشاعرهم ولم يشد انتباههم وبذلك تركهم فريسة لاحلام اليقظة وشرود الذهن وفراغ قاتل جعلهم يخرجون من الانتباه الى التعطيل .

ان الخطابة فن وموضوعها فن ، والالقاء فن ، وشد الاذهان فن ، والسيطرة على المستمعين فن ، فاذا لم يتهيأ الخطيب لهذه المعايير ولم يجعلها في حسبانه ، فيكون ابتعاد المصلين عن المحراب ، أجدى لهم من الحضور فيه ، ويكون صمت الخطيب خيراً له ألف مرة من ارتقاء المنبر والكلام فيما لا يفيد .

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس ان اخرج لنا فضيلة الشيخ الطائي كتابه الذي أسماه « من هدى النبوة » وقد استوحاه من تجاربه الذاتية ومن تفكيره الحر الصائب فجاء الكتاب أدباً لباباً خالصاً وهو جدير ان يقرأ وجدير أن يدرس ، وجدير أن يضاف الى المكتبة العربية ليكون بين ثمراتها الطارف والتليد وساماً أدبياً يمد الطامعين في الخطابة بما يشاؤون وفوق ما يشاؤون ، من موضوعات ذات جاذبية واغراء .

وفضيلة شيخنا الطائي غني عن التعريف به والافاضة فيه ، فهو عَلم من الاعلام . ورجل من رجالات المنابر ومؤلف له صداه وقلمه ومؤلفاته وتوجيهاته ، وبالتالي له أخلاقه التي ستظل طاقة روحية تنهل منها أجيال وراء أجيال .

وان كتاب « من هدي الجمعة » هذا معجزة تحققت وكان ينبغي لها أن تتحقق ، لأنها سدت فراغاً كثيفاً زما على القاريء الفاضل الا أن يمارس قراءته بروية وتوأدة ولسوف يجد فيه خضماً متدفقاً من الموضوعات التي تتصل بالمجتمع والتي سوف تهز مواجيده وتقيم له البرهان بعد البرهان على أن هذه الموضوعات جادة وتقدمية وخالية تماماً من الحشو واللف والتعقيد والتقليد ، ثم انها مزودة بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح ، والاحدوثة الخالية من الزيف والتخيلات .

ولسوف يجد القاريء في كتاب « من هدي الجمعة » رجالا كانوا حول الرسول (ص) استطاعوا بأيمانهم وبطولاتهم وصلابتهم أن يغيروا خريطة العالم واستطاعوا أن يزحفوا على رقعة الارض مجاهدين ، فنشروا كلمة الله في أقصى القارات وأناروا ظلماتها الدامسة بالعلم والانصاف .

والواقع ان فضيلة المؤلف عندما كتب عن هؤلاء الابطال الذين صنعوا تاريخنا الزاهر صورهم لنا تصويراً واقعياً وبأسلوب شيق أخاذ ، حتى لكأننا كنا معهم ، نشهد فتوحاتهم الجبارة ، وملاحمهم الضاربة ، وأخلاقهم العظيمة التي كانت سر هذه الفتوحات .

ثم ان الكتابة عن عظماء الرجال الذين ذكرهم فضيلة المؤلف ليست سهلة المنال ، ولا طيعة الاسلوب لكل من أراد الكتابة عنهم ذلك انها تحتاج الى كاتب يصدق عنهم الحديث ويعطيهم حقهم الذي اكتسبوه بجدارة واستحقاق ، وتحتاج الى كاتب منصف لا يخف حقائقهم كأبطال رفعوا راية الاسلام وصنعوا في سبيله المستحيل فكانوا من الخالدين .

والواقع ان فضيلة الشيخ الطائي أراحنا من عناء طويل حين وضع لمساته على هؤلاء الكماة ، فأجلى الصورة وأمعن في التحليل ، وبذلك جعلنا نقرأ كتابه ونحن واثقون بأنه باقة جميلة في بستان جميل .

ولسوف يلمس القارىء في صفحات هذا الكتاب موضوعات أخرى تتصل بحياتنا اتصالا طيباً وتؤدي غرضها المنشود في المسجد وخارج المسجد لما فيها من ثقافة ومرونة وتوجيه دقيق سليم •

ان دور الخطابة لا يزال هاماً في المجتمع ولا يزال المجتمع يقدم عليه اقداماً مطرداً ، وستزداد أهميته كلما أوغل الخطيب في القراءة والمعرفة وزحف نحو مزيد من الثقافة ، لأنه بهذا يزداد فهماً لمشاكل عصره ، فيستطيع أن يلقي عليها الاضواء ، ويعالجها علاجاً مريحاً صحيحاً ، وبغير ذلك ينفصل الخطيب عن المجتمع ويصبح معزولا عنهم ، وهم معزولون عنه، وكلا الأمرين مرير •

واذا كنا نحن اليوم نعيش في عصر تقدمت وسائله ، وتقدمت مفاهيمه ، فلا ينبغي للخطيب أن ينزوي عنها أو يتجاهل فاعليتها ، مكتفياً بما عنده من كتب شتى وضعت لزمن غير هذا الزمان علماً ان هذه الكتب تحتاج عند مطالعتها الى من يفحصها فحصاً وينخلها نخلا ليرى ما فيها من تزيد ونقصان •

ومن يدري لعل في هذه الكتب فجوات كبعض التفاسير المتداولة ؟؟ ولعل فيها كذباً صراحاً كالاحاديث الموضوعة في بعض كتب الحديث • ولعل فيها روايات هي أشبه بالخيال من الحقيقة كمؤلفات القصاص الذين ضربوا الرقم القياسي في التلفيق والاضاليل ، وبذلك يتحتم على الخطيب أن يقرأ بعقل نير والا صار كالببغاوات التي تردد الكلمات دون أن تعي منها شيئاً مذكورا •

وان الخطيب في حاجة الى أن يقرأ ولا يكل من القراءة ، ولكن على ضوء من الفهم والتقدير ويكون أزكى له لو أعطى الكتب المؤلفة حديثاً قسطاً من القراءة مهما كانت هذه الكتب ، لأنه لا غنى له عنها • ولسوف يجد فيها لمسات تفيده على كل حال •

وان القاريء لكتاب « من هدى الجمعة » يجد فيه ملامح خلاقة من الدقة والبحث ويجد فيه ابتكارات مريحة وبناءة ، ويجد فيه قدرة ذهنية فائقة ألمعت فأجادت ... ثم ألقت على الخطابة ثوبها القشيب الفضفاض .

وهكذا ينطلق الشيخ الطائي في رحاب مؤلفه ليصور لنا تلك النماذج كما ينبغي لها أن تتصور شأنه في ذلك شأن كل كتاب أخرجه ، وكتبه التي خرجت ـ وما أكثرها ـ ليست في حاجة الى توضيح فهي ذائعة ورائجة ومفيدة ومؤنسة ولها هواة من جميع الطبقات .

هذا .. وللشيخ الطائي اعتبارات خلقية بجوار هذه الاعتبارات العلمية ، فهو يمتاز بالخلق المحمود عند كل عارفيه ، ويمتاز بحبهم له حباً من غير حدود ، ويمتاز بحلية التقوى ، وخلة التواضع ، ووقار العالم ، وسخاء اليد ، وصدق الوعد ، واغاثة الحيران ، وكثرة الحياء .. والعمل كل العمل ابتغاء وجه الله تعالى .

وهذه مزايا ينبغي أن تتوفر في كل عالم يأتم به الناس لأن سلوكه الشخصي ـ كعمل ـ لا بد أن يكون على عمق قصي من الخلق الفاضل ما دامت أقواله تحض عليها وتأمر بها ، ومتى تطابق القول والعمل ، أدت الموعظة ما يرجى لها من النفع والأمل والتأثير .

واذا كان الشيخ الطائي يملك هذه الثروة الضخمة من القول والعمل، فهذا ليس عجيباً منه ولا غريباً عليه فهو من أبناء بغداد التي أنجبت مشاهير الرجال وكبار المفكرين ، وصفوة العلماء الذين لهم الفضل في تزويد الانسانية بمختلف العلوم والفنون التي جعلتها تسير قدماً الى حضارة مشرقة ، صنعت منها هتاف المجد ونشيد الخلود وحقق لها ما تصبوا اليه من آمال .

ألهمنا الله السداد والرشاد .

محمد علي الطعمي
مبعوث الازهر الشريف
في الجمهورية العراقية

قد جاءكم من الله نور

في شهر ربيع الاول من كل عام تنطوي الابعاد بين الاقطار الشاسعة ، وتتصل القلوب المتباعدة ، وتتجاذب مئات الملايين من المسلمين ذكريات ذلك اليوم الذي افتتح عهد اليقظة والانتباه .

تتجلى الاتصالات المعنوية ، والجواذب الروحية ، كلما عاد شهر ربيع الاول ، وشعت الأنوار من مطلع الهداية ، ومهبط الوحي والرسالة ، وهو ليس كالأنوار المشاهدة تعتريها العلل والافول ، وانما هو نور انساني أبهى وابهر ، وأسمى وأفخر ، وأبقى وأعم ، نور لا يحير في الانتشار ضياؤه ، ولا يغيب عن وجه الزمان بهاؤه ، هو نور في شريعته ، نور في سيرته ، نور في حركاته وسكناته ، نور لكل ما في النور من معنى الهداية والارشاد ، (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

يقول علماء النفس ان للبيئة تأثيراً على حياة المرء ونشأته ، بل على عقله وأخلاقه وحركاته وسكناته ، ومهما حاول الانسلاخ عنها لا يستطيع ذلك .

ولكننا نرى في وسط بيئة جاهلة متنابذة ، في وسط محيط عمت الفوضى أنحاءه ، وتتابعت الحروب ولم تخب نارها ، ولم يهدأ سعيرها ، تأكل الرجال وترمل النساء ، وتيتم الاطفال ، في وسط أولئك المشتتين في قفار الجزيرة ، ورمال الصحراء المحرقة ، النازلين خلف رمال الاحقاق وفي وسط الخلاء من الربع الخالي ، وفي البلقاء من أعمال الشام ، والقاطعين الجزيرة سهلها وجبالها ، عسيرها وتهامتها ، نجودها ووهادها ، هؤلاء العرب الذين قيل فيهم : **العربي الواحد ملك بمفرده ، والعربيان أميران مستقلان ،**

والثلاثة طوائف ملوك ، هذا في الجزيرة ، ولا تسل عن الفوضى التي كانت تسود بلاد فارس والروم ، في وسط هذه الفوضى برز محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فقلب كل ما كان معهوداً ظهرا على عقب ، فحطم جميع القيود التي كانت ترسف فيها البشرية ، ووضع لها أساساً وأصولا في الدين والأخلاق والاجتماع ، لن يضل من تمسك بها ، وان العالم لفي أشد الحاجة اليها مهما بلغ من رقي وعلم وحضارة .

لقد جعل عليه الصلاة والسلام من أولئك العرب مثلا أعلى لعلو النفس ، وصفاء الطبع ، ورقة الجانب ، وطهارة الخلق ، وعظم الامانة ، والخضوع للحق ، وهذا ما لا يقدر عليه أحد الا من اصطفاه الله وحباه ، وأيده بروح من عنده .

لقد وضع محل الفوضى التي كانت تسود العالم نظاماً شاملا لجميع نواحي الحياة ، ولقد سارت عليه أمته في أوج عظمتها ، وازدهار دولتها ، واتساع علومها ومعارفها ، فكانت مثال الرقي والحضارة الصحيحة ، كما كانت مرآة للانسانية الصادقة ، ومن قبل قال عليه الصلاة والسلام لذوي قرباه : « ما أعلم ان انساناً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة » .

لقد غرس صلوات الله وسلامه عليه في تلك النفوس قبل كل شيء الايمان ، لأنه هو العلاج لكل مرض ، هو القوة والشجاعة والاقدام ، هو الذي جعل أربعين ألفاً أو أربعمائة ألف من العرب المسلمين أسياد العالم ، ورسل العدل والرحمة والعرفان ، جعل منهم نوراً لا يخبو ، وقوة لا تغلب ، وشجاعة لا تجبن ، وذلك لغرسه الايمان الذي هو القوة التي توجه السلاح وتسدده ، وتقوي القلب وتثبته ، وتشق الطريق وتمهده ، وتجمع المجد من أشرف نواحيه ، ألا ان كل قوة لا ايمان لها ساقطة عند

أول صدمة ، الا أن كل علم لا إيمان له حطام من الحيرة والشكوك والرياء ، الا أن كل حضارة لا إيمان لها سائرة الى الانحلال • ولقد قال سيدنا رسول الله : « لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فان خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا الى سنتي » •

لقد بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم هداية عامة لمخلوقاته ، فهو هداية للضال في عقيدته ، والناسك في عبادته ، والزعيم في أمته ، والحاكم في حكومته ، والقاضي في قضائه ، والتاجر في متجره ، والصانع في مصنعه ، والعامل في معمله ، والرجل في بيته ، والزوج مع زوجته ، والمعلم في مدرسته ، والموسع عليه في نعمته ، والمضيق عليه في محنته ، ففيه أهدى المثل لانهاضهم ، وأبلغ الدروس في ارشادهم •

لقد وضع التواضع موضع الكبر والعظمة ، ولين الجانب موضع الأنانية ، فكان اذا جلس بين أصحابه يأخذ معهم في الحديث ، ولقد دخل عليه بعض الاعراب فارتاع من هيبته ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة •

ومع تواضعه عليه الصلاة والسلام كان على جانب عظيم من الحشمة والمكانة والعظمة ، فهو أوقر الناس في مجلسه ، فاذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤسهم الطير • قال أنس بن مالك : « كان النبي يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فلا يرفع أحد منهم بصره الا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ، ويبتسمان اليه ويبتسم اليهما » • وقال البراء بن عازب : « لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأوخره سنتين من هيبته » • وقال عمرو بن العاص : « ما كنت أطيق أن أملأ عيني من رسول الله صلى

الله عليه وسلم اجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه » •

ولقد تجاوزت هيبته أصحابه الى أعدائه ، حتى ان كفار قريش الذين كانوا يكذبونه ويقصدون أذاه ، اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته • من ذلك : أنه قدم رجل من أراش بابل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها ، فأقبل الأراشي حتى وقف على ناد من قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد جالس ، فقال : يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام ، فاني رجل غريب ابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ، فقال له أهل ذلك المجلس ، أترى ذلك الرجل الجالس - يريدون رسول الله - وهم يهزؤن به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ، اذهب اليه فانه يؤديك عليه •

فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله فقال : يا عبدالله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وأنا رجل غريب ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه فأشاروا لي اليك ، فخذ لي حقي منه يرحمك الله ، فقال له رسول الله ، انطلق اليه ، وقام معه فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ماذا يصنع •

وخرج رسول الله حتى جاءه وضرب عليه بابه ، فقال أبو جهل من هذا ؟ فقال له رسول الله : محمد ، فاخرج إلي ، فخرج اليه وما في وجهه بقية من روح ، قد انتقع لونه ، فقال له رسول الله : اعط هذا الرجل حقه ، قال أبو جهل : نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ، ثم انصرف رسول الله وقال للأراشي الحق بشأنك ، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرا ، فقد والله أخذ لي حقي •

وجاء الرجل الذي بعثوه مع الأراشي لينظر ماذا يحدث بين محمد وأبي جهل ، فقالوا له : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه ، فخرج اليه وما معه روحه ، فقال له : اعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج اليه حقه ، فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه أياه .

ثم لم يلبث أبو جهل ان جاء ، فقالوا له : ويلك ما لك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ، فقال لهم أبو جهل مبرراً انخذاله وانصياعه لمحمد صاغراً : ويحكم ، والله ما هو الا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ، ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الأبل ما رأيت مثل هامته ، ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلني .

اللهم يا من أعززت المسلمين بعد عناء ، وقويتهم بعد ضعف ، ووحدت كلمتهم بعد فرقة ، وألفت بين قلوبهم بعد شتات ، أدرك آخرهم بما أدركت به أولهم ، وأعزهم بما أعززت به سلفهم ، وبصرهم بوجوه ضعفهم ، حتى يتخذوا العدة لنهوضهم .

اللهم هيء للمسلمين من أمرهم رشدا ، ومن همهم فرجا ، ومن ضيقهم مخرجا ، ونجهم مما يخافون ، واكفهم وكف عنهم بأس الذين كفروا انك أشد بأساً وأشد تنكيلا .

ذكرى ولادة الانسان الكامل

تتحرك المشاعر كلما أهل هلال ربيع الاول ، وتنبض القلوب لأعز ذكرى احتضنها هذا الشهر المبارك ، ذكرى أعظم مولود هتك الله به أستار الظلم ، ومزق غشاوة الضلالات ، ونشر في الكون العلم والعرفان ، والتوحيد والايمان ، والاصلاح والعدل ، والأخاء والمساواة ، والأمن والأمان .

في شهر ربيع الاول ولد أمام الخلق وسيد الوجود محمد بن عبدالله وفيه اختاره الله تعالى للرسالة العظمى ، فبعثه للعالم هادياً وبشيرا ، وفيه هاجر عليه الصلاة والسلام من الأرض الظالم أهلها ، الى أرض يحب أهلها من هاجر إليهم ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفيه ختمت الرسالة وانتقل صاحبها الى الرفيق الاعلى بعد أن ترك وراءه أصحاباً هم صفوة الصفوة من خلق الله بعد الأنبياء ، أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أغاظ تعالى بهم الكفار ، وحقد عليهم الفجار ، هم خير أمة أخرجت للناس .

ان محمداً صلى الله عليه وسلم هو أعلى مثل ضربه تعالى للانسانية ، وأعظم قدوة هيأها الرحيم للبشرية ، هو الانسان الكامل الطاهر الذي بلغ في المكارم أعلى ذراها ، ووصل الى منتهاها . هو الفذ في شأنه ، الفذ في معاشرته ، الفذ في صبره واحتماله ، الفذ في عطفه ومروءته ، الفذ في مساواته وعدله ، الفذ في معالي الأمور وتذليل الصعاب ، فجدير به أن يؤهل للرسالة ، ويوكل بمصالح الخلق .

لقد احتمل صلواة الله وسلامه عليه في سبيل الدعوة الى الحق أنواع القسوة ، مفضلا إياها على الراحة والهناء ، وكان يقول لعمه أبي طالب

عندما طلب منه الاقلاع عن دعوته : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ».

لقد ثبت عليه الصلاة والسلام هو وصحبه ثباتاً دونه ثبات الشم الرواسي ، وتحمل هو وإياهم من العنف والاعتساف ما لا يتحمله انسان ، ولولا هذا الصبر ما ضاءت الأرض بنور الاسلام ، ولولا هذا الايمان لما ثبتت الاقدام ، ولما رخصت النفوس في سبيل احقاق الحق ، ولما استثير الاستبسال للقضاء على الاضلال والضالين .

لقد عرف صلوات الله وسلامه عليه بالحلم والصبر على المكروه ، والعفو عند المقدرة ، وها هو يعفو عمن ظلمه وآذاه وأخرجه عندما أمكنه الله تعالى من رقابهم قائلا لهم : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .

وعندما دخل صلوات الله وسلامه عليه مكة المكرمة فاتحاً أمر رؤساء الجيش أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم ، الا أنه أهدر دم أناس اشتدوا في عدائهم لرسول الله وأذاهم للمسلمين .

منهم عكرمة بن أبي جهل ، فقد كان من أشد الناس على رسول الله وعلي المسلمين ، ولما بلغه أن رسول الله أهدر دمه هرب متجهاً الى البحر ، الا أن زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام استأمنت له رسول الله فأمنه ، وقد خرجت في طلبه ، فأدركته فرجع معها ، ولما أقبل على رسول الله وثب عليه الصلاة والسلام قائماً فرحاً به وقال : « مرحباً بمن جاءنا مهاجراً » ، ثم أسلم وناضل حتى استشهد يوم اليرموك .

وممن أهدر الرسول دمه هبار بن الاسود الذي كان من أقسى الناس على المسلمين ، وقد عرض لزينب بنت رسول الله حين هاجرت فنخس بها

الجمل فسقطت رضي الله عنها على صخرة واسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة من ذلك حتى ماتت ، وعندما أتى الى رسول الله واعترف بذنبه وأسلم عفا الرسول عنه .

وممن أهدر الرسول دمه صفوان بن أمية الذي كان من أشد الناس عداوة وأذاً لرسول الله وللمسلمين ، وعندما فتحت مكة اختفى وفر صوب البحر ، الا أن ابن عمه عمير بن وهب الجمحي طلب من رسول الله أماناً لصفوان ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال للرسول : أعطني آية يعرف بها أمانك فاني قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك الا أن تأتيني بعلامة أعرفها فأعطاه رسول الله عمامته التي دخل بها مكة ، فلحق به وهو يركب البحر ، فقال عمير لصفوان : جئتك من عند أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأعلم الناس ، وخير الناس ، وأراه العمامة التي جاء بها ، فرجع معه حتى وقف على رسول الله فقال : ان هذا يزعم أنك قد أمنتني ، قال : صدق ، فقال : أمهلني بالخيار شهرين ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنت بالخيار أربعة أشهر ، ثم بعد ذلك أسلم وحسن اسلامه .

لقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كعب بن زهير بن أبي سلمى وقال : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله . فكتب اليه أخوه بجير بذلك ، وان رسول الله قد أهدر دمه ، فان كان له في نفسه حاجة فليأته فانه يقبل من جاءه تائباً ، ولا يطالبه بما عمله قبل الاسلام .

فلما بلغ الكتاب كعباً فر الى قبيلته لتجيره ، فأبت عليه ذلك ، فاشفق على نفسه ، وأرجف به أعداؤه ، فقدم المدينة وأتى الى مسجد رسول الله ولم يعرفه أحد ، وقام الى رسول الله حتى جلس بين يديه قائلا : يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء يستأمنك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه ذلك

ان أنا جئتك به ؟ قال : نعم ، قال كعب : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، فقال عليه الصلاة والسلام : الذي يقول ما يقول ، ووثب اليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال له الرسول: دعه عنك ، فانه قد جاء تائباً نازعاً ، فوثب كعب منشداً قصيدته :ـ

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

يمدح بها الرسول الكريم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به الى أن قال :

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول
فقد أتيت رسول الله معتذرا ... والعفو عند رسول الله مقبول

الى أن قال :

ان الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

فعندئذ رمى اليه رسول الله بردته الشريفة وعفا عنه • وقد طلب معاوية بن أبي سفيان هذه البردة من كعب باذلا له عشرة آلاف درهم فأبي ، فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم •

فبهذا التعليم النبوي العظيم ، وبهذه التربية الحكيمة ، وبهذه الشخصية الفذة بعث عليه الصلاة والسلام في الانسانية المحتضرة حياة جديدة ، وأخرج من العرب أمة أخذت تملي على العالم إرادتها ، وتوجهه حسب مشيئتها ووفق تعاليم دينها ،فكأنما كانت لا تبصر الطريق ، الى أن جاءها حيث تولت القيادة والتوجيه (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) •

ان الشريعة التي أتى بها هذا الرسول الكريم ما جاءت الا لاشاعة الحرية واقامة العدل وتوطيد الحق ، واحترام الكرامة الانسانية ، وتعزيز

الاخوة ، وتحقيق المساواة ، هذه التعاليم التي لا يرتاح لها الذين عاشـــوا على دماء الامم واغتصاب حرياتها ، وهدر كرامتها ، وكذا الذين يريدون التحلل من الفضائل ، والانغماس في الرذائل ، أولئك الذين هم كالانعـام بل هم أضل : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بـربـك هادياً ونصيرا) .

قبس من أخلاق رسول الله

يحتفل العالم الاسلامي في شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى عزيزة على قلبه ومشاعره ، ذكرى ميلاد مرشده ومنقذه وهاديه محمد بن عبدالله صلوت الله وسلامه عليه .

ولد في هذا الشهر سر الوجود ، ونفحة الديان ، وجمال هذا الكون ، وصفوة الانسانية ، ومصدر الايمان .

ولد في هذا الشهر الرحمة السماوية التي عمت البرية ، ونشرت السوية ، وأدالت دولة الظلم ، وأزالت عصبة الاثم .

ان يوم ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ليس يوم فئة من الناس ، بل هو يوم الانسانية التي حماها صاحب ذلك اليوم بتعاليمه وارشاداته .

اذن الله تبارك وتعالى للعالم بهذا المولود أن يهتدي بعد الضلالة ، وأن يستنير بعد الجهالة ، وان يتحاب بعد الفرقة ، وان يتآخى بعد الهجران ،وأن يعبد الله ويترك الشرك والأصنام والنيران .

وعلى هذا النهج القويم الذي جاء به صاحب هذه الذكرى ، وحد أتباعه رايتهم وغايتهم ، وعلى هذه المبادىء السامية سار أتباعه في سياستهم ومعاملاتهم ، وفي حلهم وترحالهم ، وفي سرهم وعلانيتهم وبفضل نهجهم هذا ورثوا ملك قيصر وكسرى ، وأشرفوا على العالم من شتى أنحائه ، فازدهرت بهم الحضارة وعم العلم في مختلف فروعه ، وظهر العلماء والحكماء ، والقادة والزعماء ، والمجتهدون والمصلحون ، والأولياء والصالحون ، وانتشر العدل ، وهزم الباطل .

لقد حبا الله تبارك وتعالى هذا المصطفى بصفات اختصه بها ، ولم تتوفر لسواه ، ولم ينلها عداه .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه أرحب الناس صـدراً ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، لا يشانه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس ، وكان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره •

كان صلى الله عليـه وسـلم ظـاهر الوضاءة ، أبلج الوجـه ، خافض الطرف ، بصره الى الارض أطول من بصره الى السماء ، اذا صمت عـلاه الوقار ، واذا تكلم أظله البهاء ، حلو المنطق ، في كلامه ترتيل ، قوله فصل لا فضول فيه ولا تقصـير ، يحفظـه من جلس اليه ، ويفهمه كـل مـن سـمعه •

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه وافر الحلم ، يصل من قطعـه ، ويعطي من منعه ، ويبذل لمن حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويغض طرفه على القذى ، ويحبس نفسه عن الأذى ، ويصبر على ما يشق ويكره ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما •

لقد كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس ابتعاداً عن لـذائـذ الدنيـا وزهرتها ، ولقد توفى ودرعه مرهونة في نفقة عياله • وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : ما شبع رسول الله ثلاثة أيام تباعاً حتى مضى لسبيله • ومات وما في بيته شيء ذو كبد الا شطر شعير في رق لي • وإنـا كنا آل محمد لنمكث شهراً لا نستوقد ناراً ، ان هو الا التمر والماء •

لقد كان صلوات الله وسلامه عليـه أوفر النـاس حظاً في الحشـمة والمكانة في القلوب ، والعظمة قبل النبوة وبعدها ، حتى ان كفار قريش اذا واجههم عظموا أمره وقضوا حاجته •

وكان يخرج على أصحابه وهم جلوس فلا يرفع أحد منهم اليه بصره الا أبو بكر وعمر ، فانهما كانا ينظران اليـه وينظر اليهما ، ويتبسـمان

ويبتسم اليهما • ولقد سأله بعض أصحابه أن يدعو على كفار قريش لتماديهم في الأذى وتعذيب المسلمين ، فأبى عليهم ذلك وقال : اني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون • فلما سمعه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا ، فلقد وطيء ظهرك ، وأدمي وجهك ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول الا خيراً ، فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون •

لقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأقدمهم وأصبرهم على الشدائد ، ذا بأس وصولة واقدام ، ولم يعهد عنه أنه فر ذات يوم من معركة خاض غمارها على كثرتها وتعددها •

ولقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله فما أحد يكون أقرب الى العدو منه •

لقد انفرد عليه الصلاة والسلام في غزوة ذات الرقاع عن أصحابه وقت الظهيرة واستظل بشجرة ، وقد أخذته سنة الكرى ، ولم ينتبه الا وغورث بن حارث واقفاً على رأسه والسيف مصلت في يده ، فقال غورث من يمنعك مني ؟ فقال الرسول : الله ، فسقط السيف من يده وأخذه المصطفى وقال لغورث : من يمنعك مني ؟ فأجابه : كن خير آخذ • فتركه رسول الله وعفا عنه ، فجاء غورث الى قومه وقال لهم : جئتكم من عند خير الناس ، وقص عليهم قصته فأسلم وأسلم قومه •

كان صلى الله عليه وسلم أقوى الناس بدناً وجسماً • قال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله في مشيه كأنما الارض تطوى له ، وانا نجهد أنفسنا وهو غير مكترث •

لقد حث صلوات الله وسلامه عليه على العمل لخير الدنيا والآخرة ، واستعاذ من العجز والكسل ، لما يترتب عليهما من المضار التي تتناول الدارين فقال صلى الله عليه وسلم : ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، وانما خيركم من عمل لدنياه وآخرته •

فعلينا أن نحيا في سيرة الرسول وألوانها الخالدة ، ولنطبع أنفسنا بطابعها ، ونتعلم منها الصبر واحتمال الأذى في سبيل الله واحقاق الحق وازهاق الباطل ، وأن نستهين بالنوازل والخطوب ، وان نصمد لتذليلها ، ونعلم من سيرته الجهاد والجلاد ، والكر والاقدام وبذل النفس والمال في سبيل اعلاء كلمة الله واعزاز المسلمين والدفاع عن أوطانهم •

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) •

الرحمة المهـــداة

قال الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : ((لقـد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) .

لقد منّ الله جل جلاله على هذا العالم بالقبس الذي تجلى به تعـالى على العالمين ، تجلى تعالى على هذا العالم بالرؤوف الرحيم ، فأنار به الوجود بعد ظلمة الظلم ، وطهره من لوثة الاثم ، وأنقذه من الفتن ، وأنجاه مـن المحن ، وألف به بين القلوب ، وقرب بين الشعوب .

لقد اختار الله تعالى محمداً من بين مخلوقـاتـه ، فكان المثـل الاعلى للانسان الكامل . أطهر الناس لساناً ، وأشرفهم بيانـاً ، وأعذبهم نطقـاً ، واحسنهم صحبة ، وأكرمهم سجية ، وأصلبهم عوداً ، وأتقاهم لله . ولقـد كان يقول : ان المؤمن لا يكون فحاشاً ولا سباباً ولا عيـاباً ولا طعانـاً ولا لعـانـاً .

لقد غير هذا المصطفى وجه الارض ، وحول مجرى التاريخ ، ونقـل النفوس من طباعها ، والقلوب عن عقائدها ، ينزل عليه الوحي فاذا بالبشـر ينهلون منه مناهل الايمان ، ويتزودون زاد النفوس والعرفان .

لقد اجتباه تعالى من بين خلقه ، وقرن طـاعته بطاعتـه : (من يطـع الرسول فقد أطاع الله) وجعل قوله الفصل في جميع المنازعات والمعـاملات والعبـادات (فلا وربـك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـــجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) . وجعل مبايعتـه مبايعة الله : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فـوق أيديهم) . وجعل تعظيمه وتوقيره ونصره فريضة على كل مسلم ومسلمة : (فـالذين

آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

هو الرحمة المهداة ، فمولده بشير سعد ، وشروقه مصدر خير ، وبداية عهده صفحة سعادة وعز ، هو التاريخ الذي سجل في ثناياه القضاء على الفرقة ليحل محلها الأخاء والوحدة والتوحيد .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه نسيجاً وحده ، كله رحمة وعفو وحنان ، ومعجزة وخوارق وتثبيت للايمان .

يذهب الى الطائف ليدعو أهلها الى اتباع الحق ونبذ الشرك والاشراك، فيردونه أسوأ رد ، ويرسلون وراءه الصبية والاتباع ، فلا يزيد على قوله : اللهم أهد قومي فانهم لا يعلمون ، وقد أرسل الله تعالى جبريل الى رسوله ليقول له : ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فكان رده عليه الصلاة والسلام : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

وتتجلى رحمته وعفوه وصفحه عند فتحه لمكة بعد ما أخرج منها وهو يقول : والله انك لاحب أرض الله الي ، ولولا ان أهلك أخرجوني ما خرجت .

وكان من أبسط أعمالهم معه أنه عليه الصلاة والسلام ذهب الى الكعبة ليصلي ، وعندما كان ساجداً أتاه عقبة بن أبي معيط ووطيء عنقه الشريف حتى كادت عيناه تبرزان ، ثم اجتمع عليه المشركون وخنقوه خنقاً شديداً وعندما جاء أبو بكر الصديق ليكف الناس عنه جذبوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره .

وعند تمكنه من رقاب هؤلاء القساة الغلاظ أمر مناديه أن ينادي : من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن

دخل داره فهو آمن • ثم يقول لهؤلاء وقد اجتمعوا عليه : ما ظنكم بي ؟ قالوا : ابن عم كريم ، فان تعف فذاك الظن بك ، وان تنتقم فقد أسأنا ، فقال بل أقول لكم كما قال يوسف لأخوته : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » • اذهبوا فأنتم الطلقاء •

لقد كانت حياته كلها يمناً وبركة على المجتمع الذي يعيش فيه وقد كرمه الله فأظهر على يده خوارق العادات حتى في طفولته •

من ذلك ما حدث للسيدة حليمة السعدية عندما ضمته اليها لترضعه بعد أن صرفت عنه المراضع ليتمه ، وكان قد جف اللبن عند حليمة فلم يشبع ولدها ، ولما وضعت ثديها في فم الرضيع اليتيم فاذا به يفيض ويشبعهما معاً ، وتفيض باللبن شاتها العجفاء بعد انقطاعه ، وقد أفاض الله على حليمة من فضله واحسانه فأصبحت في عيش رغيد بعد فقر وجدب ، وجعل الله بعد عسر يسرا •

ومن يمنه عليه الصلاة والسلام واكرام الله له ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع ، فقال رسول الله : ياجابر ناد بوضوء: فقلت الا وضوء الا وضوء ، قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة ، وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله الماء ، فقال لي : انطلق الى فلان الانصاري فانظر في أشجابه من شيء ، فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد فيها الا قطرة في عزلاء شجب يابسة مما لو اني أفرغه لشربه واحد ، فأتيت رسول الله فأخبرته قال : اذهب فأتنى به ، فأتيته به ، فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ، ثم أعطانيه فقال يا جابر : ناد بجفنة الركب ، فأتيت بها لا تحمل فوضعت بين يديه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا ، فبسطها في الجفنة وفرق بين أصابعه ، ثم وضعها في قعر الجفنة ، وقال : خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله ، فرأيت الماء

يفور من بين أصابعه ، ففارت الجفنة وقاربت حتى امتلأت ، فقال : يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء ، فأتى الناس فاستقوا حتى رووا ، ورفع رسول الله يده من الجفنة وهي ملأى .

ومن يمن الله عليه واكرامه لذاته ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله أنه قال : أنا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة ، فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعادت كثيباً أهيل ، فقلت يا رسول الله إئذن لي الى البيت ، فأذن ، فقلت لأمرأتي : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان لي في ذلك صبر أفعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد اختمر والبرمة بين الاثافي – أي الاحجار التي توضع عليها القدر – كادت أن تنضج ، وقالت امرأتي : لا تفضحني برسول الله وبمن معه ، فجئت فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير ، فتعال أنت ونفر معك يعني دون العشرة ، وفي رواية : فقلت طعيم لنا صنعته فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، وكنت أريد أن ينصرف وحده ، قال كم هو ، فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي ، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم : يا أهل الخندق ان جابراً صنع سؤرا – أي طعاما – فحيهلا بكم – أي هلموا مسرعين – فلما دخل جابر على امرأته : قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ، قلت نعم ، فقالت : الله ورسوله أعلم ، نحن أخبرناه بما عندنا .

قال جابر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، فأخرجت المرأة

له عجيناً فبصق فيه وبارك ، ثم عمد الى برمتنا وبصق فيها وبارك ، ثم قال لجابر : أدع خابزة لتخبز مع زوجتك، ثم قال لها : أقدحي - أي أغرفي - في برمتكم ولا تنزلوها ، والقوم الذين كانوا معه ألف ، وأقعدهم عشرة عشرة يأكلون .

يقول جابر : فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا عن الطعام وان برمتنا لتغط - أي لتغلى - وتفور كما هي - وان عجيننا ليخبز كما هو وما زال يقرب الناس حتى شبعوا أجمعين والتنور والقدر أملأ ما كانا ، فقال : كلي واهدي ، فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع .

فصلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله ، ما أعظم فضلك ، وما أجل بركتك وما أجمل ذكرك ، وما أعجب شأنك ، فذكرك قرة للعين وبهجة للنفس ، وشفاء لما في الصدور ، وما بعثت الا رحمة للعالمين .

يا سيدي يا رسول الله

أي شهر هذا الذي تحتفل الامة الاسلامية بذكرى مولده ، أي وليد هذا الذي هز العالم وغير مجرى حياته ، أي وليد هذا الذي خلد ذكراه خلود الانسانية الفاضلة ، أي مولود هذا الذي سادت تعاليمه الوجود ، وغدت المورد العذب لطلاب الحياة الرغيدة والعدالة الشاملة .

أي شهر هذا الذي حوى بين طيات أيامه ذكرى عزيزة على قلب كل مسلم ومشاعره ، ذكرى ميلاد المنقذ الاعظم ، والمرشد الهادي ، أبي القاسم محمد صلوات الله عليه وسلامه .

أي شهر هذا الذي يضم بين طياته ميلاد خير الخلق في طفولته ، وأطهر المطهرين في شبابه ، وأنجب البرية في كهولته ، وأزهد الناس في حياته ، ذاك الفذ في نشأته ، الفذ في معاشرته ، الفذ في معيشته ، الفذ في عبادته ، الفذ في قيادته ، الفذ في دعوته ، الفذ في صبره واحتماله ، الفذ في عطفه وعفوه ومروءته ، الفذ في قضائه وأحكامه ، الفذ في معالي الأمور ، وتذليل الصعاب .

ان يوم ميلاد المصطفى هو يوم ميلاد الحرية الانسانية ، ومبعث القيم البشرية ، هو يوم وضعت فيه قواعد تكوين الامة ، وتأسيس الدولة ، واقامة النظام ، وانعدام الفوارق ، وتشييد صرح العلم والمعرفة .

ان ذكر الرسول الكريم ينبوع فياض لم ينضب معينه ، وحق للمؤمنين أن يغترفوا من هذا الينبوع ما شاؤا من علم وحكمة ، وقوة وجهاد ، وعزة وسيادة ، وما الى ذلك من عناصر الحياة الموقرة الكريمة .

فصلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله ، لقد صنعك الله على عينه فأكمل صنعك ، وأدبك فأحسن تأديبك ، فكنت مثال الكمال الانساني ، وسيد الانبياء ، وامام الاصفياء ، وقدوة الأولياء ، ومناراً للقادة والزعماء .

يا سيدي يا نبي الله ، لقد تكاتفت عليك قوى الشر والشرك والطغيان ، وتكالبت عليك عناصر الظلم والضلال والعدوان ، كما تتكاتف وتتكالب علينا قوى الضلال والحقد والبهتان .

لقد تكالب عليك يا سيدي يا نبي الله أبو جهل وعصبته ، وعبدالله ابن أبي وبطانته ، للقضاء عليك وعلى دعوتك .

وها هم قومك وأتباعك قد تكالب عليهم الآن الأمريكيون ومن يدور في فلكهم ، والانكليز ومن يتبع خطاهم ، يعينهم أحفاد الهرمزان وبابك الخرمي وقرمط ومن لف لفهم من الشعوبيين والحاقدين ، وهم يخططون للقضاء على قوميتنا وتراثنا وديننا ، وليمكنوا اليهود من بلادنا ، والتفوق علينا .

لقد قاسينا يا رسول الله من هؤلاء الاعداء وممن سبقوهم من أجدادهم كل الشدائد والمعوقات ، الا اننا لم نهن لما أصابنا ، ولا عرف اليأس طريقه الى قلوبنا ، اقتداء بك يا رسول الله وسيراً على خطاك .

يا سيدي يا حبيب الله ، لقد فقد قومك الصدارة منذ حقبة من الزمن ، وكشر الزمان لهم عن أنيابه ، لأن النوائب جعلتهم يقفون والعالم يسير ، وينامون والأمم من حولهم صاحية ، ويتصاممون وأذن الدهر واعية ، حتى تقطعت بهم السبل ، وتقدمتهم القوافل ، حصل هذا كله وأكثر منه عندما أبعدهم الطارؤن على الاسلام عن القيادة والصدارة والتوجيه ، وتسلط على رقابهم الموالي والمماليك والشعوبيون .

وعندما انتبه قومك يا صفي الله ورأوا ما هم عليه من تخلف وتفرق ،

وأخذوا يلمون شعثهم ويوحدون صفوفهم ، لاعادة مجدهم الغابر ، وعزهم المندثر ، تجمعت قوى الشر عليهم لصد هذا التيار ، والقضاء على هذه اليقظة قبل أن تتكامل وتقوى ، يعينهم بعض من تقمصوا ثوب الاسلام ،

هؤلاء الذين يوالون أعداء الله ورسوله والمؤمنين ، وقد وجهوا لتثبيط الهمم، وتخويف الناس من العواقب ، والدعوة للاستسلام والرضـــوخ للأمر الواقع ، وأخذوا يتطاولون على كل من يسعى للم الصفوف والاستعداد لاعلاء شأن الامة ورد المعتدين عليها ، هؤلاء الذين هم من بقايا الاحتلال الاستعماري الذي استورد بعضهم الى العراق لتغيير وجهه العربي ، لذلك ينفرون من سماع كلمة العرب ، أو دولة للعرب ، أو كيان للعرب ، لئلا يعودوا الى سالف عهدهم •

يا سيدي يا خير خلق الله ، فكما تجمع للقضاء عليك وعلى دعوتك اليهود والمشركون والمنافقون • وكما تكاتف بعد وفاتك اليهود والمجوس والنصارى والموتورون لايقاف الاندفاع العمري ، وخططوا لاغتيال القائد الملهم ، والحاكم المثالي ، والعبقري الفذ ، والزاهد العابد ، عمر بن الخطاب ووضعوا التصاميم لايقاد الفتنة بين صفوف المسلمين ، لتفتيت الوحـــدة ، وتفرقة الشمل •

وكما تجمع بعد ذلك ريشـــارد الاول ملك الانكليز ، وفليب اغسطس ملك فرنسا ، والبابا أوريان الثاني ، تجمعوا لمحو الاسلام واذلال المسلمين واعلانها حرباً صليبية استعمارية ماحقة ، ولكن الله أذلهم ورد كيدهم في نحورهم •

واليوم يتجمع على قومك يا رسول الله اليهود والامريكان والانكليز وبقايا المزدكية والبهائية لايقاف التيار العربي الاسلامي ، وأعلنوها حرباً صليبية يهودية شعوبية بكل معانيها ومقوماتها •

ومع هذا كله يا حبيب الله ، فان قومك قد أخذتهم الآن ثورة عارمة على الاستعمار القديم والجديد ، والعمل على تصفية الجيوب التي خلفها الاستعمار من ورائه ، وأخذوا يجدون لاستكمال وسائل الفوز والغلبة ، وأصبحوا يغالبون الزمن ، ومن سار على الدرب وصل •

أيها المسلمون : ان محمداً صلى الله عليه وسلم هو القوة الضامنة لبقاء هذه الأمة ، ومهما طال رقادها فلا بد من نهضة ، ومهما امتد زمن الخمول فلا بد من وثبة ، ومهما استهان بها القوي فلا بد من عزة ، ومهما تفرقت بها السبل فلا بد من وحدة ، لأن رسالة محمد لا تزال موجودة ، وانها ستظل في الوجود ما دام على الارض موجود ، لأنها رسالة الخلود التي تصلح لكل زمان ، وتتطور مع كل جيل ومكان .

فسلام عليك يا سيدي يا رسول الله يوم ولدت ، وسلام عليك يوم بعثت ، وسلام عليك يوم مت ، وسلام عليك يوم تبعث حيا .

الاســـراء والعـــراج

آيتان معجزتــان ، ومنتــان جليلتــان ، وخارقتــان عظيمتان ، اختص الله تعالى بهما عبده وصفيه وحبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم ، الا هما حادثتا الاسـراء والمعراج ٠

لقد اصطفى الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وســلم من بين أنبيائه بهذه المنة ليشهد الجلال والكمال ، وما أودعه تعالى في الســماوات والكواكب من أسرار ٠ عرج به الى السماء ليكون ذلك درساً لأمته وأتباعه كي تعرج أرواحهم أعلى الدرجـات ، وليفـكروا في ملكوت السـماوات والأرض وما فيهما من عجائب وأسرار ٠

لم يكن الاسراء والمعراج الا تكريماً لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، تجلى به سبحانه وتعـالى على رســوله تثبت فؤاده ، وشرح صدره ، ورفع ذكره ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والامداد ، وقال له كما روي في الحديث الصحيح : سل يا محمد ، فقال ما أسأل يا ربي ، اتخذت ابراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، واصطفيت نوحاً ، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فقال الله تعالى : ما أعطيتك خيرا من ذلك ، أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع أسمي ينادي به في جوف الســماء ، وجعلت الارض طهورا لك ولأمتك ، وغفرت لك ما تقـدم من ذنبـك وما تأخر ، فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك ، ولم أصنع ذلك لأحــد قبلك ، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها ، وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأهــا لنبي غيرك ٠

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : ان الله فضل محمداً عليــه السلام على أهل السماء والانبياء صلوات الله وسـلامه عليهم ، قالـوا : فما

فضله على أهل السماء ؟ قال : ان الله تعالى قال لأهل السماء : (ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً • وينصرك الله نصراً عزيزاً) قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : ان الله تعالى قال : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال لمحمد (وما أرسلناك الا كافة للناس) • ولقد صلى عليه السلام اماماً بالأنبياء تكريماً له وتعظيما •

ان الاسراء من مكة الى المسجد الاقصى تبلغ مسافته ما يقرب من ألفين وخمسمائة كيلومتر وكان على البراق الذي هو طيارة الفضاء المادي لدى الملائكة والارواح •

كما ان الاسراء كان بالجسم والروح ، والدلالة على ذلك ارتداد بعض الناس عندما حدثهم الرسول الكريم حديثه ، لأنهم فهموا من حديثه أن ذلك قد كان بالجسم والروح ، والا فان روح النائم تسبح في كل مكان وترى كل عجيب وغريب •

ان الاسراء والمعراج من المعجزات التي وقعت مخالفة لسنن الكون ، لأن قطع المسافات الطويلة في مثل تلك المدة الوجيزة ، واجتياز البعد الهائل ما بين السماء والارض ، والارتفاع الى ما فوق طبقة الهواء التي لا يعيش فوقها انسان ، غير معهود في مألوف العادات ، ولكنه رفع بقدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء •

يحاول بعض المتعلمين أن يطبقوا معجزة الاسراء والمعراج على النظريات العلمية ، والا يعترفوا بها الا اذا أقرها العلم ، وظنوا أن العلم وحده هو الميزان لكل ما في الوجود ، مع أن الوجود أخضع العلم ، وأن

الكائنات والعوالم سخرت العلوم وأخضعتها ، وكثيراً ما آمن الناس بنظريات علمية ثم جاءت الحوادث فقلبتها رأساً على عقب ، فالعلم على هذا متقلب لا يستقر ، ومتغير لا يدوم ، خصوصاً المتعلق منه بالعلوم الكونية والطبيعية •

ان هؤلاء المشككين يعرفون بأن الانسان الضعيف قد استطاع أن يسخر الارض والشمس والهواء والماء لاغراضه ، وأنه قد استطاع الوصول الى القمر ، ويحاول الوصول الى بقية الكواكب السيارة ، فما عساهم أن يقولوا في قدرة الله تعالى التي أعجزت كل شيء (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) •

ان المعجزات لا يمكن أن تفسر وتحدد وقائعها ، فالاسراء وسائر المعجزات انما كانت لعجز العقل عن فهمها ، وعجز العلم عن تحليلها وتشريحها ، ولو خضعت المعجزات للتحليل العلمي والتشريح الفني لنزلت عن أفق الاعجاز الى محيط الامور العادية •

أسرى به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ليكون لهما القدسية والعناية من جانب المسلمين ، وليلزموا بالمحافظة عليهما والذب عن قدسيتهما ، والجهاد في سبيل احترامهما •

منذ السنة الخامسة عشرة للهجرة عندما فتح فاروق الاسلام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه تلك الارض المقدسة والمسلمون يبذلون قصارى جهدهم في الاعتناء بذلك وما حوله سوى فترة استيلاء الصليبيين عليه • الى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف حيث احتلت الجيوش الانكليزية هذا البيت وأخذت تعمل لتدعيم اليهود وترسيخ أقدامهم فيه وجلب تلك النفايات من أطراف العالم لتكون لهم الغلبة والكثرة في البلاد •

يعلم الانكليز مقدار عداء اليهود للاسلام والمسلمين لذلك اختاروهم ليحلوا محل الصليبيين في احتلال المسجد الاقصى وما حوله •

ان التاريخ ليعيد نفسه من جديد ، فلقد كان هؤلاء اليهود من ألد خصوم الدعوة الاسلامية واشد الناس مكراً وخداعاً وعداء لصاحب الدعوة واتباعه ، فلقد حزبوا الاحزاب وحاكوا المؤامرات والفتن والدسائس للايقاع بالمسلمين ، وهم الذين تآمروا لقتل رسول الله ، ووضع السم لأبي بكر الصديق ، وهم الذين اتفقوا مع المجوس لقتل عمر بن الخطاب ، ثم أثاروا الموالي والرعاع لقتل عثمان بن عفان ، وهم الذين أغروا الخوارج لقتل علي بن أبي طالب ، وهم الذين اندسوا بين صفوف المسلمين وأوقدوا نار الفتنة فكان منها حرب الجمل وصفين ، هم أسس الفساد وركيزة الاستعمار ، وموقدوا الفتن ، ورسل الشياطين •

لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سيقع بيننا وبين اليهود بقوله : تقاتلون اليهود حتى يختبيء أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله ، ويقول عليه الصلاة والسلام : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا اليهودي ورائي فاقتله • وهذا كله لا يقع الا في فلسطين لكثرة جبالها وأحجارها ولتجمع اليهود فيها •

فيا أيها المسلمون استعينوا بالله واثبتوا فان النصر حليفكم ، واعلموا ان عندكم القوة التي ردت برابرة الشرق المغول والتتر ، وردت برابرة الغرب الصليبيين بملوكهم وأمرائهم وقساوستهم ، وان عندكم القوة التي حطم بها عمر بن الخطاب صرح كسرى وقيصر ، وهدم بها قتيبة بن مسلم حصون الترك ، ودك بها محمد بن القاسم قلاع الهند ، وفتح بها موسى بن نصير جزيرة الأندلس ، وهزم بها صلاح الدين الايوبي أوربا بأسرها ، ان

هذه القوة لا تزال عندكم تغلبون بها أقوى الدول وأعز الممالك ، الا وهي التمسك بأهداب القرآن ، والحرص على تنفيذ تعاليمه ، والاهتداء بهـدي نبيكم • واصغوا الى قول الصديق الاكبر أبي بكر ليكون دستور حيـاتكم ومنـــار طريقكم حيث يقول : والله ما انتصرنا على فارس والروم بعـــدد ولا عدة ، وانما بشيء وقر في الصدور من هذا الدين • فانصـــروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم •

الاســراء والعــراج

ان من أعظم الاحداث التي حدثت في شهر رجب الاصــم هو الاسراء والمعراج الخارق للعادة • والدليل الدامغ على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة من معجزات رسالته ، تجلى به تعالى على حبيبه وصـفيه ومجتبـاه ، فتثبت فؤاده ، وشرح صدره ، ورفع ذكره ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والامداد ، ليكون على سعة من العـلم ، والاحاطة بأسرار الكون والملكوت ، نعمة فذة لم تعـرف لغيره من الانبياء والمرسلين ، دلت على عناية الله برسوله وتقريبه لجانبه ، حتى كان في ملئه الاعلى قاب قوســين أو أدنى •

في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من السنة الحادية عشــرة من البعثة ، أكرم الله تعالى فيها محمداً ، ورفعه الى منزلة لم يبلغها أحد من مخلوقاته • أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، ثم رفعه الى الافق الاعلى ، وأدناه حتى كان قاب قوسـين أو أدنى ، ليريـه من آيــات قدرته ، وعجائب مخلوقاته •

يحتفل المسلمون بهذه الذكرى في شهر رجب من كــل عــــام ، ويتحدثون عن هذه المعجزة الخالدة التي سجلها القرآن الـكريم ، وامتن بها على محمد الرب الرحيم •

ان أول من احتفى بهذه الذكرى وتحدث عنها صـاحبها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم • فلقد سجلت كتب الحديث والسيرة مقــدار عناية رسول الله بهذه الحادثة وحرصه على ابلاغها والتحدث بها ، وها هو يقول : بينا أنا في الحجر بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فشق ما بين هذه وهذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغـل وفـوق

الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه ٠

وتذكر الروايات الاخرى أنه كان نائماً في دار خالتة أم هاني، بنت أبي طالب ، وذلك بعد صلاة العشاء ، فاسرى بـه ورجـع من ليلته وقص القصة عليها وقال : مثل لي النبيون فصليت بهم ٠

ثم خرج عليه الصلاة والسلام ليخبر القوم باسرائه ومعراجه وماشاهد فيهما من غرائب وعجائب ، الا أنهم لم يلتفتوا الى ذلك بل زادهم اصراراً وعناداً ، وقد وصل الحال الى أن ارتـد بعض ضـــعاف الايمان لغرابـة ما سمعوه ٠

ثم سعى جماعة الى صديقه وصفيه أبي بكر ليخبروه بحديث مقتـداه محمد بن عبدالله قائلين له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قـد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجـع الى مكة ، فقـال لهم : انكم تكذبون عليه ، فقالوا : بل ها هو ذاك في المسجد يحدث به النـــاس فكان جوابه لهم : والله لئن كلن قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ، والله انه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل أو نهـار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ٠

ثم أقبل أبو بكر حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، وقد أراد أبو بكر أن يلقي الحجة على هؤلاء المعـانـدين المنكرين الذين رأى جماعة منهم بيت المقدس كما رآه هو نفسه ، فطلب من رسول الله أن يصف له بيت المقدس ، كما طلب جماعة من السامعين أن يصف لهم أبوابه ونوافذه ، ولم يكن الرسول قد دقق النظر ليلا في هذه الاوصاف ٠

وهنا يحدثنا رسول الله فيقول : فرفع لي ـ أي بيت المقدس ـ حتى نظرت اليه ٠ وأخذ يصفه للقوم ، وأبو بكر يصدقه حتى انتهى من وصفه ٠

ثم طلب القوم من رسول الله أن يخبرهم عن عيرهم القادمة من الشام ، فقال : مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد ضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه ، وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان فاسألوهم هل وجدوا الماء في القدح .

ومررت بعير بني فلان ، وفلان وفلان راكبان قعوداً ، فنفر بعيرهما مني فانكسر فاسألوهما عن ذلك .

وعندما قدمت العير وسألوا عما أخبرهم به رسول الله وأمنوا على أقواله آمن جماعة وكفر آخرون عناداً واستكباراً .

ومما حدث به صلوات الله وسلامه عليه عن مشاهداته عند عروجه الى السماء أنه اجتمع بالانبياء وصلى بهم ، حيث ان الله تعالى شكل أرواحهم على هيأة أجسامهم .

ثم أخبر أنه مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل : ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأبل والغنم يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، فقال لجبريل : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئاً .

وشاهد قوما يطعمون النار ، فتحرق صدورهم وتمزق أحشاءهم فسأل عنهم جبريل ، فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالحجارة ، كلما رضخت عادت

كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ قـال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم ، فقال : ما هذا يا جبريـل ؟ قـال : هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون .

ورأى قوماً لهم بطون كأمثال البيوت ، كلما هموا لينهضـوا أثقلتهم بطونهم فيسقطون متخبطين تحت أقدام المارين ، فيسـأل عنهم جبريل ، فيقول : هؤلاء الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم النـاس ويقعون في أعراضهم .

وهناك آيات وعبر وعظات فوق العد . وهـذا كله تصوير وتمثيل للحال التي عليها أرواح هؤلاء الشقاة من عذاب وتنكيل .

فالاسراء والمعراج مظهر للقدرة الآلهية ، والعناية الربـانية بمحمد سيد البرية ، فكيف لا وقد وصل الى سـدرة المنتهى ، وحظى بالمثول بين يدي العلي الأعلى ، وشاهد الأنوار القدسية ، ونال رضوان رب البرية .

(ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عند هاجنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيـات ربـه الكبرى) .

العام الجديد

أهل المحرم وانطوت به صفحة من سجل الدهر ، وافتتحت صفحات جديدة ، انطوى عام بما فيه من حوادث غبرت ، وأحوال تحولت ، وآمال بدت أو تبددت ، وشعوب ثارت ، وأمم استقلت ، وفوضى عمت ، ودول تكالبت ، ونفوس أزهقت ، ودول استعمارية انخذلت .

يذكرنا شهر المحرم بصفحات الجهاد الخالدة من حياة هذه الأمة الكريمة ، ويثير في نفوسنا ذكريات خالدة وبطولات فذة ماجدة .

يذكرنا هلال المحرم برجل لبث يدعو قومه وأبناء عمومته الى الحق والطريق السوي نحو ثلاث عشرة سنة بدون كلل أو ملل ، ولم يستجب له منهم الا نفر قليل أرغم جلهم على الهجرة لهول ما لاقوه من عنت واضطهاد ، والتجأ البعض منهم الى سكنى شعاب الجبال يقاسون هناك عنت الحصار والمقاطعة ، وهكذا كان حال رسول الله وأصحابه مع مشركي مكة وما جاورها .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب ويبلغهم رسالة ربه ، ويسألهم حماية الدعوة والذود عنها ، فكان لا يرى الا أعراضاً وصدوداً ، حتى قيض الله له رجالا من أهل يثرب تفهموا دعوته ومغزاها ، وما فيها من خير واسعاد ، ووعدوه أن يفاتحوا بذلك قومهم .

فلما جاء موعد الحج حضر منهم نحو سبعين رجلا ، واجتمعوا في بعض شعاب مكة حتى لا يشعر بهم أحد ، وقد بين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاليم الاسلام ومبادءه ، وما فيه من خير للمجموعة الانسانية ،

فعاهدوه على النصر والتأييد اذا هاجر اليهم .

وعندئذ أمر الرسول الكريم صحابته المستضعفين بالهجرة الى المدينة مستخفين ، كما هاجر قسم منهم الى الحبشة .

ولما رأت قريش ان الدعوة الى الاسلام قد تجاوزت حدود مكة صممت على الانتقام لنفسها ممن تابع الرسول الكريم ، فغدت تذيقهم العذاب والهوان .

ولما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه الهجرة الى المدينة تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتضى في يده أسهماً ، ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ، ثم أتى الى المقام فصلى متمكناً ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وهو يقول لهم : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن يثكل أمه أو يؤتم ولده ، أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي . فما تبعه أحد الا قوم من المستضعفين ، لذلك قال علي رضي الله عنه : ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر الا مختفياً الا عمر بن الخطاب .

ولما تمت هجرة أصحاب الرسول ، ولم يبق الا رسول الله وأبو بكر وعلي ، أراد أبو بكر الاستئذان بالهجرة فقال له رسول الله : لعل الله يجعل لك صاحباً ، فسأله : أترجو يا رسول الله أن يأذن لك الله في الهجرة ، قال : نعم .

أما المشركون فقد اجتمعوا يتشاورون في الأمر ويدبرون الرأي ، ثم قر رأيهم على قتل رسول الله : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

وعندئذ اذن الله تعالى لرسوله الكريم بالخروج الى المدينة ، فخرج هو وصاحبه أبو بكر حتى وصلا المدينة ، وجعلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمداً أو يدل عليه .

خرج الرسول من داره التي كان يحيط بها المتآمرون على قتله ، خرج وبيده حفنة من تراب وجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو قول الله ﴿ يسن والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ﴾ .

لقد توجه رسول الله يصحبه أبو بكر الى غار ثور ، وهو على ثلاثة أميال من جنوب غربي مكة ، ولما انتهيا الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرأ لك الغار ، فدخله أبو بكر وجعل يسد الجحور كلها ، وبقى جحر واحد فألقمه كعب رجله ، ثم نادى رسول الله فدخل عليه الصلاة والسلام ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام لشدة ما اعتراه من تعب ، فلدغ أبو بكر من ذلك الجحر الذي وضع عليه كعب رجله ولم يتحرك لئلا يوقض رسول الله ، ومن شدة الألم سقطت دموعه على وجه رسول الله ، فانتبه الرسول وقال لأبي بكر ما لك ؟ قال : لدغت فداك أبي وأمي ، فوضع عليه من ريقه الشريف فزال الألم ، ولما أصبحا قال النبي لأبي بكر : أين ثوبك ؟ فأخبره أنه قد مزقه ووضعه في الاجحار ، فرفع النبي يديه وقال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة .

ولما علم المشركون بخروج الرسول وأبي بكر ذهبوا في طلبهما كل مذهب وجعلوا لمن ردهما مائة من الابل واقتفوا آثارهما حتى اختلط عليهم وصعدوا الجبل الذي هما فيه ، وجعلوا يمرون من باب الغار ولا يرونهما ولم يدخلوه اذ رأوا على بابه نسيج العنكبوت ، كما رأوا حمامتين قد عشعشتا على بابه ، وكان أبو بكر يرى القوم فيعتريه الخوف على رسول الله ، وكان الرسول يطمئنه ويقول (لا تحزن ان الله معنا) .

وكان سراقة بن مالك من أمهر الناس قصاً للآثار فاستعانت به قريش لتتبع آثارهما، فركب فرسه وتبعهما حتى لحق بهما ، يقول سراقة : حتى اذا

سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، فعندئـذ ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها واستوت قائمة ولحقتهما حتى ساخت يداها ، فناديتهم بالامان فوقفوا ، وعندما دنوت منهم قلت لرسول الله: ان قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخباو ما يريد النـاس بهم ، وسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، ثم قال النبي لسراقة : كيف بك اذا لبست سواري كسرى • فلما أتي بهما الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبتـاج كسرى ومنطقته دعا سراقة فألبسه السوارين وقال : ارفع يديـك وقل الله أكبر ، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابياً من بني مدلج •

ان في ذكرى الهجرة استذكاراً نستمد منه العبرة والعظة للوقوف في وجه الضلال والبغي ونبني كما بنت أوائلنا لننال ما نالوه من نصـر وعـز وسناء ، فيها دالت دولة الشرك ، وتركزت راية الاسلام •

ولما كانت الهجرة حادثاً عظيماً ، يحمل في تضاعيفه معنى التضحيـة والثبات على المبدأ والتفاني في سبيل العقيـدة ، أمـر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجعلها مبدأ للتاريخ الاسلامي لتحمل للمسـلمين رسالة الذكرى كلما تجددت الاعوام ، لقد اختار عمر لمطلع التاريخ الاسلامي يوما غالب فيه فرد جماعات ، وهزمت فيه عزيمة عزمات ، يوماً انتصر فيـه الحق على الباطل ، وتأسس فيه للعرب المسلمين كيان ودولة وسلطان •

ان هذا التاريخ الحافل بالعزة والكرامة والامجاد ، والذي تأسس به كيان الدولة والسلطان ، والذي حافظت عليه مختلف الحكومات الاسلاميـة في جميع الحالات والادوار ، الى ان تغلبت الدول المسيحية الاستعمارية على البلاد الاسلامية ، فاستبدلت به التاريخ المسيحي ، ولما تغيرت الاحـوال

واستقلت البلاد الاسلامية ، بقى ذلك التاريخ معمولا به ، ذاك الذي هو رمز للذلة ، ونكران للشخصية الاسلامية .

لقد هجرت البلاد العربية الاعتراف بتاريخها ، واستبدلت به التاريخ الميلادي أي التاريخ المسيحي بدلا عن تاريخ محمد العربي .

واويلاه على العرب والمسلمين ، كم أضاعوا من أمجاد ، وتركوا من فخار ، واويلاه على أمة فقدت كرامتها ، ونسيت تاريخها ، واستخذت لآراء أعدائها ، وذابت في غيرها .

نحن نوجه هذا لأولئك الذين يعتزون بقوميتهم ، ويغارون على أمجادهم ، ويفخرون بتاريخهم ، أن يحيوا تاريخهم الهجري ، ويلزموا دوائر الدولة والمصالح العامة على الالتزام به لأنه رمز للكرامة والعزة ، ولتأسيس دولة العرب والاسلام ، تلك التي لم يكن ولن يكون لها مثيل في الوجود ، فالى احياء تاريخ العزة والكرامة ، والله يأخذ بيدكم .

أيها المسلمون : خذوا من حوادث عامكم الماضي عبراً تهتدون بها في عامكم الجديد ، وعليكم بالاستمساك بتعاليم دينكم فانها السبيل الوحيد لانتصاركم وتفوقكم على أعدائكم ، لأن رب العزة يقول (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

دروس من الهجرة

ان الهجرة على اطلاقها كانت في كل أدوار التاريخ مظهرا من مظاهر الصراع بين الحق والباطل • فقد يطغى هذا الباطل وتشتد صولته ويتفاقم خطره ، حتى يخيل لرائيه بأنه قد تغلب على خصمه • فلا يلبث ان يكر الحق عليه ليرديه قبل أن يفيق من سكرة وهمه • وهذه سنة الله في كل زمان ومكان •

عندما توفي أبو طالب عم النبي أخذ المشركون يشتدون في ايذائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان منه الا أن يخرج الى الطائف يلتمس العون من ثقيف • وقد قصد ساداتهم وأخذ يدعوهم الى دين الله وترك ما هم عليه من ضلال • ولكنهم رفضوا دعوته وازدروا بأقواله • ولم يكتفوا بذلك بل أغروا سفهاءهم وعبيدهم ليرموه بالحجارة حتى أدموه • فلجأ الى حائط لعتبة وشيبة أبني ربيعة وعمد الى ظل شجرة ، ثم أخذ عليه الصلاة والسلام يناجي ربه ويقول • اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين • أنت رب المستضعفين • أنت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني • أم الى عدو ملكته أمري • ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي • ولكن عافيتك هي أوسع لي • أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات • وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك • أو تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى • لا حول ولا قوة الا بك •

وبعد أن رأى الرسول ما رأى في الطائف عاد الى مكة وأخذ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب • ويطوف على الناس في منازلهم ويقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم آ مركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا • وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وكان يسير خلفه أينما ذهب عمه أبو لهب عبدالعزي بن عبدالمطلب وينادي : يا بني فلان ان

هذا انما يدعوكم ان تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه • وقد أتى كندة وكلبا وبني حنيفة وبني عامر بن صعصعة • ولما أتى بكر بن وائل قال لهم : من أي بكر بن وائل : قالوا من قيس بن ثعلبة • قال : كيف العدد : قالوا كثير مثل الثرى ، قال : فكيف المنعة ؟ قالوا : لا منعة جاورنا فارس • فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم • قال فتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم • وتستعبدوا أبناءهم ، أن تسبحوا لله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدون ثلاثاً وثلاثون وتكبروه اربعا وثلاثين قالوا ومن أنت ؟ قال : أنا رسول الله ، ثم انطلق ، ثم مر أبو لهب عمه بهم فقالوا له : هل تعرف هذا الرجل قال نعم ، الذروة منا فعن أي شأن تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم اليه وقالوا زعم انه رسول الله قال : لا ترفعوا برأسه قولا فانه مجنون يهذي من ألم رأسه • قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر •

وهكذا استمر يدعو الناس الى الحق والى طريق مستقيم حتى بلغ الاسلام الى المدينة فقر رأي المسلمين من أبنائها دعوة رسول الله اليها ، فرحل الى مكة سبعون رجلا لمقابلته وواعدوه شعب العقبة فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه عمه العباس الذي كان على دين قومه • فبايعه الجماعة على السمع والطاعة والمنعة ، وقد أخذ المسلمون يهاجرون الى المدينة ليأمنوا على دينهم •

ثم اذن الله تعالى لرسوله بالهجرة الى المدينة • فتوجه الى دار أبي بكر الصديق ، ولنترك السيدة عائشة أم المؤمنين تحدثنا عن ذلك اللقاء • قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله في هذه الساعة الا لأمر حدث • فلما دخل عليه الصلاة والسلام تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند أبي بكر الا أنا وأختي أسماء • فقال رسول الله لأبي بكر ـ أخرج عني من عندك • قال : يا رسول الله انما هما

« أبنتاي » وما ذاك فداك أبي وأمي • قال : ان الله قد اذن لي في الخروج والهجرة • قال أبو بكر الصحبة يا رسول الله ، قال رسول الله : الصحبة قالت عائشة فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي •

خرج النبي وأبو بكر من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار• وعندئذ نظر عليه الصلاة والسلام الى البيت وقال : والله انك لأحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجوني ما خرجت منك •

واحتمل أبو بكر ما له كله معه وكان ستة آلاف درهم • قالت أسماء بنت أبي بكر • لما خرج أبي مع النبي صلى الله عليه وسلم دخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله اني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه • قالت أسماء قلت كلا يا أبي انه قد ترك لنا خيراً كثيراً • قالت فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ما له فيها • ثم وضعت عليها ثوبي • ثم أخذت بيده فقلت يا أبي ضع يدك على هذا المال • فوضع يده فقال : لا بأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم • قالت أسماء : ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك •

وأخيراً أدرك المتآمرون خيبتهم وعرفوا ان رسول الله قد أفلت من أيديهم فراحوا يقفون الآثار •

ثم أتى نفر منهم الى دار أبي بكر وفيهم أبو جهل فوقفوا على الباب • فخرجت اليهم أسماء بنت أبي بكر فقالوا لها • أين أبوك يا أبنة أبي بكر ؟ قالت لا أدري أين أبي • فرفع أبو جهل يده فلطم خدها لطمة طرح بها قرطها •

لقد بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله من مكة • فكانوا يخرجون

كل يوم بعد صلاة الفجر الى ظاهرة الحرة ينتظرون قدومه ثم لا يبرحون حتى تغيب الشمس • فانقلبوا يوما بعد ما طال انتظارهم له • فلما آووا الى بيوتهم نادى مناد بقدوم الرسول الكريم • فخرج الأوس والخزرج سراعـا بسلاحهم واستقبلوا رسول الله وقد نزل بقباً على بني عمرو بن عوف وأقام بها أياماً وأسس مسجد قباء •

وبعد أن أدى صلاة الجمعة وهي أول جمعة له خطب فيها قائلا •• فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل • ومن لم يجد فكلمة طيبة • فانها تجزي الحسنة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف •

وبعد هذا ركب على راحلته متوجهاً الى المدينة وأردف أبـابكر خلفه على الراحلة يحيط بها المهاجرون والانصار بكامل سلاحهم • وخرج الناس حين قدم الرسول المدينة الى الطرق وعلى البيوت وهم يصيحون : جاء رسول الله • والخدم والغلمان يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جـاء محمد • وصعدت ذوات الخدور على الاسطحة ينشدن :ـ

طلـع البـدر علينـا ... من ثنيـــات الوداع
وجـب الشـكر علينـا ... مـا دعـــا لله داع
أيهـا المبعـوث فينـا ... جئت بالأمـر المطـاع

لقد سرى السرور الى القلوب لرؤيا ذات المصطفى المجتبى صـلوات الله وسلامه عليه ولعبت الاحباش بحرابها فرحاً بقدومه •

وكان عليه الصلاة والسلام راكباً على راحلته وهي تسير به حتى أتت دار بني مالك بن النجار فبركت هناك • ثم وثبت فبركت على باب أبي أيوب الانصاري فنزل عنها رسول الله وقال : ها هنا المنزل ان شاء الله • ونزل في دار أبي أيوب الانصاري •

وكان لمنزل أبي أيوب الانصاري سفل وعلو فنزل رسول الله صلى الله

عليه وسلم في سفله على أن يكون أبو أيوب في علوه ، فقال أبو أيوب نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنحوا فباتوا في جانب ، ثم قال لرسول الله ليختار العلو ، فقال له : السفل أوفق بي ، فقال له أبو أيوب : لا أعلو على سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله الى العلو وأبو أيوب في السفل • فكان يصنع لرسول الله طعاماً ، فاذا جيء به اليه سأل عن مواضع أصابع الرسول في الطعام فيتتبع موضع أصابعه • وهكذا كان أصحاب رسول الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وبقي عليه الصلاة والسلام في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه •

اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الذين آووا ونصروا • وعلى من اتبعه باحسان الى يوم الدين •

أصحاب رسول الله

روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدي ، فأوحى اني يا محمد ، أن أصحابك عندي بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى .

كلما هل شهر المحرم وذكرت هجرة الرسول الكريم من البلد الظالم أهله الى بلد يحب أبناؤه من هاجر اليهم ، تذكر المسلمون الصادقون أصحاب رسول الله وما لاقوه من تقتيل وتعذيب ، وكيف فروا بأنفسهم تاركين وراءهم كل ما يملكون وما يعولون ، فروا بدينهم الذي يهون دونه كل موجود ومحبوب .

ان سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الايمانية التي لا تزال هذه الامة تقتبس منها شعلة الايمان ، ودروس التضحية ونكران الذات ، والاستهانة بلذائذ الحياة .

ان تاريخ أصحاب رسول الله فذ في تاريخ الرجال والدعوات ، لقد جاءتهم دعوة الاسلام فآمنوا بها وصدقتها قلوبهم ، وقالوا (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) ، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم ، واستطابوا المكاره والعذاب في سبيل العقيدة ، وصدرت عنهم عجائب الايمان في البذل لنصرة الاسلام ، ولا زالوا مندفعين حتى أقبلت القلوب الى الله ، وهبت في أرجاء المعمورة ريح الايمان ، وقامت دولة الحق والعدل والاحسان ، وأحدثوا أعظم انقلاب في الارض وأنفعه وأسماه .

لقد كانت أيام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بركة على الاسلام ،

واعز سلطان للمسلمين • فبفضل سيوفهم فتحت هذه الممالك ، وباخلاصهم في دعوتهم نشرت راية الاسلام ، وان هذا العالم الاسلامي بأوطانه وشعوبه وعلمه وعلمائه وتراثه وأمجاده هو من حصيلة جهادهم وجلدهم •

لا يغمط صحابة رسول الله وما قاموا به للانسانية من خدمات ، وللدين من تقوية ونشر ، وللمسلمين من عزة وكرامة ، الا زنديق يبطن للاسلام غير الذي يظهره لاهله ، مثل الذين ألفوا الكتب والرسائل في ذم جهاد هؤلاء الاطهار وتشويه محاسنهم ، وغمط فضائلهم وكريم أخلاقهم •

لقد كان أصحاب محمد رسول الله شموساً طلعت في سماء الانسانية مرة ، ولا تطمع الانسانية بأن يطلع في سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى ، كانوا كالنجوم تهتدي الدنيا بنورها ، كيف لا وقد وصفهم العلي الاعلى بأنهم خير أمة أخرجت للناس •

لقد جعل الله تبارك وتعالى حب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فرضاً على كل مسلم ، وجعل بغضهم نفاقاً وكفرا (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) • وختمت الآية بقول الله (ليغيض بهم الكفار) وهذا نص قطعي عن الله •

لقد رضي الله تبارك وتعالى عن أصحاب محمد (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا) ، هذا ما أوجبه الله على المؤمنين اعتقاده ومن شذ شذ في النار •

هؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين يقول فيهم عبدالله بن مسعود : ان الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً صلى الله عليه وسلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ، ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار الله له أصحاباً جعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه •

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، أؤلئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الأمـــة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيـــه ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم كانوا على الهدى المستقيم .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة قال : صليت مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر ، فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ، ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً ، بين أعينهم كأمثال ركب المعزي ، قد باتوا لله سجداً وقياما يتلون كتاب الله ، يتراوحون بين جباههم وأقـدامهم ، فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشـــجر يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، ثم نهض فما رؤي بعد ذلك مفتراً يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق .

لما تخطى تلامذة محمد صلى الله عليه وسلم وخريجوا مدرسته ونصراء دينه حدود الجزيرة العربية برسالة الاسلام ، تلقفتها النفـوس الخـــيرة بالبهجة والحبور ، والفرح والسرور ، وفتحت لها قلوبهـــا وأفئــدتهـــا ومشاعرها ، كما كانت تلك الرسالة شجى وغصة في حلوق الاشـــرار ، الذين كانوا يحملون الحقد والضغينة على العرب منذ يوم ذي قار ، فضـلا عن اذلال حفنة من هؤلاء العرب جبروت كسرويتهم وعظمة مجوسيتهم .

لقد حمل عبدة النار الحقد على أصحاب رسول الله ، لأنهم هم الذين مسحوا من خريطة العالم دولتهم ، وقضوا بجولة واحدة على مجوســيتهم وكسرويتهم ، ودخل جلهم نفاقا في نطاق دولة الاسلام ، وأخذوا يحيكون المؤامرات ، ويضعون الخطط والتصاميم للوثبة على الاسلام وحماته .

وأول مؤامرة خططوا لها هي اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذاك الذي أذل عظماءهم ، ونشر الاسلام في ربوعهم ، وأخمد نيران مجوسيتهم ، ثم أثاروا الرعاع والموالي والمغفلين على عثمان بن عفان ، واختلقوا له المخالفات والهنات ، ثم أثاروا حرب الجمل وحرب صفين ، ثم أثاروا الخوارج لقتل علي بن أبي طالب ومن بعد ثاروا على الحسن بن علي حتى ألجأوه على التنازل عن الخلافة ، ولم يكتفوا بذلك بل حثوا أهل المطامع والفتن لمراسلة الحسين بن علي للقدوم الى العراق ليشغل خلافة أبيه وأخيه ، وقد استقبلوه بالسيوف والرماح والنبال حتى قتلوه ، ثم اتخذوا من دمه تكأة لأثارة الفتن وشتم العرب كل العرب وتحطيم تعاليم الاسلام ، وبدأوا بأقدس مقدس لدى المسلمين الا وهو القرآن وادعوا تحريفه وأنه سبعة آلاف آية وترك عثمان ما يقرب من ثمانمائة آية منه ، ثم طعنوا بحملة الرسالة الاسلامية الذين تلقينا الدين من قبلهم ، وانبثوا في جميع نواحي الثقافة والحضارة الاسلامية فشوهوا وغيروا وبدلوا وأضافوا وحذفوا وادخلوا في الاسلام ما ليس منه ، ومن أراد الاطلاع والمزيد فليقرأ تعاليم الفرق التي تزعمها هؤلاء المخربون •

ولقد قال في هؤلاء المفسدين الحسن المثنى بن الحسن بن علي : والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ثم لا نقبل منكم توبة • وحدث زين العابدين علي بن الحسين بن علي : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه : انه سيكون قوم يدعون حبنا ، لهم نبز يعرفون به فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون •

عن أبي زرعة أحمد بن الحسين المحدث الرازي انه قال : اذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق ، والقرآن حق ، وانما

أدى الينا هذا القرآن والسنن أصحاب رســـول الله ، وانما يريـدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة .

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) .

الســـابقون الأولـــون

نصروا الله فنصرهم

روى الامام الترمذي في سننه عن عبدالله بن مغفـــل المزني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضـــا ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقـــد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه .. وروى ابن ماجة عـــن جابر بن عبدالله الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذ العن آخر هذه الامة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد .

كان الاصحاب الذين تولى رسول الله تربيتهم وتوجيههم واعدادهم للقيام بالدعوة الى الدين الذي أوحاه الله اليه ونص فيه على أنه ذكر لـــه ولقومه ، ووضع الله مسؤولية هذا الدين على عاتقه وعاتق قومه : (وانـــه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) . فكان الاصـــحاب هم الصفوة التي اختارها الله تعالى لحمل الرسالة والمثل الاعلى للعمل بالاسلام .

لقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله في آيات كثيرة من كتابه المجيد ، ومن أثنى الله عليه فهو واجب الثناء ، لذلك كان حبهم ديناً وايماناً واحساناً ، وبعضهم نفاقاً وطغياناً ، لقول الله تعـــالى : (ليغيض بهم الكفـــار) .

لقد تولت هذه الفئة حمل الرسالة فطوفت بها في الآفاق وكانت القدوة الحسنة والانسان الفاضل والمورد الصافي لهذا الاسلام .

لقد كان أصحاب رسول الله كالنجوم تهتدي الدنيا بنورها ، لأنهم كما قال الله : ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

لقد سجل القرآن الكريم صفاتهم في سجل الخلود : ﴿ رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ . ومدحهم رب العزة بقوله : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ .

لقد كانوا مثار اعجاب الامم المفتوحة ، حيث رأوا فيهم الاسلام يتحرك في رجال ، صدق وصفاء ، تواضع ورحمة ، رجولة ومروءة ، عدل ونظام ، شجاعة واقدام ، تعاون وتكافل ، علم وتعلم ، نصرة وحق ، فهذا وغيره من الفضائل يتحرك في رجال صنعهم محمد رسول الله ، وأخرجهم منزل الاسلام ليكونوا آية ومثالا للانسان الذي يرتضيه الله ويرعاه .

يقول ذو العزة في هؤلاء الاصحاب : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه .. وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله انه قال : قيل لعائشة رضي الله عنها ان ناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر ، فقالت : وما تعجبون من هذا ؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الاجر ... وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار .

وقال في هؤلاء معلمهم ومرشدهم وهاديهم رسول الله : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

لقد حمل هؤلاء النخبة البررة النور الذي تبحث عنه الامم المغلوبة على

أمرها والمستعبدة لرؤسائها ولذوي الثراء منها ، وقد وجد هؤلاء الضعفاء ضالتهم المنشودة في هؤلاء الاصحاب ، من رحمة وعدالة ومساواة ومحاربة للطبقات والتمييز اللوني أو السكني •

وقد كان هذا شجى في حلوق من تربوا على التعالي على الناس ، ونهب أرزاقهم ، أولئك الذين كانوا لا يحسبون لغيرهم من الشعوب أي حساب ومنهم العرب الذين كانوا تحت سيطرتهم واستعلائهم ، ولم تتحمل عقولهم بأن هؤلاء المستضعفين يستطيعون تحطيم امبراطوريتهم وتقضي على جبروتهم وعظمتهم •

فبدأت هذه الزمرة تضع الخطط وتتحالف مع اليهود وغيرهم من العناصر الحاقدة لمقاومة الزحف الاسلامي وامتداد رسالته ، وباتوا ينتظرون الفرص السانحة والظروف المؤاتية ، لأن العرب أحرقوا أكبادهم كما أعلن ذلك قائدهم رستم حيث قال : أكل عمر كبدي •

ثم نظر هؤلاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأوا ان خلافته قد طالت ، وان الفتوح في زمنه قد اتسعت ، وانه هو الذي قوض تيجانهم ، وأذل عظماءهم ، ونشر الاسلام في أوطانهم ، فقر الرأي على سفك دمه ، واضعاف المسلمين بفجيعته ، وصد تيار الفتوحات بقتله •

لقد ظن هؤلاء المجرمون انهم بقتل عمر قد قتلوا العرب والاسلام بقتله • ولكنهم ما لبثوا ان علموا بأن مخططهم باء بالفشل ، لأنهم جهلوا بأن الله قد حفظ رسالته ، وحاط دعوة الحق بعين عنايته ، وجميل رعايته ، وعادت الجيوش توغل في التقدم خلافة عثمان بن عفان ، وتفتح آفاقاً أخرى، وتقتل آخر كسرى لهم ، وتمسح من خريطة العالم دولتهم ، وخاب فألهم وضلت ظنونهم ورد الله كيدهم في نحورهم •

ولما يئسوا من ذلك أزمعوا الرأي على التظاهر بالاسلام ، ورسموا

الخطة على الاحتماء بحائط يقاتلون الرسالة الاسلامية وحملتها من ورائه ، فتخيروا اسم أنصار آل البيت النبوي ، وان الخلافة خاصة بعلي وأولاده مع ان علياً رضي الله عنه لم يدع ذلك ، ورضي ان يكون من بين الاصحاب الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب كي يتولى أحدهم الخلافة من بعده ، ثم هو الذي قبل بالتحكيم وأناب عنه أبا موسى الاشعري ، ولو كان ما يدعونه حقاً لما جاز له أن يرضى بهذا كله .

ولما علم علي رضي الله عنه بأقوال هؤلاء كان يرتقي منبر الكوفة ويقول : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، ويقول : لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر الا ضربته حد المفتري . وعندما علم بأن عجلا وسعدا أولاد عبدالله قد نالا من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أمر القعقاع ابن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة بعد أن يجردهما من ثيابهما .

ان هذا الطراز الضال في زمن علي كثير ، وقد كان يشكوهم ويتبرأ منهم ، وفي نهج البلاغة الشيء الكثير من ذلك .

ثم ظهرت فرق وجهت السهام للاسلام الخالص وحملته من الرعيل الاول ومن سار على سننهم ، وعاثوا في الاسلام تخريباً وفسادا ، وكانوا شوكة في جنب العالم الاسلامي تعمل فيه طعناً ووخزا ، وأصبح المسلمون لا يخرجون من مأزق الا وهيء لهم مأزق ثان ، ولا انتهوا من اخماد فتنة الا واستقبلوا فتنة أخرى . ثم عملوا على تفتيت الدولة الاسلامية الكبرى ، فنصبوا في كل مدينة حكومة وكياناً ودولا وأنظمة ، تعادي الواحدة منها الاخرى وتتربص بها الدوائر ، ليذوب الاسلام في خضم التاريخ ولكن الذي نزل هذا الدين قد تكفل حمايته ومناصرة اتباعه ومؤيديه : (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) وكما أخبر رسول الله : لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

أبو بكر الصـــديق

رضي الله عنه

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (الا تنصـروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيـز حكيم) .

تذكرنا هذه الآية الشريفة بصاحب رسول الله ورفيقه وخليله ووزيره وصهره أبي بكر الصديق .

لقد كان أبو بكر أوضح معجزة لدين الاسلام ، وأقوى برهـان على عظمة هذا الدين ، وخلوده الذي جعل من تاجر من تجار العرب فـذاً في كل ناحية من نواحي الحياة ، فقد صير منه عظمة تتضاءل الى جانبها كـــل مفخرة لكل عظيم . وتذوب أمامها جميع شخصيات التاريخ ، لا يفضـــله أحد في الوجود سوى النبيين والمرسلين .

لقد كان رضوان الله عليه فذاً في جاهليته ، وجيهاً في قومه ، معروفـاً بين أترابه وأقرانه ، أعلم قريش بأيامها وأنسابها بل بأنساب العرب جمعاء ، شجاعاً حكيماً عطوفاً صادقاً صدوقاً صديقاً .

لقد أراد الله تعالى أن يهيء أبا بكر لخدمة الرسالة المحمدية فجعـله عالماً بنفسه ، فلم يشهد مجالس قومه ، ولم يقترف آثامهم ، وحرم على نفسه الخمر ، وترفع عن السجود للاصنام .

لقد كانت تربطه برسول الله صلى الله عليه وسلم رابطة الصـــداقة والألفة ، لذلك كان أول المؤمنين برسالة رسول الله من الرجال ، وكـــان

رسول الله يقول : ما دعوت أحداً الى الاســــلام الا كانت له كبوة غـير أبي بكر •

ولقد روى أنه كان في تجارة خارج مكة ، ولما رجع اليها وجد جماعة من أبنائها تتحدث بأن الله قد بعث محمداً ليعبدوه وحـده تاركين عبـادة الاصنام ، ثم قابله جماعة يتقدمها أبو جهل الذي قال له : أحـدثوك عـن صاحبك يا عتيق ، فقال أبو بكر : تعني محمداً الأمين ، فقـال : نعم ، ثـم قال أبو بكر لأبي جهل : أسمعت أنت ، قال : نعم انه يقول ان في السـماء آلهاً أرسله الينا لنعبده ونذر ما كان يعبد آباؤنا • فقال له أبو بكر : أو قـد قال ان الله أوحى اليه ؟ فلما أجابه بالايجاب ، قال أبو بكر : ان كان قـال فقد صـدق •

لقد كان أبو بكر آية النبوة الكبرى ، ومثل الاسلام الأعلى ، ومعجزة الشريعة المثلى ، ومثوى الاخـلاق ، وكهف الايمان ، وملجأ الأمـة اذا ادلهمت الأمور •

لقد كان شيخ المؤمنين أول من دعا الى الاسلام ، فأسـلم على يـده جمهرة من أصحاب رسول الله ، منهم : عثمان بن عفـان ، وطلحـة بن عبيدالله ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العـوام ، وسـعد بن أبي وقـاص •

وهو أول من اشترى المعـذبين وأعتقهم ، منهم بـلال بن ريـاح ، وعامر بن فهيرة •

لقد كان أبو بكر أول خطيب دعا الى الله وأوذي في سبيل ذلك ايذاء شديداً •

وهو أول من وضع الحجر في بناء مسجد رسول الله ، وأول الخلفاء الراشدين ، وأول من سمي خليفة رسول الله ، وأول من طلب الله رضاه ، بعد أن أنفق ماله في سبيل الله •

فقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قـال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : ما لي أرى أبا بكر عليه عبـاءة قد خلها في صدره بخلال ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنفق ماله على قبل الفتح ، فقال جبريل : فاقرئه من الله عز وجل السلام وقل له : يقول لـك ربك تبارك وتعالى أراضي أنت عني في فقرك أم سـاخط ، فبكى أبو بكر وقال : أعلى ربي أغضب ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض •

أبو بكر الذي امتزج الايمان بروحه وجسمه وعقله ، وخالط لحمه ودمه ، حتى قال عبدالله بن عمر : لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهـل الارض لرجح بهم • فلقد باع نفسه لله سمحاً بها رضيا ، وغدت حياتـه فداه لرسول الله ، ولدين الله ، لذلك قال فيه رسول الله : ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر •

هو الثاني في الاسلام ، الثاني في الغار ، الثاني في العريش يوم بدر ، الثاني في القبر ، الثاني في بذل النفس والمال • لذلك أثنى عليه القـرآن الكريم ، وأي ثناء أفضل من أن يكون الله معه : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصـاحبه لا تحزن ان الله معنا) ، ونزل فيه قول الله (فأما من أعطى واتقى وصـدق بالحسنى فان الجنة هي المأوى) • وعندما اشترى سبعة من المعذبين وأعتقهم نزل فيه قول الله (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما) •

لقد كان أبو بكر الصديق من أشجع الناس وأقواهم قلباً وشكيمة ، ففي يوم بدر كان أبو بكر حارس رسول الله ، وثبت معه يوم أُحـد ويوم حنين • وعندما أراد أن ينازل المشركين يوم بدر منعه رسول الله وقال له : متعنا بنفسك يا أبا بكر ، أما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري •

وعندما خرج لقتال أهل الردة اعترضه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ بزمام راحلته وقال له : أقول لك كما قال رسول الله يوم أحد : شم سيفك (أي اغمده) ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة ، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للاسلام بعدك نظام أبدا .

وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اذ أقبل من بعيد أبو بكر وعمر أحدهما آخذ بيد صاحبه ، فقال عليه الصلاة والسلام : من سره أن ينظر الى سيدي أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين فلينظر الى هذين المقبلين .

لقد كان أبو بكر من أغنى الناس ، فلما جاء الاسلام لم يبق على شيء من ماله حتى آخر درهم منه ، فقال له رسول الله : ما أبقيت لعيالك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث الى أصحابه يوماً وقد أخبرهم بأن أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة هو عمر بن الخطاب ، ولما كان قد استقر في اذهان الصحابة ان أبا بكر هو أعلى منزلة من عمر . قالوا : وأين أبو بكر يا رسول الله ؟ قال : هيهات زلت به الملائكة الى الجنة .

ولعل هذا مصداق للدعوة التي دعاها له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة حينما سبقه ليستبرىء الغار فلدغته عقرب أو حية ، فلما استيقظ رسول الله من نومه ووجد أبا بكر يتألم من شدة اللسعة ، مسح على موضع الألم وقال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة .

ولقد كان رسول الله يفرح لفرحه ويألم لألمه . وقع بين أبي بكر وبعض الصحابة شيء ، فلما سمع رسول الله بذلك أخذ يتغير غيضاً ثم قال : ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي .

وأخرج الامام أحمد بن حنبل والطبراني عن ربيعة الاسلمي قال : كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني أرضاً وأعطى أبا بكر أرضاً ، وجاءت الدنيا فاختلفنا على عذق نخلة فقال أبو بكر هي في حدي ، وقلت أنا هي في حدي ، فكان بيني وبينه كلام ، فقال أبو بكر كلمة كرهتها ، وندم فقال يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصا ، فقلت : لا أفعل ، فقال : لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ، فقلت ما أنا بفاعل ، ورفض الارض برجله وانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت أتلوه ، فجاء أناس من أسلم فقالوا : رحم الله أبا بكر في أي شيء يستعدى عليك رسول الله وهو الذي قال لك ما قال ، قلت : أتدرون من هذا ؟ هذا أبو بكر الصديق، وهو ثاني اثنين ، وهو ذو شيبة في الاسلام فاياكم أن يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله فيغضب لغضبه ، فيغضب الله عز وجل لغضبهما فتهلك ربيعة ، قالوا : فماذا تأمرنا قلت : ارجعوا .

فانطلقت وحدي أتبع أبا بكر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث فرفع إلي رأسه فقال : يا ربيعة ما لك وللصديق ؟ فقلت : يا رسول الله ، كذا وكذا ، فقال لي كلمة كرهتها فقال لي : قل لي كما قلت لك حتى يكون قصاصا ، فأبيت ، فقال رسول الله : أجل فلا ترد عليه ولكن قل ، غفر الله لك يا أبا بكر ، فقلت : غفر الله لك يا أبا بكر ، فولى أبو بكر وهو يبكي .

وقد سئل علي رضي الله عنه يوماً عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال للسائل : على الخبير سقطت ، كانا والله امامي هدى ، هاديين مهديين . راشدين مرشدين ، مصلحين منجحين ، جعل الله أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما الى يوم القيامة ، فسبقا والله سبقاً بعيداً ، واتعبا من بعدهما اتعاباً شديدا .

وقال علي رضي الله عنه يوما لأصحابه : ناشدتكم الله أي الرجلين خير مؤمن آل فرعون أو أبو بكر ؟ فأمسك القوم ، فقال علي : والله ليوم واحد من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل كتم ايمانه فأثنى الله عليه ، وهذا بذل لله نفسه وماله .

وعندما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ودهش الناس ، وتألب ضعفاء الايمان ، وارتد من ارتد ، كان المهاجرون والانصار أحوج ما يكونون الى لواء يلم شملهم ، والى رجل كبير القلب يسعهم ويصدرون عنه ويأتمون به، فكان أبو بكر هذا الرجل ، كان العلم الذي التفت عنده جموع المؤمنين ، وهنا تظهر في أبي بكر فضيلة الشجاعة فيجمع المسلمين بقوة وبأس ليقاتلوا المرتدين ، فكانت امتداداً للنبوة المحمدية ، اذ كل ما فعله يرضي النبي ويرضي رب العالمين .

لقد كان أبو بكر زاهداً في الدنيا ، قانعاً بالكفاف من العيش ، سمت نفسه عن الطموح الى المادة التي استعبدت الرجال وأذلت أعناقهم ، وكان بعد خلافته أشد زهداً فيها .

لما تولى أبو بكر الخلافة أخذ يغدوا على عادته الى السوق للتجارة ، فكلمه أصحاب رسول الله بعدم أمكان الجمع بين التجارة والخلافة ، وخصص له ستة آلاف درهم في السنة ، أي ما يساوي مائة وعشرين ديناراً في السنة .

لقد كان رضي الله عنه متحرجاً عن الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه ، قال زيد بن الأرقم الانصاري : انه كان لأبي بكر مملوك يغل عليه ، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك مالك كنت تسألني كل ليلة ، ولم تسألني الليلة ؟ فقال له أبو بكر : حملني على ذلك الجوع (وهو يومئذ خليفة تأتيه خيرات الشام والعراق فيفرقها في الناس) ، ثم قال

للغلام : من أين جئت بهذا ؟ قال الغلام : مررت على قوم رقيت لهم في الجاهلية فوعدوني ، فلما أن كان اليوم مررت بهم فاذا عرس لهم فأعطوني ، قال أبو بكر : أن كدت لتهلكني ، وأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت اللقمة لا تخرج ، فقيل له : ان هذه لا تخرج الا بالماء ، فدعا بطشت من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها • فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل لقمة ، فقال : لو لم تخرج الا مع نفسي لاخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به ، فخشيت أن ينبت من جسدي شيء بهذه اللقمة •

ذكرى وفاة أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

في شهر جمادى الآخرة من عام ثلاث عشرة للهجرة اهتزت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهلها ، ودهش سكانها كيوم اندهاشهم لوفاة رسول الله .

في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة توفى شيخ المؤمنين ، وسراج الموحدين ، أول الصديقين ، ورأس الخلفاء الراشدين ، وكهف الايمان ، ومثل الاسلام الاعلى ، أبو بكر الصديق .

في شهر جمادى الآخرة استبشرت ملائكة السماء بلقاء أطهر روح بعد النبيين والمرسلين ، روح أبي بكر الصديق عبدالله بن أبي قحافة عثمان التيمي ، الذي يلتقي نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب بن لؤي .

أبو بكر الذي سماه رسول الله عتيقاً عندما قال : من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر . كما دعاه عليه الصلاة والسلام بالصديق .

ولد أبو بكر الصديق بمكة بعد عام الفيل بعامين وأشهر لسنة ثلاث وسبعين وخمسمائة للميلاد .

ولقد عاش في شبابه كما عاش أترابه وأقرانه ، ولما بلغ مبلغ الرجال اشتغل بالتجارة ، وكان بزازاً يبيع الثياب .

لقد كان أبو بكر من رؤساء قريش في الجاهلية ، وكانت له الديات والمغارم ، فهو الذي يتحمل الديات والمغارم ويخبر بذلك قومه ليعينوه على ذلك .

ولقد كان رضوان الله عليه نسابة في العرب راوية لاخبارهم ، عالماً بمفاخر كل قوم ومثالبهم ، وكان قريباً من قلوب قريش محبباً فيهم ، وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته .

لقد أراد تبارك وتعالى أن يهيء أبا بكر لخدمة الرسالة المحمدية ، فجعله عالماً بنفسه ، فلم يشهد مجالس قومه ولم يقترف آثامهم ، فانفلت من أغلال بيئته ، وتسامى عن عادات قومه . وقد قال رضوان الله عليه في مجمع من أصحاب رسول الله : ما سجدت لصنم قط ، وذلك اني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة فانطلق بي الى مخدع فيه الاصنام ، فقال لي : هذه آلهتك الشم العوالي ، وخلاني وذهب ، فدنوت من الصنم وقلت : اني جائع فاطعمني ، فلم يجبني ، فقلت : اني عار فاكسني ، فلم يجبني ، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه .

لقد كانت تربط أبا بكر برسول الله قبل النبوة رابطة صداقة وألفة ، وكان معه حين ذهب مع عمه أبي طالب الى الشام .

ولما بعث عليه الصلاة والسلام واختاره تعالى لرسالته ، كان أول ما تحدث الى أبي بكر لعلمه برجاحة عقله ، فأجابه رضوان الله عليه بقوله : والله ما جربت عليك كذباً ، وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك وصلتك لرحمك ، وحسن فعلك ، مد يدك فاني مبايعك . فلذلك قال رسول الله : ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبي بكر .

وقد توثقت الصلة بينه وبين رسول الله ، وكلما مر الزمن ازداد ايمان أبي بكر بمحمد ورسالته متانة وقوة . ولقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تلك الصلة التي كانت بين رسول الله وبين أبيها حيث قالت : لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم الا ويأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية .

لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس • قال أنس بن مالك : ان أبا بكر كان يصلي بهم - أي الناس - في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه •

وان موقفه لمعلوم عندما انتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ، فكان ثابت القلب عند حلول تلك المصيبة ، ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله •

وقد تولى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة ، وفي أحد الايام قدم اليه أحد اليهود حريرة - وهو دقيق يطبخ بلبن أو دسم - وقد وضع فيه سماً فأكل منها هو والحارث بن كلدة الثقفي الطبيب العربي ، وبعد الاكل قال الحارث لأبي بكر : قد أكلنا طعاماً مسموماً فيه سم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد عند انقضاء السنة فكان كما قال •

ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه ، دخل عليه عبدالرحمن بن عوف فقال له : رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي جائية ، وستتخذون ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألمون ضجائع الصوف الأزري كأن أحدكم على حسك السعدان ، والله لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه - في غير حد - خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا •

وقد قال رضي الله عنه : أما أننا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكنا قد أكلنا من جريش (خشن) طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، فانظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الامارة فابعثوا به الى الخليفة من بعدي وابرؤا منهن ، فاني قد كنت أستحله وأستصلحه جهدي • وكان مجموع ما أخذه من بيت المال ستة آلاف درهم طوال مدة خلافته ، ثم قال : ان حائطي - أي بستاني - الذي بمكان كذا وكذا فيها وقد دفع الى بيت المال •

ولما ثقل قال : فأي يوم هـــذا ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : بأي يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : فاني لارجو فيما بيني وبين الليل ، ثم قال : ففيم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالت له عائشة : في ثلاثة أثواب بيض ، قال : انظروا ملأتي هـاتين ، فـاذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما ، فقالت له عائشة : يا أبتاه قد رزق الله وأحسن ، نكفنك في جديد فقال : ان الحي هو أحوج الى الجديد ، يصون به نفسه من الميت ، انما يصير الميت الى الصديد والى البلى .

وقد أوصى أن يدفن الى جنب رسول الله على أن يؤتى به الى قبـــر النبي صلى الله عليه وسلم ويستأذن له ويقال : هذا أبو بكر يدفن عنـــدك يا رسول الله ، فان أذن لكم فادفنوني ، وان لم يؤذن لـكم فاذهبوا بي الى البقيـع .

وقد توفى رضي الله عنه ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وبعد أن توفى ارتجت المدينة المنورة بالبكاء ، ودهش القوم كيـــوم قبض رسول الله .

ثم أتى به الى باب حجرة رسول الله وقيل : هذا أبو بكر قـد اشتهى أن يدفن عند رسول الله وقد أوصانا ، فان أذن لنا دخلنا وان لم يؤذن لنـا انصرفنا ، فنودينا أن ادخلوا وكرامة ، وسمعوا كلاماً ولم يروا أحداً .

ولما سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف على باب دار أبي بكر وهو يقول : رحمك الله يا أبا بكر ، كنت والله أول القوم اسلاما ، وأخلصهم ايمانا ، وأشدهم يقينا ، وأعظمهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله ، وأحدبهم على الاسلام ، وأحناهم على أهـله ، وأشبههم برسول الله خلقاً وخلقا وسمتا ، فجزاك الله عن الاســلام وعن

رسول الله خيرا ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وأسماك الله في كتابه صديقاً ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

وصلى عليه عمر بن الخطاب ، ثم حمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبدالرحمن .

فرضي الله عنك يا أبا بكر وأرضاك ، وجزاك عن الاسلام والمسلمين خيراً ، وحشرنا مع محبيك ، وأبعدنا عن شانئيك ، انه سميع مجيب .

عمـر بن الخطـاب
رضي الله عنه

تحتاج الامم الناشئة الى نوع من الشخصيات المثاليـة لتأخذ بيدها وتنير أمامها طريق الصلاح والاصـلاح ، ولكي تتأسى بها وتتبع خطاها ، وتدفع بها الى الامام ، الى حياة سعيدة رغيدة .

ولقد احتضن الاسلام منذ بزوغ نوره شخصيات مثالية دفعت به الى العلو والنمو والانتشار وطوفت به في الآفاق .

وان من أمثل الشخصيات التي مَنَّ الله بها على هذه الأمة ، ولـم تر الدنيا بعد لها مثلا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي تولى الخلافة في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة .

خلق الله تبارك وتعالى عمر بن الخطاب ليكون أحد زعماء الدنيـا الذين يسوسونها ، وأعده قائداً يرسم للانسانية طريق سـعادتها ، حتى قالت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من رأى عمر بن الخطاب علم أنه خلق غني للاسلام ، كان والله أحوذياً نسيج وحده ، قد أعد للامـور أقرانها ، لذلك كان رسول الله يتشوق لاسلام عمر ، لما يعلم من شجاعتـه وعلو نفسه وبعد نظره وقوة شخصيته .

أسلم عمر والمسلمون يستترون من كفار قريش خوفاً من بطشـهم وايذائهم ، ولكن عمر الشديد القوي لم يرض عن هذا التستر بالعبادة ، فرجا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجابهة الخصوم والصمود للاعـداء واعلان الاسلام بمظاهرة تخترق شوارع مكة قاصدة المسجد الحـرام ، فخرج رسول الله يحيط به أصحابه في صـفين ، على أحدهما عمر بن الخطاب فتى عدي وسفير قريش ومنطيقها ، وعلى الصف الآخر فتى هاشم

وأشدها شكيمة حمزة بن عبدالمطلب . نظرت قريش الى هـذه المظاهـرة وعمر بين صفوفها ، رافع علمها ، فذهلت عن نفسها ، وكأنما أصابتهـا قارعة ، او نزلت عليها صاعقة ، وعندها قال قائلها : لقد انتصف القـوم منـا ، ونزل قـول الله : (يا أيها النبي حسـبك الله ومن اتبعـك من المؤمنين) .

ولقد اراد عمر أن تعلم قريش كلها باسلامه ، فسأل أي أهل مكـة أنقل للحديث ؟ فدلوه على جميل بن معمر الجمحي ، فأتاه فقال : يا جميل اني قد أسلمت ، فقام جميل على باب المسجد فنادى بأعلى صوته : يا معشر قريش ألا ان عمر بن الخطاب قد صبا ، فقال له عمر : كذبت ولكن قـد أسلمت ، أشهد الا إله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسـوله . فثـار عليه المشركون ، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة أحد سادات قريش ، وبرك عليه وجعل يضربه وأدخل أصبعه في عينه ، فجعل عتبة يصـيح فتنحى الناس عنه فقام عمر فجعل لا يدنوا منه أحد الا أخذ شريف من دنا منـه حتى أحجم الناس عنه ودار على المجالس كلها مظهراً اسلامه .

لقد أعطى الله تبارك وتعالى عمر صفات جسدية مكنته من أن يقـوم بأعمال البطولة في جاهليته واسلامه ، ويكون الدرع الواقية لكل ضعيف ، فكان ضخم الجثة يمشي فيشـرف على النـاس كأنـه راكب على دابة ، وما يكون في قوم الا ورئي كأنه فوقهم ، ويصيح صيحة يكاد من يسـمعها يغشى عليه . روى أن حلاقاً كان يقص شعره فتنحنح عمر فأحدث الحلاق فأمر له بأربعين درهما . وبينما كان عمر يمشي ذات يوم وخلفه عـدة من الاصحاب اذ بدا له شيء فالتفت فلم يبق منهم أحد الا وجبـل ركبتيـه ساقط ، فصار عمر يبكي ويقول : اللهم انك تعلم اني منك أشد فرقا منهم مني .

هذا عمر الذي هو أول من سمي فاروقاً ، وأول مُحدَّث أي ملهم

في الاسلام ، وأول من سمي أمير المؤمنين ، وأول واضع لأساس الحكم الاسلامي ، وأول من اتخذ التاريخ الهجري بداية لدولة الاسلام ، وأول مسلم يهاجر علناً على مرأى ومسمع من عتاة قريش .

عمر الذي تم على يديه تصفية أعظم امبراطوريتين في ذلك التاريخ ، امبراطورية الفرس والرومان ، وأول من رفع لواء الاسلام في ربوع آسيا وأفريقيا ، وأول من مصر الامصار وطلب الاقامة فيها ، وأول من قسم الدولة الى ولايات ، وأول من عشر الجنود ، أي جعلهم عشرات ، ثم قسمهم الى كتائب وبنود ، وأول من اتخذ منصب القاضي المختص بالقضاء ، وأول من أنشأ السجلات لتدوين أسماء المستحقين للاموال ، فما من رجل أو طفل أو امرأة الا وعرفوا حصتهم من بيت المال .

لقد كان عمر أول من منع توزيع الارض المفتوحة على المقاتلين بل جعلها ملكاً لبيت المال ، ووضع نظام المحاسبة على أساس من أين لك هذا المال ، وحاسب به الامراء وقاسمهم المال .

وهو أول من كان يعس بالليل ، فيحرس القوافل ، ويعين المقطوعين، ويواسي المرضى والمحتاجين ، ويمشي في الاسواق والطرق العامة لينبه الناس الى النظام وعدم التجاوز ويقوم بوظيفة المحتسب . وهو أول من كان يمشي الى النساء اللاتي غاب أزواجهن فيقف على أبوابهن ، ويسأل عن حاجتهن ويقرأ لهن رسائل أزواجهن ، ويكتب لهن الأجوبة .

لقد جعل عمر لا يفكر في أي شيء سوى السهر على مصالح الامة وتسيير شئونها ، وكان لا ينام ليلا ولا نهارا ، وانما يختلق خفقات منهما .

قدم معاوية بن خديج على عمر من مصر مبشراً بفتح الاسكندرية وذلك في وقت القيلولة وهو نومة الظهر ، الا انه رأي عمر جالساً في المسجد يفصل بين الناس ويسير دفة المملكة . ثم التفت عمر الى ابن خديج قائلا له : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟

قال معاوية : قلت أمير المؤمنين قائل .

فقال عمر : بئسما ظننت ، لئن نمت النهار لاضيعن الرعيـــة ، ولئن نمت الليل لاضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية .

وان عمر يضع دستوراً لمن يلي الحكم فيقول : أما من ولي من أمر المؤمنين شيئا فلا يخف في الله لومة لائم ، ومن كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسه ، ولينصح لولي الامر . ان هذا الامر لا يصـلح له الا اللين في غير ضعف ، والقوي في غير عنف . ان قريشاً تريد أن تكون مغـويـــاب (أي مصائد) لمال الله تعالى دون عباد الله وأنـا حي ، فـلا والله ، الا واني آخذ بحلاقم قريش عند باب الحرة أمنعهم من الوقـوع في النـار . من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يحمله على استعماله الا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ومن استعمل رجلا فاجراً وهو يعلم أنـه فاجر فهـو مثلـه .

وقد قال عبدالله بن مسعود : كان عمر أعلمنا بكتاب الله وأفقهنـا في دين الله ، وكان اذا اختلف أحد في قراءة بعض الآيات قيل له : اقرأهـا كما قرأها عمر ، وكان يقول : لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة ميزان ووضع علم الارض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كـانـوا يروون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم .

لقد وصل عمر الى السدرة العليا فجلس عليها دون الانبياء وفـــوق العظماء ، فهو شعاعة من نور الاسلام ، ومعجزة من معجزات فخر الأنام ، جمع الله فيه اباء العرب ، وفتوة الشباب ، وشجاعة الابطال ، ونبل ما عرف الناس من أخلاق ، في كمال رجولة ، وصدق عزيمة ، وارادة حـازمـة صـارمة .

لقد عرف عمر بالشدة والغلظة في عهد رسول الله وعهـد أبي بكر ،

وكان الناس يخشون أن يتولى عليهم فتزداد شدته ، وقد نما اليه خوف الناس من غلظه وشدته ، فرقي المنبر وخطب الناس ومما قاله : بلغني ان الناس هابوا شدتي وخافوا غلظتي ، وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الامور اليه ، الى أن قال : فاعلموا ان تلك الشدة قد أضعفت ، ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الارض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق ، واني بعد شدتي تلك أضع خدي على الارض لاهل العفاف وأهل الكفاف .

لقد كان رضي الله عنه شديداً في اسلامه لا يقبل فيه هوادة ولا ملاينة فلقد التقي يوم بدر بخاله العاص بن هشام بن المغيرة في صفوف المشركين فحمل عليه فقتله . وهذا يصور لنا مقدار أثر الاسلام في قلبه ، لقد استهان بكل شيء في سبيله ، ولم يتردد لأي اعتبار في سبيل نصرته . لذلك قال له رسول الله : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً الاسلك فجاً غير فجك . اتقوا غضب عمر ، فان الله يغضب اذا غضب عمر . ولو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب .

هذا عمر بن الخطاب الذي قال فيه رسول الله : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر . ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

لقد كان عمر القدوة الطيبة في حياته الخاصة والعامة ، وصورة حية للعقيدة التي يدعو اليها ، لقد أدرك ان الدولة الناشئة أحوج ما تكون الى القدوة الحسنة ، وهو يعلم ان الامة العربية تمتاز بالبساطة والبعد عن الانغماس في الترف المادي ، ولكن ما العاصم من انحرافها عن ذلك وكنوز

كسرى وخزائن قيصر توشك أن تكون غنيمة لهم ، فجعل من نفســـه نموذجاً لبساطة العربي وتقشفه مع توفر المال والخيرات ، ولئلا يشـــغل الترف الأمـــة عن واجباتهـا تجـاه دينهـا ومجتمعها والانسانية كلها . وقد كان يقول : الرعية مؤدية الى الامام ما أدى الامام الى الله ، فان رتـــع الامام رتعوا .

لقد تجلت للناس عبقريته في عدالـة لم يعرفهـا البشـر قبـل مجيء الاسلام وخلافة عمر ، وهل عرفت الانسانية في تاريخها الدولي وحياتهـا الاجتماعية قبل خلافة عمر ، ان ملكاً أو رئيس دولة في أية صـورة من صور الحكم يمتد ملكه وتخفق بنوده على أرقى من عـــرف من ممالـك الارض ، ثم يرى نفسه أنه عبد لرعيته يحوطها ويرعاها رعـايـة العبـد للسيد . قدم الاحنف بن قيس على عمر بن الخطاب في وفد من العـــراق فصادفه في يوم شديد الحر وهو ملتف بعباءة يدهن بعيراً من ابل الصدقـة بالقطران ، فقال عمر : يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين عـلى هذا البعير فانه لمن ابل الصدقة ، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة ، فقـال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيـــد الصدقة يكفيك هذا ؟ فأجابه عمر : وأي عبد أعبد مني ومن الأحنف ، انه من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين يجب عليه لهم مثل ما يجب عـلى العبد لسيده من النصيحة وأداء الامانة .

وكان آخر أمل لعمر أن يضع نظماً تضمن العيش لكل فرد من أفراد الامة اذ يقول : لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العـراق لا يحتجن الى رجل من بعدي أبدا . ولكنه اغتيل بعد أربعة أيام من تصريحه هذا .

ان البشرية كلها ينبغي أن تفخر بعمر ، وان تدرس ســـيرتـه ،

لا كشخصية اسلامية عربية ، ولكن كشخصية عالمية ، بلغت حداً خارقـــاً لم يبلغه أحد من الأقدمين أو المعاصرين •

فرضى الله عنك يا ابن الخطاب وأرضاك ، وجزاك عن الاســـــلام والمسلمين خيراً ، وقبح الله شانئك وأخزاهم دنياً وأخرى ، وحشرنا مـع محبيك انه سميع مجيب •

عمر بن الخطاب
واستشهاده في ذي الحجة

في مثل هذا الشهر المبارك (في ذي الحجة ، من السنة الثالثة والعشرين للهجرة) انسل من بين صفوف المسلمين عدو من أعداء الله وحاقد على العرب والاسلام ، أبو لؤلؤة فيروز المجوسي فطعن بطل الاسلام وحامي حماه أبا حفصة عمر بن الخطاب ذاك الذي دك صرح دولة الضلال ، وقوض أركان المجوسية وأخمد نارها ، وجعل من أولئك المتغطرسين والمتعالين موالي وعمالا •

في مثل هذا الشهر طعنت اليهودية والمجوسية والنصرانية ، عمر بن الخطاب ذاك الذي كان الاسلام منذ تولى الخلافة يعلو شأنه ومجده ، ويسمو عزه وقدره ، ويتسع انتشاره ، ويفيض على البسيطة بحره ، ويشمل الامم حكمه •

لقد نفذ أعداء الاسلام في شهر ذي الحجة من السنة الثالثة والعشرين للهجرة أول مؤامرة للتنكيل بالاسلام وحماته وكان على رأسهم عمر بن الخطاب • دعوة رسول الله حين قال : اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين اليك ، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب ، فكان دعوته عمر بن الخطاب •

عمر الذي أقض اسلامه مضاجع المبطلين وأدار رؤوسهم ، عمر الذي قال فيه صهيب بن سنان : لما أسلم عمر ظهر الاسلام ، ودعا اليه علانية وجلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا البيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به • وقال محمد بن عبيد : لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، لما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي •

وقال فيه أمين هذه الامة أبو عبيدة عامر بن الجراح : اذا مات عمر رق الاسلام ، وما أحب أن لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب واني أبقى بعد عمر • فقال قائل : ولم ، فقال ابن الجراح : ستـرون ما أقـول ان بقيتم ، وأما هو فان ولي وال بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم بـه لم يطع له الناس بذلك ولم يحملوه ، وان ضعف عنهم قتلوه •

وقال فيه عبدالله بن مسعود : كان اسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وامارته رحمة ، وما زلنا أعزة منذ أسلم عمر • ثم قال : ان عمـر كان حصناً حصيناً للاسلام ، يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون من الاسلام • ثم قال : ولو ان علم عمر بن الخطاب في كفـة ميزان ووضع علم الارض في كفـة لرجح علم عمـر بعلمهم ، ولقد كانوا يروون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ، ولقد كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله •

هذا عمر الذي تآمر الضالون الموتورون لاغتياله ، جمعهم الحقد على الاسلام والعداء للعرب الذين قامت الدعـوة الاسـلامية على كواهلهم ، وحموها بسيوفهم ، ونشروها بأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم •

لقد كان هؤلاء يرون في عمر بن الخطاب الموجه المدبر للقضاء عـلى عزهم وعز بلادهم ولو خلي بين عمر وبين الحيات لاكتسح كل العـالم من أقصاه الى أقصاه •

فخلافة عمر التي لم تتجاوز العشـر سنوات قـد ملأ بها الارض فتوحات ، ونصب للاسلام آلاف المنابر ، ووطأ جنده عواصم القياصـرة والاكاسرة ، فماذا كان يتم للاسلام من الظهور لو عاش أكثر من ذلك •

ولقد روى لنـا عبدالرحمن بن أبي بكر الصـديق شيئاً من تلك المؤامرة • قال : قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان

وهم يتناجون ، فلما باغتهم ثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه في وسطه .

ثم قال لمن حوله انظروا ما الخنجر الذي قتـــل به عمر ، فوجدوه الخنجر الذي وصفه عبدالرحمن .

ولما سمع ذلك عبيدالله بن عمر من عبدالرحمن انطلق وبيده سـيفه حتى دعا الهرمزان فقتله ثم دعا جفينة فقتله ، ثم قتل بنتاً للهرمزان ، وأراد عبيدالله الا يترك سبياً يومئذ بالمدينة الا قتله ، فاجتمع المهاجرون الاولـون عليه فنهوه ، فقال لاقتلنهم وغيرهم ، فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع اليه السيف . قال عمرو بن لبيد : ما كان عبيدالله يومئذ الا كهيئة السـبع الحرب ، وجعل يعترض العجم بالسيف حتى حبس يومئذ في السجن .

وروى عن عمرو بن ميمون وكان بقرب عمر غداة طعن أنـه قال : فما هو الا أن كبر (اي عمر للصلاة) حتى سمعته يقول : قتلني الـكلب حين طعنه أبو لؤلؤة في كتفه وفي خاصرته ، وبعد ان طعنه ست طعنات طار الملعون بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد الا طعنه حتى طعن ثلاث عشر رجلا ، مات منهم تسعة ، فلما رأى ذلك عبدالرحمن بن عوف طرح عليـه برنساً ليأخذه فلما ظن الملعون أنه مأخوذ نحر نفسه .

ثم حمل رضي الله عنه الى منزله ، أما الناس فقد ماجوا حتى كادت تطلع الشمس فنادى عبدالرحمن بن عوف : أيها الناس الصلاة ، فتقـــدم فصلى بالناس صلاة خفيفة ، وبقي عمر في غشيته حتى أسفر فقيل : انــكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة ان كانت به حياة ، فقالوا : الصلاة يا أمـير المؤمنين فانتبه وقال : الصلاة والله اذن ولا حق ــ أي الصلاة مقضية اذن ولا حق مقضي غيرها ــ ثم قال : أصلي الناس ؟ قالوا : نعم ، قال : لا اسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى وان جرحه لينبعث دما .

ثم قال عمر لعبدالله بن عباس وكان بجانبه : أخرج فسل من قتلني ؟ قال ابن العباس : فخرجت من باب الدار فاذا الناس مجتمعون جاهلون بأمر عمر ، فقلت من طعن أمير المؤمنين ؟ قالوا : طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ثم طعن معه رهطا ثم قتل نفسه • فرجع الى عمر فأخبره بذلك فقال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط ، ما كانت العرب لتقتلني • ثم قال لابن عباس : قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدنية وكان العباس أكثرهم رقيقا • فقال له ابن عباس : ان شئت فعلنا (أي قتلناهم) فقال عمر : بعد ما تكلموا بلسانكم ، وصلوا الى قبلتكم ، وحجوا حجكم •

ثم قال لأبنه عبدالله : انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فاني لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه • ولما دخل عبدالله الى عائشه وجدها قاعدة تبكي ، فبلغها رسالة أبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي • ولما أخبر عمر بذلك قال : الحمد لله ما كان شيء أهم الي من ذلك المضجع ، ثم قال لأبنه عبدالله : اذا وضعتني فألق خدي الى الارض حتى لا يكون بين خدي وبين الارض شيء • وكان رأس عمر على فخذ ابنه عبدالله ، فقال له : ضع رأسي على الارض ، فقال له عبدالله : وما عليك كان على الارض أو على فخذي ، فقال له : ضعه على الارض فوضعه على الارض ، فقال عمر : ويلي وويل أمي ان لم يرحمني ربي ، ان لم يغفر لي ربي ، وجعل يردها حتى فاضت نفسه •

ولما اطمأن على أن يدفن في جنب رسول الله وأبي بكر ، فكر في أمر الخلافة لئلا تحدث فتنة بعد وفاته فقال : عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله انهم من أهل الجنة ، عثمان وعلي ابنا عبد مناف ، وعبدالرحمن وسعد خالا رسول الله ، والزبير بن العوام حواري رسول الله وابن عمته ،

وطلحة الخير ، فليختاروا رجلا منهم ، ثم دعاهم فقال : اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس ، ولا يكون هذا الأمر الا فيكم ، قد قبض رسول الله وهو عنكم راض ، اني لا أخاف عليكم ان استقمتم ، ولكنني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم، فانهضوا الى حجرة عائشة باذنمنها ثم تناجوا في الامر . وليصل صهيب بالناس .

وبعد وفاته رثاه أصحاب رسول الله . ومما قاله حذيفة بن اليمان : كان الاسلام زمن عمر كالرجل المقبل لا يزداد الا قرباً ، فلما قتل رحمه الله كان كالرجل المدبر لا يزداد الا بعداً .

وقال عبدالله بن غنم : اليوم أصبح الاسلام مولياً ، ما رجل بأرض فلاة يطلبه العدو فأتاه آت فقال له : خذ حذرك بأشد فراراً من الاسلام اليوم .

وقال سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرة بالجنة عندما سمع بمقتل عمر : على الاسلام أبكي ، ان موت عمر ثلم الاسلام ثلمة لا ترتق الى يوم القيامة .

وقال الحسن البصري : أي أهل بيت لم يجدوا فقد عمر فهم أهل بيت سوء .

وقال أبو طلحة الانصاري : فوالله ما أهل بيت من المسلمين الا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم .

وقال عبدالله بن عباس يؤبن عمر : والله ان كان اسلامك لنصرا ، وان كانت امامتك لفتحا ، ان كنت لأمير المؤمنين ، وأمين المؤمنين ، وسيد المؤمنين ، تقضي بكتاب الله ، وتقسم بالسوية ، رحمة الله على أبي حفص ، كان والله حليف الاسلام ، ومأوى الايتام ، ومحل الايمان ، ومنتهى الاحسان ، كان للحق حصناً ، وللناس عوناً .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرثيه وهو على سرير موته : ما خلفت أحدا أحب الي أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله ان كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت أكثر أن أسمع رسول الله يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، كنت لأظن ليجعلنك الله معهما .

هذا عمر بن الخطاب الذي تجمعت فيه الانسانية الكاملة بأبهى مظاهرها ، والذي كان المعجزة لرسالة الاسلام ، يأتي أناس موتورون قضى عمر على عرشهم ، وأذل غطرستهم وجبروتهم يأتي هؤلاء وقد تبرقعوا بالاسلام ، ليطعنوا بعمر وبما أنجزه عمر ، وبما اخترعوا من روايات وأخبار شابت صفاء الاسلام وشوشت عقائد المسلمين ، وخلقوا عداوات بين رجال الرعيل الاول الذي هو خير أمة أخرجت للناس ، فينشر هؤلاء الكتب والرسائل وكلها شتم بسادة العرب والمسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب تشفياً منه وحقداً لأن عمر قد أكل أكبادهم كما قال من قبل عظيمهم وقائدهم رستم : أكل عمر كبدي .

عمر الذي يقول فيه رسول الله من أبغض عمر فقد أبغضني ، ومن أحب عمر فقد أحبني ، وان الله باهى بالناس عشية عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة ، وانه لم يبعث الله نبياً الا كان في أمته مُحَدَّث وان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر ، قالوا يا رسول الله كيف مُحَدَّث ؟ قال تتكلم الملائكة على لسانه . أخرجه الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد الخدري .

قال عمر حينما علم بأن الذي طعنه هو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي : ما كانت العرب لتقتلني ، ولعله لو سئل عن الطاعنين فيه لقال : ما كانت العرب لتسبني ، لأنه رفع رأسهم ، وأعلا شأنهم ، ونشر في أرجاء الدنيا رسالة نبيهم ، وعمم في الخافقين رايتهم ، وخرج من الدنيا وهو أفقر

أبنائها . ماذا ينقم العرب من عمر حتى يشتمونه ، فهل استأثر بالملك ليبني القصور ، ويمتلك الاراضي والعقارات ، ولتكون له الأرصدة في المصارف والشركات ، لقد دخل عمر الدنيا ويده مملوءة بالمال ، وخرج منها وهو لا يملك ديناراً ولا درهماً . بعد أن خلد التاريخ الاسلامي ، وألبسه ثوب العزة والكرامة والعدالة والمحبة .

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه . ثم نادى أبا بكر وذكر فضله ومكانته في الاسلام ، ثم قال : أين عمر بن الخطاب ، فوثب اليه عمر فقال : ها أنذا يا رسول الله ، فقال : أدن مني ، فدنا منه فضمه الى صدره وقبل بين عينيه ، ورأينا دموع رسول الله تجري على خده ، ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته : معاشر المسلمين هذا عمر بن الخطاب ، هذا شيخ المهاجرين والانصار ، هذا الذي أمرني الله أن أتخذه ظهيراً ومشيرا ، هذا الذي أنزل الله الحق على قلبه ولسانه ويده ، هذا الذي تركه الحق وماله صديق ، هذا الذي يقول الحق وان كان مرا ، هذا الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، هذا الذي يفرق الشيطان من شخصه ، هذا سراج أهل الجنة ، فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه بريء وأنا منه بريء .

الشهيد المظلوم عثمان بن عفان

رضي الله عنه

ان الاسلام لم يقم الا بقوة ألهية ، وروح عالية سرمدية أودعت فيه ، حتى جعلته سهلا مقبولا لدى العقول النيرة ، حقيقاً بالنمو والانتشار .

كما ان النفر الذين سبقوا الى تلقيه كانوا دعامة الاسلام ، وممهدي طريقه ، وناصري دعوته ، والقدوة الصالحة للمسلمين ، لذا أثنى عليهم القرآن ، ونزل فيهم قول العزيز الديان : (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين) .

وان من قراء تاريخ دعوة النبي بامعان ، علم فضل الامام الشهيد المظلوم عثمان بن عفان ، فقد كان من أخلص المؤمنين يقينا ، وأصفاهم عقيدة ، وأتقاهم قلبا ، وأشدهم رأفة ، وألينهم جانباً ، وأكثرهم براً وشفقة .

لما أسلم رضوان الله عليه عز على قريش أن ينحاز نبيلهم الى صفوف محمد عليه الصلاة والسلام ، فأغروا به عمه الحكم بن العاص ، فأخذه وأوثقه رباطاً وقال له : ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث ، والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه . فأجابه اجابة مؤمن قد ملأ الايمان قلبه : والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه . وتحمل ما تحمل ، وما ضجر ولا ونى .

لقد هاجر في سبيل الله الهجرتين ، هجرة الحبشة وهجرة المدينة ، وقد دعا له رسول الله ولزوجته رقية بنت رسول الله حيث قال : صحبهما الله انهما لأول من هاجر الى الله بعد ابراهيم ولوط .

كان عثمان أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد رمى رسول الله

بالنبال نيابة عنه يوم بدر لمرض زوجته رقية بنت رسول الله ، فيرمي ويقول: هذه عن عثمان •

لقد أراد رسول الله أن يؤدي مناسك العمرة وهي تحتاج الى مفاوضات وارسال رسول الى قريش ، فاتجهت الانظار الى عثمان بن عفان لنبله وعفته وحلاوة شمائله ، وقد أشار عمر بن الخطاب بأن يوفد عثمان اليهم ، لأنه رجل تخجل قريش أن تسيء اليه ، نذهب اليهم وأبلغهم رغبة رسول الله ، فاحتبسوه بمكة حتى طال لبثه ، وتراءى أن قريشاً غدرت بسفير رسول الله عثمان ، فقال رسول الله : لا نبرح حتى نناجز القوم وأخذ في مبايعة أصحابه على القتال وقد تمت بيعة الرضوان من أجل عثمان ، وبايع رسول الله عن عثمان باحدى يديه الاخرى ، وقال هذه عن عثمان •

لقد بذل عثمان ماله في سبيل نصرة دين الله ونصرة رسوله ونصرة المسلمين •

لما كانت غزوة تبوك التي تدعى بغزوة العسرة ورأى عثمان ما عليه المجاهدون من عسر وحاجة وضيق تقدم الى رسول الله بعشرة آلاف دينار وألف من الجمال والخيل ، وقد رؤي النبي صلى الله عليه وسلم بعدها وهو رافع يديه الكريمتين ويقول : أللهم عثمان ، رضيت عنه فارض عنه وذلك من أول الليل الى أن طلع الفجر ، ولما وضع الدنانير في حجر رسول الله ، أخذ يقلبها ويقول : غفر الله لك يا عثمان ، ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ، لا يبالي ما عمل بعدها ، اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه •

جاء المدينة والبئر الذي يستقي أهلها منه يعود ليهودي يبيع ماءها ، وقد سمع رسول الله يقول : من يشتري بئر رومة وله الجنة • فاشتراها عثمان من اليهودي بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها وقفا على المسلمين ،

ثم سمع رسول الله يقول : من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة وأجره في الدنيا ما بقي درجات له • فاشتراه عثمان بعشرين ألف درهم وضمه الى المسجد •

وقد أصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق ، فجاءت قافلة لعثمان من الشام وهي ألف بعير تحمل البر والزبيب والزيت ، فجاءه التجار يساومونه على شرائها وأعطوه بكل درهم خمسة دراهم ربحاً ، فقال لهم أعطيت زيادة على هذا ، ان الله أعطاني بكل درهم عشرة • أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا ، قال : فاني أشهدكم أنها كلها صدقة على المساكين وفقراء المسلمين •

فعثمان أعظم مظهر للانسانية النبيلة ، فهي الرحمة مجسمة ، وهي الاخلاص بشراً سويا ، وهي الحب للخير في أعم نواحيه حياً ناطقاً •

ولقد قال فيه رسول الله : ان عثمان أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً وديناً وسمتاً ، وهو ذو النورين زوجته ابنتي ، وهو معي في الجنة كهاتين وحرك السبابة والوسطى •

ولم يعرف أن شخصاً آخر صاهر رسولا في بنتيه سوى عثمان •

وقد قال رسول الله بعد وفاة زوجتيه : لو كانت لي بنت ثالثة لزوجتك إياها •

عثمان ثالث رجل دخل في الاسلام ، وهو جامع الناس على المصحف الامام ، وهو الذي أكمل فتح ايران وما وراء النهر وافريقية وغيرها من الفتوحات الخالدة • وهو أول من أنشأ اسطولا اسلامياً ، لذلك قال فيه رسول الله : لكل نبي رفيق ، ورفيقي في الجنة عثمان •

هذا عثمان الذي تآمر عليه اليهود والموالي وأغيلمة ساروا وراء الدساسين للايقاع بالاسلام واثارة الفتن ، وتفرقة الصفوف ، لوقف زحف الجيوش الاسلامية ووقف اندفاعها وتقليص فتوحاتها •

ولقد كانت هذه ثاني مؤامرة دبرها أعـــداء الاسلام بعـــد اغتيالهم عمر بن الخطاب ، دبرها دخلاء على الاسلام ، عراة مـن الايمان ، أرادوا باسلامهم تشويه الحقائق ، ونشر البلبلة بين صفوف الامـة وانفضاض من حول القادة والزعماء ، فخاضوا اليها لجج الدماء ورتعوا في بقية من آثـار النبوة ممثلة في شخص الشهيد عثمان بن عفان وكان يتزعم هذه الفتنـــة يهودي هو عبدالله بن سبأ وحزبه من اليهود والموالي ، كان هـذا الخبيث ينتقل ما بين البصرة والكوفة ودمشق ومصر باذراً بذور الفتنة لافســـاد الحكم على المسلمين .

ولقد طلب أصحاب رسول الله من عثمان قتل هؤلاء لانهم مفسدون في الارض ، فأبي وتدرع بالصبر والعفو ، وأن يفدي نفسه للامـة لحفظ كيانها من أن يتزعزع ، وليصون بنيانها من أن ينهدم ، وليحمي سلطانهـا من أن تمتد اليه يد العبث والفوضى ، وتتسلط عليه الغوغاء والرعاع الذين لا يردعهم الا السوط يلهب أبشارهم ، أو السيف يمشي الى أعناقهم .

ان هذه الذكرى تبعث في النفوس أعظم العظة والعبرة ليـكون أبنـاء العروبة والاسلام على حذر ويقظة مما يدبره اليهود الذين ساروا على سنن جدهم ابن سبأ ومن دسائس اخوانهم الشعوبيين أحفاد الهرمزان ورستم ، من رسم الخطط الظاهرة والباطنة لايقاد الفتن وتفتيت الصفوف .

لقد اقتحم الفجرة على عثمان داره بعد أن حصروه أكثر من عشرين يوماً ، وطعنوه عدة طعنات وهو يقرأ القرآن ، فسال دمه ونضح على قـول الله : (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقد دافعت عنه زوجته فقطعوا أصابعها وأثخنوا جراحها .

لقد منعه أعداء الله من شرب الماء الذي هو ملكه وهم يشربونه تصدقا منه ، لقد منعه هؤلاء المجرمون من الصلاة في المسجد الذي وسعه وعمره من خالص ماله .

لقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال : يقتل فيها هذا مظلوماً وأشار الى عثمان •

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده على كتف عثمان وقال : كيف أنتم اذا قتلتم امامكم ، وتجالدتم بأسيافكم ، وورث دنياكم شراركم ، فويل لأمتي اذا فعلوه •

لقد قال رضي الله عنه عندما ضربه أحد المجرمين الباغين والدماء تسيل على لحيته : لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، اللهم اني أستعديك واستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على بليتي ، اللهم اجمع أمة محمد •

روي عن محمد بن الحنفية ان والده علياً رضي الله عنه قال يوم الجمل : لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل • ولقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تلعن هؤلاء المجرمين المفسدين •

ولقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان ادركه ، وان لم يدركه آمن به في قبره •

لا ندري ما هو عذر من جلس في قعر داره وهو يرى ويسمع ما يجري على خليفة المسلمين بأيدي أراذل من الموالي والموتورين •

لقد انتقم الله تبارك وتعالى من بعض من تجاوز واعلى هذه الشيخوخة الطاهرة في الدنيا قبل الآخرة ، ليكونوا عبرة للظالمين المستهترين •

فهذا محمد بن أبي بكر قد عينه علي رضي الله عنه والياً على مصر ، وعندما زحف جيش معاوية على مصر قبض على محمد هذا وصلب ثم

أحرق ، لأنه ممن دخل على عثمان الدار .

وهذا الجهجاه الغفاري الذي تناول عصا عثمان وكسرها على ركبته استهانة به ، فقد أخذته آكلة في تلك الرجل حتى مات .

وذكر أبو قلابة : انه كان في رفقة بالشام فسمع صوت رجل يقول : يا ويلاه النار ، واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين ، أعمى العينين ، منكب لوجهه ، فسأله أبو قلابة عن حاله فقال : اني كنت ممن دخل على عثمان الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها ، فقال لي عثمان ما لك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك ، وادخلك النار ، فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هارباً ، فأصابني ما ترى ، ولم يبق من دعائه الا النار .

ولقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اذا كان يوم القيامة يؤتي بعثمان وأوداجه تشخب دماً ، اللون لون دم ، والرائحة رائحة المسك ، يكسى حلتين من نور ، وينصب له منبر على الصراط ، فيجوز المؤمنون بنور وجهه .

فرضي الله عنك يا عثمان وأرضاك ، وحشرنا مع محبيك ، انه قريب مجيب .

علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

لقد كانت مدرسة مولانا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ينبوعا لتخريج فطاحل السياسيين والمشرعين والقادة المبرزين والزعماء الموجهين وغير هؤلاء وهؤلاء ممن قبضوا على زمام الدنيا ، ووجهوا أبناءها وجهة الخير والكرامة والسعادة والهناء .

وكان من أبناء هذه المدرسة الفذة الالهية ، صهر مؤسسها وابن عمه ، والذائد عن تعاليمها ، علي بن طالب رضي الله عنه .

لقد بدأت حياة علي بعد أن كفله رسول الله تتجه اتجاهاً خاصاً ،كيف لا وقد آواه بيت أقام الله صرحه على دعائم التوحيد ، فدرج أيام شبابه في مدارج الوحي ومهبط التشريع .

روي أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة فوجده هو والسيدة خديجة يصليان ، فقال : ما هذا يا محمد ، فقال رسول الله : هذا دين الله الذي بعث به رسله ، فأدعوك الى الله وان تكفر باللات والعزى ، فقال علي هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب ، فقال النبي : يا علي ان لم تسلم فاكتم خشية أن يفشي أمر ه قبل أن يستعلنه ، فمكث علي ليلته يفكر في شأنه وشأن هذا الدين الجديد الذي يدعو اليه محمد ، ولم يسفر عليه الصباح حتى أسرع الى رسول الله معلناً ايمانه قائلا : يا محمد ان الله قد خلقني من غير ان يشاور أبا طالب ، فما حاجتي أنا الى مشاورته لكي أعبد الله .

ولما فتح الله تعالى لنبيه باب الهجرة الى المدينة أمر علياً أن يبيت على

مضجعه تلك الليلة وأن يؤدي عنه ودائعه ووصاياه ثم يلحق به الى المدينة ٠

لقد شب علي بين أحضان الاسلام فكان في تربيته نسيج وحده ، وقد اشترك في جميع الغزوات التي غزاها رسول الله سوى غزوة تبوك حين خلفه الرسول على المدينة ٠

وعندما انتقل الرسول الى الملأ الأعلى واجتمع الناس على بيعة أبي بكر الصديق كان علي في أوائلهم كما ذكر ذلك المؤرخون الصادقون ، وأخلص له النصيحة ، ووازره أصدق موازرة ٠ وبعد ان توفي أبو بكر استوزر لعمر بن الخطاب ، وكان مستشاراً أميناً وأخاً صادقاً ٠

وقد سئل علي رضي الله عنه عن بيعته لأبي بكر ، وهل كان له عهد من رسول الله بالخلافة فقال : والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون من كذب عليه أما أن يكون عندي عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فلا ، والله لو كان عندي ما تركت أخا تيم وعدي على منبر رسول الله ، ولكن نبينا لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة ولكنه مرض ليالي وأياماً ، فأتاه بلال ليأذنه بالصلاة فيقول : ايت أبا بكر وهو يرى مكاني ، فلما قبض صلى الله عليه وسلم نظرنا في الأمر فاذا الصلاة علم الاسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله لديننا ، فولينا أمورنا أبا بكر ، فأقام بين أظهرنا وكانت الكلمة واحدة ، والدين جامع لا يختلف منا اثنان ، ولا يشهد أحد على أحد بالشرك ، وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزوا اذا أغزاني ، وأضرب الحدود بين يديه بسيفي وسوطي على كراهة منه لها ٠ ثم ذكر رضاه عن عمر وعثمان ٠

ومن هذا يتبين ان الاسلام جاء ليدفع فكرة الوراثة في الولاية والرياسة لا لأسرة ولا لفرد ، فرئيس المسلمين هو أقسطهم وأعلمهم وأكثرهم فكراً ، وأبعدهم سياسة وأوسعهم أفقاً ، من غير نظر الى قرابة

من رسول الله أو مصاهرة ، لذلك اختير أبو بكر لتصريف شئون المسلمين بعد وفاة المشرع الاعظم ، فكان في ذلك الخير للمسلمين وتركيز قواعد الاسلام •

فنرى من هذا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أرفع من التنازع لأمر من أمور الدنيا ، فبيعة أبي بكر لم تكن فلتة كما يزعم بعض المؤرخين الشعوبيين أو المغفلين الذين هم كحاطب ليل ينقلون الاخبار بدون روية أو تمحيص ، أولئك الذين أضاعوا الحقائق ، وجنوا على التاريخ ، وفصموا وشائج المجتمع الاسلامي وعبثوا برجال الأمه وقادتها •

عندما تجرأ الفجرة المجرمون على قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه تطلع الناس لعلي بن أبي طالب وتقدموا لبيعته فقال لهم : اني لا أرضى البيعة خلسة ولا سراً دونكم المسجد ان كنتم تريدون فلأن أكون وزيراً أحب إلي من أن أكون أميراً ، فقاموا وبايعوه في المسجد •

وبعد أن بويع ظهرت الأهواء وتفرقت الجماعات ، واستعرت الحروب ، وأخذت تحاك الدسائس ، وتثار الفتن ، واندس بين الناس طغام اليهود ، وعلوج الفرس الذين أتقنوا الكيد للاسلام عن طريق الخداع والجدل •

ثم أخذ بعض هؤلاء يتظاهر بالغيرة على آل بيت النبي والتشيع لهم ، ووقفت جماعات ترد عليهم وتدحض آراءهم ، وتبين للناس ان هؤلاء يتسترون وراء هذه الدعوة لهدم الاسلام ، وتفتيت أتباعه والطعن برجاله وقادته الذين طوفوا به في الآفاق •

كما ظهرت طوائف أخرى قد سلكت كل منها طريقاً مفرقاً هادماً يناصب العرب العداء وعلى رأسهم حملة الرسالة الأولين •

وكان علي رضي الله عنه هدف بعض هذه الطوائف ، اذ وجد من يطعن عليه في غير هوادة ولا رادع من دين كالخوارج .

وعلى طرفي نقيض من هؤلاء وجد من يبالغ في تمجيده الى درجة فاقت حدود البشر .

ووجد من ينزله المنزلة التي ارتضاها الله له وهم سواد المسلمين .

وقد قال علي رضي الله عنه : يهلك في رجلان ، محب مفرط بما ليس في ، ومبغض يحمله شنآني علي ان يبهتني .

لقد أوذي علي رضي الله عنه مدة خلافته ، وكانت شيعته أشد عليه من أعدائه . وقد قال لهم في احدى خطبه : أحمد الله على ما قضي من أمر ، وقدر من فعل ، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي اذا أمرت لم تطع ، واذا دعوت لم تجب ، وان أمهلتم خضتم ، واذا حوربتم خرتم ، وان اجتمع الناس على امامكم طعنتم ـ الى أن قال : اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم .

وقال في خطبة أخرى بعد أن أمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، وأن يوطنوا أنفسهم على الجهاد ، الا أنهم تسللوا من معسكرهم ولم يبق الا نفر قليل ، فدخل الكوفة وقام في الناس خطيباً ، ومما قاله : عباد الله مالكم اذا أمرتكم أن تنفروا أثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، وبالذل والهوان من العز ، وكلما ندبتكم الى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة ، فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون ، لله أنتم ، أنتم أسود الشرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس .

وقال مرة : نظرت فاذا ليس لي معين الا أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ، وأغضيت على القذى وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمَرّ من طعم العلقم .

ولم يزل يغاديهم بالخطب ، ويراوحهم بالقـــول ، ويثير حميتهم ، ويستفز نخوتهم ، فلم يزدهم ذلك الا اعراضاً ، وما تغنى الخطب والاقوال عن قوم توزعتهم الاهواء ، وتفرقت بهم السبل •

وهذا ديدن أحفادهم الى الآن ، حرب على كل نظام ، وأعداء لجميع الحكام ، لأنهم لا يتحملون حكماً ولا حكاماً ، بل يعيشون في الفوضى التي تدر عليهم المال من الداخل والخارج •

فرضي الله عنك يا ابن أبي طالب وأرضاك ، وحشرنا مع محبيــك الخلصاء انه بالاجابة جدير نعم المولى ونعم النصير •

الزبير بن العوام الأسدي

رضي الله عنه

لقد كان اصحاب سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم كالنجوم يهتدي بها الساري ، ويسترشد بها الضال ، حملوا الرسالة المحمدية الى أمم الارض لتنقذهم مما هم فيه من ظلمات وضلال ، وقد تردد بجهودهم وجهادهم أصداء دعوة حي على الفلاح في جميع الآفاق .

كانوا دعاة معلمين قد مضت قافلتهم في طريقها ترعاها عين الله التي لا تنام ، وواصلت كتائبهم سيرها الى مملكة كسرى الى أقصى آفاقها ، والى وادي النيل ، ومنها شمال أفريقية الى آسيا وأقطارها الى غيرها من البلاد التي عرفت الاسلام من سيرة أصحاب رسول الله وعدلهم ورفقهم وحزمهم واستقامتهم ، كيف لا وهم الذين قال فيهم رسول الله : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، نعم كانوا من خير من ضمهم قرن النور .

لقد كان ذلك القرن من العصور الذهبية التي لم ير الاسلام أعظم منه بركة ، ولا أعز منه لأهله رفعة وسلطانا ، ولا أصدق جهاداً ، ولا أوسع دعوة ، فهم الجيل المثالي الذي بخل الزمان أن يجود بمثله .

ومن أبناء ذلك الجيل المثالي والعصر الذهبي ، حواري رسول الله وابن عمته صفية وخامس رجل في الاسلام وأحد العشرة المبشرة بالجنة وأحد الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب للشورى ، والبطل الذي عده عمر بن الخطاب بألف مقاتل ، الزبير بن العوام الأسدي الذي اغتالته اليد الأثيمة المجرمة في شهر جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين للهجرة.

نشأ الزبير بمكة التي كانت ملتقى العرب وسوق أدبهم وتجارتهم ،

وقد اكسبته تلك البيئة الاخلاق الفاضلة ، والعواطف النبيلة ، الى ما فيه من كرم الأرومة وشرف العشيرة •

أسلم الزبير بدعوة من أبي بكر الصديق وهو ابن اثنى عشر عاما ، فلقى من عمه أذى كثيراً وكان يعلقه في حصير ويدخن عليه ليرتد عن دينه ويعود الى الكفر ، فرفض ذلك وهو يقول : لا أرجع الى الكفر أبداً ، هذا فضلا عما كان يناله من المشركين من سب وأذى •

الزبير أول من سل سيفه في سبيل الله وذلك أنه شاع بمكة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذه الكفار فأقبل الزبير يشق الناس وبيده سيفه ، وكان النبي بأعلى مكة ، فلما رآه قال له : ما لك يا زبير ؟ قال : يا رسول الله أخبرت أنك أخذت فعند ذلك دعا له النبي صلى الله عليه وسلم ولسيفه•

لقد شهد الزبير المشاهد كلها مع رسول الله ، وكان الفارس المغوار ، يذب عن رسول الله ضربات الاعداء في المحن والازمات •

كان رضي الله عنه يوم بدر يقاتل ويبارز ويقارع وكان على فرسه على ميمنة الجيش ، وكانت على الزبير عمامة صفراء وتنويهاً بشأنه أنزل الله تبارك وتعالى الملائكة على صفة الزبير كما ورد في الخبر •

وفي موقعة أحد بعد أن خالف الرماة أمر رسول الله وتركوا مواضعهم هاجمهم خالد بن الوليد برجاله قبل اسلامه ، ودارت الدائرة على المسلمين وقتل كثير منهم وولى قسم منهم الأدبار ، ولكن نفراً من الابطال آثروا الموت على الفرار ، وباعوا أنفسهم لله والتفوا حول رسول الله يذبون عنه ويدفعون العدو كأبي بكر وعمر وعلي وطلحة وكان الزبير أحدهم وهو يصول ويجول غير هياب ولا وجل وصمد هو واخوانه حول رسول الله حتى ثاب المسلمون ورجعوا •

وبعد انصراف المشركين عن أحد ، خشي رسول الله أن يرجع

المشركون فقال لاصحابه : من ينتدب لهـؤلاء في آثـارهم حتى يعلموا أن بنا قوة ، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين من الاصـــحاب ، فخرجوا في آثار المشركين ، ولما سمع المشركون بتعقيبهم من قبل أصحاب رسول الله ، انصرفوا الى أماكنهم • وفي هذا نزل قول الله : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حســـبنا الله ونعم الوكيل • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضـــوان الله والله ذو فضل عظيم) •

وفي يوم الاحزاب قال رسول الله : من يأتينا بخبر القـوم ؟ فقـال الزبير : أنـا ، وكرر الرسول هذا الطلب ثلاث مرات متفرقـات ، فكان رجلها الزبير ، فأخذ يروح ويغدو على بني قريظة لينقـل أخبـارهم الى رسول الله ، فلما رجع اليه في الثالثة قال له الرسول الكريم : فـداك أبي وأمي ، ثم قال : لكل نبي حواري ، وحواري الزبير •

ولما دعا الرسول المسلمين لقتال الروم على حدود الشام في تبوك عقد الألوية والرايات ، فدفع لواءه الأعظم لأبي بكر الصديق ، ورايته العظمى الى الزبير بن العوام فكان الفارس الشجاع ، والمؤمن الصـادق الايمان ، والمجاهد الذي ما يضع سيفه في غمده حتى ترتفع كلمة الله •

وها هو الامام البخاري يحدثنا ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك: الا تشد فنشد معك، فقال: اني ان شددت كذبتم ، فقالوا : لا نفعل ، فحمل الزبير على الروم حتى شق صفوفهم وجـاوزهم وما معه أحد وهو يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، ثم رجـع مقبـلا ، فضرب ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر • وقد ذكر ولـده عروة أنه كان يدخل أصابعه في تلك الضربات للعب وهو صـغير ، وأخبر من رأى الزبير وفي صدره أمثال العيون من الطعن والرمي •

وعندما كان الجيش الاسلامي يقاتل في مصر بقيادة عمرو بن العاص طلب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب امداده بجيش لأن جيش العدو ينمو ويتكاثر ، فكتب اليه عمر : اني أمددتك بأربعة آلاف مقاتل ، على كل ألف رجل بمقام ألف ، وكان الزبير أحد القواد الاربعة ، وكان جيش المسلمين بجانب جبل المقطم ، وجيش الروم داخل حصن منيع وله خندق يسمى حصن بابليون ، فلما طال المقام وأبطأ الفتح ، وضع الزبير سلماً الى جانب الحصن وصعد عليه وأخبر القوم بأنه اذا كبر فليكبروا ، وأخذ يضرب في القوم ويدفعهم والمسلمون يرتقون السلم ليعينوه حتى أزال حامية الابواب وفتحها لاخوانه المجاهدين ، وفتح الحصن بعد أن مكثوا حوله سبعة أشهر .

وكما كان الزبير فارساً مغواراً ، ومجاهداً مجازفاً كان جواداً كريما ، ومحسناً عظيماً ، لقد باع داراً له ، بسبعمائة ألف درهم ، فقيل له يا أبا عبدالله غبنت ، فقال : كلا هي في سبيل الله ، وقسمها كلها على الفقراء والمحتاجين ، وكان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج فلا يدخل بيته من خراجهم شيء بل يتصدق به على ذوي الحاجات .

وقد قام بالوصاية على أولاد سبعة من أصحابه بعد وفاتهم فكان ينفق عليهم من ماله ويحفظ عليهم أموالهم .

لقد خرج الزبير رضوان الله عليه مطالباً بالاقتصاص من قتلة أمير المؤمنين الشهيد المظلوم عثمان بن عفان الذين تسللوا الى جيش علي بن أبي طالب ، وذلك تنفيذاً لحدود الله ، وقمعاً للفتن والفوضى التي يغذيها الشعوبيون والحاقدون على العرب والاسلام ، لايقاف الانطلاقة العربية التي استولت على ناصية بلادهم .

وعندما كان الجيشان يتقابلان في موقعة الجمل نادى علي بن أبي

طالب ابن عمته صفية الزبير بن العوام ، فأقبل الزبير الى علي حتى التقت أعناق دوابهما ، وعندئذ قال علي للزبير : أتذكر اذ كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الي وضحك وضحكت ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال رسول الله : ليس بمزه ولتقاتلنه وأنت له ظالم ، فتذكر الزبير ذلك فانصرف في الحال عن القتال ونزل بوادي السباع ليصلي •

ولما نظر ذلك دعاة الفتنة وقتلة عثمان بن عفان ومن تقمصوا الاسلام خديعة ، وعلموا أنه اذا تم الصلح والقت الحرب أوزارها سيقتص من قتلة عثمان ، فأرسلوا عمرو بن جرموز فقتل الزبير غدراً وهو مشغول بصلاته ، ثم جاء هذا المجرم بسيف الزبير الى علي بن أبي طالب واستأذن عليه فلم يؤذن له ، ثم قابل علياً وقدم اليه سيف الزبير فنظر علي الى ذلك السيف وقال : رحم الله الزبير لطالما فرج به الكرب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال علي : بشروا ابن جرموز بالنار فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : بشروا قاتل الزبير بالنار • وجلس علي هو وأصحابه يبكون الزبير •

وكان رضي الله عنه قد أوصى ولده عبدالله بقضاء دينه بعد موته قائلا : يا بني ان عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي ، فقال عبدالله : والله ما دريت ما عنى حتى قلت : يا أبت من مولاك ؟ قال : الله عز وجل ما وقعت في كربة من دَيْنَة الا قلت ، يا مولى الزبير اقض عنه فيقضيه •

فالزبير المثل الاعلى للمجاهد المناضل ، والخير الجواد الكريم ، المؤمن المبشر بالجنة ، جمعنا الله واياه في مستقر رحمته مع اخوانه المجاهدين الصابرين انه سميع مجيب •

طلحة بن عبيدالله التيمي

رضي الله عنه

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جيل اختارهم الله تعالى حراسا لشريعته ، ومناصرة رسالة نبيه ، وقد قذف تعالى في قلوبهم الاخلاص وقوة الايمان ، بشرح صدورهم للاسلام ، فتفانوا في العمل لنشره وحفظ أحكامه ، وضحوا من أجل ذلك بأرواحهم وأولادهم وأموالهم ، واذا غلبت أحدهم بشريته تذكر ربه واسرع الى الندم ، لذلك استحقوا من الله الثناء ، ومن الأمة المحبة والرضى ، لأنهم هم الذين تحملوا تبعات نشر الاسلام ورفع رايته ، والدفاع عن فضائله ، والتطوف به في الآفاق لذلك نزل الوحي بالرضى عنهم ، وبشرهم الرسول بجنة ربهم ، وانهم أمنة أمته ونجومها الذين يقتدى بهم .

لذلك قال الامام أبو زرعة العراقي شيخ الامام مسلم : اذا رأيت رجلا ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق ، وذلك لأن القرآن حق والرسول حق ، وما جاء به حق ، وما أدى الينا ذلك كله الا الصحابة فمن جرحهم انما أراد ابطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق ، والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق به .

ومن أولئك الذين رضي الله عنهم وبشرهم رسوله بالجنة ، طلحة بن عبيدالله التيمي أحد أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض ، ذاك الشجاع المغوار الذي يعاف الفرار ، ويثبت في مساقط الموت ، الجواد الذي هو أكرم من السحاب ، والذي استشهد في جمادى الآخرة من عام ٣٦ للهجرة .

نشأ طلحة بين أترابه كما ينشأ فتيان قريش ، وقد كان رجل أسفار بسبب تجارته ، وعندما حضر سوق بصرى رأى راهباً في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم هل فيهم أحد من الحرم يريد مكة ، فقال طلحة : نعم أنا ، قال الراهب : هل ظهر أحمد ؟ فقال طلحة : من أحمد ؟ قال الراهب : ابن عبدالله ، فرجع طلحة الى مكة ، وعندما سئل عما حدث أخبر بأن محمداً الأمين قد تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة ، فذهب طلحة الى أبي بكر وسأله ، وكان سنه بين حدود العشرين ، ولما سمع بذلك نوفل بن خويلد وكان شديد البطش ، أسرع الى قريبه طلحة وأبي بكر فشدهما بحبل ليمنعهما من الصلاة وليرجعا الى دينهما القديم ، ولكنهما قد تفلتا من هذا الرباط وانطلقا لما هما بسبيله .

كان طلحة رجلا اجتماعياً ، واسع الافق لاشتغاله بالتجارة وتقلبه في الاسفار واتصاله بالرجال .

لقد شهد طلحة المشاهد كلها مع رسول الله الا موقعة بدر اذ كان غائباً عنها حيث أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سعد بن زيد الى طريق الشام ليستطلعا الاخبار ، وقد عده الرسول ممن شهد بدراً وجعل له سهماً من غنائمها .

أما موقعة أحد فقد كان فارسها والمتفاني في الدفاع عن رسول الله ، فقد وقي النبي بنفسه ، واتقى عنه النبل حتى قطع أصبعه ، وشلت يده وأصيب ببضع وسبعين طعنة أو رمية أو ضربة ، وقطع منه عرق النساء .

وعن أبي سعيد الخدري : ان عتبة بن أبي الوقاص رمى رسول الله يوم أحد فكسر رباعيته وجرح شفته السفلى ، وان عبدالله بن شهاب الزهري شجه في جبهته ، وان ابن قيمة جرح وجنته ، فدخل حلقتان من حلق الدرع في وجنته ووقع رسول الله في حفرة من الحفر فرفعه طلحة

وحمله على ظهره وصعد به الصخرة ، وكلما أدركه أحد من المشـــركين قاتل دونه حتى أسنده الى الشعب ، فحينئذ قال رسول الله : أوجب طلحـة أي أوجب له الجنة .

ولقد كان أبو بكر الصديق اذا ذكرت موقعة أحد يقول : ذلك يوم كان كله لطلحة . وكان سيدنا رسول الله يقول : لقد رأيتني يوم أحـــد وما قربي أحد غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري .

ثم غلب طلحة النزيف فغشى عليه ، فأرسل رسول الله أبا بكر وأبـا عبيدة ليصلحا شأن طلحة ويضمدا جراحه ومسح رســـول الله بيده على جسده وقال اللهم اشفه وقوه فقام صحيحا ورجع يقاتل العدو .

واذا كانت البطولة تقاس بكثرة حضور المواقع والغزوات واجـــادة الطعان والنزال ، فانها تقاس أيضاً بالثبات حين يشتد الهول ويعظم الخطر وتحدق أسباب الموت ، ورب يوم رجح أياماً ، ولئن كان طلحة شـــهد المشاهد كلها عدا بدر فله من هذه الايام يوم مشهود هو يوم أحد .

لقد لقبه رسول الله يوم أحد بطلحة الخير ، وسماه في غزوة العسرة بطلحة الفياض ، ويوم حنين بطلحة الجود ، ودعاه بالصبيح المليح الفصيح، انها ألقاب وأوسمة تشرف طلحة وتزدهيه ، بعد أن خلعتها عليه من رسول الله بيض أياديه ، وقد صارت هذه الاوصاف سمات له في العصـــر الذي كانت تسوده الصراحة وقول الحق .

لقد كان طلحة من أجواد أصحاب رســـول الله ، بذل في سبيل الله بذل من لا يخاف الفقر ، وكان يعطي من غير مسألة .

ولقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماء في غزوة ذي قـــرد يسمى بيسان والذي سماه الرسول نعمان وقال : هو طيب ، ولما ســـمع طلحة ذلك اشترى ذلك الماء وتصدق به على المسلمين وعندئذ قال لـــــه

رسول الله : ما أنت يا طلحة الا فياض .

وقد باع أرضاً له بسبعمائة ألف درهم ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، وبات هو أرقا يتململ ، فقالت له زوجته أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق : ما لك ؟ قال : تفكرت منذ الليلة فقلت ما ظن رجل يبيت وهذا المال في بيته ، فقالت له : فأين أنت من بعض أخلائك ، فاذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه ، فقال لها : رحمك الله أنت موفقة بنت موفق . فلما أصبح دعا بجفان فقسمها بين المهاجرين والانصار . فقالت زوجته : أبا محمد أما كان لنا في هذا المال من نصيب ؟ قال : فأين كنت منذ اليوم ، فشأنك ما بقي ، قالت : فكانت صرة فيها ألف درهم .

ولقد كان طلحة من أكثر الناس براً بأهله وباقاربه ، وكان لا يدع أحداً من بني تيم عائلا الا كفاه مؤنته ومؤنة عياله ، وكان يخدم عائلهم ويقضي دين غارميهم .

لما استشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان بأيد مجرمة حاقدة خسيسة ، وبقي أولئك السفاكون يسرحون ويمرحون ، وهذا ما يشجع المجرمين على الاستهتار بالأنفس البريئة والتجاوز على حرمات الناس ، ولذلك توجه طلحة مع أخيه الزبير ومعهما أم المؤمنين عائشة الى البصرة والتي تجمع فيها أولئك القتلة المجرمون طالبين تنفيذ حكم الله في هؤلاء ، وعندما بدأت المفاوضات بين علي وطلحة واخوانه ، رأى هؤلاء المجرمون بأن الصلح قد بات وشيكا بين علي والمطالبين بدم خليفة رسول الله ، لذلك انتشروا بين جيش علي وحثوا الناس على استئناف القتال وسفك الدماء وجعل المسلمين بأسهم بينهم .

وعندما كان طلحة سائراً اذا بمجرم يوجه اليه سهمه فيصيبه بمقتل قضي عليه ، وعندما علم علي بمقتله تقدم اليه وجعل يمسح التراب عن

وجهه ويقول : عزيز عليَّ أبا محمد أن أراك مجندلا تحت نجوم السماء ، ثم أخذ يترحم عليه وقد غلبه البكاء • وقد سمع علي رجلا ينشد :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فقال علي : ذاك أبو محمد طلحة بن عبيدالله يرحمه الله •

وقد سئل علي عن طلحة فقال : ذاك نزل فيه آية من كتاب الله : (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) •

وقال علي رضي الله عنه : سمعت أذناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » • وقال : اني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم : (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) •

وقد سئل عبدالله بن عباس عن طلحة والزبير فقال : رحمة الله عليهما ، كانا والله مسلمين مؤمنين بارين تقيين خيرين فاضلين طاهرين ، والله غافر لهما للصحبة القديمة ، والعشرة الكريمة ، والافعال الجميلة ، فأعقب الله من يبغضهما بسوء الغفلة الى يوم الحشر •

لقد عاش طلحة حميداً ، ومات في شهر جمادى الآخرة شهيداً ، كيف لا وقد قال فيه رسول الله : من سره أن ينظر الى رجل يمشي على االارض قد قضى نحبه فلينظر الى طلحة بن عبيدالله •

فسلام عليك يا أبا محمد في الأولين والآخرين ، وجزاك الله عن رسوله وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، وحشرنا مع محبيك انه سميع مجيب •

أبو عبيدة

عامر بن الجراح الفهري

رضي الله عنه

عندما أعلنت البشائر بالعهد الجديد ، عهد بزوغ هلال الاسلام في ربوع مكة يحمل سناه محمد بن عبدالله ، قام على جوانبه أبطال وهداة قد آمنوا بتلك الرسالة وتفهموا معانيها •

ثم تولت المدرسة التي أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم تخريج ألوان من الرجال وألوان من العباقرة والابطال ، وألوان من التضحية وانكار الذات ، وألوان من الرحمة والايمان لم يعرفها التاريخ لغير مدرسة محمد وأصحاب محمد •

لقد آمن خريجوا هذه المدرسة بأن عليهم رسالة يجب أن يؤدوها للعالم هدى ونوراً ، وعلى العالم أن يستمع لتلك الرسالة وأن يدخل في نطاق النور ، وأن يستظل برايته ، لذلك اندفعوا متأثرين بتلك العقيدة فغيروا مجرى التاريخ ، وعلموا الدنيا بأن الايمان أكبر قوة دافعة منتصرة •

ومن خريجي هذه المدرسة المثالية ، العبد الزاهد ، المكافح الفاتح ، أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري ، أمين الله ، وأمين رسوله ، وأمين المؤمنين •

درج أبو عبيدة في طفولته كما درج أقرانه من أبناء قريش المترفين ، الا أنه ابتعد عن لهو قومه ، وعندما بلغ أشده اشتغل بالتجارة فرحل الى اليمن والشام •

ثم سمع الناس يتحدثون عن رجل يدعي أنه مرسل من السماء الى أهل الارض لينقذهم مما هم فيه من موبقات وخرافات وجرائم وظلم واستهتار •

وفي ذلك الوقت تولى أبو بكر الصديق التبشير بهذا الدين الجديد في صمت وخفاء ، وقد أخذ يتصل بأصدقائه وفي طليعتهم عثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، وفي الاخير اتصل بأبي عبيدة عامر بن الجراح ، لكنه استمهل أبا بكر لينظر في أمره ، وبعد تفكير أدرك فساد الحياة في الجزيرة ، وأنها في حاجة الى من يوجهها وجهة الخير •

ولما آب أبو بكر الى صديقه أبي عبيدة غداة اليوم التالي رأى في وجهه اشراق الايمان ونور العرفان ، فبادره بقوله : أجل ، فهيا بنا الى صاحبك ، وقد ابتهج رسول الله باسلام ابن الجراح ، وكان ثامن ثمانية أسلموا ، وجعلوا محور حياتهم الجهاد في سبيل العقيدة والتخلق بآدابها •

لقد صاحب ابن الجراح الرسول منذ اسلامه ولم يفارق ركابه ، وكان أمين الرسول وصفيه ونجيه •

لقد تولى تعذيب أبي عبيدة عبدالله وأذاقه ألوان العذاب بمعونة من آل فهر ، هذا فضلا عن قريش الذين ألبوا عليه الاحابيش والموالي ، وقد اضطروه الى الهجرة الى الحبشة ، ثم الهجرة الى المدينة المنورة بعد أن وصلها رسول الله •

لقد كان أبو عبيدة مثالياً في عقيدته ، فلم ينثن للاحداث ، ولم يبخل في الفداء ، حتى انه بارز أباه يوم بدر في سبيل إيمانه وقتله فداء لعقيدته ودفاعاً عن نبيه •

وفي يوم أحد كان أبو عبيدة من أبطال الملحمة ، وعندما أصيب رسول

الله في وجهه ، ودخلت في وجنتيه حلقتان من المغفر ، أخرجهما أبو عبيدة بثنيتيه فسقطتا حتى كان في الناس أثرم •

وقد شارك رسول الله في جميع غزواته ، وكان يوم فتح مكة قائد القلب في الجيش الاسلامي يحمل راية رسول الله •

لذلك نرى عمر بن الخطاب معجزة الاسلام وحامل لوائه والمطوف به في الآفاق ، نراه يقول لاصحابه يوماً : تمنوا ، فقال رجل : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله عز وجل ، فقال عمر : تمنوا ، فقال رجل : أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله عزوجل وأتصدق به ، ثم قال عمر : تمنوا فقالوا : وماندري ماتقول يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولكنني أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالا مثل أبي عبيدة ، فقالوا : ما ألوت الاسلام ، (أي ما نقصته) ، فقال عمر : ذاك الذي أردته •

هذا هو أبو عبيدة الذي يحدثنا عن مكانته لدى رسول الله أبو بكر الصديق حيث قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتحدث فسكتنا ، فظن اننا كنا في شيء كرهنا أن يسمعه ، فسكت ساعة لا يتكلم ثم قال : ما من أصحابي الا وقد كنت قائلا فيه لا بد الا أبا عبيدة •

قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ابعث لنا من يأخذ لك الحق ويعطينا ، فقال : والذي بعثني بالحق لأرسلن معكم القوي الأمين ، ورددها ثلاثاً ، ثم قال : قم يا أبا عبيدة • فلكل أمة أمين ، وأنت أمين هذه الأمة •

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة •

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال : ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها ، وأحسنها أخلاقاً ، وأشدها حياء ، ان حدثوك لم

يكذبوك ، وان حدثتهم لم يكذبوك ، أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وابو عبيدة ابن الجراح .

ولقد قاد أبو عبيدة الجيش الاسلامي في حرب الشام ، والتقى بجيوش ضخمة متفوقة في العدد والعدة ، فما نكست له راية ، ولا تحطم بيده لواء ، ولا هزم له جيش ، حتى لقب بالقائد الميمون الطلعة .

ثم انظروا الى هذا الذي استولى على خزائن الروم والى معاشه ، بحيث يقول فيه عمر بن الخطاب : كلنا غيرتنا الدنيا الا أبا عبيدة ، ويقول معاذ بن جبل في رثائه : قد فجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبداً أبر صدرا ، ولا أبعد من القائلة ، ولا أشد حباً للعامة ، ولا أنصح منه .

وروي عن عروة بن الزبير أنه قال : قدم عمر بن الخطاب الشام لفتح بيت المقدس ، فتلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الارض ، فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟ قال : أبو عبيدة ، قالوا : يأتيك ألآن ، فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وتعانقا ، ثم قال عمر للناس ، انصرفوا عنا فسار معه حتى أتى منزله ، فنزل عليه ، فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورحله ، فقال عمر : لو اتخذت متاعاً أو قال شيئاً ، فأجابه أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ، هذا يبلغني المقيل .

وقد أرسل اليه عمر بأربعة آلاف درهم وقال للرسول : أنظر ما يصنع ؟ فقسمها أبو عبيدة في جنده ولم يبق شيئاً لأهله .

قدمت وفود من العرب ليلتحقوا بالجيش الاسلامي الذي يحارب في جبهتي العراق والشام وطلبوا من أبي بكر الصديق أن يختار لهم أحد أمرائه ، فقال لهم : عليكم بالهين اللين ، الذي اذا ظلم لم يظلم ، واذا أسيء اليه غفر ، واذا قطع وصل ، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين ، عليكم بأبي عبيدة بن الجراح .

ولما أصيب بالطاعون عندما كان في الاردن دعا من حضره من المسلمين وقال : اني موصيكم بوصية ان قبلتموها لن تزالوا بخير ، أقيموا الصلاة ، وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا ، وحجوا ، واعتمروا ، وتواصوا ، وانصحوا لأمرائكم ، ولا تغشوا ، ولا تلهكم الدنيا ، فان إمرءاً لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير الى مصرعي هذا الذي ترون ، ان الله تعالى كتب الموت على بني آدم فهم ميتون ، فأكيسهم أطوعهم لربه ، وأعمل ليوم معاده ، والسلام عليكم ورحمة الله •

فرضي الله عنك يا أبا عبيدة وأرضاك ، على ما أسديت للاسلام من عزة وعلا ، سائلين المولى ان يحشرنا مع محبيك ، انه قريب مجيب •

سعد بن أبي وقاص الزهري

رضي الله عنه

ان كتب التاريخ التي بأيدينا قد دس فيها أعداء صدر الاسلام أكاذيب شوهوا بها سيرة الجيل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وغذاه بتعاليمه ، وأعده لنشر رسالته ، وآخى بين رجاله ، يريدون بهذا الدس افهام الناس فشل رسول الله في تربية أصحابه الذين حملوا أمانة الاسلام ، وأدخلوا الناس في نعمة الايمان ، يريدون افهام الناس بأن الرعيل الاول الذين سماهم رسول الله بخير القرون ، لا يستحقون الاجلال والاحترام والتكريم .

هؤلاء الشعوبيون الذين تقمصوا الاسلام ، وأبطنوا الكفر والنفاق والضلال ، قد أخذوا يرمون قادة العرب بأوساخهم وحقدهم ليلطخوا ماضي أمتنا الطاهر النقي ، ويطعنوا بكل من حمل السلاح في سبيل نصرة الاسلام ، ونشره بين الأنام ، ومضيفين القدسية لأناس لم يسهموا في فتح بلادهم ، وتحطيم مجوسيتهم ، وقتل قادتهم وأكاسرتهم .

ان الانسانية التي استجابت للدعوة التي حملها هذا الجيل من أصحاب رسول الله لم تر أنبل ولا أعدل في حكومته ، ولا أرحم في قيادته منهم ، وهذا العالم الاسلامي الذي نعيش فيه والذي تجاوز السبعمائة مليون هو حصيلة جهاد أصحاب رسول الله ، وثمرة اندفاعهم ، وتفهيم الناس فضائل وخصائص هذا الدين القويم .

ومن أولئك الغر الميامين الذين رباهم رسول الله وغذاهم بتعاليم دينه ، وصقل نفوسهم بالايمان محطم عرش الاكاسرة وبطل معركة القادسية ،

سعد بن أبي وقاص الزهري ، ذاك الذي كافح وناضل من أجل الحق ، وفي سبيل الله ونصرة دينه ، ووضع روحه على كفه ضحية رخيصة من أجل رفعة هذا الدين واعلاء كلمته ، فلم يتخلف عن معركة خاضها رسول الله •

لقد كان سعد ثالث رجل اعتنق الاسلام على يد أبي بكر الصديق ، ودله على محل رسول الله ، فمضى سعد حتى لقى رسول الله في شعب أجياد ، فقال سعد لرسول الله : إلام تدعو ؟ قال : تشهد الا اله الا الله واني رسوله ، فرددها سعد وعاد الى منزله مخلوقاً جديداً مسلماً موحداً لله ، بعيداً عن عبادة الأصنام ، وكان في السابعة عشرة من عمره ، وهنا يحدثنا سعد فيقول : رجعت وقلبي مفعم بالنور ، ونفسي مترع بالفرح ، وروحي ملآن بالايمان والحياة ، وأنا أحمد الله على أني من السابقين الأولين الى الايمان بالله ورسوله •

لقد كان سعد من أبر الناس بأمه ، وكان لا يخرج من إرادتها ورغبتها • وكانت من أكثر الناس تعلقاً بالأصنام ، ولما علمت باسلام ولدها أخذت تسدي اليه النصح ، وتحذره مغبة ما هو مقدم عليه ، ولا يصح أن يترك دين آبائه وأجداده ، ولكن أنالها أن تثنيه عما هو عليه بعد أن استولى الايمان على جميع جوارحه ، ولما وجدت أنه لا فائدة من ذلك قالت له : اني لن آكل وأشرب حتى تعود لدينك القديم فان لم تعد فسأظل كذلك حتى أموت وسيعيرك الناس ويقولون يا قاتل أمه ، وقد استمرت على ذلك ، فقال لها سعد : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا •

وفي أحد الأيام خرج سعد من رسول الله فتلقاه أبو جهل مع بعض أصحابه ، فقال لسعد : ما يقول صاحبكم بآلهتنا ، فقال له : يقول انها

أحجار صماء ، فقال أبو جهل : خسئتم ، فأجابه سعد : بل خسئتم أنتم ما هي الا الاحجار . ثم سأله عن الصلاة وأخذ يستهزيء بها ، وراح أحدهم يسب رسول الله ويشتمه ، فما كان من سعد الا أن هجم عليه وضربه بعظم بعير نشج وجهه ، الا أن الرجل رفع يده وضرب سعداً فشج أذنه ، فرجع سعد الى رسول الله وقص عليه ما وقع ، فقام رسول الله وضمد جرحه وقال له : في سبيل الله دمك يا سعد .

ولقد كان سعد يقول : ما أسلم أحد الا في اليوم الذي أسلمت فيه ، واني لثالث الاسلام ، واني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، وكنا نغزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا ورق الشجر ، حتى أن أحدنا يضع كما يضع البعير أو الشاة .

وقد كان لسعد بطولة فذة في غزوتي بدر وأحد ، وكان يرمي المشركين ، وكان الرسول الكريم يناوله السهام ويقول له : إرم فداك أبي وأمي ، وقد جمع له الرسول أبويه ولم يجمعهما الا لسعد . فقد وقف أمام رسول الله يوم أحد يمطر قريشاً بنباله حيث رماهم ألف سهم حتى فرغت منه ، فنثر رسول الله ما في كنانته وأخذ يناول سعداً وهو يقول : إرم فداك أبي وأمي ، وكان علي رضي الله عنه يقول : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدي أحداً بأبويه الا سعداً ، فاني سمعته يوم أحد يقول : إرم سعد فداك أبي وأمي .

ولقد كان سعد أحد الذين ذادوا عن رسول الله ساعة الهزيمة ودافعوا عنه .

وكان رسول الله اذا قدم عليه سعد وهو بين أصحابه حياه وداعبه قائلا : هذا خالي ، فليرني امرؤ خاله . اذ كان والد سعد ابن عم آمنة أم النبي .

لقد كان سعد مجاب الدعوة ، وذلك انه مرض يوما فعاده رسول الله

صلى الله عليه وسلم في مرضه وقد دعا له ، ومما قاله : اللهم أصلح قلبه وجسمه ، وأجب دعوته • وفي رواية أخرى : اللهم سدد سهمه ، وأجب دعوته ، وحببه الى عبادك •

وقد كان كثير من أصحاب رسول الله يتقون غضبه مخافة أو يدعو عليهم •

وروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص : أنه بينما كان الناس حول رسول الله اذ قال : يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فاذا بالذي طلع هو سعد بن أبي وقاص ، وكرر ذلك في اليوم الثاني والثالث ولم يطلع غير سعد ، فأحب عبدالله أن يعرف الافعال التي يقوم بها سعد مما دعا الرسول أن يجعله مبشراً بالجنة ثلاث مرات في أيام ثلاثة متواليات •

فقام عبدالله خلف سعد وتبعه وقال له : اني غاضبت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه المنزل ثلاث ليالي ، فأرجو أن تؤويني اليك حتى تنقضي الليالي الثلاث • وبات عبدالله عند سعد فوجده لم يزد على الصلوات المفروضة وسنتها ، ويفطر ولا يصوم غير أيام رمضان وذلك في الايام الثلاثة • فقال عبدالله لسعد : انه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث مرات في ثلاثة مجالس : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلعت أنت المرات الثلاث ، فأردت أن أنظر الى عملك فاقتدي بك لأنال ما نلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، ما الذي بلغ بك ما قاله رسول الله ، فقال سعد : ما هو الا الذي رأيت ، غير أني لا أجد سوءاً لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شراً ، ولا أقوله •

فقال عبدالله : هذه هي التي بلغت بك هذه المنزلة ، وهي التي لا أطيق أن أعملها •

لقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل ابن أبي وقاص من الذين وضعوا اللبنات الأولى في صرح الدولة الاسلامية ، فاذا هو فتى الاسلام ، ومحطم دولة الأكاسرة .

لما أراد أمير المؤمنين ومعجزة الاسلام سيدنا عمر بن الخطاب ارسال جيش الى العراق ، لانقاذه من براثن الكسروية والمجوسية جمع أهل الرأي من أصحاب رسول الله وسألهم رأيهم في قيادة الجيش ، وقر الرأي على اختيار سعد بن أبي وقاص ، لأنه كما قال عبدالرحمن بن عوف : الأسد في براثنه ، والذي كان يحمل راية المهاجرين عند فتح مكة بقيادة رسول الله .

اذن عمر للجيش بالتأهب والمسير ، ثم اجتمع بسعد وقال له : ياسعد ، سعد بن وهب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، والله ربهم وهم عباده ، ويتفاضلون العافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلىالله عليه وسلم منذ بعث الىأن فارقنا فألزمه فانه الأمر ، هذه عظتي اياك ، ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ثم خرج سعد على رأس جيش قوامه أربعة آلاف مقاتل ، وفي رواية ستة آلاف ، وخرج عمر في توديع الجيش الى أن بعد أميالا من المدينة ، ووقف في الجيش خطيباً ، ومما قاله أن يجعلوا الله نصب أعينهم ، وأن يعدلوا ولا يظلموا أحداً ليرحمهم الله .

سار سعد والجيوش تتلاحق به امداداً من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى وصل الى القادسية ، فجابهه جيش عظيم من الفرس قوامه

مائة وعشرون ألفاً ، ومعهم مثلهم من أتباعهم بكامل عدتهم وفيلتهم ، وكان جيش سعد يقرب من أربعين ألفاً ٠

ثم وقف سعد بين صفوف جيشه خطيباً ، ومما قاله : ان الله هو الحق لا شريك له في الملك ، وليس لقوله خلف ، قال جل شأنه (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ، هذا ميراثكم وموعود ربكم ، وقد جاءكم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة ، فازهدوا في الدنيا وارغبوا في الآخرة ٠

ثم أمر سعد القراء أن يقرأوا على الجند سورة القتال ، وبعد أن صلوا الظهر كبر سعد وكبر الجند والتحم الجيشان ، واستمر القتال الى أن انتصر الجيش الاسلامي على الفرس ، ولما بشر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالنصر قال : أولئك أبطال العرب ٠ وعندما وضعوا خمس الغنائم بين يديه قال : ان أقواماً أدوا هذا لذووا أمانة ٠ فسمعه علي بن أبي طالب فقال : انك عففت فعفت الرعية ، والناس على دين ملوكهم كما يقولون ٠

ولما احتل الجيش المدائن دخل سعد القصر فتلا قول الله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأرثناها قوماً آخرين) ثم صلى صلاة الفتح ٠

ومن ذلك اليوم حقد أحفاد الفرس على العرب ، وعقدوا الاجتماعات والمؤتمرات لوقف انطلاق العرب ونشر الاسلام والعدالة الاجتماعية بين المجموعة البشرية ، ثم أخذوا يحبرون الكتب والرسائل للطعن بقادة العرب وزعمائهم ، وخلقوا الاعذار لتكفير كل من حمل السلاح لنصرة الاسلام وتركيز قواعده ، وكل من شارك في القضاء على كسروية ومجوسية أجدادهم ٠

لقد بنى سعد الكوفة وبنى مسجدها واتخذها مقراً للامارة ، فسكنها خليط من البشر وقد ذاق منهم الأمرين .

فقد تقدم هؤلاء الخلطاء بشكايتهم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعد التحقيق في أمرها علم أنهم مفترون حاقدون ظالمون .

ثم تقدموا بشكاية أخرى لعمر رضي الله عنه قالوا فيها : ان سعداً يظلم ولا يعدل ، ويقسو ولا يرحم ، ويجبن ولا يسير في حرب ، ثم هو لا يحسن أن يصلي . فأرسل عمر محمد بن مسلمة الى الكوفة للتحقيق ، ولما دخل محمد الكوفة زار أحياءها ، حياً حياً ، فكان لا يقف على حي أو مسجد ويسأل فيه عن سعد الا قالوا : لا نعلم الا خيراً ولا نشتهي به بديلا ، ولا نقول فيه ولا نعين عليه ، حتى انتهى الى بني عبس فافترى عليه أحدهم ، فدعى عليه سعد فطال عمره وساء عمله .

عجيب أمر هؤلاء المفترين الذين مردوا على النفاق ، فسعد جبان ، سعد بطل غزوات الرسول والقادسية والمدائن والقاضي على الامبراطورية الفارسية جبان يا أيها الجبناء .

ثم سعد لا يحسن الصلاة وهو الذي لازم رسول الله منذ أول دعوته وهو ثالث المؤمنين برسالته ولم يتخلف عن الاقتداء برسول الله في الصلوات كلها ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا .

ثم انظروا موقفه من الفتنة التي أحدثها الطامعون والحاسدون والشعوبيون والمغفلون على الشهيد المظلوم عثمان بن عفان ، فلقد وقف سعد يذب عن الخليفة الثائرين المدفوعين بدسائس الموتورين . وقد علم بأن عمار بن ياسر خرج الى مصر ليؤلب أهلها على عثمان ، وعندما رجع أرسل اليه سعد وقال : ويحك يا أبا اليقظان ان كنت فينا لمن أهل الخير ، فما الذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين ، والتأليب على أمير المؤمنين ،

أمعك عقلك أم لا ، فغضب عمار ونزع عمامته من رأسه وقال : خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه ، فقال سعد : انا لله وانا اليه راجعون ، ويحك حين كبرت سنك ، ورق عظمك ونفذ عمرك ، خلعت ربقة الاسلام من عنقك ، وخرجت من الدين عرياناً • فقام عمار مغضباً وهو يقول : أعوذ بربي من فتنة سعد ، فقال سعد : الا في الفتنة سقطوا ، اللهم زد عثمان بعفوه وحلمه عندك درجات ، ثم بكى سعد حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحق مع عمار ما لم تغلب وَلِيهَةُ الكبر فقد وله وخرف •

كان لهذه الفتنة وقع أليم في نفس سعد ملأت قلبه حزناً وشجاً ولم يتمالك نفسه فبكى ، بكى لدماء المسلمين التي أريقت ولتفرق كلمة المسلمين ، وقد أخبر سعد بأنه لم يبك الا ثلاث مرات فيقول : ما بكيت من الدهر الا يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم قتل عثمان ، وأنا اليوم أبكي على الحق ، فعلى الحق السلام •

لقد كان سعد شديد الثقة برضاء الله عنه ، فقد كان يحتضر وهو في حجر ابنه مصعب فبكى ابنه ، فرفع سعد رأسه اليه وقال : أي بني ما يبكيك ، قال : لمكانك وما أرى بك ، فقال له : لا تبك ، فان الله لا يعذبني أبداً ، واني من أهل الجنة ، ثم طلب الجبة الصوف التي قاتل فيها يوم بدر ، وقال لأهله : كفنوني بها ، فاني قاتلت فيها يوم بدر وانما خبأتها لهذا •

ولما توفى رضي الله عنه حزنت عليه زوجات رسول الله ، وطلبن أن يصلين عليه قبل دفنه ، وهكذا كان ، وهو آخر من توفى من أصحاب رسول الله المهاجرين •

فرضي الله عنك يا سعد على ما قدمت للاسلام من خدمات وتضحيات، وحشرنا مع محبيك انه سميع مجيب •

عبدالرحمن بن عوف الزهري

رضي الله عنه

لقد كان الرعيل الاول من هذه الامة خلاصة الانسانية الكريمة التي فضلها الله تبارك وتعالى على كثير من مخلوقاته ، لقد كانت سيرتهم نماذج للانسان الكامل ، والملك بصورة بشر . لقد باعوا لله أنفسهم وكل ما يملكون ، فآواهم وأيدهم بنصره ، ورزقهم من الطيبات ، وجعلهم في طليعة الفائزين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) .

لقد كان أولئك الخيرة البررة لا يسترشدون الا بتعاليم القرآن ، ولا ينحرفون عن هدى الاسلام ، كانوا يتسابقون الى معامع الوغى لينالوا فضيلة الاستشهاد ، هم ملائكة البشر لقوة ايمانهم ، وشدة عزمهم ، فكل فرد منهم بأمة ، والأمة منهم بعالم مجموع .

لقد كان من أفذاذ ملائكة البشر واعلام الفداء والبذل ، المبتعد عن الأمر والامارة ، سيدنا أبو محمد عبدالرحمن بن عوف الزهري ، أحد العشرة المبشرة بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ، وأحد أصحاب الشورى الذين مات رسول الله وهو عنهم راض .

لقد علمت قريش باسلام عبدالرحمن فناصبته العداء وتفننت في ايذائه لعله يرجع عن دينه ، الا أنه ثبت على عقيدته مستسهلا في سبيلها جميع الصعاب ، ثم أذن له الرسول الكريم بالهجرة فكان من الذين هاجروا الهجرتين ، وقد ترك ماله وأهله فاراً بدينه غير متردد في مصير أمواله الكثيرة التي خلفها وراءه .

وعندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار ، فكان أن آخى بين عبدالرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع ، فما كان من سعد الا أن تقدم لأخيه عبدالرحمن بنصف ماله ، كما تقدم اليه بأن يتخلى عن بعض زوجاته ليتزوجها ، فشكره على هذه الأخوة الصادقة وهذا الكرم المفرط ، الا أنه طلب منه أن يدله على السوق الذي تعود أن يصول فيه ويجول ، فدخله وأخذ يبيع ويشتري ويستورد ويصدر حتى أثرى وأصبح من أغنياء المسلمين ، ولكن عبدالرحن الذي ضحى بماله في سبيل الله قد واصل جهاده ، فأنفق عن سعة معظم ماله في تحرير الارقاء ، ولم يضن به على أحد ، فماله مال المسلمين ما داموا في حاجة اليه .

لقد كان طلحة بن عبيدالله يحدث بأن أهل المدينة عيال على عبدالرحمن بن عوف ، ثلث يقرضهم وثلث يقضي دينهم ، ويصل ثلثاً .

لقد قدمت له راحلة تحمل البر والدقيق والطعام ، فلما دخلت المدينة سمع لأهلها رجة فاستفسرت أم المؤمنين عائشة عن تلك الضجة ، فقيل لها ان راحلة قدمت لعبدالرحمن بن عوف فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عبدالرحمن لا يدخل الجنة الا حبواً ، فلما بلغه ذلك ذهب الى عائشة وقال لها : يا أمه اني أشهدك أنها بأحمالها وأحلاسها في سبيل الله .

وباع أرضاً لعثمان بن عفان بأربعين ألف دينار ، فأخذ يقسمها على نساء رسول الله وفقراء بني زهرة والمهاجرين ، وعندما قدم لأم المؤمنين عائشة نصيبها قالت : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحنو عليكن الا الصابرون ، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة ، وقد أوصى لهن بحديقة قومت بأربعمائة ألف درهم .

لقد ساهم رضي الله عنه في اعداد الجيوش الاسلامية وتجهيزها .

فقد أعطى خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل خمسمائة راحلة في سبيل الله ، وتصدق بأربعة آلاف دينار . وقد عظم هذا الانفاق على المنافقين فقالوا : ان عبدالرحمن لعظيم الرياء ، فنزل قول الله : (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجدون جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) .

وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى لكل من بقي ممن شهد بدراً بأربعمائة دينار ، حتى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذ نصيبه من الوصية رغم ثرائه وقال : انمال عبدالرحمن حلال صفو ، وان الطعمة منه عافية وبركة .

كان عبدالرحمن محظوظاً في التجارة الى حد أثار عجبه ودهشه ، فقال : لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته فضة وذهباً ، وان ربحه هذا كله لم يكن له وحده بل كان لله نصيب أوفى ، يصل به أهله واخوانه ويجهز به جيوش الاسلام .

هذا عبدالرحمن الجواد السخاء لم يترك جهاداً الا وساهم فيه ، فقد جاهد مع رسول الله في بدر جهاد الابطال ، كما جاهد وقاتل وثبت في موقعة أحد ، وقد أصيب في تلك الموقعة باحدى وعشرين جراحة بعضها في رجله فعرج ، كما سقطت ثناياه .

وحسب عبدالرحمن مكانة ومنزلة أن يقول فيه رسول الله : عبدالرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الارض .

ولعبدالرحمن أن يزدهي حيث أم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي لما كان بتبوك ذهب مرة لقضاء حاجته ، فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس فقدموا عبدالرحمن بن عوف فصلى بهم ، فلما فرغ رسول الله من حاجته وانتهى الى عبدالرحمن وقد ركع بالناس ركعة ، فاراد

عبدالرحمن أن يتأخر فأومأ اليه رسول الله أن مكانك ، وصلى رسول الله خلفه ركعة ولما انتهى قام عليه الصلاة والسلام للركعة الباقية ، ثم سلم بعد فراغه منها وقال : أحسنتم انه لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته .

لقد أجاز له رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الحرير لمرض جلدي يشكو منه . وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل عبدالرحمن ومعه ابنه أبو سلمة وعليه قميص من حرير ، فقال عمر : ما هذا ؟ ثم أدخل يده في جيب القميص فشقه الى أسفله ، فقال له عبدالرحمن : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحله لي ، فقال عمر : انما أحله لك لأنك شكوت اليه من حكة فأما لغيرك فلا ، فخضع لقول عمر ولم يغضب .

لقد كان عبدالرحمن بن عوف نسيجاً وحده ، كان انساناً عجيباً يقهر طبائع البشر ، ويتخطاها الى سمو فريد . ولنعطر هذه الكلمة بنبذة من تلك الاخلاق لتكون عظة وعبرة لهؤلاء الذين يتقاتلون على المناصب والامارات بدون كفاءات تؤهلهم لذلك .

عندما نفذ أعداء الاسلام والعرب من الفرس واليهود مؤامرتهم في اغتيال بطل الاسلام وحامي حماه عمر بن الخطاب صمم على اختيار ستة من أصحاب رسول الله مات وهو عنهم راض ، وبشر كل واحد منهم بالجنة ليختاروا من بينهم الخليفة الجديد . وقد كانت جميع الاصابع تومىء نحو عبدالرحمن بن عوف وتشير ، ولقد فاتحه بعض الاصحاب في أنه هو أحق الستة بالخلافة ، فقال : والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي ثم ينفذ بها الى الجانب الآخر أحب الي من ذلك . وفي أول جلسة عقدها الاعضاء الستة أعلن ابن عوف تنازله عن حقه وأبقاه في الخمسة .

وحدثوا ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اشتكى رعافا فقال لكاتبه اكتب لعبدالرحمن العهد من بعدي ، فكتب له وانطلق به الى عبدالرحمن وقال له : البشرى ، فقال عبدالرحمن : وما ذاك ؟ قال : ان عثمان قد كتب لك من بعده ، فقام عبدالرحمن حتى وقف بين قبر رسول الله ومنبره وأخذ يدعو ويقول : اللهم ان كان عثمان يريد تولية هذا الأمر إياي فأمتني قبله ، فلم يمكث الا ستة أشهر حتى قبضه الله •

لما مرض رضي الله عنه غشي عليه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه ، ثم أفاق وهو يكبر وقال لمن حضره : غشي علي آنفاً ، قالوا : نعم ، قال : صدقتم ، انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة فقالا : انطلق نحكمك الى العزيز الأمين ، فانطلقا بي حتى لقيا رجلا فقال الرجل : أين تذهبا بهذا ؟ قالا : نحاكمه الى العزيز الأمين ، فقال : ارجعا فانه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة في بطون أمهاتهم ، وانه سيتمتع به بنوه الى ما شاء الله ، فعاش بعد ذلك شهراً •

وبينما كانت روحه تتهيأ للقاء ربها كانت عيناه تفيضان من الدمع ، ولسانه يتمتم ويقول : اني أخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال • كل هذا الخوف مع سماعه رسول الله يقول : عبدالرحمن في الجنة •

لقد كان ابن عوف قلعة من قلاع الاسلام ، خففت عن الناس بؤسهم وفقرهم ، فكان سماء تعج بالنور والتقوى والخلق المطهر الكريم •

فرضي الله عنك يا ابن عوف وأرضاك ، وحشرنا في زمرة محبيك ، انه سميع مجيب •

سعيد بن زيد العدوي

رضي الله عنه

كلما قرأ المرء تاريخ الرعيل الاول من هذه الامة الكريمة ، وما ظهر على أيدي أبنائها من خوارق في سبيل نشر الاسلام ورفع ألويته والتطوف به في أرجاء هذه المعمورة على بعد الشقة وضعف الوسائل وفقر الأيدي وكلما قرأ المرء ذلك أخذته النشوة ، وامتلأت جوانحه فخرا واعتزازا ، وفاض قلبه سرورا وحبورا ، وحمد الله على انتسابه لهذه الزمرة المجاهدة المؤمنة المتفانية في سبيل عقيدتها ودينها ٠

ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما العشرة المبشرة بالجنة الذين لازموا رسول الله في حله وترحاله ، في حربه وسلمه ، وتمتعوا بجميل صحبته ، وحملوا معه أعظم رسالات الله ، فقد كانوا أصدق أعوانه على تبليغها في حياته وبعد مماته ٠

فهؤلاء من الاصحاب كانوا شموساً طلعت في سماء الانسانية مرة واحدة ، وهيهات أن ترى الانسانية مثيلا لها ، كانت هذه الشموس تتفاوت أقدارها ، وتتباين في أنواع فضائلها ، الا أنها كلها كانت من الفضائل في مرتقى درجاتها ، تلك نفوس باعوها لله فأعزها ، وتلك أرواح بذلوها فأعلا الله منارها ، وجعلها مثلا للانسان الكامل ، والمؤمن الصادق الذي تمت على يده المعجزات ٠

يجب على الأمة أن تتدارس سيرة أصحاب رسول الله ، لأنها المنار الذي يضيء لها الطريق ، ويأخذ بيدها الى ساحل السلامة والعزة والسعادة ٠

لقد أهملت الأمة نشر سيرة هؤلاء القادة الأماثل ، وتمييز الاصيل من الدخيل في سيرتهم ، ذاك الذي اخترعه اخوان أبي لؤلؤة والهرمزان من التهم البشعة والفعال المرذولة ، يبغون من ورائها التشفي ممن فلوا عروشهم واستولوا على ملكهم ، وأذلوا عظماءهم ، وقد ساعدتهم الظروف في القرون الأولى فاستولوا على التاريخ فسجلوا وقائعه حسب أهوائهم وحقدهم وكيدهم ، لقد دون التاريخ الاسلامي في فترة كان الاعاجم هم أهل الحل والعقد في الدولة الاسلامية وأبعدوا غيرهم عن الحكم والمناصب، فقد اخترعوا المثالب والصقوها بقادة العرب وخلفائهم وعلمائهم ومحدثيهم ، وهكذا تلقينا تاريخ أمتنا بأقلام أعدائنا ممن تقمصوا ثوب الاسلام على أجساد تحمل المعاول لهدمه وتشويه تعاليمه ، وتكفير حملته ، ولا يزال لأولئك المجرمين أبناء وحفدة يتلقطون تلك الاخبار المكذوبة ويظيفون اليها من مخيلتهم الحاقدة ثم ينشرونها على الناس في بلاد تفخر من أنها من سلالة أولئك القادة الفاتحين .

وان من أولئك المجاهدين السابقين الاولين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي .

لقد كان سعيد من أوائل الصحابة استجابة للاسلام هو وزوجته فاطمة بنت الخطاب ، وهو الذي دل ابن عمه عمر بن الخطاب على الاسلام ، وكان له أجر اسلام هذا البطل الذي أعز الله به الاسلام ، وذلك ان قريشاً اجتمعت للتشاور في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ثم قالوا : أي رجل يقتل محمداً ، فقال عمر بن الخطاب أنا لها ، فخرج متوشحاً سيفه يريد رسول الله ، فلقيه نعيم بن عبدالله النحام وجرى بينهما حوار دله على أن ختنه وابن عمه قد أسلم ، فجاء عمر بيت ابن عمه سعيد بن زيد واخته فاطمة وسمعهم يقرأون القرآن ولكنهم أخفوا الصحائف ، ثم وثب عمر على ابن عمه سعيد بن زيد وضرب به الارض ثم جلس على صدره ،

فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فضربها بيده فأدمى وجههـا ، فقالت وهي غضبى : يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله ، فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر سعيد ، ثم قال : أعطوني هذه الصحيفة التي عندكم فأقرؤهـا ، وبعد أخذ ورد سلموها اليه وكان فيها طه وسور أخرى ، فلما قرأ ما فيها عظمت في صدره وهزت كيانه ، وملكت عقله وقلبه ووجدانـه ، وقـال عندئذ : من هذا فرت قريش ، ثم قال : دلوني على محمد ، وكـان من اسلام عمر ما كان .

فسعيد هذا هو الذي دل عمر على الاسلام الذي كان رسـول الله يتشوف الى اسلامه ، لأنه يعلم بأن الاسلام سيعز به ، ويعلو مناره ، ويرتفع صوته ، وتنتشر تعاليمه ، وسيدفع بالعرب الى هذه الدنيا فيجوبون أمصارها وقفارها ، وسيشيدون دولة لا تغيب الشمس عنها .

لقد شهد سعيد المشاهد كلها مع رسول الله غير موقعة بدر اذ أرسله الرسول مع طلحة بن عبيدالله الى طريق الشام ليستطلعا الاخبار ، ثم رجعا الى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر وقد ضرب لهما رسـول الله بسهمهما وأجرهما .

ولقد امتد بسعيد الأجل حتى شهد حصار دمشق وفتحها ، فولاه عليها أبو عبيدة عامر بن الجراح القائد العام لحملة سورية ، فهو أول من تولى أعمال نيابة دمشق في هذه الأمة ، الا انه لم يعجبه التخلف عن الجهـاد ومشاركة المسلمين في المعارك ، فكتب لأبي عبيدة وكان على رأس الجيش في الأردن : سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أمـا بعد ، فاني ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يـدنيني من مرضاة ربي ، فاذا أتاك كتابي هذا فابعث الى عملك من هو أرغب اليـه مني ، فاني قادم عليك وشيكا ان شاء الله تعالى والسلام عليك .

ولقد كان لسعيد أرض تجاور أرض أروى بنت أويس وقد استعدت مروان بن الحكم عليه وادعت أنه ظلمها أرضها وغلبها حقها ، وكان جارها بالعقيق ، فقال مروان : لا أسألك بينة بعدها ، الا أن سعيداً قال : تروني ظلمتها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شبراً من الارض بغير حقه يطوقه الله يوم القيامة في سبع أرضين ، فوالله لقد ألقيت لها ستمائة ذراع من أرضي فلتأت فلتأخذ ما كان لها من الحق ، ثم قال : اللهم ان كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها وتجعل ميتتها فيها ، فلم تمكث الا قليلا حتى عميت وكانت تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيد ، وكانت تقوم بالليل ومعها جارية لها تقودها لتوقظ العمال ، فقامت ليلة وتركت الجارية فلم توقظها ، فخرجت تمشي حتى سقطت في البئر ، فأصبحت ميتة ، وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض ويقولون : أعماك الله كما أعمى أروى .

فسعيد هذا واخوانه هم خير أهل الارض ، لانهم يهدون بالحق وبه يعدلون ، لا يبالون ما يصيبهم ولا ما يصيبون .

فرضي الله عنك يا ابن زيد وأرضاك ، وحشرنا الله مع محبيك ، وأبعدنا عن شانئيك انه سميع مجيب .

خالد بن الوليد المخزومي

رضي الله عنه

كثير من الناس عاشوا وماتوا وكأنهم لم يخلقوا ، ومن الناس من اقتصرت مكانتهم ومنزلتهم طوال حياتهم ، ولما ماتوا اندثروا ولم يذكروا ، ومن الناس من تكون حياتهم عزاً لأمتهم ، وقدوة لقادتهم وزعمائهم ومناراً لشبابهم وشيبهم ، وعظة لاجيالهم ، ومفخرة في تاريخهم .

ومن أولئك الاماثل الاوائل ، البطل الفذ العبقري ، الذي أنجبته جزيرة العرب ، سيف الله المسلول ، وسيف رسول الله ، وسيف الاسلام خالد بن الوليد ، ذاك الذي خاض خمس عشرة موقعة حربية في العراق ، وجندل خمسة عشر قائداً من قواد الفرس قبل موقعة القادسية .

كان خالد بطلا من أبطال العرب في جاهليته ، وفتى من فتيان مكة ، وفارساً من فرسان قريش ، وقائداً عالمياً من قواد الحروب .

كان مفخرة من مفاخر العرب والاسلام ، ورجلا من رجالات التاريخ الافذاذ الذين لم يعرف الهزيمة قط ، ذاك الذي قضي على الردة ، وأذل الاعداء ، ودوخ الكفار ، واقتحم على كسرى عرينه ، وحطم على قيصر عرشه وصولجانه .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوف الى اسلام خالد ، حتى قال لأخيه الوليد بن الوليد : ما مثل خالد يجهل الاسلام ، ولو جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقد مناه على غيره .

ولما حلت عناية الله على خالد توجه الى المدينة قاصداً رسول الله ،

ولما أبصر به الرسول الكريم أخذ يبتسم له حتى وقف على رأسه ، وعند اعلانه اسلامه قال رسول الله : الحمد لله الذي هداك ، فقد كنت أرى لك عقلا رجوت الا يسلمك الا الى الخير .

لقد كان اسلام خالد حادثاً جللا عند قريش ، وطامة كبرى نزلت على رؤوس قادتهم ، اذ كان عونهم في الملمات ، ونصيرهم في الأزمات ، لانه الطود الذي لا تزعزعه الحوادث ، ولا ترهبه الشدائد .

وقد أراد رسول الله استعراض أصحابه فنزل يوماً منزلا ، وجعل الناس يمرون من أمامه وهو يسأل عن كل واحد منهم ، حتى مر خالد بن الوليد فقال رسول الله : نعم عبدالله ، هذا سيف من سيوف الله .

وقد أسند اليه رسول الله احدى القيادات عند فتحه لمكة وتحطيم الاصنام ، وأخذ يبعثه في قيادة السرايا الى مختلف جهات الجزيرة ، وكان النصر معقوداً على ناصيته .

وكان أول موقعة يقف فيها الاسلام أمام أعظم دولة في ذلك التاريخ الا وهي دولة الرومان ، وكانت ارهاصاً لكبريات الاحداث التي خاضها القائد العبقري خالد ، تلك هي غزوة مؤتة ، فبعد أن استشهد القواد الثلاثة الذين عينهم رسول الله حمل الراية خالد بن الوليد وهجم بمن معه على جيش الروم ، وأنقذ الجيش العربي من براثن الهلاك .

وبعد أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد فريق من العرب أما بنكرانهم فريضة الزكاة أو باتباعهم أحد المتنبئين كمسيلمة وطليحة والعنسي وسجاح .

فقر رأي خليفة رسول الله أبي بكر الصديق على ارسال جيش لتأديب هؤلاء وارجاعهم الى حضيرة الاسلام فعقد لواء لسيف الاسلام خالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد الأسدي ، واذا فرغ منه سار

الى مالك بن نويرة ، وبعد أن ينتهي يتوجه الى اليمامة لقتال مسيلمه الكذاب .

لقد كانت حروب الردة من أقسى ما امتحن به المسلمون في الجهاد في سبيل الدفاع عن دين الله وعدم تعطيل تعاليمه . لقد جرت معارك قاسية ، وفي اليمامة انكشف المسلمون وتراجعوا ، فنادى خالد في الناس : يا محمداه وهو شعار الجهاد والفداء ، فتراجع المسلمون وصدقوا جهادهم ، وانجلت المعركة بالنصر وهزيمة بني حنيفة وقتل مسيلمة .

وبعد أن خضعت الجزيرة العربية كلها لرسالة الاسلام دعا خليفة رسول الله وأمينه على أمته أبو بكر الصديق خالداً وقال له : ياخالد لقد استخرت الله ووجهتك الى العراق ، فأنت السيف الذي لن يفل أبداً ، وسيفتح الله على يديك الكثير من مواطن الاسلام ، فسر لفتح العراق من طرفيه في وقت واحد ليرى الفرس من هم العرب ، وكيف ينظرون اليهم بعين السخرية والازدراء ، وليعلم كسرى كيف يمزق كتاب رسول الله حينما أتته الدعوة ، وكيف يبعث من يأتيه بالنبي في الاصفاد .

سار خالد على رأس الجيش وكتب الى هرمز قائد الجيش الجيش الفارسي : لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

التقى الجيشان وبدأت المعركة وهجم خالد على هرمز قائد الجيش الفارسي وأرداه صريعاً ، وعندئذ انهزم الجيش الفارسي وتعقبه العرب . وقد دخل خالد خمسة عشر معركة مع الفرس كان النصر حليفه .

لقد كان سيف خالد هو النذير بذوبان عرش كسرى وتحطيم الدولة المجوسية الى الأبد .

وتتابعت الانتصارات ، وفتحت المدن والقرى ، وصرع قادة الفرس وأبطالهم . وقد قال أبو بكر الصديق عندما بلغ بهذه الانتصارات : يا معشر قريش ، عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله (لحمه المقطع) أعقمت النساء أن تلدن مثل خالد ، اللهم ارع ابن الوليد واحفظه فانه

الأسد الوثاب والليث الكاسر الغلاب .

لقد أصبح خالد القدر الذي يخافه الفرس ، والقضاء الذي يرهبونه، والشبح الذي يطاردهم في اليقظة والنوم .

لقد أسر خالد أحد قادة الفرس واسمه (جرجير) فلما التقى به قال لخالد : أسألك بالله هل أنزل الله عليك سيفاً لا تقاتل به أحداً الا هزمته ، فقال خالد : لا والله لم ينزل الله عليّ سيفاً ولكن ليس في رجالي أحد الا ويريد أن يموت قبل صاحبه ، وما في رجالك أحد الا ويريد أن يموت صاحبه قبله .

ثم طلب أبو بكر الصديق من خالد التوجه الى سورية لاغاثة اخوانه هناك بعد أن جمع الروم أعظم جيش لمقاتلة العرب ، وعندئذ قال أبو بكر كلمته الخالدة : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد .

توجه خالد الى سورية ، وأخذ يوغل في الصحراء ، ويطوي الزمن ، ويسلك المهامه ، حتى وصل حدود سورية ، وأخذ يغير على المدن والقرى التي في طريقه ليصل الى اليرموك التي جمع فيها الروم مأتين وخمسين ألفاً ، ليتولى خالد قيادة جيش قوامه أقل من أربعين ألفاً .

صاول خالد الروم في اليرموك وضربهم ضربات أفقدتهم رشدهم وتوازنهم وألحق بهم الهزيمة وعندئذ ارتحل ملكهم هرقل والدموع تجول في محاجره وهو يقول : سلام عليك يا سورية سلاما لا لقاء بعده .

وأثناء هذه المعارك فقد خالد قلنسوته فقال : أطلبوها ، فلم يجدوها ، ولم يزل يطلبها حتى وجدها ، فسئل عن اهتمامه بتلك القلنسوة فقال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فحلق شعره ، فاستبق الناس الى شعره فسبقت الى الناصية فأخذتها ، فاتخذت قلنسوة فجعلتها في مقدم القلنسوة ، فما وجهته في وجه الا فتح الله له .

وبينما كان القتال مستمراً بين المسلمين والروم جاء الرسول ناعياً خليفة رسول الله أبا بكر الصديق واستخلاف عمر بن الخطاب ، واسناد قيادة الجيش السوري لأمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وعندئذ التفت خالد الى أبي عبيدة قائلا : مرني يا أميري ، فأنت قائد العرب ، ثم انخرط في الجيش كجندي بنفس راضية ، مليئة بالايمان ، فياضة بالتضحية ، باذلة كل شيء في سبيل الله .

مرض خالد واشتدت علته ، ولما حضرته الوفاة بكي وقال : لقد لقيت كذا كذا زحفاً ، وما في جسدي شبر الا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

ان سيرة خالد كتاب من أسلوب الاسلام ومنطقه في تربية الرجال ، يجب أن تتدارسه الأمة في شتى أقطارها في هذا العصر الذي لا يعرف لغير القوة معنى في هذه الحياة .

إيمان يذهب بخالد في التضحية والايثار مذهباً لا تعرفه الحياة لغيره من الابطال ، إيمان يسوقه الى نهاية تنكره حياته ، وينكرها هو على نفسه ، فهو قد اقتحم المهالك وخاطر بحياته وقاتل وقتل ، ثم يأتيه الموت وهو على فراشه ، يبكي خالد ساعة حضرته الوفاة ، أيفر خالد من الموت وهو الذي فر من لقائه الموت ، لم يبك خالد خشية الموت ، ولكنه بكى لانه يموت بغير السيف في حومة الوغى ، وهو الذي يقول : لقد طلبت الموت في مظانه ، فلم يقدر لي الا أن أموت على فراشي . ثم قال : اذا أنا مت فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله .

ولما علم عمر بموت خالد قال : انا لله وانا اليه راجعون ، كان والله سداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة ، قد ثلم في الاسلام ثلمة لا ترتق ،

وليته بقي ما بقي في الحمى حجر ، رحم الله أبا سليمان ، ما عند الله خير له مما كان فيه ، مات فقيداً ، وعاش حميداً .

وبلغه أن نساء بني مخزوم اجتمعن في دار يبكين خالداً ويندبنه ، فبكى عمر وقال : ليقلن نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئن ، فانهن لا يكذبن ، على مثل أبي سليمان تبكي البواكي ، ولم تبق امرأة من بني مخزوم الا وحلقت لمتها ووضعتها على قبر خالد .

مات خالد بعد أن قضى معظم حياته مجاهداً مناضلا غازياً فاتحاً ، وله من العمر ستون سنة ، لحق بجوار ربه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

الصلاة عماد الدين

ما بالنا نشتغل في أبحاثنا الدينية بفروع ووسائل ليست بشيء في جانب أمر عظيم هو من أجل أركان الاسلام ، ألا وهو الصلاة التي تأتي بعد الشهادتين ، ولا يقوم بناء الاسلام الا عليها ، لذلك نرى أن نذكر اخواننا المسلمين بهذا الركن الركين من دينهم ، لأننا نرى انصراف بعضهم عنه بل استخفافهم به .

ان الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن ضيعها فقد ضيع الدين ، وهي آية الايمان ، وعلاقة الانسان بالرحمن ، ودليل اليقين ، وسبيل المؤمنين الى سعادة الدارين ، وهي الصلة الكبرى بين العبد وربه في جميع أوقاتها ، فيها يتجرد الانسان عن الدنيا ، فيشعر ببرد الراحة والسلام ، وهي دستور الحرية العملي ، اذ تتجلى فيها المساواة التامة بين جميع الطبقات ، فالكل اخوان متقابلون ، يقفون في صفوفهم يشد بعضهم بعضا ، ولا يكون هناك تمييز بين الاغنياء والفقراء ، والعلماء والجهلاء ، أو الاصاغر والاكابر ، لأنهم كلهم على ما بينهم من تفاوت فقراء الى الله ، يستمدون منه العون ويسألونه الهداية .

يفتتح المسلم صلاته بـ (الله أكبر) ، وهي كلمة تدعو المسلم الى أن يرفع رأسه عالياً ويعمل للمجد ، ولا يرى غير الله ، اذ تتضاءل كل عظمة أمام جبروته ، وتصغر كل عزة أمام عزته ، يدعوه لفظ (الله أكبر) أن يخشى الله ولا يخشى الناس ، فهو بعزة الحق يجاهد ، لا يبالي وهو بعزة الحق كبير عظيم مهما صغر وضوءل ، ولقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أنه قال : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، يقول الله : حمدني عبدي ، واذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، واذا قال : مالك يوم

الدين ، قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي ، واذا قال اياك نعبد واياك نستعين، قال الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل .

ان اجتماع الناس خمس مرات في المسجد للصلاة له أكبر أثر في رفع مستواهم الادبي والخلقي ، وله ضلع عظيم في تشييد صرح عظمتهم ومجدهم ، فالصغير يقلد الكبير ، والعالم يرشد الجاهل ، والغني يواسي الفقير ، والكل يسعى لمرضاة الله .

لقد كانت صلاة الجماعة عند سلفنا من أول الواجبات ، فتغص بهم المساجد ، وكان الفرد لا يتخلف عن صلاة الجماعة الا بعذر قاهر . روي أن أحد التابعين كان يواظب على صلاة الجماعة في المسجد أربعين عاماً لم يتخلف الا في صلاة واحدة ، وقد عزاه في ذلك الامام ابن سيرين . وقد روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : صلاة الرجل في الجماعة تضعف عن صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة ، لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه .

الصلاة هي التي تكون الرجل وتدربه على الصبر ، وتهبه العزم والحزم والجلد ، ولا تجعل لليأس الى قلبه سبيلا ، وتعلمه دروساً في الثبات وحب الدأب على العمل ، ورباطة القلب بحيث لو أصابه ما تطير له النفس شعاعاً ، وينخلع من هوله الفؤاد ارتياعاً ، ثبت لهذا كله ثبوت الرواسي ، قال الله تعالى : (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين) ، وهذه المنزلة لم ينلها الا المصلون بفضل إيمانهم ، فكانوا اذا زلزلت الارض تحت أقدامهم ، ومادت رواسي الخطوب أمام أعينهم ، صمدوا لها مطمئنين حتى تأخذ حدها أو تنجلي ، وقد زادتهم إيماناً الى ايمانهم ، وقد أمر الله تعالى المسلمين اذا جد الجد ،

واشتد الكرب ، أن يلجأوا الى العبادة ، يستمدون منها روحاً يقاومون بها ما يحوشهم من خطر ، وما يساورهم من أمور كبيرة ، قال تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) ، فانظر كيف يأمرهم أن يلجأوا الى الصلاة يتقون بها الشدائد ويستفتحون بها أبواب الخير .

الصلاة تبعد الانسان عن الدنايا ، وتجعله ملكاً طاهراً ومثلا عالياً ، اذ من استعان بالله هداه ، ومن طلب رضاه بالعمل الصالح أسعده وأنجاه ، وأبعده عن فساد النفوس ، ونزوات الغنى ، ومهانة البخل والفقر ، وفحش الاقوال ، ومنكرات الافعال : (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله أعلم ما تصنعون) . وقد وعد الله الذين يعبدونه وهم لاهون ، لا يتدبرون ما يقولون ، ولا يعقلون ما يقرأون ، (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . وقال صلوات الله وسلامه عليه : (كم من مصل ليس له من صلاته الا التعب ، وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) . ووصف تعالى الصلاة انها طهور للانسان تدرأ عنه أدران الصفات الساقطة والخصال الموبقة فاذا أداها الانسان حق تأديتها منعته عن محارم الله ، وحفظت له كرامة انسانيته ، واذا أداها ساهياً لاهياً حرم من ثمرتها .

الصلاة من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها . ما أديت على وجهها ، لأنها العلاقة المتكرره في اليوم والليلة خمس مرات بين العبد وربه ، يعترف فيها بربوبية خالصة يستمد منها العون والهداية الى الطريق المستقيم .

الصلاة أكبر طبيب يشفي الانسان من أمراضه القلبية والظاهرية ، وهي وتوابعها من الطهارة والنظافة تعلم الانسان حب أداء الواجب ، وتغرس

في نفسه الطاعة للخالق ، والوقوف في كل شيء عند حد الاعتدال ، وهي نشاط لاعضاء البدن ، وتنظيم لحركة الدورة الدموية ، وتحريك للعقل ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ، يبقى ذلك من درنه شيئاً ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا) •

وعن عبادة بن الصامت قال : أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، ان شاء غفر له ، وان شاء عذبه •

ان الصلاة عمل قلبي اذا أدى ما ينبغي ، رفع من نفسية الانسان ما لا ترفعه دراسة الفلسفة سنين ، وهذب شعوره ، ولطف من انسانيته ، وأزال من أدواء نفسه ما لا تستطيع العلوم مجتمعة ، وهي رحمة من الله بعبده يحبط بها سيئاته ، ويجلو فؤاده ، ويشرح صدره ، ويرفع حسناته ، ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكره الصلاة : (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة) •

لقد استهان بعض المسلمين بالصلاة كأنها أمر عادي فتركوا القيام بواجباتها ، وكأنهم لم يسمعوا قوله عليه الصلاة والسلام : بين الرجل وبين الكفر الصلاة •

لما طعن أبو لؤلؤة المجوسي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان

الله عليه ، غشي عليه حتى أسفر ، فقيل : انكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة ان كانت به حياة ، فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين فانتبه وقال : الصلاة والله اذن ولاحق (أي الصلاة مقضية اذن ولاحق مقضي غيرهـــا) : ثم قال : أصلي الناس ؟ قالوا : نعم ، قال : لا اسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى وان جرحه يشخب دما •

لقد علم أسلافنا ان الصلاة سكن لهم فأقاموها ، وانها راحة لضمائرهم فأدوها ، وقوة لأيمانهم فسارعوا اليها ، ومعيار لرجولتهم فأقدموا عليهـــا ، ونور لقلوبهم فلم يضيعوها ، ودرع لهم من المصائب فلم ينسوها • أما نحن فقد جهلنا مزاياها ، فحرمنا ثمارها اليانعة ، وفوائدها النافعة ، ونسينا قولـــه تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) •

قال – السير توماس أرنولد – في كتابه (الدعوة الى الاســلام ٣٤٨) واصفاً الصلاة الاسلامية :

كذلك نجد الصلوات الخمس كـــل يوم على جانب عظيم من التـــأثير سواء في جذب الناس والاحتفاظ بالمسلمين منهم • وقد أحسن منتسكيو في قوله : ان المرء لأشد ارتباطاً بالدين الحافل بكثير من الشعائر منه بأي دين آخر أقل منه احتفالا بالشعائر ، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور حتى تسيطر دائماً على تفكيره •• ان دين المسلم يتمثل دائماً في مخيلتـــه ، وفي الصلوات اليومية يتجلى هذا الدين في طريقة تمســـكية خاشعة مؤثرة ، لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين •

يتحدث سعيد بن الحسن أحد يهود الاسكندرية الذي اعتنق الاسلام في سنة ١٢٩٨م عن مشهد صلاة الجمعة في المسجد باعتباره عاملا حاسماً في تحوله الى الاسلام في خلال مرض شديد كان قد انتابه رأي في المنـام ان صوتاً يأمره أن يجهر بالاسلام، ويقول:عندما دخلت المسجد، ورأيت المسلمين

يقفون صفوفاً كأنهم الملائكة ، سمعت هاتفاً يقول : هذه هي الجماعة التي أخبرنا الانبياء بقدومها ، ولما ظهر الخطيب مرتدياً عباءته السوداء ، استولى عليّ شعور عميق من الرهبة وختم خطبته بالكلمات التالية : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) •

ولما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعني الى النهوض ، لأن صفوف المسلمين بدت أمامي كأنها صفوف الملائكة الذين يتجلى الله القدير في سجداتهم وركعاتهم ، ثم سمعت هاتفاً يهتف بي : اذا كان الله قد تحدث مرتين الى اسرائيل في كل العصور ، فانه يتحدث الى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة ، وأيقنت أني خلقت لأكون مسلماً •

فاذا استطاع رينان أن يقول : ما دخلت مسجداً قط دون أن تهزني عاطفة حادة أو بعبارة أخرى دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلماً •

كان من اليسير أن تدرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته وسجداته الكثيرة ، وعبادته للاله الذي لا يراه في سكينة واستغراق ، قد يؤثر في الافريقي الوثني الذي وهب ادراكاً قوياً للقوى الخفية ••• اهـ •

لقد كانت الصلاة أول فريضة فرضت ليلة الاسراء والمعراج ، وكل الفرائض فرضت في الأرض الا الصلاة فانها فرضت في السماء لمكانتها من الاسلام واعتنائه بها • لذلك قال عنها سيدنا رسول الله : من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، وقال : من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله • أي أصيب في أهله وماله •

شهـــر الصـــوم

قد حل بساحتكم ضيف كريم ، ووافــد عظيم ، يحمل معه أوسع العطايا ، وأعظم الهبات لمن أحسن استقباله ، وأكرم وفادته .

قد حل بساحتكم شهر شريف عظيم ، فضله الله تبارك وتعـالى على الشهور والأيام ، فيه يوم خير من ألف شهر ، شهر اختص الله بعبادته عن بقية العبادات ، فقال : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي بـه . ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم : أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي :

أما واحدة : فانه اذا كان أول ليلة شهر رمضان ينظر الله عز وجـل اليهم ، ومن نظر اليه لم يعذبه أبدا .

وأما الثانية : فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسـك .

وأما الثالثة : فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة .

وأما الرابعة : فان الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزيني لعبادي ، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي .

وأما الخامسة : فانه اذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً .

فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟ فقال صلى الله عليه وسـلم : لا ، ألم تر الى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم .

شهر جمع الله فيه المكرمات كلها ، فيه نزل القرآن الـكريم ، عـلى خير النبيين ، وامام المرسلين وسيد العالمين ، نزلت آياته تترى من السماء ،

تنير السبيل الحق أمام البشرية المعذبة ، والانسانية المتعبة ، تحمل مشعل الهداية ، وترسم طريق الصلاح والاصلاح •

شهر فيه غزوة بدر الكبرى التي هي أعلى نماذج السمو الروحي والعقيدة الراسخة التي تجرف أمامها الباطل مهما بلغ سلطانه ، بل هي أسمى المظاهر للمؤمن الحق تثير في نفسه النخوة ، وتهز في جوانب قلبه النجدة لتأييد الدعوة ونصرة الدين •

شهر فتح الله فيه مكة المكرمة على المسلمين ، ذلك الفتح الذي استقر الأمر بعده للمسلمين في جزيرة العرب ، وارتفع صوت الاسلام مدوياً في الارجاء ، ووئد الشرك وصناديده ، وفاح أريج الايمان حتى عم الجزيرة بل عم العالم أجمع •

شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تنزل الملائكةوالروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر • هي أول ليله لاعلان الحكومة الاسلامية ، نزلت فيه أول آية من دستورها الديني والمدني ، وهي الليلة التي اختار الله فيها محمداً عليه الصلاة والسلام ، واختار الرسالة ، واختار الأمة التي تقوم بأعباء هذه الرسالة وهي الأمة العربية •

ومما وقع في هذا الشهر استشهاد الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتوفيت فيه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وأم المؤمنين عائشة بنت الصديق ، وتوفي فيه عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعبدالملك بن مروان •

ان الصوم عدة للنفس على أن تسمو على شهواتها فتخضعها ، ووسيلة لتذيقها ألم الحرمان ، فيدعوها ذلك الى الرأفة والبذل للمحرومين والمعوزين ، اذ يرى الاغنياء مرارة الجوع وألم العطش وشدة وطأتهما

على النفوس ، وتستمر هذه التجربة مدة شهر كامل لا يفصله فاصل ولا تتخلله استراحة .

ولا ينتهي هذا الشهر حتى تكون نفوس هؤلاء الذين ظلوا العام كله لا يفكرون الا بتناول الملذات ، تلك التي طغت على خلقهم بالفساد ، وعلى قلوبهم بالطمس ، وعلى رقة شعورهم بالضعف . لا يكاد ينتهي هذا الشهر الا وتكون نفوس هؤلاء الاغنياء قد تهذبت عواطفها ، ورق شعورها ، وشاعت فيها الرحمة ، وتوارت منها أخلاق الظلم وطغيان الشهوات . كما تدفع عن الفقير اليأس والخنوع ، وترفع انحطاطه النفسي ، وبذلك تسعد الهيئة الاجتماعية ، ويعم الفلاح والوفاق ، وتسود الطمأنينة والسعادة .

لقد فرض صوم رمضان في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة . وقد تأخر الصيام الى ما بعد الهجرة لأن فطم النفوس عن مألوفاتها مما يشق عليها ، ولما ألفت العبادة وتذوقت الطاعة والانقياد فرض الله تبارك وتعالى الصوم . وقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات .

ان الصائم هو الذي تغلب على نفسه وصرع شهواتها التي لا حد لها ، ولا شك من أن شقاء الانسان متأت من النفس التي تريد الانطلاق من القيود لترتع في اللذائذ والشهوات وحدها ، فالصيام يعطيها درساً قاسياً في الحرمان وايقافها عند حدها وتعويدها على الصبر والاطاعة .

ست عشرة ساعة أو تزيد يحول الصوم بين المرء وبين طعامه وشرابه ولذائذه الجنسية ، وهو أشد توقاناً اليها ، يتلظى عطشا والماء في متناول يده ، ويتضور جوعا وأمامه من المآكل ما لذ وطاب ، وتثور نفسه طالبة تطمين شهواتها وهي تحت سمعها وبصرها وفي حرزها . كل هذه الدروس يتلقاها المرء في شهر رمضان لتكون له عدة لتحمل أعباء الحياة

وتقلباتها ، والصبر على مرائرها وشدائدها ، والانطـلاق من أسر النفس الامارة بالسوء •

ان هذه الدروس العملية لتتكرر في كل سنة في جميع المواسم والفصول والتقلبات الجوية ليكون الانسان قادراً على احتمال الجوع ومكافحة العطش ومغالبة شهوات النفس في أي طقس وفي أي جو •

وهذا ما يربي في النفس ملكة الصبر التي هي أس الحياة وعماد الوجود • اذ بالصبر تنال الرغائب ، وتغلب الأيام ، وتكشف الاسرار ، وتسعد الافراد والجماعات ، وترقى الامم والشعوب ، وتظهر كنوز الارض ، وتتفجر الانهار ، لذلك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الايمان) •

ان في الصوم مجاهدة النفس والهوى والشيطان والدنيا ، هذه الشرور الاربعة بل الأصفاد والاغلال التي تقيد الانسان الى هاوية سحيقة لا يعلم قرارها الا الله • انها أعداء ذاتية متغلغلة في جوانب الانسان وثناياه ، بل ممتزجة بلحمه ودمه وعظامه ، لم يتمكن على مغالبة هذه كلها الا الصوم ، فهو الذي يحد من شرورها ، ويقلل من غلوائها ، ويوقفها عند حدها •

أيها الناس هذا شهر رمضان الكثير الخير والبركة ، والضيف الذي يحفه الفضل والرحمة ، قد حل بساحتكم ، فماذا أعددتم له من عظيم الاعمال •

ان المسلمين الاولين كانوا يستشرقون لرمضان ويفرحون به فرح المحب بمحبوبه ، فما كان ينزل بهم حتى يهيئوا له من صنوف الطاعات وعمل الصالحات ما يوجب شفاعته فيهم وشهادته لهم لأنهم قد اتعظوا بقول رسول الله : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام

أي رب ، اني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن ، رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان •

ان خير ما يستقبل به شهر رمضان هو التوبة الصادقة ، يخلع بهـا ثياب الذنوب والمعاصي ، والندم على ما فات ، والاستعداد لما هـو آت ، وتأدية الحقوق الى أربابها مع نزع الغل من الصدور والحقد من القلوب •

لقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصيام جنة ، فـلا يرفث ولا يجهل ، وان امرء قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم اني صـائم • فأي شيء كالصوم يقف حاجزاً بين الصائم وبين الرفث والفسوق والعصيان، وأي ساتر كالصوم يحول بين النفس الامارة بالسوء وبين الجهل والتمرد والطغيان ، فهو جنة ووقاية من الرياء والنفـاق والنظر الى المحرمـات ، والغيبة والنميمة والسباب وقول الزور ، وهو كف للسمع عن الاصـغاء الى المكروه والقبيح ، بل كف الجوارح كلها عن الشبهات •• فاللهم أعنـا على صيامه وقيامه ، وقنا شرور أنفسـنا وسـيئات أعمالنـا يـا قريب يـا مجيب •••

الصوم عند الامم

الانسان مركب من روح وجسد ، ولا يزال الصراع قائماً بينهما ، حتى اذا جاء شهر رمضان أخذ الروح أهبته واستعد للكفاح ، ولم يزل يناضل حتى يحرز الظفر وينال النصر .

فشهر الصوم هو شهر الفتوح الروحي ، هو شهر تنبسط فيه الارواح ، وترتع سابحة في رياض المعاني ، غير عابئة بما كان يحملها الجسد من أثقال .

الصوم من العبادات النفسية الخالصة التي لا يكاد يخامرها الرياء ، ولا يحول حولها التصنع ، وهو ليس ركناً للدين فقط ، بل هو كذلك ركن للحياة الحقة ، لأن الحياة تتكون من عنصرين هما الجسم والروح ، ولكل منهما غذاء من نوعه ، نغذاء الجسم مادي لحم ونبات ، وغذاء الروح معنوي ، رياضة على احتمال التكاليف ، ومران على مدافعة الشهوات .

ولما كان للصوم من أثر فعال في رياضة النفس وسهولة التوجه بها ناحية الكمال والسعادة كان شرعة عامة لكل الأنبياء والأمم السابقة المؤمنة منها والكافرة ، الموحدة منها والوثنية . قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . فالصوم الذي كتب علينا ، قد كان مكتوباً على الذين من قبلنا من الامم والاقوام سواء كان بوحي ألهي أو بتقرب الى وثن ، أو بعبادة درجوا عليها .

وقد كان الصوم يختلف في الصور والمدد ، فمنه صوم على الطعام والشراب ، الى صوم عن بعض الطعام ، الى صوم عن الطعام دون الشراب ، ومن صوم أشهر الى صوم أسابيع الى صوم يوم أو أيام .

فلقد نصت شريعة (مانو) في الهند على ضرورة الصيام • وقد عمل البراهمة بهذه الشريعة منذ أقدم عهودهم ، ويحافظون على الصوم محافظة دقيقة لكي تفصل الروح عن المادة وتقهر الجسد ، وأنهم لا يعفون منه حتى الشيوخ والمرضى •

ويصوم البوغيون في الهند من عشرة أيام الى خمسة عشر يوماً • لا يذوقون طعاماً غير جرعة من الماء •

أما اليوجا أو فقراء الهنود فقد كان أحدهم يصوم خمسين أو ستين يوماً ، بل بلغ ببعضهم أن يصوم ثلاثة شهور ينقطع فيها عن الطعام والشراب •

ولقد فرض بوذا على أتباعه أن يصوموا مدة طويلة من السنة •

أما بوذيو التبت فلهم نوعان من الصيام ، أحدهما : مدته أربع وعشرون ساعة لا يذوقون فيها شيئاً ، حتى ولا يجوز لهم ابتلاع ريقهم ، وقد يمد بعضهم هذا الصيام الى ثلاثة أيام لا يفطر في كل يوم الا على قدح من الشاي • والنوع الثاني : مدته أربع وعشرون ساعة كالنوع الأول غير أن الصائم فيه له أن يفطر على ما يشتهي من الاطعمة •

وكان النورمنديون يمتنعون عن الطعام بضعة أيام لكي يخوضوا غمار المعارك بجسم نظيف وروح مطهرة حسب اعتقادهم •

وعرف الصينيون الصيام من أقدم عصورهم ، فكانوا يقومون به تعبداً ، ويوجبونه على أنفسهم في أوقات الفتن •

وقد كان الفراعنة يصومون في جميع أعيادهم الدينية ، وكان كهانهم يصومون من سبعة أيام الى سبعة أسابيع ، كما انهم يصومون بعض الايام لتسكين غضب آلهتهم على زعمهم ، أو لاستمالتهم كما يعتقدون •

وكان يفرض على الراغبين في الالتحاق بخدمة معابد أيزيس وأزوريس أن يصوموا سبعة أيام كاملة لا يتناولون فيها غير بضع جرعات من الماء ، وقد كان الصوم يمتد الى اثنين وأربعين يوماً .

وكان الالوزيديون والسموفوريون من قدماء اليونانيين يكلفون نساءهم بالصيام ، فيجلسن على الارض في حالة اكتئاب وكمد قياماً بآدابه عندهم وينقطعن عن الطعام يومين أو ثلاثة . قبل استنزال الآلهة في شأن من الشؤون .

وكان اليونانيون يصومون أياماً متوالية قبل شروعهم في حرب . وكان سكان اسبارطة من اليونان يرغمون أولادهم على الصوم بمنع الطعام عنهم يوماً بعد يوم ، لكي يصبحوا جنوداً أقوياء يستطيعون مواصلة القتال من الصباح الى المساء دون أن يشعروا بجوع أو عطش ، وكان قسيسو جزيرة كريد في ذلك العهد لا يأكلون طول حياتهم لحماً ولا سمناً ولا طعاماً مطبوخاً . وكان سقراط وأفلاطون يصومان عشرة أيام كل بضعة شهور .

أما الرومانيون فقد كانوا يصومون ، وكان جميع شعوب ايطاليا يصومون أيضاً . وان التارانتيين لما حاصرهم الرومانيون صاموا عشرة أيام استنزالا للنصر .

وأما الفرس فانهم كانوا يروضون أبناءهم على الصوم منذ نعومة أظفارهم ليتعودوا تحمل المشاق .

وأما البابليون والكلدانيون فكانت لهم مواسم يصومون فيها تقرباً للآلهة واستنزالا للنصر .

وأما المكسيكيون فقد كان كهنتهم يصومون في بعض الاعياد مأة وستين يوماً بلا انقطاع ، ومن يعجز عن مواصلة الصوم يحبس في دهاليز المعابد سنة كاملة تكفيراً على ذلك العجز .

أما الهنود الحمر في أمريكا الشمالية فانهم يعدون الصوم من أنواع الرياضة البدنية ومن الوسائل التي يتقرب بها الى الله ، ويحق لمن قضي عشرين يوماً من الصوم أن يقوم بالوعظ والارشاد لأنه قد علا عن مستوى البشر وسما بروحه .

وفي أمريكا الجنوبية كانوا يصومون قبل كل عيد من أعيادهم ، وتختلف مدته بحسب أهمية العيد ، وكان كهنتهم ينقطعون عن الطعام مدداً طويلة ، وكان بعضهم يعقل لسانه بقطعة من الخشب تخترق اللسان وتربط الشفتين منذ اليوم الاول ليثبت بأنه لم يتناول الطعام سراً .

ولقد ذكر - سيل - في مقدمته لترجمة القرآن أن للصابئة ثلاثة أنواع من الصيام : ثلاثون يوماً ، وتسعة أيام ، وسبعة أيام ، وكانوا يصومون من ربع الليل الأخير الى غروب الشمس .

ولكن السيد عبدالحميد عبادة قد ذكر في كتابه (الصابئة الاندمون) ما يناقض ذلك عن صابئة العراق الحاليين حيث يقول : لقد حرم الصوم في شريعتهم - أي الصابئة - ، وانهم يقولون بحرمة منع التلذذ بالمأكولات والمشروبات ، وهو من باب تحريم ما أحله الله ، ويظهر البعض منهم نفسه في أول العشرة من رمضان أنه صائم لا يأكل ولا يشرب بمحضر الصائمين المسلمين ويدعي أنه صائم ، وقد سألت عن سبب ذلك من الشيخ - ويريد عالمهم الروحاني في الناصرية - فأجابني لكثرة اختلاط الصابئة بالمسلمين بالأخذ والاعطاء فاتباعاً لهم يظهرون الدعوة بالصيام والا فهو حرام عليهم البتة .

وأما اليزيدية : فانهم يصومون ثلاثة أيام من أول شهر كانون الاول الشرقي ، أي من اليوم الرابع عشر من كانون الأول الغربي ، ويحتفلون بعده بالعيد الذي يدعونه بعيد رمضان ، ويصومون ثلاثة أيام من أول

خميس من شهر شباط الشرقي وهو عيد خضر الياس ٠

أما اليهود : فقد جاء في التوراة أن موسى عليه السلام صام أربعين يوماً ، وفرضت التوراة على اليهود صوم اليوم العاشر من الشهر السابع ، وانهم يصومون بليلته ، وقد كانوا يسمونه عاشوراء ٠ ويصوم اليهود أيضاً اسبوعاً من السنة ، وذلك تذكاراً لخراب هيكلهم في أورشليم وسقوطها بيد الفاتح العراقي بختنصر ٠

أما النصارى : فقد ذكرت الأناجيل الصوم ومدحته وأطرت عليه ، وأشهر صوم النصارى وأقدمه الكبير الذي يكون قبل عيد الفصح ، ولقد كان عيسى عليه السلام يصوم ، فقد جاء في الاصحاح الرابع من انجيل متى : فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً ، كما كان الحواريون يصومون هذه الأيام الأربعين ، والنصارى يصومون الآن أربعين يوماً من أيام الربيع قصروه على الامتناع عن تناول اللحم والبيض واللبن ٠ ولدى النصارى أيضاً صيام الفصول الأربعة ، وهو صيام ثلاثة أيام في كل منها ٠ ولديهم أيضاً صيام الاربعاء والجمعة تطوعاً ٠

وأما عرب الجاهلية : فقد كانوا يصومون يوم عاشوراء من الفجر الى غروب الشمس ٠

روى الامام مسلم القشيري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض شهر رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه ٠

ولم يقتصر الصوم عند أولئك الأقوام على الناحية الدينية والحربية فحسب بل كان البعض يعدونه أنجع طريقة للوقاية من العدوى عند انتشار الأمراض ٠

وهكذا نجد الصوم عند الامم والاقوام على اختلاف أديانهم ونزعاتها منذ الخليقة الى الآن •

أما الاسلام : فقد جعل الصوم ركناً من أركانه الخمسة ، وهو الامساك عن الاكل والشرب والجماع من خروج الفجر الصادق الى غروب الشمس •

ولقد فرض صوم رمضان في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة •

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم قبل افتراض الصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء ، وكان يصوم متنقلا أياماً متفاوتة من العام • وكان عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه بقدوم رمضان ويهنؤهم عليه •

ولقد قال أحد أفاضل العلماء(١) :

اذا كانت الأمم جميعاً قد عرفت الصيام واتخذته تقرباً الى الله ، وعرفته وسيلة من وسائل التهذيب والتقويم ، والتمست عليه الأجر من رب العالمين ، أو طلبت به رفعة النفس في هذه الحياة الدنيا ، فان الاسلام جاء بأكمل صورة من صور الصوم ، وأفضل طريقة من طرقه ، فليس فيما نعلم في الشرائع من أخذ أهله بالاعنات وكبح النفس كما فعل الاسلام •

فالصوم عند كثير من الأمم كف عن بعض المآرب دون سائرها ، فمنهم من يصوم عن نوع مما يؤكل ويتناول سواه ، ومنهم من يكف عن مطالب النفس وقتاً قصيراً لا يتعداه • أما الكف عن كل المآرب يوماً كاملا ، ويستمر بعد ذلك على هذا المنوال شهراً كاملا ، فتلك مزية الاسلام •

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) •

---

(١) الشيخ محمد البناء •

الصوم في أكمل صوره

الصيام زكاة للنفس ، ورياضة للجسم ، وداع للبر ، وهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، وللرحمة دعاية ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم ، قال تعالى (فانه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي) .

الصوم أحسن أداة لتعويد الانسان على الصبر والجلد ، لأن الصائم مضطر الى حبس نفسه عن الطعام والشراب وغير ذلك من المفطرات من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس مع تمكنه من تناول ما حظره الله عليه ، ولا يتم له ذلك الا بالصبر وقوة الارادة في ضبط النفس ، ومن اعتاد ذلك صار الصبر ملكة راسخة في نفسه ، وتقويت ارادته ، وعظم احتماله لمشاق الأمور ، والصبر والارادة القوية هما عماد نجاح الفرد والأمة في الحياة ، ولولاهما ما ظهرت آثار الجهود البشرية التي تستدعي صبراً وارادة يغالب بهما الانسان عوادي الزمن ، وما فشل كثير من الناس الا لضعف صبرهم ووهن ارادتهم ، وتخاذلهم عند أول صدمة من صدمات النوائب .

وقد وضع العالم (كيهاردت) كتاباً في تقوية الارادة جعل أساسه الصوم ، وذهب فيه الى أن الصوم هو الوسيلة الفعالة لتحقيق سلطان الروح على الجسد فيعيش الانسان مالكاً لزمام نفسه ، لا أسير ميوله المادية تقوده الى الهلكات .

ولقد أشاع العالم الامريكي (مكفادن) في العالم فوائد الصوم ، وأمر تلامذته أن يتركوا الطعام ثلاثة أيام الى ثلاثة أسابيع ويقتصروا على الماء ،

وقد سرت هذه التجارب في جامعات أمريكا ، فقد صامت فصول برمتها أسبوعا كاملا دون أن يحول ذلك بينهم وبين دروسهم ، وزاد نشاطهم العقلي •

روى عبدالملك بن عاصم الأصمعي أنه قال : هجم عليَّ رمضان وأنا بمكة ، فخرجت الى الطائف لأصوم بها هرباً من مكة فلقيني أعرابي ، فقلت له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا البلد ــ أي مكة ــ لأصوم هذا الشهر المبارك به ، فقلت له : أما تخاف الحر ؟ فقال : من الحر أفر (يريد حر جهنم) •• يضرب هذا الأعرابي مثلا كريماً على قوة العقيدة وطهارتها ، وشدة الصبر في النفوس المؤمنة ، وأبان بأن من أعطى برد اليقين مع شظف العيش ، عاش في نفسه في راحة بال يغبطه عليها الموسرون •

ان الصوم من أعظم أدوات الحرب التي فرضها الله تعالى على المسلمين، لانه يربي في النفوس الصبر على مرارته ، والاستسلام الى جوعه وعطشه ، وهو خير تجربة للتفرقة بين الجبان والشجاع •

ان في الصوم مخالفة النفس وترك مطاوعتها ، وعدم الاذعان لوسوستها ، وقهرها بالتخلي عن رغباتها ، فتكون بذلك سلسلة القياد ، يسار بها الى الخير الذي ينشده الانسان •

ان الصوم من العبادات التي لا يخامرها الرياء ، ولا يحول حولها التصنع ، لذلك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيراً أعطاه الله كتابه جهراً وقال له اقرأ سراً حتى لا يفضحه بين خلقه ، فيقرأ كتابه سراً فلم يسمعه أحد ، فتقول الملائكة الهنا هذه عناية لم تسبق لأحد من العصاة ، وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار ، فيقول سبحانه وتعالى : (يا ملائكتي أني أحرقته في الدنيا بنار الجوع والعطش في الحر الشديد في شهر رمضان فلا أحرقه

اليوم بالنيران وقد عفوت عنه وغفرت له ما سلف من الذنوب والعصيان وأنا الكريم المنان •

الصوم هو الذي يعود الانسان على أداء الامانات والواجبات التي في عنقه من غير سائق أو جبر ، لان الانسان اذا خلا بنفسه ولم يكن عليه رقيب ، ورأى شدة وطأة الجوع والعطش فانها تسول له أنواع الوجوه لسد جشعها ، ولا يردعها سوى الأمانة التي وضعها الله في عنق الانسان ، لذلك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه •

فالصوم أكبر معوان على تقوى الله تعالى والفوز برضاه ، وهو أحسن صلة بين العبد وربه ، وكما ان الشبع يغطي على الذهن ويضرب حجاباً على القلب ، فان الجوع يصفي الذهن ، ويجلو القلب ، ويجعل النفس أقدر على المراقبة ، وهو طريق الجنة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : داومي على قرع باب الجنة ، قلت : بماذا يا رسول الله ؟ قال : بالجوع • وورد في الأثر : من أكل كثيراً شرب كثيراً نام كثيراً فاته خير كثير • وقد قيل للاحنف بن قيس : انك شيخ كبير ، وان الصيام يضعفك ، فقال : اني أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله تعالى أهون من الصبر على عذابه •

فأي شيء كالصوم يقف حاجزاً بين الصائم وبين الرفث والفسوق والعصيان ، وأي ساتر كالصوم يحول بين النفس الامارة بالسوء وبين الجهل والتمرد والطغيان ، فهو جنة ووقاية من الرياء والنفاق والنظر الى المحرمات، والغيبة والنميمة والسباب • وقول الزور ، وكف السمع عن الاصغاء الى المكروه والقبيح ، بل كف الجوارح كلها عن الشبهات • ولقد قال صلى الله عليه وسلم : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه من أجله •

هذا هو الصوم في أكمل صوره وأبهى مظاهره ، هذا هو الصوم الذي يثمر ثمراته ويؤتي أكله •

يجب أن يشعر الصائم بأنه صائم لربه ، فهو في حضرته وضيافته ، وتحت مراقبته وهيمنته فلا يبيح لنفسه الخروج عن حدود الأدب ، ولو تعدى عليه أحد فليقل له اني صائم اني صائم •

ولقد قال الليث عن مجاهد : خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب •

وسئل الامام الأوزاعي : هل يفسد الصوم السب والغيبة ؟ قال : نعم •

لقد اتخذ بعض الناس الصوم مبرراً لسوء خلقه وتهوره ، فيشتم الناس ويتهيج عليهم ، واذا نصحه أحد قال : دعني فاني صائم ، كأن الصوم مفسدة للخلق ومنبع للشر • ولو كان الصوم يعطي الصائم ترخيصاً بالايذاء ، ويسمح له بالاعتداء لما شرعه الله أبدا ، ولا جعله من أركان الاسلام ، وهؤلاء ليس لهم من صيامهم الا الجوع والعطش ، لبسوا رداء الدين مقلوباً ، وعكسوا حكمة الله في تشريعه ، فباؤا بالخزي من حيث لا يشعرون • ان الصوم يرقق المشاعر ويهذب الحواس ، ويصير من الانسان ملكا هينا لينا في كل شيء •

ولقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس ، قد أظلكم شهر مبارك ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كمن كان أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة وشهر يزداد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له مغفرة من ذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء •

كيف كان يستقبل رمضان

لقد عني سلفكم منذ بزوغ فجر الاسلام بالاحتفال باستقبال شهر رمضان واحلاله المحل اللائق به .

لقد كانوا يترقبون هلال رمضان بشوق وابتهاج لا حد لهما ، واذا ثبتت رؤية الهلال وانتشر الخبر ، انقلبت المدن الى شعلة من نور ، فتضاء المآذن وتزين واجهات المخازن وتنار الدور وتدق الطبول وتفتح الدواوين . ويبارك الناس بعضهم لبعض بحلول هذا الشهر العظيم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويحثهم على صيامه ، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول : (قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر) .

وخطب عليه الصلاة والسلام في آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس : قد أظلكم شهر عظيم ، شهر مبارك ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله طوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر صائماً كان له مغفرة من ذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه اذا دخل شهر رمضان صلى بالناس صلاة المغرب ثم تشهد بخطبة خفيفة ثم قال : أما بعد فان هذا الشهر كتب الله عليكم صيامه ، ولم يكتب عليكم قيامه ، من استطاع

منكم أن يقوم فانها من نوافل الخير ، ومن لم يستطع منكم أن يقوم فلينم على فراشه ، وليتق انسان منكم أن يقول أصوم ان صام فلان ، وأقوم ان قام فلان ، من صام منكم أو قام فليجعل ذلك لله عز وجل ، وأقلوا اللغو في بيوت الله ، واعلموا أن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة ، الا لا يتقدم الشهر منكم أحد ، ثلاث مرات ، الا لا تصوموا حتى تروه ، ثم صوموا حتى تروه ، الا وان غم عليكم فلن يغم عليكم العدد فعدوا ثلاثين ثم افطروا ، الا ولا تفطروا حتى تروا الغسق على الضراب (أي الهضاب) .

وقد كان عمر بن الخطاب أول من فكر في انارة المساجد في ليالي رمضان ، وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر ذات ليلة في رمضان على المساجد فوجدها مضاءة مزدانة بالانوار ، فقال : نور الله على عمر بن الخطاب في قبره كما نور علينا مساجدنا .

وعمر أول من جمع الناس لصلاة التراويح في المساجد . قال عبدالرحمن بن عبد القاريء : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : اني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم . فقال عمر : نعم البدعة هذه .

وقد كان في بغداد أواخر القرن الرابع الهجري قارئان من أحسن الناس صوتاً ، هما أبو الحسن الرفاء ، وأبو عبدالله بن الزجاجي ، وعندما علم بهما الأمير رتبهما مع أبي بكر بن البهلول المقريء المجيد ليصلوا بالناس صلاة التراويح في رمضان ، فكثر الجمع وراءهم لحسن تلاوتهم ، وكانوا يطيلون الصلاة ويتناوبون في الامامة ، يقرؤن في كل ركعة بقدر

ثلاثين آية ، والناس لا ينصرفون من التراويح الا بعد الثلث الاول من الليل ، أو قريب النصف منه •

أما صلاة التراويح في بلادنا فقد أصبحت حلبة سباق ، الشاطر من يسبق غيره ، وأصبح المصلون ينفرون ممن يطيل الصلاة ، لأنها أصبحت لديهم عادة لا عبادة •

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر قراءة القرآن في شهر رمضان ، ويطيل القراءة في قيامه وقد ذكر حذيفة بن اليمان أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة في رمضان فقرأ بسورة البقرة ثم بآل عمران ثم النساء ، فما صلى ركعتين حتى جاء بلال فأذن لصلاة الفجر •

وروى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الاواخر من رمضان ، فكنت أضرب له خبأ ـ أي قبة ـ فيصلي الصبح ثم يدخلها •

لقد كان الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب يهتم بشهر رمضان ويحله المحل اللائق به ، فكان يذيع على الشعب نداء قبل حلول الشهر يقول فيه : قد أهلكم شهر مبارك ، من لم يصمه بغير عذر شرعي فقد باء بغضب الله عليه ، واستحق أشد أنواع العقاب ، واستهدف لغضبنا عليه ، وانزال أشد عقوباتنا به ، واذا كان أول يوم رمضان نزل السلطان بنفسه الى السوق يتفقد الشعب فاذا وجد مفطراً وتبين أنه أفطر تهاوناً مده في السوق أمام الناس وأنزل به ضرباً مبرحاً •

لقد رأينا في هذا البلد قبل أن تغزوه موجات المهاجرين اليه من الاطراف ، رأينا أن المفطر في هذا الشهر يقبض عليه ويودع السجن ولا يطلق سراحه الا بعد أيام العيد ، كما رأينا ان المرء مهما كان مستهتراً لا يطيق الافطار علناً ، لأن الشعب يؤدبه قبل الدولة ، وقد كان غير

المسلمين لا يتجاهرون بالافطار احتراماً للمسلمين •

ولقد كانت ليالي رمضان من أسعد الليالي وأبهجها على المسلمين ، وكانت بغداد منذ عهد العباسيين تتلألأ فيها الانوار الخاطفة للابصار من المساجد ومن قصور الخلفاء والامراء وكبار رجال الدولة وتزدحم الطرقات بمختلف الطبقات ، وكان الخلفاء والامراء والولاة يحضرون مجالس الوعظ التي تقام في المساجد الكبيرة ، وكان بعضها بين المغرب والعشاء ، وكان البعض منهم يصلي كل يوم في مسجد ليحضر دروس الوعظ فيه •

ولقد كان السلطان أحمد بن طولون يخرج بعد الافطار الى المسجد الجامع ويستمع الى الدروس التي يلقيها القاضي بكار بن قتيبة ، والربيع ابن سليمان ، ويجلس بين المستمعين كأحدهم ، وعندما يتم الشيخ الدرس يقوم ابن طولون فيسقي الناس بنفسه السكر المذاب بماء الورد ، ثم يقدم الهدايا • هذا بعض ما كان يفعله المسلمون الاولون في هذا الشهر المبارك من قدسية واحترام •

أما هنا فقد انتهكت حرمات هذا الشهر في جميع الاعوام الماضية ، واستهزيء به وبصائميه لأنه علامة على الرجعية التي تنافي التقدمية الحديثة• لانهم نكسوا على رؤوسهم واصبحوا قردة ترقص على دق الطبول ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة •

ان الأمة بمختلف طبقاتها هي المسؤولة عن كل ما يجري من موبقات واستهتار بالدين وتعاليمه والاخلاق والفضائل ، عليها وحدها وزر هذه الاعمال ووزر من عمل بها •

ولقد سأل ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل : بم يا رسول ، قال : بتهاونهم وسكوتهم على المعاصي • واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب •

الصـــــوم

وفوائـده الصـحية

روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد أثبت العلم الحديث حكما جديدة للصوم غير ما ذهب اليه السالفون ، فقد أثبت بأن في الصوم صحة الابـدان بتطهيرها من الامراض ، واقصاء العلل عنها • وأثبت بأنه ينقذ الجسم من السموم الناشئة عن تنوع المآكل ، لان الامراض التي تعتري الانسان انما منشؤها المعـدة ، فالصوم يريحها وينقيهـا من الرواسـب الضارة ، وقديما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بـأن صحة البدن في الصوم بقوله : أغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا • ولقد قيل : البطنة أصـل الداء ، والحمية رأس الدواء •

ففي الصوم راحة المعدة من عنائها ، ولولاه لاضطرت صـاحبها الى الرضوخ الى ارادتها بالمرض وهو أمامها صاغر • وقصر الطعام في رمضـان على أكلتين في اليوم ، أكلة عند الغروب تستريح بعدها المعدة على الاقـل ثماني ساعات حتى وقت السحور ، ثم تستريح المعدة من هـذا الوقت الى الغروب مرة أخرى أكثر من اثنتي عشرة ساعة ، ففي هـذه الفترة التي تستريح فيها المعدة يتجدد نشاطها وتقبل على عملها وهي أوفر نشـاطاً ، وأصح بدناً ، وأخلص عملا • ثم اذا أفطر بدون افراط ، واتبع الافطـار بالصلاة ، ثم قام لصلاة التراويح ، وما سنت هذه الصلاة الا لتساعد عـلى الهضم ، ولضمان راحة المعدة مع ثواب الله •

ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسـام من أسقامها ، وصحة القلوب من طغيانها وبطرها • ولقد قال حبيب الله ومصطفاه : مـن جاعت بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه • وقال لقمان لابنه : يا بني اذا امتلأت

المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الاعضاء عن العبادة .

ولقد وصف الامام حسن البصري بعض الاغنياء وما يعتريهم من تخمة وضعف في الهضم لشدة شرههم في الأكل وعدم التزامهم لأوامر الله واستهانتهم بنواهيه حيث يقول في وصف ذلك الشره والبطرة يتكيء على شماله ، ويأكل من غير ماله ، حديثه سخرة ، وماله حرام ، حتى اذا أخذته الكظة ، ونزلت به البطنة ، قال : يا غلام ، ائتني بشيء أهضم به طعامي ، يا لكع ، أطعامك تهضم ؟ انما دينك تهضم ، أين الفقير ، أين الأرملة ، أين المسكين ، أين اليتيم الذي أمرك الله بالبر بهم ، والعطف عليهم .

ولقد كثرت توصيات الاطباء للمرضى بالصوم ، حيث انهم لم يجدوا دواء أنجع منه لمن أصيب بمرض الأرق ، وكثرة الزلال في الدم ، وتصلب الشرايين ، ومرض المعدة ، وضعف الاعصاب ، والصداع ، والامراض الزهرية ، والتهاب الكلى الحاد المزمن ، والتهاب المفاصل المزمنة ، وضغط الدم والبول السكري .

وقد روت المجلة الطبية المصرية : أنه قد عولج بالصوم ثلثمائة شخص من المصابين بالبول السكري دفعة واحدة فشفوا جميعاً .

وان الصوم يزيل الشحم الذي في الجوف ، ويطهر المسالك ، ويحمل الفضلات التي اعاقتها عن السير ، اذ قد يتشحم القلب وتكثر سمنته فيضعف عن القيام بعمله ، أو يتشحم البنكرياس فيصاب الانسان بمرض البول السكري ، أو تتشحم الكليتان أو الكبد ، وقد تكون هذه كلها ، ولكن بعد ثلاثين يوماً من التزام الصوم لا يبقى في الجسم سوى الخلايا القوية ، لذلك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شيء زكاة وزكاة الجسم الصوم .

ولقد نشر الطبيب الامريكي (كارلو) بحثاً عن الصوم وفوائده جاء فيه : ان على كل انسان مريض أن يمتنع عن الطعام مدة كل عام سواء كان غنياً أو فقيراً ، لأن الجراثيم ما دامت تجد الطعام أمامها متوفراً في جسم الانسان فانها تنمو وتتكاثر ، ولكنها بالصوم تضعف وتذبل .. ثم يمتدح بهذه المناسبة الاسلام بقوله : انه يعتبر أحكم الاديان حيث فرض الصيام ففرض الصحة .. ثم يقول : ان محمداً الذي جاء بهذا الدين كان خير طبيب وثق في ارشاده وعمله ، حيث كان يأمر بالوقاية قبل المرض ، وقد ظهر ذلك في الصيام وفي صلاة التراويح التي يقوم بها المسلمون بعد الافطار في كل يوم من رمضان حيث أن لهذه العملية الرياضية فائدة كبرى في هضم الطعام ... ثم يقول عن نفسه : انه قد مرض مرضاً طال أمده وعجز عن علاجه ، ثم كان يلازمه طبيب مسلم في أمريكا فحرضه على الصيام ، لا عن عبادة ، ولكن عن رغبة أن يشفى ، فوجد أن صحته قد تحسنت أثناء هذا الشهر كثيراً ، وأنه الآن يصوم كل سنة شهراً ، كما يصوم المسلمون رمضان في كل عام .

وقال الدكتور (أدور ديوي) الامريكي : ما من داء الا وخارت قواه في الصوم . ولقد مضى على ست وعشرون سنة أعالج فيها المرضى بالامساك عن الطعام . وقد ذكر ان القلب يجد بالصوم نفعاً كبيراً ، لأنه لا ينفق قوته خلال عملية الصوم الا ٥٠٪ بسبب أن الخلايا الضعيفة تندثر وتنقص ، ولا يبقى منها الا ما كان قوياً سالماً ، وان الدم بتناقصه تدريجياً يخفف من عمل القلب ، أما مرور الدم وخلوه من المواد الغذائية ففيه راحة للقلب كبيرة . ثم قال : ولا يخفى ما يجري في الدورة الدموية من نقاوة من الغازات والحوامض وأشباهها من السموم التي كثيراً ما ينتعش القلب بنفاذها فتجدد قواه ، ويدفع الدم بصورة أنقى وأصح .

ولقد عالج كثير من الاطباء كثيراً من مرضاهم في حالات مرضية

مستعصية بمنعهم من الاكل فهذا الاستاذ الدكتور (بروكا) قد عالج ثلاثين حادثة تمدد الشرايين بهذه الطريقة ، وحذا حذوه كثير من الاطباء الذين نجحوا نجاحاً باهراً في تخفيف أمراض القلب والأوعية .. وقد جرب هذه الطريقة الطبيب الاسويدي (أؤزبيك) في معالجة حالات زهرية شديدة وقد شفيت تماماً ، ونال بسببها جائزة (نوبل) مكافأة له واعترافاً بفضله .

وقد أجرى أحد أطباء شيكاغو تجربة حيث منع الطعام عن عدد من الحشرات التي لا تعيش أكثر من أربع وعشرين ساعة ، فعاشت ١٥ يوماً .

وأثبت العالم الامريكي (مكفادن) أن الصوم يشفي ضيق الصدر ، وأمراض الكلى ، والنزلة الشعبية ، والزكام ، والامساك ، والبول السكري، وخفقان القلب ، وعسر الهضم ، والصداع ، واضطراب الأذن ، وأمراض العين ، والأرق ، وأمراض المثانة .

وعالج الدكتور النرويجي (أوسكا جينكس) بعض المدمنين على المسكرات وعلى المورفين بالصوم ونال الكثير منهم الشفاء .

وقد نشر الدكتور محمود فريد رئيس الاطباء بمستشفى العيني بالقاهرة بحثاً في نعمة الاسلام في فرض الصيام جاء فيه :

ان الصيام هو الذي يطهر الجسم تطهيراً كاملا ، فيغدو اللسان نظيفاً وتصبح رائحة الفم طبيعية ، وتكاد تزول رائحة الفضلات والافرازات ، وترفع العوائق التي كانت تعلق بالاوعية فيسهل بذلك مرور الدم الشرياني فيها الى الأوردة ويتخلى الكبد من أدرانه وما قد يعلق من أنسجته من المواد السامة والغريبة ، ونرى الرواسب والعقد في مختلف الانسجة المتسببة عن الروماتيزم قد امتصت وزالت فيجري الدم في دورته تحت عوامل

طبيعية ، وتصير الشرايين لينة مرنة بعد أن زالت جميع الموانع والعوائق التي كانت تعترض الدم في دورته ، فيخفف بذلك الضغط على القلب والأوعية الكبرى ، فينتظم توزيع الدم على مختلف الاعضاء ، فالاطراف التي كانت باردة صارت بعد الصوم محتقنة بالدم دافئة ، وصار لون الشفتين وردياً زاهياً . فيظهر على الجسم رغم ما فقده من الوزن دلائل الصحة والقوة والعافية ، وينتظم الهضم فلا يشعر بضغط أو ألم في المعدة بعد تناول الاطعمة ، ولا يستشعر بحرقان الصدر ، ولا بجشو حامض ، ويزول الانتفاخ أثر تجمع الغازات في البطن ، ثم تزول الاضطربات المعوية تماماً .

فالصيام أكبر مطهر للبدن مقو للتماثل الغذائي ، وهو يقيد بنوع خاص في الامراض الناشئة عن اضطراب التبادل الغذائي وأهمها داء النقرس والبول السكري .

وبعد أن شوهدت فوائد الصيام طبياً وتحقق أنه العلاج الوحيد لكثير من الامراض ، أنشأ بعض كبار أطباء الالمان مصحات الصيام وأقاموها في الجبال وسط الغابات تكتنفها مناظر جميلة تأخذ بمجاميع القلوب وتكون سلوى للصائمين . ويقتصر الطعام فيها على شراب الليمون حسب الطلب مرة أو مرات في اليوم ، ويقدم كوب من السنامكي الساخن تارة وشاي من النعناع مرة أخرى في كل صباح .

وقد وصف أحد المصريين الذين عولجوا في هذه المصحات ما وقع له فيها فترة الصوم التي استمرت أربعة أسابيع وما اكتسبه من الفوائد ، وقد كان مصاباً بمرض عصبي أعجز أشهر الاطباء الاوربيين مدة اقامته فيها بضع سنين . ونحن نأتي على ملخصه ، قال :

كنت أستطيع الفسحة في الاسبوع الاول من الصيام نحو الساعتين

كل يوم ، وأخذت قواي تنحط تدريجياً حتى كنت في نهاية الاسبوع الثالث أصعد على السلم بصعوبة ، وقد نقص وزني نقصاً مطرداً ، ثم انخفضت درجة حرارة الجسم ، فكنت أشعر ببرودة شديدة في الاطراف حتى كانت توضع زجاجات من ماء ساخن تحت قدمي في السرير ، وقد كانت تنتابني في بعض الاحايين آلام شديدة في المعدة ، وبعد أن قضيت في الصوم أربعة أسابيع كوامل سمح لي بالافطار ، واقتصر على الخضروات المطبوخة بالبخير والفواكه ولا تقدم اللحوم البتة ، وقد زدت في الاسبوع الاول ثلاثة كيلوات ونصف ، وفي الاسبوع الثاني كيلوين ونصف ، وفي الاسبوع الثالث كيلوين ، فعادت لي صحتي وقوتي ، بل شعرت كأني خلقت خلقاً جديداً ، وزاد نشاطي الفكري والجسماني واحتمالي للقيام بمهام أعمالي بدقة لم أعهدها في نفسي من قبل ، وقد صار لون بشرتي صافي الأديم ، حتى كان معارفي يدهشون لما يرونه بادياً عليّ من علائم الصحة والقوة ، ويسألونني عما فعلت ، واتفق وجودي في سويسرا في ذلك الوقت فكنت لا أشعر بالبرد رغم برودة الجو ، وبعد أن كانت أطرافي باردة صرت أشعر بالحرارة فيها •

واننا لنختتم هذا الحديث بالمحاورة التي وقعت بين علي بن الحسين ابن واقد وبين الطبيب النصراني للخليفة العباسي هارون الرشيد عن نظر الاسلام الى الطب ومراعاة الصحة •

قال الطبيب النصراني لابن واقد : ليس في كتابكم – يعني القرآن – من علم الطب شيء ، والعلم علمان ، علم الابدان وعلم الاديان •

فقال ابن واقد : قد جمع الله الطب كله في نصف آية في قوله سبحانه وتعالى : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) •

فقال النصراني : ولم يرد عن رسولكم شيء في الطب •

فقال له ابن واقد : قد جمع رسولنا الطب في الفاظ يسيرة هي قوله : المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، واعط كل بدن ما عودته •

فقال الطبيب النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً •

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) •

الانفـــــاق
في شــهر رمضــان

الصيام عدة للنفس على أن تسمو على شهواتها فتخضعها ، ووسيلة لتذيقها ألم الحرمان ، فيدعوها الى الرأفة والبذل للمحرومين والمعوزين ، اذ يرى الاغنياء مرارة الجـــوع والعطش ، وشدة وطأتهما على نفوســهم ، ولا يكاد ينتهي هذا الشهر حتى تكون نفوس هؤلاء المترفين قد تهــذبت عواطفها ، ورق شعورها وشاعت فيها الرحمة ، وتوارث منها أخـلاق الظلم وطغيان الشــهوات ، لذلك يجب أن يجبر الاغنياء المترفون على الصوم ليهذب أخلاقهم ، ويقلل من جشعهم فتسعد الهيئة الاجتماعية عندئذ وتسد حاجـة الفقراء •

لقد كان شهر رمضان هو الشهر الذي يتجلى فيه منتهى الكرم عنـد المسلمين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان أجود ما يكون في شهر رمضان •

وقد حث صلوات الله وسلامه عليه أمته على البذل في هذا الشــــهر وسد جوعة المحرومين • روى الترمذي والنسائي وابن ماجة عن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من فطر صائماً كان له مثل أجـــره غير أنه لا ينقص من أجـر الصـــــائم شيء •• وروى الطبراني في الكبير وابن حبان عن سلمان رضي الله عنـه قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فطر صائماً على طعام وشراب من حلال صلت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضاان وصلى عليه جبرائيل ليلة القدر •• وروى الترمذي وابن ماجة عن أم عمارة الانصـارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان الصائم تصلي عليه الملائكة اذا أكل عنـده حتى يفرغوا ، وربما قال حتى يشبعوا •

بهذا الاسلوب دعا النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يتواصلوا في رمضان لتتحكم بينهم أواصر الود والألفة .

فالمآدب في رمضان من آداب الاسلام ، وهي من الاعمال الجليلة وان بدت لبعض الناس انها تافهة لا تعدو امتلاء بطن خالية بالطعام والشراب ، ان الذي يفتح لأخيه داره ، ويبسط له وجهه ، ويقدم له من أطايب طعامه وشرابه ، لا بد وقد ظفر بخير لا يقتصر أثره عليه فحسب ، بل يتعداه الى المجتمع الذي يعيش به كله ، لأنها من أقوى دعائم الأخوة والألفة .

لقد رغب القرآن الكريم على اطعام الطعام وحرض عليه وجعله مظهراً من مظاهر اطاعة الله وسبيلا من سبل رضوانه : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، أطعموا الطعام وافشوا السلام ، وصلوا الارحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

لقد اتعظ المسلمون بأقوال وأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البر والجود والاحسان في هذا الشهر . وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه : أحب للرجل الزيادة في شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجة الناس فيه الى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم .

لقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بصوم ولا يفطر الا مع المساكين ، فاذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان اذا جاءه سائل وهو على طعام افطاره أخذ نصيبه من الطعام وقام وأعطاه للسائل ، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة من طعام ، فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً .

وروى محمد بن المتكدر عن أم ذرة وكانت تخدم أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : ان عبدالله بن الزبير بعث الى عائشة بثمانين ومائة ألف في غرارتين ـ وهما كيسان كبيران ـ فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس حتى فرغت منه ـ وكان ذلك في رمضان ـ فلما أمست قالت : يا جارية هات فطوري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ، فقالت لها عائشة : لو كنت ذكرتني لفعلت .

وجاء سائل الى الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فدفع اليه رغيفين كان أعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائماً .

وكان عبيدالله بن عباس أول من وضع موائد الطعام على الطرق في شهر رمضان لينال منها كل من مر بها .

وهذا الحجاج بن يوسف الثقفي كان يضع في كل يوم من أيام رمضان ألف خوان على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وأرزة بسكر ، وكان يدور هو بنفسه على الموائد يتفقدها ، وكذلك كان يفعل عمال الحجاج في سائر المدن .

وكان يوسف بن عمر عامل هشام بن عبدالملك ينصب خمسمائة خوان في كل يوم من أيام شهر رمضان ليأكل منها الشارد والوارد .

وكان يزيد بن هبيرة يضع ألف خوان في كل يوم من أيام شهر رمضان .

وكان عبدالله بن أبي بكرة ينفق على جيرانه لكل واحد أربعين ديناراً سوى سائر نفقاته في شهر رمضان ، وكان يبعث اليهم بالكسوة في الاعياد ، وكان يعتق في كل يوم مائة مملوك .

ولقد كان حماد بن سليمان التابعي شيخ الامام أبي حنيفة رضي الله عنهما يفطر في كل ليلة من ليالي شهر رمضان خمسين صائماً ، فاذا كانت ليلة الفطر كساهم وأعطى لكل واحد منهم مائة درهم .

وكان الامام الليث بن سعد عالم مصر وفقيهها يفطر في كل ليلة من رمضان ثلاثمائة وستين فقيراً على عدد أيام السنة .

وكان ابن عباد يفطر في كل يوم من أيام رمضان ألف نفس ، وان صدقاته وقرباته في هذا الشهر كانت تبلغ مبلغ ما ينفق منها في جميع شهور السنة .

وكان أحمد بن طولون ينفق على مطبخه في كل يوم من أيام شهر رمضان أكثر من ألف دينار ، ليقدم تلك الاطعمة الى الفقراء والمساكين والذين لا يجدون ما يسد رمقهم ، ويتصدق بثلاثة آلاف دينار . وكان ينادي على باب داره من أحب أن يحضر طعام الأمير فليحضر ، وتفتح الابواب ويدخل الناس الى الميدان ويجلس هو في مجلسه الذي يشرف على من يدخل داره ويخرج منها ، وينظر الى المساكين ، ويتأمل فرحهم مما يأكلون ، فيفرح بذلك ويحمد الله عليه .

وقد دعى ابن طولون أعيان القاهرة وتجارها وكبار رجالها في أول يوم من رمضان ، وبعد ان انتهوا من تناول طعام الانطار وقف فيهم خطيباً فقال : اني لم أجمعكم حول هذه الاسمطة الا لاعلمكم طريق البر بالناس ، وأنا أعلم انكم لستم في حاجة الى ما أعده لكم من طعام وشراب ، ولكن وجدتكم قد أغفلتم ما أحببت أن تفهموه من واجب البر عليكم في رمضان ، ولذلك فاني آمركم من الآن أن تفتحوا بيوتكم وتمدوا موائدكم وتهيئوها بأحسن ما ترغبونه لأنفسكم فيتذوقها الفقير والمحروم . وآمر بأن يعلق

هذا في كل مكان ، وتوعد كل أمير أو حاكم يخالف ذلك بأشد العقاب •
فكان الأثرياء والاغنياء يبعثون بالخدم أو العبيد الى الأسواق والطرق العامه قبيل اذان المغرب ليبحثوا عن الصائمين ويتوسلون اليهم ان يتناولوا طعام الافطار على موائد سادتهم •

ولقد كانت عناية الاغنياء بالفقراء والترفيه عنهم في شهر رمضان بالغة أقصى حدودها ، فقد كانت قصور الاغنياء وبيوت أوساط الناس تغص بمختلف الطبقات في هذا الشهر المبارك ، يشركونهم في طعامهم وشرابهم ، وفطورهم وسحورهم ، لا يستأثرون بطيب دونهم ، ولا يتمتعون بشهي من دون اشراكهم •

ولقد بلغت العناية بالفقراء والترفيه عنهم في هذا الشهر أن وقف كثير من الاغنياء الدور والضياع للانفاق عليهم في شهر رمضان •

لقد كان جميع الوجوه في هذه البلاد يفتحون أبواب منازلهم على مصراعيها قبيل غروب الشمس من أيام شهر رمضان للصائمين ، فترى وفود الفقراء والمساكين على أبواب هؤلاء المحسنين يطعمونهم مما أطعمهم الله ويفيضون عليهم من نعم الله ، وهم يرون أن للسائل والمحروم حقوقاً في أموالهم فيخرج هؤلاء الفقراء بعد ما شبعوا وهم يحملون الاطعمة لدورهم لئلا تحرم عوائلهم مما أكلوا وشربوا •

وكان بعض الناس يبعثون بالاطعمة والاشربة الى المساجد قبل غروب الشمس لافطار الصائمين ونقل الفائض منها الى دور المحتاجين ، وكانوا يختارون أشهى الاطعمة وألذ الاشربة •

وكان جل وجوه بغداد يتخذون من شهر رمضان موسماً للاجتماع بجميع طبقات البلد ، ويتفقدون الاشخاص لا سيما أبناء المحلات القريبة من دورهم ، لذلك ترى منازلهم غاصة بالناس من قبيل الغروب للافطار

معهم ، ويستمرون على ذلك الى السحر . ولا ينتهي شهر رمضان الا وقد انتهوا من دعوة أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب لتناول طعام الافطار .

لذلك كانت الحياة في أيام رمضان ولياليه حياة وحدة وأخوة وتضامن يتمتع بذلك جميع طبقات الأمة ، حتى أن البلاد لتخلوا من المتسولين في هذا الشهر .

وقد يؤتي بالقراء لتلاوة آي الذكر الحكيم طوال ليالي شهر رمضان الى وقت السحر ، فتعمر المجالس بذكر الله تعالى ، ثم تمد موائد الحلوى والفواكه للوافدين والمستمعين .

هذا فضلا عما يقدم الى الفقراء والمساكين المجاورين في المساجد من أنواع الاطعمة والاشربة ، وكذلك الذين يحضرون صلاة المغرب في المساجد .

أما الآن فلا نرى بيوت الاغنياء الا ساكنة كأنها المقابر ، لا تسمع حولها دعاء محسن عليه ، ولا دعوة بائس ، ولا تمتد منها يد بلقمة ترد جوعة صائم .

وقد رأينا ضعاف الايمان لا يتورعون من التظاهر بالافطار ، وفتح أبواب بيوتهم للمقامرين ولم يعلم هؤلاء أن ما من أمة حكمتها شهواتها الا وأسكنتها الهاوية ، وما من قوم غلبوا الشهوات على الفضائل الا خذلهم الله .

ان في الصيام ظاهرة اجتماعية تدل على قوة الرابطة الاسلامية بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم وتباين أنظارهم ، فهم يمتنعون عن طعامهم وشرابهم في وقت واحد من شهر واحد لساعات محدودة ، كما أنهم يفطرون في وقت واحد ، وهم يتحملون مرارة العطش ووطأة الجوع

دون أن يتلقوا في ذلك أمر حاكم ولا سلطان ، وانما امتثالا لأوامر العزيز الديـان .

ولما كان اطعام الطعام له المنزلة العليا في الاعمال الصالحة ، فانـه في شهر رمضان أعلى منزلة وأعظم ثوابا ، ولهذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل في دار أحد من أصحابه دعا له . فعن أنس بن مالـك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة فجـاءه بخبز وزيت ، فلما فرغ من طعامه دعا لسعد فقال : أكل طعامكم الابرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وانطر عندكم الصائمون ...

هذه فريضة الصوم سل الذين أدركوا أوائل هذا القرن هل كانـوا يرون مسلما يجتريء على حرمة الصوم بالافطار بالمنازل فضلا عن الشارع، قد يفطر البعض لعذر قائم ولكنه كان يستحي ويستتر ويتشبه بالصـائمين فلا يكاد يراه أحد حتى من أقربائه وأصدقائه ، ولا يرى الزائر مطعماً ولا مقهى يفتح بابه للمفطرين .

أما الآن فقد انصرف الناس عن دينهم ، ونسوا خشية الله وعقابـه ، وأصبحوا يفطرون بغير تأثم ولا حرج ولا رادع ولا زاجر ، وكما يفطرون في منازلهم ، يتجاهرون به في الاماكن العامة في المقاهي والمطاعم والاسـواق والشوارع والازقة .

أخرج الديلمي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـــه قال : عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام ، من تـرك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم ، شهادة الا إله الا الله ، والصـلاة المكتوبة ، وصوم رمضـــان .. وروى ابن حبـان وابن خزيمة عـن ابن أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : بينما أنا نائم أتاني

رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعراً وقالا أصـــعد ، فقلت : اني لا أطيقه ، فقالا : انا سنسهله لك فصعدت حتى اذا كنت في سواء الجبـــل اذا بأصوات شديدة ، قلت : ما هذه الاصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ثم انطلق بي فاذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يفطرون قبل تحلة صومهم •

الصـــلة

بين الارض والســماء

ان أفضل الايام أشـملها بالبركة ، وأكفلها للخـير ، وأوصلها بالله ، وأبعدها أثراً في الحياة • وليس في الايام والليالي أشرف من ليلة كانت فاتحة السعادة ، وبدايـة الهداية ، ومشرق النور ، ومبعث الفلاح ، تلك الليـلة التي من الله تعالى بها على الامة المحمدية ، الا وهي ليـلة القدر ، تلك التي لم يشمل بها أمة من الامم ، ولم يشرك فيها يوماً من الايام •

ولقد قيل : ان الله تعالى اختار الساعات ، فاختار ساعات أوقات الصلاة، واختار الايام ، فاختار يوم الجمعة ، واختار الشهور ، فاختار رمضـان ، واختار الليالي فاختار ليلة القدر ، فهي أفضل ليلة في أفضل شهر •

ان ليلة القدر مختصة بشهر رمضان ، وهي تدور في كل سنة من هذا الشهر ، وقد ورد أنها في العشر الأواخر من رمضان ، فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها انهـا قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحروا ليلة القدر في العشـر الأواخر من شهر رمضان وروى البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، ليلة القدر ، في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى •

وقد اصطلح المسلمون على انها ليلة السابع والعشرين منه ، فقـد روى الامام مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم من أنه قيـل لأبي ابن كعب أن عبدالله بن مسعود يقول : من قام السنة أصاب ليلة القـدر ،

فقال أبي : والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني ، والله اني لاعلم أي ليلة هي ، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين ٠

وقد ذهب جمع من الصحابة الى ذلك منهم عبدالله بن عباس ٠

وليلة القدر كما قال الامام النووي في شرحه على صحيح مسلم : موجودة وأنها ترى ، ويتحققها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه الأحاديث ، وأخبار الصالحين برؤيتهم ٠

وقد ذكر العلماء علامات كثيرة لليلة القدر ، وذلك ان الموفق لرؤيتها يرى كل شيء ساجداً ٠ ويرى ان الاشجار تسقط الى الارض ثم تعود الى منابتها ، ويرى الانوار ساطعة في كل الامكنة حتى المظلمة ، روى عن عبادة ابن الصامت أنه قال : انها ليلة بلجة صافية ، كأن فيها قمراً ساطعاً لا برد فيها ولا حر ، ولا يتفق لكوكب أن يرمي به فيها حتى يصبح ، وان أمارة الشمس فيها أن تخرج وليس لها شعاع ، مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان في صبيحتها أن يخرج معها يومئذ ٠

لقد سميت هذه الليلة بليلة القدر ، لتقدير الله تعالى إياها ، لأنه ابتدأ فيها تقدير دينه ، وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس الى ما ينقذهم مما كانوا عليه ، وهي بمعنى العظمة والشرف لأن الله تعالى قد أعلن فيها منزلة نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

لقد سميت هذه الليلة بليلة القدر ، لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر الا وهو القرآن ، على لسان ملك ذى قدر الا وهو جبريل الأمين ، على أمة لها قدر الا وهي الأمة الاسلامية ٠

لم يؤثر الله تبارك وتعالى هذه الليلة بما آثرها به ، الا لأنه أودعها أسراره العالية التي لا يطاولها شيء في السماء ولا في الارض ٠ قال سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تعالى وهب أمتي ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم .

ليلة هي كل شيء في حياة الانسان ، في صلته بربه وبنفسه وبالناس ، ليلة قدر الله فيها الأقدار كلها ، فما من شيء ينال أحداً من الناس ، أو يصيب بقعة من بقاع الارض الا وهو مقدور في هذه الليلة ، وان الأمة الاسلامية لم تكتب لها الأقدار الا بعد أن احتملت الجهد الكبير من الصيام والعبادة في هذا الشهر المبارك ، لتنال من الله الرحمة ، ويقيل عثراتها ، ويلطف بها في تصريف القضاء ، انها خير ما في الزمان من ليال ، لما جاء فيها من نور ، وما أشرق على الأمة من كتاب كله نور ، وما أرسل من رسول يحمل مشعل النور ، ذاك الذي استبدل بموت الأمة حياة ، وبضعفها قوة ، وبفرقتها جمعاً ، وبذلها عزاً ، وبجهلها علماً ، وبضلالها هدى ، وبغوايتها رشاداً ، وبكفرها ايماناً ، وقد طلب احياؤها بالذكر والعبادة . ففي ليلة القدر ظهر للناس الحق بعد الضلال ، وتبين لهم الرشد من الغي ، أما المؤمنون فزكت أرواحهم ، وطهرت نفوسهم ، واعتصموا بحبل الله واعتزوا به ، وعلموا أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فانبعثوا موقنين يعلنون كلمته ، وينشرون تعاليمه ، حتى غيروا وجه التاريخ بما أحدثوه من ثورة روحية قائمة على العلم والنظر الصحيح ، ولب لبابها القرآن الجامع لكل ما كان وما يكون .

ان ليلة القدر هي أول ليلة لاعلان الحكومة الاسلامية ، نزلت فيها أول آية من دستورها الديني والمدني ، تلك الحكومة التي يجب على الأمة تتبع خطاها ، وأن تسير على نهجها ، لتعود عزيزة القدر ، رافعة الرأس ، مهيبة الجانب موفورة الكرامة .

ان ليلة القدر هي ليلة اختيار الرسالة ، واختيار الرسول ، واختيار

الامة التي تقوم بأعباء هذه الرسالة ، الا وهي الأمة العربية ، فليلة القدر هي بدء المسؤولية العظمى التي وضعت في أعناق العرب ، فهم المسؤولون عن حمل الأمانة وأداء الرسالة ، ونشر الدعوة ، وتطبيق نصوص الدستور الالهي ، وهم المسؤولون عن تأسيس حكومة صالحة تأخذ على عاتقها مهمة القيادة الحازمة ، فتوجه سياسة العالم شطر الحق والخير ، واعلاء كلمة الله ، ولنقضي على هذه الفوضى الماحقة التي أوجدتها هذه السياسات الحديثة والتي هوت بالانسانية الى حضيض الظلم والبغي والفساد ، وسارت بها الى التفسخ والانحلال •

لقد حملت ليلة القدر في تضاعيفها أنزال القرآن الكريم الى بيت العزة في سماء الدنيا ، وارسال محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، فاقترنت آية الافتتاح (اقرأ باسم ربك الذي خلق) بآية الدعوة (يا أيها المدثر قم فانذر) فنالت الفضيلتين القرآن والرسالة •

فكانت ليلة القدر صلة بين الارض والسماء ، فقامت لله فيها الحجة البالغة ببقاء القرآن الكريم الذي شرفت هذه الليلة بانزال أول قطرة من غيثه العميم ليكون لها ما بعدها من توالي الانزال ، فهي ليلة فرقت بين الظلمات والنور ، ومايزت بين الحق والباطل •

ان ليلة القدر رمز للسلام الذي ينبغي أن ينشده العالم بعد المجازر البشرية والوحشية التي لم يرتكبها أعرق الناس قساوة : (تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) •

وما ظفر السلام بمظاهر أعز وأسمى من تلك التي يتظاهر فيها ملائكة الله المقربون ، ليذيعوا السلام ويبثوه على العالمين •

هذا هو السلام الذي يدعو اليه الاسلام ، لا هذا السلام الذي لم

يتجاوز الاقوال بل تكذبه الافعال من استعداد للحرب ، واختراع لاقسى وانك المدمرات التي لو أطلق جزء منها لمحا هذه الكرة من الوجود .

لو انصفت الانسانية لاتخذت من ليلة القدر عيداً انسانياً يتوجونه بأقدس ما تعارفوه من أكاليل المجد والفخار ، ويخلدون ذكراه بأسمى ما تخلد به نعم الله الذي أرسل في هذه الليلة محمداً رحمة للعالمين .

ان المسلمين الذين هم دعاة السلم والسلام ليواجهوا هذه الليلة وقد تكاثفت عليهم الذئاب والثعالب ، واحتوشتهم الكلاب من كل جانب ، فينادون ولا من مجيب ، ويتظلمون ولا من مغيث .

اذا كان خصمي حاكمي كيف أصنع   لمن أشتكي حالي لمن أتوجع

ولكن المسلمين مهما اعتورهم من ضعف في السنين الخوالي ، فان الحوادث الأخيرة المتتالية قد أيقظت النائم ، ونبهت الوسنان .

جزى الله فلسطين ألف خير فهي التي قربت القلوب ، ووحدت الصفوف ، وأزالت الحواجز ، وسمحت ببذل النفس والمال . لقد حققت للمسلمين بأنهم أمام حرب صليبية يهودية تحتاج الى عزم وحزم وبذل وتضحية .

ان ليلة القدر هي الليلة التي تستجاب فيها الدعوات وتضاعف فيها الحسنات ، وتمحى فيها السيئات ، فتوجهوا الى الله تعالى ليفرج الكرب الذي حل بكم أيها المسلمون ، ويكشف السوء والبلاء .

في ليلة القدر أبواب السما فتحت   وشاع منها ضياء البشر والأمل
فضل وجود واحسان ومغفرة   لمن أناب ووفى صالح العمل
تنزل الوحي فيها بالكتاب على   خير البرية بالأنوار والحلل

قد خصه الله بالحسنى وأيده بوحيه وأتاه أيسر السبل

محمد صاحب النور الوضيء ومن له الشفاعة يوم الموقف الجلل

اللهم انا نسألك بقدسية هذه الليلة عندك ، أن تمن على المسلمين بالخير والسعادة والهناء وان تعينهم على بلوغ أمانيهم ، ورد المسلوب من حقوقهم ، لينالوا حريتهم واستقلالهم •

اللهم انا نسألك أن تفتح أبواب رحمتك للمسلمين ، وأن تهبهم من قوتك وعنايتك ما يمكن الايمان من قلوبهم ، والتضحية من نفوسهم وأموالهم •

اللهم مُنَّ على المسلمين بهيبة الاسلام ، وشجاعة الاسلام ، وعزة الاسلام ، واباء الاسلام انك سميع مجيب •

ليلة النصف من شعبان

ان الله تبارك وتعالى قد فضل الناس بعضهم على بعض بالتقوى والرزق ، وفضل بعض الانبياء على بعض في الدرجات ، وفضل بعض الاماكن على بعض في العبادات ، وفضل بعض الشهور على بعض في الحرمة ، وفضل بعض الأيام على بعض في مواسم الطاعات والاعياد ، ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ((ان لله في أيامكم ودهركم نفحات الا فتعرضوا لها ، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا)) .

وروى النسائي وأبو داود عن أسامة بن زيد أنه قال : قلت يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم .

وأخرج البخاري ومسلم عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياما من شعبان .

وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخص شهر شعبان بصوم زائد الا لفضله على الشهور الأخرى ولتتأسى به أمته في ذلك . قال أنس ابن مالك رضي الله عنه : كان المسلمون اذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقرؤها وأخرجوا زكاة أموالهم ، تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان .

وأهم ما وقع في هذا الشهر هو تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة ، وذلك في السابع عشر منه بعد ان بقي الرسول الكريم يستقبل في صلاته بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وقيل سبعة عشر شهراً • وان في تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة خذلاناً لليهود وانتصاراً للاسلام ، لأن اليهود كانوا يقولون لقد نزل محمد عن نصف دينه لنا ، وسينزل عن النصف الآخر ، لأن بيت المقدس قبلتهم • فاذا عظم المسلمون هذا الشهر فهو تعظيم لانتصارهم على اليهود ، وبعلو الفكرة الاسلاميه على الفكرة اليهودية •

ولقد وقعت حوادث أخرى في هذا الشهر غير تحويل القبلة منها غزوة بني المصطلق ، وغزوة بدر الثانية وهي التي تسمى بغزوة السويق ، وغزوة الغابة ، وتعرف أيضاً بذي قرد • وفي هذا الشهر فتح أبو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد مدينة دمشق ، كما أن حرب القادسية كانت في هذا الشهر بين الجيش الاسلامي الذي كان يقوده سعد بن أبي وقاص ، وجيش الفرس الذي كان يقوده رستم • وفي هذا الشهر افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند ، وفيه غزا محمد بن مروان بن الحكم أرمينية وهزم جيشها وافتتحها صلحاً ، وفيه قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني ، وفيه أخرج هارون الرشيد من كان ببغداد من العلويين وأرسلهم الى المدينة ، وفيه كتب المأمون لعماله بامتحان المحدثين والفقهاء والقضاة فمن لم يقل منهم بخلق القرآن أرسلوه اليه مقيداً •

أما ليلة النصف من شعبان فيندب فيها العبادة والذكر وعمل الخير وتلاوة القرآن والدعاء ، فهي ليلة فضلها عميم ، وأجرها جسيم ، ليلة يغفر فيها ذنوب أهل الاستغفار • فقد روى ابن ماجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا كان ليلة النصف من شعبان فان الله تعالى ينزل

فيها غروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من مسترزق فأرزقه ، ألا من مبتلى فأعافيه ، ألا من كذا ألا من كذا حتى يطلع الفجر .

وروى البيهقي في سننه والحافظ المنذري في ترغيبه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت ، فسمعته يقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك اليك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : يا عائشة أظننت أن النبي قد خاس بك - أي غدر بك ولم يعطك حقك - قلت : لا والله يا رسول الله ، ولكنني ظننت أنك قبضت لطول سجودك ، فقال : أتدرين أي ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : هذه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم .

وأخرج الامام أحمد بن حنبل عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يطلع الله تعالى على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين ، مشاحن وقاتل نفس .

لقد كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان الكلاعي الحمصي، ومكحول بن أبي مسلم الهذلي ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمون ليلة النصف من شعبان يجتهدون فيها في العبادة ، وكانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ، ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ، ووافقهم اسحاق بن راهويه المحدث الكبير على ذلك ، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها واحياءها . ومما يروى ان عمر بن عبدالعزيز كتب لعامله في

البصرة : عليك بأربع ليال من السنة ، فان الله يفرغ فيهن الرحمة افراغاً ، أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة الأضحى .

وقد تعاهد الناس على دعاء لليلة النصف من شعبان رواه ابن أبي شيبة عن عبدالله بن مسعود لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل قيل أنه مأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو :

يا ذا المن ولا يمن عليه ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا ذا الطول ، لا اله الا أنت ، ظهر اللاجئين ، وجار المستجيرين ، ومأمن الخائفين ، اللهم ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقتراً علي في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقوتي وطردي وحرماني واقتار رزقي ، واثبتني عندك في أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات ، فأنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) .

الهي بالتجلي الاعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم ، التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم ان تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم ، أنك أنت الله الاعز الاكرم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وقد روى ان عبدالله بن مسعود كان يقول : ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله له في معيشته .

وأحسن ما يدعو به الانسان هو ما ورد في القرآن الكريم ، من قول الله تبارك وتعالى من آيات الدعاء وبما ورد من أدعية رسول الله .

روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له أبو أمامة جالساً فيه ، فقال رسول الله : يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير

وقت صلاة ، قال : هموم لزمتني وديون يا رسول الله ، فقال : الا اعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ، فقال : بلى يا رسول الله ، قال : قل اذا أصبحت واذا أمسيت : اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، قال أبو أمامة : فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى ديني (رواه أبو داود) .

هذا ما يستحب عمله في شهر شعبان لا سيما ليلة النصف منه ، وهذه هي السنة المتبعة في جميع بلاد الاسلام .

أما في بعض مدن العراق فان أبناءها يحيون ليلة النصف من شعبان بمنتهى الاستهتار ، فلقد توارث هؤلاء عن المجوس منذ عهد البرامكة في العراق ، توارثوا أحياء هذه الليلة بتفجير المفرقعات والضرب على الدنابك والسير في الطرقات نساء وشباباً وأطفالا ، وهكذا الى شروق الشمس .

لقد قلب هؤلاء العبادة الى عصيان وطرد من رحمة الله ، واتخذوا الدين لهواً ولعباً ، واهدار ألوف الدنانير على شراء المفرقعات ، فكم من أموال هدرت في هذه الليلة ، وكم من أجساد تمزقت ، وكم من وجوه تشوهت ، وكم من جرائم ارتكبت كل هذا وغيره يرتكب باسم احياء هذه الليلة المباركة .

(الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا يجحدون) .

موقعة بدر الكبرى

لقد علمنا القرآن الكريم أن نستفيد من عبر الحوادث الماضية ، ونستهدي بما اشتملت عليه من حكم بالغه ، وأسوة حسنة ، فما أجدرنا نحن المؤمنين بهذا الاسلام أن نختار من وقائع ماضينا ، ومآثر مجدنا ، ما ينير أمامنا السبل ، ويبعث في نفوسنا عوامل النهوض ، ويمدنا بقوة تدفعنا الى ان نعيد سيرتنا الاولى في التاريخ، وننقذ أمتنا مما تعانيه من تفكك وخلاف .

ان من أعظم الحوادث التي وقعت في شهر رمضان المبارك هي غزوة بدر الكبرى ، فلقد حدثت يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة . وكان سببها قتل عمرو الحضرمي ، واقبال أبي سفيان من الشام في قافلة لقريش فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه من المدينة لثمان خلون من رمضان ، خرج عليه الصلاة والسلام وعن يمينه أبو بكر الصديق وعن يساره عمر الفاروق ، وأمامه سعد بن عبادة وسعد بن معاذ سيدا الانصار .

ولقد بلغ الحماس في الخروج الى هذه الغزوة مبلغه ، حتى ان الرجل يساهم أباه في الخروج وكان ممن ساهم سعد بن خيثمة وأبوه ، فخرج سهم سعد ، فقال له أبوه : يا بني آثرني اليوم ، فقال سعد : يا أبت لو كان غير الجنة آثرتك به ، اني أرجو الشهادة في وجهي هذا ، فقتل سعد في بدر ، وقتل أبوه يوم أحد .

ولما علم أبو سفيان بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل يستنصر قريشاً ويخبرهم الخبر ، فخرجوا مسرعين ، ولم يتخلف أحد من أشراف مكة ، ومن تخلف بعث مكانه رجلا ، فأخبر رسول الله بذلك ،

فاستشار الناس في أمر القتال وأخبرهم بأن الله تعالى أوحى اليه ووعده النصر ، فأدلى أبو بكر الصديق وعمر الفاروق برأيهما فأحسنا ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، وسكت الناس ، فقال رسول الله : أشيروا علي أيها الناس ، وكان يريد الانصار فأحس بذلك سعد بن معاذ ، فالتفت الى رسول الله وقال : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل . قال سعد : فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، انا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فأشرق وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : سيروا وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم .

ثم سار الرسول الكريم بجيشه الذي كان يتألف من ثلاثمائة وثلاثةعشر مقاتلا حتى نزل بدراً ونزل المشركون بالعدوة القصوى ، ثم أخذ الرسول يعدل صفوف أصحابه . ثم تزاحف الناس والتقى الجمعان ، فرجع الرسول الى العريش الذي أنشيء له ومعه أبو بكر الصديق شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ، وقد اندفع أصحاب رسول الله الى القتال مستبسلين ، وشدوا على الأعداء ، حتى وقعت الهزيمة في صفوف المشركين ، وقتل منهم من قتل ، وأسر منهم من أسر ، وقتل أكثر الاصحاب أقرباءهم الذين كانوا في صفوف المشركين ، وهكذا انتهت المعركة بانتصار الحق على الباطل .

ان في بدر لعبراً عظمى للمسلمين ، ان في بدر لمثلا أعلى للايمان الصادق ، ينتصر بقوته وحدها مع شيء يسير من السلاح المادي على الباطل مع كثرته ، ووفرة عدته •

ان في بدر نماذج من أعلى الذروة من السمو والعقيدة الراسخة ، تجرف أمام رابطتها كل الروابط ، من نسب وقرابة ومال ، فلا يرى الولد حرجا في قتل أبيه ، ولا الاخ بأسا في سفك دم أخيه ، ولا ذو المال يتردد في التضحية بكل ما يملك في سبيل الله واعلاء كلمة الحق وكسر شوكة أعداء الاسلام •

ان في بدر لدرساً للمسلمين لاعداد القوة لارهاب العدو ، والى أن الاستعداد للحرب قد يمنع الحرب ، أما اذا لم يرهب العدو ، وان لم يبق سبيل لدفع الضرر الا الحرب فلتقع الحرب ، وها هم أئمة الكفر من قريش قد حرضوا الناس على قتل المؤمنين ، والقضاء على محمد وأصحابه ، وهذا هو دأب أئمة الكفر وأهل النفاق في كل عصر وزمان •

ان في بدر لمظهراً من أسمى المظاهر للمؤمن الحق ، تثور في نفسه النخوة ، وتهتز في جوانب قلبه النجدة لتأييد الدعوة ونصرة الدين •

فأي جيش في العالم تكون القوة الروحية والمعنوية في قواده وجنوده أشد من هذه القوة التي يبعثها الاسلام في نفوس أهل بدر ، كيف يخذل جيش تمتلك هذه الروح جنده ، الا أن هذا الاسلام لا يضعف معتنقوه ولا يذل معتقدوه ، الا اذا ضعف الايمان في نفوسهم •

لقد كان أبطال بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، ولكن آثار جهادهم غيرت وجه التاريخ ، وكانت الحد الفاصل بين نهضة العالم في ظلال الاسلام وارتكاسه في ضلال الكفر والعصيان •

هذه غزوة بدر التي استقر بها الأمر للمسلمين من بعد في جزيرة العرب ، والتي كانت مقدمة لوحدة الجزيرة ، ثم في الدولة الاسلامية المترامية الاطراف ، وأقرت في العالم حضارة زاهية زاهرة تولد منها هذه الحضارة الحاضرة •

يجب أن يكون لنا ايمان كأيمان أهل بدر ، وعندئذ لا يقف أمامنا العالم كله ، ولا نغلب في جميع نواحي الحياة •

انكم اليوم كأصحاب بدر حيث تألب العالم عليكم كما تألب عليهم المشركون • وعمل للقضاء عليكم وعلى دينكم واتحادكم كما كان على أهل بدر • واذا أردتم الغلبة فعليكم التحلي بالايمان الذي تحلى به أهل بدر ليكون المستقبل لكم ، والعالم طوع ارادتكم والا فيومكم خير من غدكم ، ولا يظلم ربك أحدا •••

الزكـــــاة

لقد اصطلح العراقيون أن يجعلوا من شهر رجب من كل عام وقتاً لاخراج زكاة أموالهم ، وانهم لمتبعون في ذلـك ما كان يجري في صدر الاسلام ، فلقد ذكر أن أمير المؤمنين عثمان بن عفـان رضـي الله عنـه وقف خطيباً على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رجب فقال : هذا شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤد دينه حتى تحصل أموالهم فيؤدون منها الزكاة • لان الزكـاة تطهير للمال من اختلاطه بحق الغير ، الذين هم مصـارف الزكاة ، وكذا تطهير الاغنياء من الاثرة التي هي من أشـــــد المعاول هدماً للمجتمعات •

ان الزكاة في الحقيقة لا تجب في يوم معلوم ، أو في فترة زمنيـــه كزكاة الفطر ، بل هي تتوزع على أيام السنة ، اذ كلما وجد نصاب وحال عليه حول كامل وجبت زكاته ، وفي ذلك تحريك للاخـــذ والعطـــاء ، وتحريك للثروة ، ودفع جزء من المال الى اقتصاديات البلد ليزيدها حيوية ونشاطاً •

لقد جعل الاسلام أتباعه في هذه الدنيا أبناء أسرة واحدة ، وأبان لهم اقتضاء حكمة الله بأن يتفاوتوا في الملكات والكفاءات والعمل والتفكير والغنى والفقر ، كما جعل المال زينة الحياة الدنيا ، يصان به العرض ، ويؤدى به الفرض ، وتخفف به متاعب المحتاجين ، وقد استخلف الله عليه بعض عباده ، لأنه ماله ، وهو بيد الناس عارية ، ليؤدوا حقوقه ، ويشكروا فيه نعمة ربهم عليهم بمواساتهم ذوي الحاجات وأصحاب الفاقة والمصارف الاخـرى التي عددها القرآن •

فرض الله تبارك وتعالى الزكاة على مالك نصابها لغرس حب الخير في النفوس ، وقتل الحقد والحسد ، وحماية الاغنياء من خطر الفاقة وشر المسغبة التي اذا هاج ثائرها لا تبقي ولا تذر ، وللقضاء على ما يهدد المجتمع الانساني بالخراب والدمار ، قال تبارك وتعالى ترغيباً في الزكاة (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذينهم بآياتنا يؤمنون) .

ان ما يقدمه المرء من صدقة مردود اليه نماء وطهرا ، فالله تعالى يأخذ قدراً زهيداً من المرء لأخيه ليحيطه ويفتديه ، ويربط بينهما برباط وثيق ، رباط التكافل الاجتماعي والرحمة والتعاطف .

ان ما يقدمه المرء هو عائد عليه ، وفي الحديث القدسي : يا عبدي أنفق أنفق عليك ، واذا تظن فانه يظن عليك ، أو تبخل فينزع المال من بين يديك ، أو تسيء الظن في المزيد فتساء فيما لديك .

ان مالك الارض والسماوات وما فيهن ينادي عباده المستخلفين على ملكه : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم). فما يطلب المرء بعد ان خاطبه تعالى بهذا الاسلوب الكريم ، مع ان المال مال الله ، والعبد مستخلف عليه ، فهو تعالى يعد المنفق بمضاعفة الأجر ومضاعفة النعمة والجزاء .

يجب أن تطيب نفس المزكي بما تقدمه ، ولم تر لها فضلا فيما أحرزت أو أنفقت ، والفضل دائماً لله الغني المتفضل .

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت ، لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان .

ان الامة التي لا تعـــاون بين أفرادها ، ولا تكافل أو تراحم بين ابنائها ، لا شك انها مشرفة على الانهيار ، ولقد شبه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بالجسد الواحد في توادها وتراحمها وتعاطفها .

ومن هنا ندرك لم قاتل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة ، وسوى بينهم وبين المرتدين في حروب الردة ، لأنه رأى ان فـي محاربتهم حماية الأمة من أن تنفك روابطها ، أو أن يتفرق عقدهـــا ، وتأديباً لهؤلاء الذين غفلوا عن مصدر المال فمنعوه ، وفاتهم أن المال مـال الله : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنـوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) .

فمن منع حق الله في الزكاة يقاتل عليها ، لأنه بذلك يفتح باباً واسعاً لقتل نفوس بريئة ، قد يكون هو أحدهم ، اذ لا يعلم أحد ما يبيته الغدر ، وكم من غني بات فقيراً تحل عليه الصدقة ، وان زمام المال ليس بيـــد الانسان انما هو بيد الله ، يقبض ويبسط واليه ترجعون .

يجب أن يسن قانون لأخذ الزكاة ، اذ بذلك تحصل الأمة على النزر من هذه الثروات التي لم يعرف عن أصحابها أنهم صرفوا فلساً واحداً في سبيل الخير والخدمة العامة : (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

الاســلام والاحســان

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كــان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فتحمى عليهـا في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف ســنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله أما الى الجنة واما الى النار) .

لقد سمع الرعيل الاول من هذه الأمة هذا الحــديث وأمثاله مــن ارشادات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته ، ليكون منهم الانســان الكامل ، والمثل للاجيال المتعاقبة ، نغدوا يعيشون لأمتهم لا لأنفســـهم ، يعيشون لبلادهم لا لأهلهم ، يعيشون لاسعاد أبناء دينهم لا لاسعاد أبدانهم ، وصيروا مجتمعهم مجتمعاً متكافئاً في جميع نواحي الحياة ، لا فرق بين غني وفقير ، وآمر ومأمور ، وسيد ومسود .

لقد جعل الاسلام الاحسان صرح الرحمة والاخاء ، وأساس التقدم والعمران ، وبنى قوائمه على الايمان والاحسان : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجه لله وهو محسن) . وقرر هدم الفوارق ، وآخى بين الطبقات ، فالمسلم أخو المسلم يواسيه بماله وجاهه وعلمه وقوته .

لقد أشعر الاسلام أتباعه بالوحدة الموجبة للتكافل والتعاون والايثار ، وان المال المملوك للبعض قوام المجتمع كله ، وحارب الشح الذي يمنــع من التراحم ومساعدة الضعفاء . فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح . أمرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثال الاحسان والسخاء ، لا يسأل الا أعطى . لقد أعطى غير واحد مائة من الأبل دفعة واحدة ، وأعطى لرجل ثلثمائة من الأبل ، وقد سأله رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، وعندما رجع ذلك الرجل الى قومه قال لهم : اسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة .

وإليكم أمثلة من بذل سلف هذه الأمة واحتقارهم للمال في سبيل الخير والخدمة العامة ومرضاة الله .

لقد تصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجميع ماله وكان أربعين ألفاً ، ومات وما ترك درهماً ولا ديناراً .

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد تصدق بنصف ماله ، وكان مضرب المثل في العطف على ذوي الحاجات والفقراء ، حتى كان يتعهد المقعدين بنفسه ، ويحمل على ظهره القوت للمحتاجين والمنقطعين . ولقد أتته خزائن الدنيا ففرقها واستشهد ولم يترك شيئاً .

ولقد قحط الناس في خلافة أبي بكر الصديق ، وبينما كان الناس في ضيق وحاجة شديدتين اذ قدمت ألف راحلة طعام لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأسرع التجار اليه يساومونه شراءها ، وكلما أربحوه على شرائها قال لهم قد زادوني ، فقالوا له : من زادك ونحن تجار المدينة ؟ قال لهم : زادوني بكل درهم عشرة عندكم زيادة ؟ قالوا : لا ، قال : أشهدكم أنها صدقة على فقراء المدينة .. كما تصدق بتجهيز نصف جيش العسرة الذي كان يبلغ ثلاثين ألفاً كما قيل .

وقد رؤي علي رضي الله عنه يوماً وهو يبكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، فأخاف أن يكون الله قد أهانني .

أما عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فقد أنفق على الفقـــراء والمساكين في يوم واحد تسعين ألف درهم وسبعمائة جمل ، واستمر عـلى ذلك طوال حياته ، وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله •

واعطى طلحة بن عبيدالله في يوم واحد سبعمائة ألف درهم ، وبقى حدبه وعطفه على الفقراء الى أن أغتيل بيد أثيمة يوم الجمل •

وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه يبيع داراً لـه بستمائة ألـف درهم ويقول : هي في سبيل الله ، ويستمر على البذل والسخاء مدة حياته ، وعندما استشهد تولى ولده عبدالله تسديد ديونه •

وروي أن صهيب بن سنان رضي الله عنه رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له : انك تطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال ، فقـــال صهيب : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : خيركم من أطعـم الطعام ورد السلام ، فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام •

وعن أيوب بن وائل الراسبي أنه قال : أخبرني رجل جار لعبدالله بن عمر رضي لله عنهما أنه أتى ابن عمر أربعة آلاف من قبل معاوية ، وأربعة آلاف من قبل انسان آخر ، واثنان من قبل آخر ، وقطيفة ، فجـــاء الى السوق يريد علفاً لراحلته بدرهم نسيئة ، فقد عرفت الذي جـاءه ، فأتيت سريته (أي جاريته) فقلت لها : أريد أن أسألك عن شـــيء وأحب أن تصدقيني ، ثم قلت : أليس قد أتت أبا عبدالرحمن أربعة آلاف من قبـــل معاوية ، وأربعة آلاف من قبل انسان آخر ، واثنان من قبل آخر ، وقطيفة ، قالت : بلى ، قلت : فاني رأيته يطلب علفاً بدرهم نسيئة (أي بالاستدانة) قالت : ما بات حتى فرقها ، كما حمل القطيفة واعطاها لآخرين • فقلت : يا معشر التجار ما تصنعون بالدنيا وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة •

ولقد كان أويس القرني يتصدق حتى بثيابه ، وكان يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه الى صلاة الجمعة ، وكان يتصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب .

وهذا حكيم بن حزام عندما كان يحج يهدي ألف بدنة وألف شاة تنحر ويتناولها الفقراء والمعوزون ، وعندما يقف بعرفة يقف بجانبه مائة مملوك في أعناقهم أطواق من الفضة منقوش عليها عتقاء لله ، ولقد باع دار الندوة التي كانت بيده باعها بمائة ألف درهم ثم فرقها على الفقراء والمحتاجين وقال : اشتريت بها داراً في الجنة .

ولقد كان الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه يجمع أرباح تجارته فيشتري بها حوائج المحدثين ، وكان لا يشتري لعياله شيئاً من طعام أو كسوة حتى ينفق مثله على الفقراء .

وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه قدم الى مكة المكرمة ومعه عشرة آلاف درهم فلم يستقر حتى فرقها على الفقراء .

وهذا الامام محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه قد حملت اليه بضاعة فاجتمع بعض التجار وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال لهم : انصرفوا الليلة ، فجاءه في الغد تجار آخرون فطلبوها بربح عشرة آلاف درهم ، فردهم وقال : اني نويت البارحة أن أدفعها الى الفقراء ، فدفعها اليهم .

ولما نسي الخلف دينهم ، وانطمست معالمه من نفوسهم ، وتنكبوا الطريق السوي ، واتبعوا أهواءهم وشهواتهم ، ولم يطبقوا تعاليم شريعتهم في حياتهم ، تبلدت منهم الضمائر ، وتحجرت المشاعر ، ولم تستيقظ نفوسهم بالوعظ والارشاد ، وأهملوا التعاون على الخير والمعروف ، وقد عناهم سيد الرحماء بقوله : ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة ، يقولون ربنا ظلمونا

حقوقنا التي فرضت لنا عليهم ، فيقول الله : (وعزتي وجــلالي لأدنينكم ولأبعدنهم) • ولقد خطب صلوات الله وسلامه عليه فقال : يا أيهـا الناس ان الله قد اختار لكم الاسلام دينا فأحسنوا صحبة الاسلام بالسخاء وحسن الخلق ، الا وان السخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا ، فمن كـــان منكم سخياً لا يزال متعلقاً بغصن منها حتى يورده الله الجنة •

لقد عشق بعض الناس البخل والحرص ، وأصـــبحوا لا يكادون يشعرون بآلام أمتهم ويعتقدون أن السعادة كلها في أن يعيشوا لأنفســهم ، ولا يشركون أحداً في النعمة التي ينعمون بها ، ان هدمهم لركن من أركان الاسلام سيئول بهم الى هدم ثرواتهم ، وسيبتليهم الله بالكوارث التي تجتاح أموالهم • وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة) •

الانفاق في سبيل الله

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخـــل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأنتم الفقراء • وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) •

لقد عنى الاسلام بالجهاد فجعله ركناً من أركانه ، وشعيرة مفضـــلة من شعائر تعاليمه • ولم يقصر الجهاد على النفس ، بل قدم عليه الجهـــاد بالمال ، لأنه هو السلاح الماضي ، وآلة الغلبة ، وطريق العزة والكرامـة • فيه اصلاح الجماعات ، وتقوية لبناتها ، وقطع للأيـــدي العابثة ، وتمزيق لأهل الغدر والخيانة ، والظلم والعدوان •

لقد أنال الله تبارك وتعالى المجاهدين بالمال شرفاً عظيماً ومثوبة حسنة ، ورفعهم أعلى الدرجات ، وأذهب عنهم الخوف والهلع ، والحزن والجزع ، يقول الله تبارك وتعالى : (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعـون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عنـد ربهم ولا خـــوف عليهم ولا هـم يحزنون) •

لقد تكفل الله للمنفق بمضاعفة العوض في الدنيا ، أما في الآخـــرة فمغفرة من الله ورضوان (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثـل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشـــاء والله واسع عليم) •

روي أن هاتين الآيتين وما بعدهما من آيات الانفاق نزلت في أمـير المؤمنين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، وذلك أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج الى غـزوة

تبوك ، فتقدم اليه عثمان بن عفان وقال : يا رسول الله ، عليَّ جهاز من لا جهاز له ، وقدم لرسول الله تسعمائة وخمسين بعيراً وخمسين فرساً وعشرة الاف من الدراهم ، وقيل من الدنانير ، وتعهد بتجهيز نصف جيش العسرة من ماله • وقد رؤي النبي بعدها وهو رافع يديه الكريمتين ويقول : اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه وذلك من أول الليل الى أن طلع الفجر • ولما وضع الدنانير في حجر رسول الله ، أخذ الرسول يقلبها ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ، لا يبالي ما عمل بعدها ، اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه •

ثم جاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف ، وقال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة الاف ، وأربعة آلاف أقرضتها لربي • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت •

ولقد ساهم في اعداد الجيوش الاسلامية وتجهيزها ، فقد حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله ، وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله •

وهذا أبو بكر الصديق يجيء الى رسول الله بجميع ماله لينفق على المجاهدين في سبيل الله ، حتى يقول له سيدنا رسول الله : ما أبقيت لعيالك ؟ فيقول : أبقيت لهم الله ورسوله •

روى الدارقطني عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندي ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . فقلت : لا أسابقك الى شيء أبداً .

وهذا طلحة بن عبيدالله يبيع أرضاً له بسبعمائة ألف درهم ويقدمها في سبيل الله .

وهذا الزبير بن العوام يبيع داراً له بسبعمائة ألف درهم ، فقيل له : يا أبا عبدالله غبنت ، فقال : كلا ، والله لتعلمن أني لم أغبن ، هي في سبيل الله .

وأرسلت النسوة بكل ما يقدرن عليه من حليهن وزينتهن ، ونزلن عن كل ما به تمام حسنهن وجمالهن .

وقد جاء الى رسول الله سبعة من فقهاء الصحابة يطلبون اليه ان يحملهم للذهاب الى غزوة تبوك ، فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون ، فجهزهم عثمان بن عفان والعباس بن عبدالمطلب .

وقد كان سبط ابن الجوزي يعظ الناس في مسجد دمشق ويحظهم على الجهاد بالنفس والمال لمقاومة الصليبيين وتطهير الارض الاسلامية من رجسهم ، وذلك سنة سبع وستمائة . وقد حضر ذلك المجلس نسوة من دمشق فاتفقن على أن يقدمن شعورهن ستعمل في الأدوات اللازمه للمجاهدين .

ولما صعد السبط المنبر أمر باحضار تلك الضفائر ، فأحضرت فكانت ثلاثمائة ضفيرة ، فلما رآها الناس صاحوا صيحة عظيمة ، وأخذ كل منهم سلاحه والتحقوا بالملك المعظم بنابلس ، وهجموا على البلاد التي تحت احتلال الصليبيين وأسروا جماعة منهم ، ولم يجسر أحد أن يخرج من عكا ، وخاف الافرنج فأرسلوا الى الملك العادل وصالحوه .

لقد عرف الاسلام أتباعه بأن السخاء صفة من صفات الله ، وخلق من أخلاق الانبياء ، وشعيرة من شعائر الاتقياء ، وانه من أسمى الفضائل الانسانية • وفي الأثر قال جبريل عليه السلام : قال الله تعالى (ان هذا دين ارتضيته لنفسي ، ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، فأكرموه بهما ما استطعتم) •

هذه نماذج من سلف هذه الأمة التي اختارها الله لحمل الرسالة وتوجيه العالم الى الخير ، تلك الأمة التي ضربت للأمم أروع الأمثال في بذل النفس والنفيس في سبيل اعزاز الأمة وتمكين عقيدتها حتى صارت خير مثل يحتذى ، وأنشودة التاريخ والفداء •

فأين هذا من هؤلاء الاغنياء الذين لا يحسون بما حولهم، ولا يشعرون بما يجب عليهم ، لأنهم لا يعلمون بأن ما يملكونه هو رأس مال للأمة ، لها أن تستفيد منه عند حاجتها اليه ، كما أباح الشارع للدولة أن تضع يدها على كل ما بحوزة الأفراد والجماعات اذا توقف عليه غلبة الأمة في كفاحها ورد أعدائها •

يجب أن يشعر كل فرد بأن عليه اعانة حكومته لاستكمال قوتها وتسليح جيوشها لتقف بكامل عدتها أمام أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر •

علينا والله أن نخجل من أنفسنا ، فهؤلاء اليهود عباد المال يعيشون عيشة تقشف والرضا يسد الرمق ليكونوا لهم قوة يعتزون بها ، وقد رأيتم ثمرتها • أما نحن فنبخل حتى بالشيء الزهيد لاعانة الدولة التي تريد أن تسترجع مكانتها وتستكمل قوتها وتعد العدة ليوم الفصل •

ان المستعمر وأعداء البلاد قد بذروا بذرة التشكيك بكل حكومة تتولى تسيير دفة الأمور وهذه هي السنة التي استنها عبدالله بن سبأ اليهودي للطعن على الأمراء والحكام • وقد أثار بذلك الرعاع والموالي على الشهيد

عثمان بن عفان وقد تبنى الكثير من سكنة هذه البلاد تلك التعاليم السيئة ، فأخذوا يطعنون بكل حكومة تتولى ادارة البلاد حتى تعم الفوضى ويعز الاستقرار •

أيها الناس : الى الجهاد بالمال والأنفس ، الى النفير العام ، الى التدريب العسكري ، الى جنة عرضها السماوات والارض ، الى موت خير من ألف حياة يسود فيها اليهود • وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته ، فله بكل درهم سبعمائة ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك ، فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ •

هـذا هو الاســـلام

لقد حث دينكم معتنقيه على ولوج طرق الخير ، والاكثار من أعمال البر ، وتوسيع جهات الاحسان ، والقضاء على الفقر ودواعيه ، وتخفيف آلام المعوزين ، واغاثة الملهوفين ، ولقد نص على التكافؤ بين جميع المسلمين في المال ، لذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، والله ما أنا أحق به من أحد ، والله ما أحد الا وله في هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليصلن الراعي بجبل صنعاء حقه من هذا المال وهو في مكانه يرعى .

ولقد أمر رضوان الله عليه بتأسيس ديوان وأمر الكتبة بأن يكتبوا الناس على منازلهم ، وبعد أن انتهى التسجيل والتدوين فرض أعطيات حتى للاطفال ، بل لكل مولود من يوم ولدته أمه ، فكانت الأمة يعيش جميع أفرادها في رخاء وهناء ، لا يفكر أحدهم في طعامه ولا في شرابه ، لأن الدولة قد تكفلت بذلك .

وقد ذكر المؤرخون أنه كان ينفق على سكان المدينة المنورة وحدها في كل عام ثلاثين مليوناً من الدراهم .

ولا ندري هل يوجد في الانظمة الحديثة الديمقراطية منها والاشتراكية والشيوعية مثل هذا النظام الذي جاء به الاسلام .

قال الحسن البصري : شهدت منادي عثمان بن عفان رضي الله عنه ينادي : يا أيها الناس أغدوا على أعطياتكم فيغدون ويأخذونها وافية ، يا أيها الناس أغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها واقية ، حتى والله سمعته أذناي يقول : أغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل ، أغدوا على السمن

والعسل • ثم قال الحسن : أرزاق داره ، وخير كثير ، وذات بين حسن ، ما على الارض مؤمن يخاف مؤمناً ، بل يوده وينصره ويألفه •

وكان عمر بن عبدالعزيز يرى وهو قابع لمفرده باحدى زوايا الطرق ليلا ، وقد سئل مرة في ذلك فقال : اني أرابط هنا متحرياً عن الذين يكتنفهم الجوع في الليل ، ولو كنت أعلم أين مكانهم لذبحت لهم ناقتي وحملتها اليهم أربا حتى منازلهم ، أجاركم الله هل منكم من يدلني على هؤلاء المرهقين •

فليقل دعاة المباديء الحديثة هل يوجد في مبادئهم مثل هذا ، وهل سمعوا بمباديء تخدم الانسانية وتحدب على البشرية مثل المباديء الاسلامية •

لقد عمل المسلمون في التوسع على أعمال الخير والبر وعلى المنصرفين لخدمة تعاليم الدين وتفهيمها ودراستها والقيام بشعائرها ، ففتحوا باب الوقف الذي تنتقل به الملكية الفردية الى ملكية عامة تعم جميع المسلمين على التعاقب ، ويرصد ريعه أما على مسجد أو مدرسة أو مستشفى أو رباط ، أو لأبناء السبيل والمساكين ، وجعل مآل كل وقف للفقراء والمحتاجين •

لقد وقف كثير من المسلمين وقوفا شتى لمقاصد خيرية مختلفة قصد الثواب واعانة الفقير والمسكين والارملة واليتيم وطلاب العلم والمدرسين والأئمة والخطباء والوعاظ والمرشدين • على أن يكون صدقة جارية لا تنقطع ومنفعة مستمرة ، وذلك اتباعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) •

ولقد جاء عن السلف الصالح الشيء الكثير في هذا السبيل ، وكان من أثر ذلك هذه الأوقاف المحبوسة في هذه البلاد •

ولقد ابتكر بعض الواقفين رحمهم الله تعالى طرقاً عديدة لمساعدة الفقير والمحروم •

من ذلك أنه توجد أوقاف خصص ريعها لاطعام الطعام لكل محتاج وغريب ، وكانت منتشرة في جميع أنحاء هذه البلاد لا سيما في بغداد ، ولكن القائمين على ادارة الاوقاف والمتولين على تنفيذ شروط الواقفين قد تصرفوا بتلك الموقوفات حسبما يشتهون .

كما وقفت خانات وتكايا ومنازل ورباطات لايواء الفقراء والمسافرين مع تقديم الطعام اليهم .

ومن الاوقاف ما خصص ريعه للفقراء حسب منزلتهم ومكانتهم وعلى مقدار أفراد عوائلهم .

ومنها ما خصص لطلاب العلم ولمن يتعلمون تجويد القرآن الكريم ، ولختان أولاد الفقراء واكسائهم ، وشراء ملابس توزع على الفقراء في أول الشتاء ، وتجهيز الموتى من الفقراء ، ولأيواء اليتامى والقيام بتعليمهم وواجباتهم المعاشية .

أما الجوامع والمساجد فقد خصصت لها أوقاف كثيرة لتعميرها والترفيه عن موظفيها .

هذا بعض ما هو موقوف على المعابد وموظفيها ، وعلى الفقراء والمعوزين ، وليفتش دعاة الاصلاح الاجتماعي في طيات الوقفيات المطمورة في أضابير دوائر الاوقاف أو في سجلات المحاكم الشرعية ليعلموا مقدار الحيف الذي لحق الواقفين رحمهم الله تعالى من هذه التصرفات وكيف أن هؤلاء قد ضربوا بشروط الواقفين عرض الحائط ، وتصرفوا بالموقوفات تصرف المالك بملكه ، فكان عملهم هذا سبباً مباشراً لقطع سبل الخير في هذه البلاد ، وامتناع الناس من وقف أي شيء ، لأنهم قد رأوا بأعينهم كيف أن رغبات الواقفين قد ضرب بها عرض الحائط ، وصرفت غلات الموقوفات حسب الرغبات والأهواء بما يصطدم ورغبات الواقفين وأحكام

الشرع الشريف ولا يستسيغ المرء حرمان أهله وأقاربه من ماله ليتصرف به الغير وينفقه في سبيل هي ورغباته على طرفي نقيض •

أما اليوم فينتظر الغيورون على مصالح الدين وأوقاف المسلمين أن تتبدل الحال ، وتصان حقوق الواقفين وتنفذ رغباتهم وشروطهم ، والصرف على الجهات التي عينوها وقصدوا الخير من ورائها وأن يصلح الفاسد ، ويكمل الناقص ، وأن يعمر الخراب ، وان تصان حقوق ذوي الجهات ، وتزدهر الحركة الاسلامية وتنبعث من المساجد كما انبعثت منها من قبل •

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ •

الحج وأثره في سلامة المجتمع وتهذيب النفوس

الحج أعمال مخصوصة تؤدى في زمان مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص يقوم بها المرء تقرباً الى الله تعالى وطلبا لثوابه وغفرانه •

لقد جعل الاسلام من الحج ركناً اجتماعياً من أركانه ، يقيم نظام المجتمع على أساس من التعارف والتآلف ، ويشيد بنيانه على قواعد التعاون والتكاتف ، ويحقق بين المسلمين معنى المساواة والاخاء اللذين هما شعار السلام ، ومبعث الحرية ، وروح الديمقراطية •

جعل الاسلام الحج مؤتمراً عاماً ، تتقابل فيه مختلف الشعوب والطبقات الاسلامية في صعيد واحد ، على دين واحد ، في زي واحد ، وغرض واحد ، لتتحكم الألفة والمحبة فيما بينهم ، وتتشاور فيما عملته في السنة الغابرة ، وما يجب أن تعمله في السنة القابلة من اصلاح حالها الذي هي فيه ، والدفاع عما نزل ببعضها من ظلم وجور ، وليفكر مفكروها في الطرق التي يجب أن يسير عليها المسلمون لازالة ما بينهم من تناكر وتقاطع وتخاذل ، ويستحضروا الوسائل للتخلص من استبداد المستبدين ، وتحكم الظالمين ، حتى يعيش الفرد والمجموع المسلم حراً في بلاده وأوطانه ، ليس عليه سلطان غير الاسلام ، وهناك يخطب الخطباء ويعظ الواعظون لتحريك الهمم واحياء الآمال ، واملاء القلوب والنفوس شجاعة واقداماً ، ومفاداة وقوة ، كي ينهضوا ويعيدوا مجدهم السابق ، وحقهم المغتصب ، وحريتهم المسلوبة ، هذا هو مفهوم الحكمة من الحج في كل عام •

هناك في أشرف بقعــة من بقاع الارض ، وفي أحب أرض الله الى رسول الله ، نادى منادي الأسلام أن هلموا الى مشرق شمس الاســلام ، وموطن مولد سيد الانام ، ومركز النور الذي محا الظــلام ، ففيه مأمـن الخائف ، وملجأ العائذ .

هنالك حيث غار حراء متعبد النبي ومتنزل الوحي الالهي .

هنالك حيث دار الأرقم بن أبي الأرقـم التي أراد المشــركون أن ينفذوا فيها ما تآمروا عليه من قتل رسول الله ، فأظهره الله على كيـدهم ، وعصمه من مكرهم .

هنالك حيث غار ثور ملتقى محمد بصاحبه أبي بكر الصـــديق ، وحفظهما من كيد الكائدين ومكر الماكرين .

هنالك عرفات حيث وقف صاحب الرسالة العظمى وبجانبه صاحبيه ووزيريه أبي بكر وعمر يحيط بهم أنصار نبوته ، ورسل دعوته ، وسادات العرب من قومه وعشيرته ، ومن حولهم وفود الحجيج ينصتون الى رسول الله وهو يخطبهم خطبته التي فيها مجمل ما يجب أن يتصف به المســلم نحو ربه ونفسه ومجتمعه .

هنالك وقد نزلت البشرى من السـماء مدويــة في جميع الانحــاء والارجاء : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لـكم الاسلام دينا) .

هنالك يقف الحاج أمام المشاهد التي وقف فيها نبيه ورسوله وحبيبه ومنقذه ، أمام المشاهد التي وقف فيها وزير نبيه وخليله وصديقه أبو بكر ، أمام المشاهد التي وقف فيها فاروق الاسلام ومعجزة محمد خير الانــام عمر بن الخطاب ، يقف أمام المشــاهد التي وقف فيهــا عثمان وعلي والأصحاب والخلفاء والعلماء والقواد والصلحاء .

هنالك يستعرض مجد الاسلام الغابر ، وعزه الداثر ، مقارناً بين ذلك الماضي وهذا الحاضر ، فتمتلىء النفوس بالذكريات المؤلمة ، والقلوب بالعبر المحزنة التي تحفزهم على العمل لرفع شأنهم ، والجهاد لارجاع مجد نبيهم ودولتهم ، والتضافر على ما فيه اسعادهم ، والتعاون على تقوية العلاقات فيما بينهم ، فتشتد رابطتهم ، وتتسع معارفهم .

هنالك يقف الحجاج كاشفي الرؤوس ، خاشعي النفوس ، متجردين من زخارف هذه الحياة ، رافعين أكف الضراعة والمسكنة ، مادين الى الله يد الافتقار والذلة ، ضاجين بالتلبية متذللين ، باكين ذنوبهم متندمين ، منيبين الى ربهم خائفين .

هنالك يتذكر المرء بهذا الحشر الدنيوي ، ما هو قادم عليه من أهوال الحشر الأخروي : « يوم لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا » .

ومن رأى الحجيج في عرفة وقد لبسوا جميعاً زياً واحداً ، وانتظموا انتظاما واحدا ، واتجهوا وجهة واحدة ، وتحركوا بفكرة واحدة وتركوا الدنيا وراءهم وتناسوها ، وحملوا أنفسهم الى الله وحده ، وأقبلوا جميعاً يلبون بكلمات سماوية روحانية ، رأى منظراً رائعاً لا تظفر بمثله الدنيا الا في ذلك المكان وحده ، ورأى الجيش الذي يمكن بحق أن يسمى جيش الخلاص ، ورأى مبدأ الجهاد واضحاً كل الوضوح في أسمى فلسفته وأدق اعتباراته ، فان الجهاد في الاسلام ليس حرباً للفتح ولا للقتل ، ولا لغصب الحقوق الجنسية ، ولا لسرقة أوطان الأمم ، وانما هو حمل الفكرة الالهية الطاهرة وعرضها على الناس لمنفعتهم وخلاص أنفسهم من الشر ، وتحقيق فضيلتهم الانسانية ، فالمحارب في الاسلام هو العقل قبل السيف ، والبرهان قبل القوة .

يريد الاسلام جعل الأمم واحدة في انسانيتها لا في أوطانها ولا في جنسياتها ، فالاسود أسود ، والابيض أبيض ، والاصفر أصفر ، ولكن الفضيلة ليست سوداء ولا بيضاء ولا صفراء ولا لون لها ولا جنس • فهذه هي التي يعمل لها الاسلام في جهاده ، فهو يحمل الصدق والاخلاص والطهارة والمحبة والعطف والتعاون والاستقامة والتعفف والايثار وغيرها من الفضائل التي بها لا بغيرها صلاح الأمم •

فالحج بهذا النظام هو مناورات حربية روحية توجب على الجميع زياً واحداً ، وحركة واحدة ، وكلمة واحدة ، وطاعة واحدة ، وتقر في النفس فكرة التضحية حتى بالاهل والمال في سبيل غاية عليا ، وتجرد الحاج من قانون الحياة العادية ، وتأخذه بقانون صارم كل الصرامة لا يمكن التسامح فيه ، فمن خالف هذا القانون الذي هو شروط الحج وأركانه يطل حجه وذهب عمله • وأية أمة غير الأمة الاسلامية لها مثل هذا القانون ، وأي دين غير دين الاسلام استطاع أن يضع هذا القانون وينفذه بكل وقائعه على طغيان الطبيعة الانسانية •

ليس الحج على هذا الا تربية نفسية عسكرية دقيقة كل الدقة ، كما هو تربية اجتماعية •

ان الاسلام قد فرض بهذا الحج قانوناً روحانياً يجمع كل مميزات قوانين الحرب ، ويزيد عليها ما فيه من السمو الروحاني ، والأخوة الانسانية ، والتطهر من أدران الدنيا بتقديم المنافع العامة على المنافع الشخصية ، والغرض الاسمى على الغرض الأدنى •

لو أدركت الأمم الاسلامية هذه الحقائق لألزمت كل مستطيع أداء فريضة الحج ، لأن تركه يكون كالهارب من الجندية ، ولأخذت في انتقاء فريق من الشباب في كل سنة لارسالهم الى الحج ليعودوا ممتلئين بآثار

هذه الرياضة التي لا نظير لها ، والتي تعـودهم الطهارة والنظـام والترتيب والتشدد في واجبات الفضيلة من تلقاء أنفسهم بوحي الضمير واجبـار القانون الروحي ، وتعودهم على تحمل مشاق السفر ، وخشونة العيش ، واحتمال ألم الغربة ، واحترام الصحبة ومعرفة حقوق العشرة .

(واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهـر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجـالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكـروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) .

في الحــج

انقيــاد النفس واذلالهــا

لقد بنى الاسلام تعاليمه كلها على تربيــة النفس تربيــه صالحة ، وتقويم الانسان وتوجيهه للخــير والعمــل الصالح ، ليكون عضواً صالحاً في مجتمعه ، ووضع مخافه الله تعالى والنفع العام أمــام عينيه لا يبغي بهما بديلا ، يتحمل في سبيل ذلك جميع المشاق النفسية والماليــة ، وان لكل عمل من أعمال الاسلام سبباً متصلا بهذه التربية .

ولقد قضى الله سبحانه وتعالى أن يتخذ من أرضه بيتاً مباركاً يأوى اليه الناس ، ومنسكا يذكرون فيه اسمه . فرض حجه على القــادرين مــن المسلمين : (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على النــاس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

شرع الله سبحانه وتعالى الحج على جميع الأمم كما شــرع الصــلاة والصوم ، حيث اتخذت كل منها مكاناً معيناً تحج اليه في أوقات معينــة أو غير معينة للتقرب والتقديس والتعظيم . وقد تجاوزت بعضها عما رسمه لها الله تبارك وتعالى ، فجعلت أعياداً لمعبوداتها وهياكلها .

فلقد كان لدى المصريين القدماء هياكل يحجون اليها ، منها هيــكل معبودهم (ايزيس) بمدينة سايس و (فتاح) في منفيس ، و (آمــون) في طيبة .

وكان للسريان والآشوريين والفينيقيين والفارسيين معابد خاصــــة يحجون اليها في أوقات معينة يطلبون منها الرضا والعون .

أما اليونانيون فكانوا يحجون الى هيكل (ديانا) في أقسوس ، ثم انتقلوا الى حج معبد (منيرفا) في أثينا ، ومعبد (جوبيثير) في أولمبيا .

أما اليابانيون فلا يزالون يحجون الى هياكلهم المقدسة في أوقات مخصوصة . منها هيكلهم العظيم في ولاية (أسجي) الذي يجب على كل فرد او يحجه ولو مرة واحدة في العمر ، فيتوجهون اليه بلباس أبيض على شكل مخصوص ، وسوادهم يقصدونه عراة ليس عليهم ما يستر الا العورة، ويقطعون هذه المسافة ركضاً .

أما الهنود فهم يحجون الى هيكل (جاغرنات) أو هيكل (لوار) في حيدر اباد ، وهذا الاخير محفور في صخرة على طول فرسخين ، ويحجون الى هيكل (بوذا) بجزيرة (منا) قرب سيلان ، وهم يحجون أيضاً الى هيكل (جاغرناث) وغيرها من هياكلهم المقدسة .

وللصينيين هياكل يحجون اليها ، منها هيكل المعبود (بتان) وكذا التي في بلاد (التبت) فهم يقصدونها في مواسم مخصوصة ، وينذر بعضهم الطواف بها زحفاً على البطن ، أو يحمل أثقالاً على ظهره ينوء بها كاهله ، وتوجد لديهم أعمال أخرى تشق على الانسان مزاولتها ، وان توزيع هذه المشاق على الحجاج موكل بيد الكهنة .

وقد أمر اليهود أن يؤموا أورشليم ليمضوا فيه عيد الفصح ، كما انهم يحجون المكان الذي به تابوت العهد ثلاث مرات في السنة . وهم يحجون الآن الى قطعة من السور القديم لهيكل سليمان في الجهة الغربية من المسجد الاقصى ويسمونه (بالمبكى) وهو محل البراق الذي عرج منه نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

أما النصارى فقد جعلوا الحج في باديء أمرهم مقصوراً على قبور الصالحين ، ثم تحول الى أورشليم فأخذوا يقصدونها زرافات ووحدانا ،

ويحجون بيت لحم الذي ولد فيه المسيح ، ويقصدون كنيسة القيامة وهي كنيسة البيت المقدس ، كما أنهم يحجون كنيسة القديس بطرس وبولس في روما وكنيسة تريف في المانيا ، ويزعمون أن في الاخيرة قميص المسيح الذي كان يلبسه ، وكذا كنيسة لوردة في جنوب فرنسا ، ويزعمون أن السيدة مريم قد ظهرت هناك لرعاة هذه المدينة ، ويشربون من ماء ينبع قريبا منها لاعتقادهم الشفاء فيه ويرسلون منه الى جميع أنحاء العالم للاستشفاء والتبرك •

وقد ابتنى أبرهة بن الاشرم عامل ملك الحبشة باليمن بناية كبيرة في صنعاء وحاول حمل العرب على الحج اليها بدلا عن الكعبة ، وقصد مكة على رأس جيش لهدم الكعبة ، ولكن الله حمى بيته وأهلك عدوه •

ولقد كان لبعض قبائل عرب الجاهلية معابد يحجون اليها • فقد كان لبني غطفان بيت سموه (ليس) وشبهوه بالكعبة ، الى أن غزاهم زهير ابن جناب الكلبي وهدمه •

وكان لبني خثعم بيت وضعوا فيه صنمهم (ذا الخصلة) سموه بالكعبة • كما كان لعرب الجاهلية بعض البيوت يحجون اليها مثل (بيت صعيدة) في جبل أحد ، و (ذي الكعبات) لربيعة •

وكان الحج الى البيت الحرام أروع مظاهرة في مشاعرهم الدينية • وقد ذكر بعض المؤرخين أن العرب في حجها البيت الحرام أقدم أمة عرفت عندها عادة الحج قبل سائر الامم ، فهم يأتون من جميع أنحاء الجزيرة الى مكة ، ثم يأتون الكعبة فيصفرون ويصفقون بأيديهم عند طوافهم بها وهم لا يختلفون كثيراً عن الذين كانوا يطوفون بالأقيصر وغيره من الاصنام •

وقد كان لكل قبيلة تلبية خاصة • وذكر أنهم اذا أرادوا حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها وصلوا عنده ثم يأخذون في التلبية ، وكانت تختلف حسب القبائل •

وان البعض منهم كان يطوف عرياناً • وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حرم طواف العراة بالبيت ، فقد أمر أن يؤذن في النـاس الا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، وذلك قبـل حجـة الوداع •

والخلاصة أن لكل قبيلة من القبائل ، وكل أمة من الأمم ، ســواء كانت متمدنة أم متوحشة معابد أو هياكل يعتقدون قدسيتها ويتقربون بحجها والتبرك بها •

هذا ونسأله تعالى الهداية والرشاد ، والتمسك بهدي سيد العباد •

مهـــد الاســـلام

تتجه القلوب والافكار في هذه الايام الى موطن الاســـلام الاول ومنبت تعاليمه وعقيدته · تتجه القـلوب والافكار في هذه الايام الى موطن الرعيل الاول من هذه الامة وقوة ايمانهم وشدة صبرهم ، تتجه القلوب والافكار في هـذه الايام الى بيت الله الحرام والزمرة التي ناضلت وجالدت لتطهيره من الاوثان والاصنام الى أن جعلته موطن التوحيد والاسلام ، تهفو النفوس وتتجه القـلـوب الى بيت الله الحرام وقبلة الاسلام وموطن المجد السالف ، وتحن الى تلك المشاهد حنين الام الى طفلها الوحيد ·

هذا عبدالملك بن جريج يحدثنا بقولـه انه كان مع معن بن زائـدة باليمن وقد حضر وقت الحج ولم تحضرني نية ، فخطر ببالي قول عمر بن أبي ربيعـة :

بالله قـولي لـــه في غـير معتبة ... مـاذا أردت بطول المكث في يمن
ان كنت حاولت دنيا أو نعمت بهـا ... فما أخـذت بترك الحج من ثمن

يقول ابن جريج : فدخلت على معن فأخبـرته عن عزمي على الحج وشوقي لتلك الديار فجهزني وانصرفت ·

انها البقاع التي يشم منها الحجاج النسمات التي شمها رسـول الله ويطأ الارض التي وطأها رسول الله ·

واذا سلك المرء طريق الحج واعترضه عارض استعمل جميع الطرق لتذليل العقبات ، لقد حدثنا ابن الأثير وابن كثير في تاريخيهما أن الركـب العراقي قد خرج الى الحج فاعترضه الاصيفر المنتفيقي وحصره بالبطانيـة وعزم على أخذه فبعثوا اليه بشابين قارئين كانـا في الركب يقال لهما أبـو الحسن الرفاء وأبو عبدالله الزجاجي ، وكانا من أحسن الناس قراءة ليكلماه

في شيء يأخذه من الحجيج ويطلق سراحهم ليدركوا الحج ، فلما جلسا بين يديه قرئا جميعاً عشرا من القرآن بأصوات مطربة مطبوعة ، فأدهشه ذلك واعجبه جدا وقال لهما : كيف عيشكما ببغداد ؟ فقالا : بخير ، لا زال الناس يكرموننا ويبعثون الينا بالذهب والفضة والتحف ، فقال لهما : هل اطلق لكما أحد منهم بألف دينار في يوم واحد ؟ فقالا : لا ، ولا بألف درهم في يوم واحد ، قال : فاني أطلق لكما ألف ألف دينار في هذه اللحظة ، أطلق لكما الحجيج كله ، ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار وذهب الناس الى الحج ولما انتهت مناسك الحج عزم أمير الحج العراقي على العود سريعاً الى بغداد وان لا يسير الى المدينة المنورة خوفا من الاصيفر واتباعه ، فشق ذلك على الناس • فوقف هذان القارئان على جادة الطريق التي منها يعدل الى المدينة المنورة وقرئا قول الله : (ما كان لأهل المدينه ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) الآية ، فضج الناس بالبكاء وأمالت النوق أعناقها نحو القارئين ومال الناس بأجمعهم وأمير الحج معهم وتوجهوا نحو المدينة وزاروا الروضة النبوية ثم عادوا سالمين الى بلادهم •

اذا أذن مؤذن الحج رأيت صدى دعوته يتجلجل في جنبات العالم الاسلامي ويهز المشاعر هزاً الى أرض الحجاز ليشتركوا في ذلك المشهد الذي يضم بين جنبيه مئات الألوف من مسلمي الكرة الارضية ، وقد اجتمعوا في صعيد واحد ، على قلب رجل واحد ، في زي واحد ، يرتلون بلسان واحد ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك الملك ، لا شريك لك ، فهذا هو النشيد الذي ينبعث من أعماق القلوب فتخشع له السماوات والارض والجبال وتتحطم في جنباته كل نفس عاتية وكل قلب حديد •

ان الحج من أعظم الشعائر التي حرص المسلمون على اقامتها ، وكان

في طليعتهم الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء ، ولقد سرد المقريزي في كتابه الذهب المسبوك ثبتاً بأسماء من حج منهم .

فقد حج أبو بكر الصديق مدة خلافته ، وأن عمر بن الخطاب قد تقدم الناس الى الحج طوال مدة خلافته فلقد حج بهم عشر مرات ، وكذلك عثمان بن عفان فقد حج بالناس احدى عشر مرة ، وأما علي بن ابي طالب فلم يحج في خلافته لانشغاله بالحروب الداخلية .

أما الخلفاء الأمويون وعددهم أربع عشرة خليفة فقد حج منهم خمسة ، معاوية بن أبي سفيان ، وعبدالملك بن مروان ، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبدالملك .

أما الخلفاء العباسيون وعددهم أربع وخمسون خليفة ، فلم يحج منهم الا أربعة من الخلفاء ، أبو جعفر المنصور ، وأبو عبدالله المهدي ، وهارون الرشيد ، والحاكم بأمر الله أول العباسيين في مصر .

أما الخلفاء الأمويون في الاندلس فلم يحج منهم أحد لعدم تمكنهم من الوصول الى الاراضي المقدسة التي كانت تحت سيطرة أعدائهم .

ولكن الغريب أن الخلفاء الفاطميين وعددهم أربع عشرة فلم يحج منهم أحد مع أنهم كانوا يستولون على الحجاز ، بل كان أحدهم وهو المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر بن الحاكم يركب في كل سنة الى جب عميرة وهو أول موضع يبدأ منه الحجاج المصريون رحلتهم لأداء فريضة الحج ، يخرج المستنصر بالشيطان بهيئة الحجاج للسخرية وللعب ويحمل معه الخمر عوضاً عن الماء ليشربه مع من معه وكان ينشده أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي في يوم عرفة :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ولا تضح ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندا من قبل نفرهم الى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكراً فطف بها حول ركن العود والنائي

وادعى أحد خلفائهم وهو الحاكم بأمر الله الألوهية ٠

وهذا ما يثبت أنهم من نسل اليهود كما صدرت بذلك فتوى العلماء والاشراف في عهد العباسيين وعليها تواقيع العلويين ٠

ان مغاني الحج آهلة بذكريات قدسية تطيب بها النفس المؤمنة وناهيك ببلاد هي مبعث عقيدته ، فالرغبة حيث تأمر ، والرهبة حيث تزجر ، هي معاهد صبا الاسلام ومناجم جوهره ، من أرجائها بثت الدعوة المحمديه واهتزت وربت ، ولا تزال أجواءها تحفظ صوت البشير النذير وهو يقول : ربي الله ، رب اهد قومي فانهم لا يعلمون ٠

وقد يتمثل للحاج كل ما دونه التاريخ في انبعاث الاسلام عن هذه التربة وبزوغ شمسه في فلك هذه الجزيرة ، ثم ما كان وراء ذلك من جهاد وجلاد وغزو وفتح ، لذلك شدد فاروق الاسلام عمر بن الخطاب الوعيد لمن أعرض عن الحج مع الاستطاعة ٠ ولقد قال سيدنا رسول الله : (هذا البيت دعامة الاسلام ، من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه ان يدخله الجنة ، وان رده أن يرده بأجر وغنيمة) ٠

زيارة مدينة رسول الله

تهفوا قلوب المسلمين في هذه الايام الى موطن الرسالة ، ومنطلق الاسلام ، ومبعث الايمان ·

تهفوا قلوب المسلمين في هذه الايام الى بيت الله الحرام ، ومعهد صبا الاسلام ، ومعدن الرسالة ، ومركز الدعوة الاسلامية التي عم نورها أرجاء العالم ، وبزغ شمس سناها في أطراف المعمورة ·

تهفوا نفوس المسلمين في هذه الايام الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي منها انتشر النور ، ومنها انطلق العرب بالرسالة المحمدية مبشرين ومنذرين ، داعين مدافعين ، فاتحين للقلوب قبل البلاد ، معلمين للبشر كيف تساس الامم ·

عندما يقترب المرء من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاه وأتم السلام ، فأول ما يشاهده هو مآذن الحرم الشريف ، ثم القبه الخضراء ، عندئذ يمتليء القلب فرحاً ، والصدر انشراحاً ويشعر المرء بأن روحه تطير من بين جنبيه لتشق طريقها وتسبق الجسم لتدنو من تلك الأنوار ، وتتبرك بالسلام على سيد الأبرار ·

ان المرء عندما يشاهد القبة الخضراء يشعر بنشوة يعجز القلم واللسان عن وصفها ، وقد أخذت الافكار تتجاذبه وتزف اليه الوصول الى غايه المأمول ، والوقوف بين يدي أكرم رسول ، وهل أنه سيشاهد الانوار المحمدية تتلألأ من تلك الحجرة الشريفة التي فضلها الله تعالى على جميع بقاع الارض ، كما فضل ساكنها على جميع مخلوقاته وأصفيائه ، فما أعظم هذا اليوم ، وما أحقه بالاعتزاز والتكريم ، حيث اللقاء بالحبيب الكريم ·

فيا سعدي للمدينة الطيبة الطاهرة التي نعمت بشرف ما بعده من

شرف ، لقد نعمت بايواء خير مخلوق ، ونعمت بنصرته على أعدائه ، ونعمت بحدبها على جدثه ، ونعمت بالوفود من زائريه ومحبيه ، لذلك اختارها الله تعالى من بين المدن أن تفتتح بالقران مع أن غيرها افتتح بالسيف والسنان ، ومدح أهلها من بين عباده : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأهلها كحبهم له ، فقال فيها وفي أهلها الشيء الكثير ، من ذلك قوله : المدينة خير لهم لو يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة .. وعن علي رضي الله عنه أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني بوضوء ، فلما توضأ قام واستقبل القبلة ، ثم كبر ثم قال : اللهم ان ابراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة ، أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة ومع البركة بركتين .

فيا سعدي للمرء وقد وقف بين يدي صفي الله ومجتباه متشفعاً ومحتمياً وهو يردد قول الله تعالى : (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) .

وهو الذي يقول كما رواه أنس بن مالك : من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة ، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر .. وهو الذي يقول كما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : من زار قبري وجبت له

شفاعتي .. وهو الذي يقول كما رواه أبو هريرة : ما من أحد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام .

ولقد قال عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى . لأنها مباني النبيين ومعاهدهم ، وأمكنة غالب عباداتهم وارشاداتهم ، وموطن أجداثهم وقبورهم .

لقد كان عمر بن عبدالعزيز يبعث قاصداً من الشام الى المدينة المنورة ليقريء النبي صلى الله عليه وسلم السلام ثم يرجع .

ولما تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وفتحت جيوشه الشام تقدم اليه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال ابن رباح الحبشي مستأذناً منه أن يقيم بالشام ، فأذن له عمر ، فبينما هو بها مقيم اذ رأى في منامه رسولَ الله صلى الله عليه اسلم وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال ، فانتبه حزيناً وجلا خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه ، ثم أذن في المدينة فارتجت عند ذلك ، وما رؤي يوم أكثر باكياً من ذلك اليوم لتذكرهم برسول الله .

وذكر الحافظ بن محمود بن النجار في كتابه (أخبار مدينة الرسول) عن محمد بن حرب الهلالي قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير المرسلين ، ان الله عز وجل أنزل كتاباً عليك صادقاً قال فيه : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) . واني جئتك مستغفراً الى ربي من ذنوبي مستشفعاً ، ثم بكى وأنشد يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذي ترجى شفاعته عند الصراط اذا ما زلت القدم

ثم استغفر وانصرف • فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحق بالرجل فبشره بأن الله عز وجل قد غفر له بشفاعتي • فانتبهت فلم أر الرجل •

ولقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يضع يده اليمنى على القبر الشريف كلما مر به ، وكان بلال بن رياح يضع خده على القبر الشريف• وكان أبو أيوب الانصاري يلتزمه • وقد قال الحافظ ابن حجر : استنبط بعضهم من مشروعيته تقبيل الحجر الاسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره •

ولقد جاء في التاريخ : ان صاحب المدينة المنورة أرسل رسولا الى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ومعه هدايا ، فلما جلس الرسول بين يدي صلاح الدين أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الأحمر وقال : الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول : هذه مروحة ما رأى السلطان ولا أحد من بني أيوب مثلها ، فغضب صلاح الدين ، فعندئذ قال له الرسول : يا مولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها ، فتأملها فاذا عليها مكتوب :

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني عناية القبر حتى صرت في راحة ابن أيوب أقرا

واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقبلها صلاح الدين ووضعها على رأسه ، وقال لرسول صاحب المدينة : صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة •

ولنختم هذا الحديث بكلمة مؤمنة لأحد الأفاضل المؤمنين عن زيارته للروضة الشريفة ، قال : طار بي الشوق حتى جاوز حد الأمل حين شغفت بأن أملأ كل ما أملك من حس وعاطفة وعقل وشعور بنور الرسول ، وطمعت بأن أفتح عيني وقلبي وسمعي وبصري وروحي وصدري على ما بداخل الروضة المطهرة والمقصورة لازداد من الرسول قرباً ، فأزداد من النور التماساً ، ومن القبس أقباساً ، فما أن انفرجت شفتاي حتى هيأ له العلي القدير ساعة استجابة ، فصدر الأذن ، وحددت لي المواعيد . الى أن قال : ها أنا أمام سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وها أنا ذا أترك نفسي لكل ما توحيه المقصورة وصاحبها من الروحانيات المقدسة ، وحدث عن الخشية والرهبة والجلال ، حدث عن الهول والضعف ، حدث عن فناء النفس فيما يحيط بها ، حدث ما شئت وصور لنفسك ما تشاء فلن تظفر من لساني بأكثر من أنني لم أعد أشعر ولا أحس بما حولي أكثر من احساس الرجل يفتح عينيه على النور فجأة فيبهره النور .

سلمت وحييت ، وقرأت ودعوت بصوت خافت ، أليس هذا مقام النجوى الطاهرة ؟ ألست في حضرة أفضل الخلق على الله ، وأكرم الخلق على الله ، الشفيع المشفع ؟ ولا تسأل البصر ما رأى ، فلم ير شيئاً ، ولكن سل البصيرة ما وعت ، وسل النفس ما استوعبت ، اللهم يسر لنا زيارة قبر نبيك . ومتع أبصارنا برؤية الروضة الطاهرة ، وشفعه فينا يوم العرض عليك ، انك مجيب الدعوات .

المسجد النبوي الشريف

ان المسجد الذي يضم جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المسجد الذي بركت عنده راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قدم المدينة مهاجرا ، وقد كان مربداً للتمر لسهل وسهيل ابني عمرو من بني النجار ، وقد اشتراه منهما رسول الله بعشرة دنانير ذهباً وأمر أبا بكر أن يعطيهما ، فدفع اليهما أبو بكر الصديق عشرة دنانير كما أمر رسول الله وبناه مسجدا • وكانت مساحته سبعين ذراعا في ستين ، وجعلوا أساسه من الحجارة وبناءه من اللبن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة واللبن مع أصحابه ، وكان ينشد ويقول :

اللهم ان الاجر أجر الآخرة
فاغفر للانصار وللمهاجرة

وجعل عمده من الجذوع ، وسقفه من الجريد •

وقد روي عن الحسن بن محمد الثقفي قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يبني في أساس مسجد المدينة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مر به رجل فقال : يا رسول الله ما معك الا هؤلاء الرهط ؟ فقال رسول الله : هؤلاء ولاة الأمر من بعدي • وقد روى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام •

ولما كثر المسلمون وضاق بهم المسجد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يزاد فيه حتى صار مربعاً طوله مائة ذراع وعرضه مثله ، أي خمسون متراً في خمسين •

وفي سنة سبعة عشر للهجـــرة (٦٣٨) أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بأن يزاد في المسجد ، فزيد في جهاته الثلاث عدا الجهة الشرقية ، وجعل عمده من الخشب .

وفي سنة تسع وعشرين (٦٤٩) أعاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بناء المسجد وزاد فيه من الجهات الاربع ، وبنى جـدره بالحجارة المنقوشـــة والجص وجعل عمده من حجارة أدخل فيهـا عمد الحديد وصب فيها الرصاص ، وسقف بالساج ، وباشر العمل بنفسـه ، وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، وكان لا يخرج من المسجد .

ثم جدد الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي المسجد باشـراف عامله على المدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز ، وكان ذلك في سـنة ثمان وثمانين (٧٠٦) واستمر العمل ثلاث سنين ، وقد أدخل في المسجد حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم والدور المجاورة للمسجد بعد شرائها من أصحابها ، وبناه بالحجارة والجص ، ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمـر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب ، ونقش رؤوس الأســـاطين والاعتاب بالذهب ، وجعل للمسجد أربعة مآذن في كل ركن واحـــدة وعشرين باباً .

وقد ذكر المؤرخون أن من بين العمال الذين أشرفوا على بناء المسجد وتزيينه عمال من الروم والاقباط أرسلهم ملك الروم لهذه الغاية تقربـاً الى الدولة الأموية ، وقد أراد أحد هؤلاء العمال اهانة القبر الشـــريف فمنعه أصحابه فلم يمتنع ، ولما أراد الاقدام على عمله سـقط على الارض فجأة وانتثر دماغه ، فكان هذا الجزاء سبباً لاسلام أكثر أولئك الـروم والاقباط .

وفي سنة احدى وسبعين ومائة (٧٧٧) أمر المهـدي العباسي بـأن يزاد في المسجد .

وفي سنة سبع وخمسين وخمسمائة (١١٦١) أمر الملك نورالدين زنكي الشهيد بحفر خندق حول الحجرة المشرفة وصـل فيه الى الماء ثم صب فيه الرصاص عندما علم أن الصليبيين يحاولون الوصول الى الحجرة الشريفة لسرقة الجثة المطهرة •

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة (١٢٥٦) حدثت زلزلة عظيمة ورجفة قوية في المدينة ، ثم ظهرت نار عظيمة من وادي الأحبلَين وهي ترمي بحممها كأمثال الجبال ، وقد وقعت صاعقة على احدى المئآذن ومنها تسربت النار الى المسجد فاحترق كله ، ولم يبق منه الا قبة كانت بصحن المسجد أقامها الناصر لدين الله سنة ست وسبعين وخمسمائة (١١٨٠) لتحفظ بها ذخائر المسجد وكان فيها وقت الحريق مصحف عثمان ، وقد كتب الى المستعصم العباسي بذلك الحريق ، فأرسل الصناع والآلات في موسم الحج • وبدأ تجديد المسجد في سنة خمس وخمسين وستمائة (١٢٥٧) وأرسل أخشابا ومواد للعمارة الملك المظفر صاحب اليمن ، كما أرسل صاحب مصر نورالدين علي بن المعز مواد للبناء ، وقد تمت العمارة في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري •

وفي سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩) أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بتجديد بعض سقوف المسجد وزيادة روافين •

وفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة (١٤٤٩) جدد الظاهر جقمق سقف الروضة وبعض سقوف أخرى •

وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة (١٤٧٤) أجرى الملك الأشرف قايتباي اصلاحات هامة في المسجد شملت جميع مرافقه •

وفي ليالي سنة ست وثمانين وثمانمائة (١٤٨١) أنقضت صاعقة على المسجد فالتهمت النيران المسجد كله الا الروضة المشرفة وقبة الذخائر التي في صحن المسجد • ولما بلغ الخبر الملك الاشرف قايتباي وجه الامير

سنقر الجمالي الى المدينة لعمارة المسجد ومعه ما يزيد على مائة صانع والآلات اللازمة وشرعوا في العمارة على أروع وأحسن ما يرام مع الاضافات الكثيرة والبنايات الجديدة ، وقد بلغ ما صرفه هذا الملك على هذه العمارة مائة وعشرين ألف دينار .

وفي سنة ثمان وأربعين وتسعمائة (١٥٤٢) أمر السلطان سليمان القانوني باجراء اصلاحات في المسجد النبوي والحجرة الشريفة وترصيص القبة المطهرة بالرصاص المضلع المحكم الصنع وانشاء منارة بالركن الشامي .

وفي سنة ثمانين وتسعمائة (١٥٧٢) أكمل تعمير المسجد الشريف السلطان سليم الثاني وأتم ما بدأ به والده .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بعد الألف (١٨١٧) بنى السلطان محمود القبة الشريفة ، ثم أمر بدهانها باللون الاخضر .

وفي سنة خمس وستين ومائتين بعد الألف (١٨٤٨) أمر السلطان عبدالحميد ببناء المسجد كله من جديد حتى تم في اثنتي عشرة سنة ، وهو البناء الحالي الذي لم ير الناظر أجمل ولا أروع ولا أتقن منه ، وقد أرسل السلطان الخطاط الشهير اذ ذاك وهو عبدالله زهدي فكتب في ثلاث سنين جدره وأساطينه بالآيات والقصائد وأسماء النبي صلى الله عليه وسلم. وقد بلغت نفقات هذه العمارة ما يقرب من مليون ليرة ذهبية عثمانية ، وبلغت مساحة المسجد النبوي الشريف بعد هذه الزيادات المتكررة (١٠٣٠٣) عشرة آلاف وثلاثمائة وثلاثة أمتار مربعة .

وفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة بعد الألف (١٩٥٢) أمر الملك عبدالعزيز بن السعود بتوسعة المسجد النبوي الشريف وهدم المتصدع منه ، فبديء بالعمل ، وقد انتهى منه في شهر ربيع الاول من سنة ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين (١٩٥٥) وافتتح القسم الجديد من المسجد

بمهرجان كبير دعي اليه من جميع أقطار العالم الاسلامي وقد بلغت مساحة الحرم الشريف بعد هذه التوسعة(١٦٣٢٧) ستة عشر ألفا وثلاثمائة وسبعه وعشرين متراً مربعاً •

* * *

اما كسوة الحجرة الشريفة التي يرقد فيها خير مخلوقات الله ، فقد ذكر المؤرخون أن أول من كساها الخيزران أم هارون الرشيد وذلك سنه سبعين ومائة (٧٨٦) عند زيارتها المدينة المنورة •

وفي خلافة المستضيء العباسي التي كانت بين سنة ست وستين وخمسمائة وخمس وسبعين وخمسمائة (١١٧٠ - ١١٧٩) عمل الحسين ابن أبي الهيجاء ستارة من الديبقي الابيض بالحرير الاصفر والاحمر ، وقد علقها باذن من المستضيء بأمر الله •

وبعد عامين أرسل المستضيء بأمر الله ستارة من الحرير البنفسجي •

ولما ولي الناصر لدين الله سنة خمس وسبعين وخمسمائة (١١٧٩) أرسل ستارة من الحرير الاسود • ولما حجت أم الناصر عملت ستارة من الحرير الاسود وأهدتها للحجرة الشريفة •

وفي سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩) اشترى الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاث قرى من قرى مصر ووقفها على كسوة الحجرة المشرفة والمنبر الشريف والكعبة ، تعمل من الديباج الاسود المرقوم بالحرير الابيض •

ثم اشترى السلطان سليمان العثماني سبع قرى من مصر ضمها الى وقف الملك الصالح لكسوة الكعبة والحجرة المشرفة •

ولقد أصبحت كسوة الروضة المطهرة سنة من بعد للملوك والسلاطين •

وعندما تولى العثمانيون الخلافة الاسلامية أصبحت الكسوة ترسل من استانبول وذلك عند تولية كل ملك من الملوك .

أما الآن فقد أصبحت الاستار المعلقة على الروضة المطهرة ممزقة يعلوها الغبار وهي لا تليق بمقام صاحب الروضة المشرفة .

وقد علمت بأنه توجد ستائر جديدة موضوعة في الصناديق محجور عليها بأمر هؤلاء الذين لا يفهمون من قاموس الاسلام الا كلمة بدعة .

هدانا الله واياهم لخير الاعمال ، ورزقنا حب رسول الله وصفيه ومحبتاه ، ووفقنا لما يحبه ويرضاه .

بنـاء المسجد الحرام

شرع الله سبحانه وتعالى الحج على المسلمين وجعله آخر الاركان تشريعا . شرع الحج في السنة السادسة من الهجرة على قول الجمهور مستدلين بقول الله تبارك وتعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) وقد نزلت هذه الآية بالحديبية سنة ست . وقال آخرون ان الحج قد فرض في السنة التاسعة من الهجرة ، مستدلين بقول الله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقد نزلت هذه الآية عام الوفود أواخر سنة تسع ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا بكر الصديق رضوان الله عليه ليحج بالناس .

لقد شرع الله تبارك وتعالى على المسلمين حج الكعبة المشرفة ، تلك التي وضع أساسها آدم عليه السلام وطاف بها . كما روي ذلك عن عبدالله ابن عباس ، ثم بناها شيت عليه السلام ، ولم تزل معمورة مقدسة الى أن خفيت معالمها عندما وقع الطوفان زمن نوح عليه السلام .

ولما بعث الله سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام أمره برفع قواعد هذا البيت بمعونة ولده اسماعيل . وبعد ذلك بناها العمالقة ، ثم جرهم . ولما آل الأمر الى قصي بن كلاب هدمها وبناها .

وقبل البعثة النبوية هدمت السيول الكعبة ، فباشرت قبائل العرب اعادة بنائها ، ورفعوا أسسها حتى انتهوا الى مكان الحجر الاسود ، فاختلفوا فيمن يضعه في موضعه ، وقد قر رأيهم على أن يحتكموا الى أول داخل في البيت ، فكان محمداً عليه الصلاة والسلام ، فوضع الحجر الأسود في رداء وجعل كل قبيلة تأخذها بطرف منه ، وارتفعوا حتى جازوا مكانه ، فأخذه

بيده الكريمة فوضعه في موضعه وكان عمره اذ ذاك خمساً وثلاثين سنة ٠

ثم تهدمت الكعبة زمن عبدالله بن الزبير بواسطة الحروب التي وقعت بينه وبين جيش يزيد بن معاوية سنة اربع وستين (٦٤) حيث احترقت من نار أوقدها نفر من أصحاب ابن الزبير في خيمة له ، فطارت الرياح بلهب تلك النار الى الكعبة فاحترقت كسوتها وما فيها من خشب الساج وانقض بناؤها ، فأعاد ابن الزبير بناءها على قواعد ابراهيم عليه السلام ٠

ولما كانت خلافة عبدالملك بن مروان سير جيشاً الى مكة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لاستخلاصها من ابن الزبير ، فتهدم قسم من الكعبة ٠ ولما دخل الحجاج مكة المكرمة أعاد بناء الكعبة كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة أربع وسبعين ٠

ثم أمر الوليد بن عبدالملك بتحسينها وتزيينها بالرخام ٠

ولم يطرأ عليها بعد ذلك تغيير سوى العمارة التي تغير فيها سقفها زمن السلطان سليمان القانوني سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩) ثم العمارة الترميمية التي حصلت في زمن السلطان أحمد العثماني سنة اثنين وعشرين وألف (١٠٢٢) ثم اعقبتها العمارة التي قام بها السلطان مراد الرابع سنة أربعين بعد الألف (١٠٤٠) على أثر السيل الذي حصل في مكة المكرمة ٠

ثم حدث بعض الاصلاح في بنائها زمن بعض السلاطين ٠

كان للكعبة المشرفة حرمة لدى جميع الأمم والقبائل ، وكان الملوك يعتنون بأمرها قبل الاسلام ، فلقد كساها (تبع) ملك حمير قبل الهجرة بمائتين وعشرين سنة (٢٢٠) ، وأخذ خلفاءه من بعده يكسونها ، وتبعهم الناس في ذلك حتى كثرت وصاروا يضعون بعضها على بعض ٠ وكان أبو ربيعة بن المغيرة يكسوها ، وكذا قريش الى أن أتى الاسلام فكساها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان رضي

الله عنهم . وروي أن عمر كان يرسل الى مصر لتصنع له كسوة الكعبة هناك ، وقد سار على كسوة الكعبة الخلفاء والملوك والسلاطين الى يومنا هذا .

أما المسجد الحرام : فقد بقي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على ما هو عليه الى أن استخلف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاشترى دوراً كانت تحيط بالمسجد فهدمها وأدخلها فيه وذلك سنة سبع عشرة ، ثم جعل للمسجد جداراً محيطاً به دون القامة ، وكانت المصابيح توضع عليه ، فهو أول من نور المساجد بالمصابيح .

وفي سنة ست وعشرين اشترى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه دوراً وسع بها المسجد وجعل له أروقة ، فهو أول من اتخذ الأروقة فيه .

وفي سنة أربع وستين اشترى عبدالله بن الزبير دوراً وسع بها المسجد من جانبيه الشرقي والجنوبي توسعة كبيرة .

وفي سنة خمس وسبعين حج عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي فأمر بشراء قسم من الدور المجاورة للمسجد وقسم من دار الندوة وأضافها للمسجد ، كما أمر بتعمير المسجد ورفع جداره وان يسقف بالساج ، وأن يجعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب .

ثم جاء ابنه الوليد فأمر ببناء المسجد من جديد بشكل محكم وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرافات ، وجعل على رأس الاساطين الذهب ، وجعل في وجوه الطبقات من أعلاها الفسيفساء .

وفي سنة سبع وثلاثين بعد المائة أمر أبو جعفر المنصور أن يوسع

المسجد فزيد من جانبه الشمالي ومن جانبه الغربي وزين بالذهب وأنواع النقوش ، وبنى مئذنة بني سهم •

وفي سنة مائة وستين حج المهدي بن المنصور فأمر بشراء بعض الدور المجاورة للمسجد واضافتها اليه مع اصلاحات كثيرة فيه •

وفي سنة واحد وثمانين بعد المائتين أمر المعتضد بشراء ما بقي من دار الندوة واضافته الى المسجد الحرام •

وفي سنة ثلاثمائة وست وسبعين أمر المقتدر بالله بتوسعة المسجد من الجانب الغربي المعروف بزيادة باب ابراهيم •

وفي سنة ثمانمائة واثنين حدث حريق في المسجد فأتى على أكثره •

وفي سنة ثمانمائة وثلاث قدم الأمير بيسق الظاهري الى مكة المكرمة فأمر بعمارة المسجد بأسرع ما يمكن وحشر الى ذلك العمال والصناع فكمل البناء في ثمانية أشهر وعاد الى ما كان عليه من قبل •

وفي سنة خمس وعشرين بعد الثمانمائة أمر الملك الاشرف برسباي الأمير زين الدين مقبلا القديدي باجراء عملية اصلاح في المسجد الحرام بعد أن كثر الخلل والتشعب في جدره وعمده وسقفه وأبوابه •

وفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة أمر السلطان سليم العثماني ببناء المسجد الحرام على أكمل درجات الاتقان وأن يعتاض عن السقف بقبب دائرة ، فبوشر بالبناء ، وفي أثناء ذلك توفى السلطان سليم وتولى ولده السلطان مراد ، فأمر بمواصلة العمل حتى تم بناء المسجد في أواخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، وبلغ ما أنفق في هذه العمارة مائة ألف وعشرة آلاف دينار ، ومائة ألف مثقال من الذهب الابريز ، عدا ما وصل الى مكة من مواد البناء من خشب وحديد وغيرهما •

وفي هذه السنين الأخيرة أخذت الحكومة السعودية تستملك البنايات المجاورة لهذا الحرم وتضمها اليه وتعيد البناء على أكمل صورة يتمناها المسلم لهذا الحرم الحرام •

المسجد ومكانته في الاسلام

ان المال خير ونعمة في يد الحر الكريم ، ونقمة في يد البخيل اللئيم ، ومصدر تعب ونصب وشقاء في يد عابده وكانزه ، وتارك حدود الله فيه ، (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

ان المال هو أمانة في أيدي الناس ، وهو عارية متى شاء صاحبه استرده من المستعير . لذلك يجب أن يفكر مالكه في انفاقه في الاعمال التي تعود عليه وعلى عقيدته وأمته ووطنه بالخير العميم .

وان من أجل الاعمال نفعاً ، وأحسنها أثراً ، وأعظمها أجراً ، وأخلدها ذكراً ، انفاق المال في بناء المساجد وتشييدها ، لأنها صدقة جارية. ففيه يذكر اسم الله ، وتقام الصلوات التي هي عماد الدين ، والتي هي أول عبادة فرضها الله ، وهي آخر ما أوصى بها رسول الله ، لأنها الصلة بين العبد وربه ، وتؤكد عبوديته لله ، واذعانه لأوامره .

لقد عنيت الشريعة الاسلامية بالمسجد عناية عظمى ، ففي بدء الاسلام وقبل أن تعلو كلمة الله مدوية في الآفاق ، لم يكن للمسلمين مسجد بل كانوا يتسللون للصلاة في المسجد الحرام ، وكانوا يجتمعون في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ليأتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتلقوا ارشاداته وتعاليمه .

وأول ما وطئت قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض المدينة المنورة وجه عنايته الى انشاء مسجد يضم شتات المسلمين ويكون مظهراً من مظاهر الرابطة الاسلامية بين المهاجرين والانصار ، فقد بنى عليه الصلاة

والسلام أول ما بنى مسجد قباء في ضواحي المدينة ، ثم بنى مسجده داخلها وفيه جاء التنزيل : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) • ومن المسجد ينبعث الأذان خمس مرات في اليوم مردداً الله أكبر ، ومعطراً الجو والاسماع بأن كلمة الله هي العليا وان كلمة الكفر والضلال هي السفلى •

ولقد اشترك رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقامة مسجده مع أصحابه ، وكان ينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول : (اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للانصار والمهاجرة) ، وبذلك يشجع أصحابه على النشاط والسرعة في العمل •

ولشدة تعلقه عليه الصلاة والسلام بالمسجد أقام بيوت أزواجه حوله ، كما أقام أصحابه بيوتهم بالقرب منه •

لقد بنى صلوات الله وسلامه عليه أول دخوله المدينة مسجداً قبل أن يبني حصناً أو قلعة ، بنى مسجداً قبل أن يبني معهداً أو ملجأ ، لأنه أراد تحصين القلوب بالايمان قبل تحصين المدن بالبنيان ، وتقوية النفوس وتثبيت الجنان ، لأن فيه يتعلم المرء الشجاعة والاقدام ، والنخوة والرجولة والعلم الصحيح •

والمسجد مكان العبادة ومدرسة الهداية ، وحصن الاخلاق ، وقلعة الأدب ، فيه يتعلم الناس المساواة العملية ، اذ هم أمام الله سواء ، والكل ضيوف على أكرم الاكرمين وملاذ المستجيرين (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) •

لقد كان المسجد عماد المجتمع الاسلامي وناديه ومجلس شوراه ومركز قيادته ومدرسة تشريعه وثقافته ، كان معهداً للعلم وداراً للقضاء ،

وساحة تتجمع فيها الجيوش ، وموضعاً للتمريض ، ومنزلا لاستقبال السفراء ، وتعيين الولاة والأمراء ، كما ان فيه ينظر في المظالم ، وتنظم الضرائب والأمور المالية ، وتصدر الانظمة والتعليمات • ومنه يتخرج العلماء والفقهاء والمحدثون والرواة والقراء والأدباء والشعراء ، وهكذا كان المسجد ويجب أن يكون •

وكلما حزب بالمسلمين أمر نادى مناديهم (الصلاة جامعة) فيسارع المسلمون الى المسجد وهنالك يتباحثون ويتشاورون وتصدر القرارات •

ولقد كثرت المساجد وزاد انتشارها بتوسع الفتوحات الاسلامية • ولقد روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ، ويتخذ للقبائل مسجداً ، ولينضموا الى مسجد الجماعة يوم الجمعة ، وكتب الى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، كما كتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك •

ولقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من غدا الى المسجد أو راح الى المسجد أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح • ولقد كان أبو الدرداء يوصي ابنه بقوله : يا بني ليكن المسجد بيتك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المساجد بيوت المتقين فمن يكن المسجد بيته يضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة •

وانما اطلق على المسجد بيت الله ، اشارة الى أنه لا يحتاج الداخل فيه الى استئناس أو استئذان • وقد قال عمر بن الخطاب : المساجد بيوت الله في الارض وحتى على المزور أن يكرم زواره •

ويكره اللغط ورفع الصوت في المسجد ، وقد روي ان أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب سمع رجلا رافعاً صوته في المسجد فقال له : أتدري أين أنت .

ان الواجب يدعونا لتدعيم الرابطة الاسلامية ، وان نعضد الوسائل الفعالة في احياء هذه الرابطة ، وان من أقوى الروابط في تدعيم ذلك هو المسجد ، اذ فيه يلتقي المؤمن بأخيه المؤمن ، وفيه يتعارف الأباعد ، ويتقارب الاعداء ، فيه تنطفيء نار الفتن والحزازات .

لقد تقرب كثير من الناس ببناء المساجد في هذه المدينة عندما كانت تحدها حدود وتفصلها فواصل ، واكثروا من ذلك ، لأنهم قد سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة . وعندما امتد العمران واتسعت شقة المدينة ، وسكنها جماعات من المسلمين ، لا تجد مأوى يطمئن قلوبها ، وينزل السكينة على نفوسها ، ولم يشنف آذانها ذلك النغم الالهي الذي يخترق الحجب ويصل الى قرارة النفوس ، الله أكبر حي على الفلاح ، لأنهم لا يجدون متسعاً من المال ليقوموا بربط الصلة بين الارض والسماء ، لذلك وجب على الاغنياء القيام بهذا الواجب ، وهو الصدقة الجارية والعمل المثمر .

ان الاسلام قد شرع نظافة المسجد وعدم تلوثه ، حتى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (البصاق في المسجد خطيئة) . وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها ، فوجدت من محاسن أعمالها الأذى يماط من الطريق ، ووجدت من مساويء أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن . (أي ما يخرج من الصدر أو الخيشوم) . وثبت أن رسول الله رأي بصاقاً في المسجد فحكه بيده .

ولقد ذكر العلماء ان من رأى بصاقاً أو نخوة في المسجد فالسنة أن يزيله بدفنه أو اخراجه ، ويستحب تطييب محله .

وأما ما يفعله كثير من الناس اذا بصق أو رأى بصاقاً في الأرض دلكه بأسفل حذائه الذي داس به النجاسة والاقذار ، فلذلك لا يجوز لانه تنجيس للمسجد وتقذير له .

كما يجب رفع المراحيض من المساجد وانشاؤها خارجها ، لأنها سبب تلويث المسجد وتقذيره ، ولا ندري كيف أبيح عمل المراحيض في المساجد مع أن الشارع منع حتى البصاق في المسجد . وقد قال سيدنا رسول الله : (ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر ، انما هي لذكر الله ، وقراءة القرآن) .

ان هذا من وظائف أمانة العاصمة والبلديات لانهم المسؤولون عن ذلك قانوناً وواجباً .

كما يكره أكل ما له رائحة كريهة كالثوم والبصل والكراث ونحوه. والدخول الى المسجد حتى يذهب ريحها فان دخل المسجد أخرج منه ، وقد ورد عن رسول لله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أكل ثوماً أو بصلا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته) . وقال سيدنا عمر بن الخطاب : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد ريحاً من الرجل في المسجد أمر به فأخرج الى البقيع . وقال الامام القرطبي في تفسيره : ان العلماء قد قاسوا على هذا كل ما يؤذي المصلين ، فانه يمنع من ارتداد المسجد حتى يزال ذلك .

ويسن أن تصان المساجد عن كل وسخ وقذر وتقليم الاظافر وقص الشارب وحلق الرأس وكل رائحة كريهة .

ومن ذلك ان بعض الناس يأتون الى المسجد بألبسة يستقذرها الناظر ، أو بجورب فيه رائحة نتنة أو بحالة يفوح من جسمه روائح كريهة ، مع أن رب العزة يقول : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) . ومن السنة

الاغتسال لصلاة الجمعة والعيدين ، وجعله الامام أحمد واجباً لئلا يتأذى المصلون ، ولتبقى بيوت الله نظيفة تفوح منها الروائح العطرة • ولقد كان عبدالله بن عمر يجمر المسجد اذا قعد عمر على المنبر وأراد أن يخطب ، وكان أصحاب رسول الله يحافظون على نظافة المسجد ويطيبونه • وقال سيدنا ومولانا رسول الله : (ان الاسلام نظيف فتنظفوا فانه لا يدخل الجنة الا نظيف) •

ولقد أمر الاسلام بالوقاية من كل ما يستشف منه العدوى حتى أمر العاطس أن يضع كفيه على وجهه فقال الشارع الأعظم : اذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفي صوته •

واوجب الاسلام التوقي من الامراض السارية لئلا تنتقل بالعدوى ، فعن عمرو بن شريد الثقفي عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف رجل مجذوم يريد مبايعة رسول الله ، فأرسل اليه رسول الله : انا بايعناك فارجع ، وقال اتقوا المجذوم كما يتقي الاسد • فرسول الله لم يسمح للمجذوم أن يضع يده في يده مبايعاً ارشاداً لأمته حتى لا تجازف في الورود على المصابين بالامراض المعدية •

لذلك يجب على المرضى بما يحتمل اصابة غيره به أن يبتعدوا عن الجماعات والاجتماعات لئلا يؤذوا غيرهم وليتداووا حتى الشفاء بمعونة الله وبذلك ينالون من الله الأجر ومن الناس الدعاء •

(انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) •

بنور القرآن انتصر المسلمون

ان تاريخ الاسلام بدا سره في هذه الأمة العربية ، فجعل منها أمة فذة في الوجود حيث امتزجت روح الاسلام بروحها ، واستأصلت منها حب الجاه والمال ، وأنشأت منها خلاصة البشر ، وغاية ما يبلغه السمو الانساني .

لقد أنشأ الاسلام من أولئك القوم الذين أهلكتهم العصبية القبلية ، أنشأ منهم قوماً لا يغضبون الا لله ، ولا يرضون الا لرضا الله ، قد ماتت في نفوسهم الأهواء ، وبادت منها الشهوات ، ولم يبق لديهم الا دين يهدي ، وعقل يستهدي ، يعيشون عيش الزاهدين ، مع أنهم يتصرفون بخيرات الدنيا ذات اليمين وذات الشمال .

ان زهدهم هذا لم يمنعهم من أن يكونوا أبطال الحروب ، ولم يفتنهم ما نالوا من عز وما بلغوا من مجد عن دينهم وتقواهم .

لقد كون الاسلام منهم أخوة صادقة ، يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، ويواسيه في سرائه وضرائه ، لا فرق في ذلك بين آمر ومأمور ، وسيد ومسود ، وكبير وصغير ، وغني وفقير ، وجاهل وعالم .

لقد نشر هؤلاء القوم الاسلام في ثلاثة أرباع العالم ، نشروه بالايمان الذي ملأ قلوبهم ، وأشرق على نفوسهم . لقد نهض هؤلاء بالاسلام نهضة الأسد ، يحملون في يمناهم نور القرآن يضيء للشعوب طريق المجد في الدنيا والسعادة في الأخرى ، ويحملون في يسراهم السيف يردون به الضالين والمعاندين .

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يكون تاجر من التجار ونسابة من العرب وهو أبو بكر الصديق عظيماً من عظماء التاريخ ، يجدد الاسلام بعد تلك الرجة التي أرادت أن تطيح بالاسلام والمسلمين ، فيقف

وقفة الأسد في وجه الضلال ، ويصاوله حتى يقضي عليه ، فهو بحق باني الاسلام الثاني •

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يكون بدوى مثل عمر بن الخطاب من أعاظم رجال التاريخ ، بل من أعظم عظمائه ، يبرز في العلم والسياسة والادارة وفنون الفكر والحرب ، ويسوس بدراية وقوة وعدالة وعزم الجزيرة العربية والعراق وسورية ومصر وافريقية وبلاد فارس ، ويدير هذه الأمم والأقوام بعدالة وفطنة وكياسة لا يعرف العالم لها مثيلا •

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يكون مثل سعد بن أبي وقاص قائداً من أعظم قواد الدنيا ، يَهُدُّ بجيش قليل أقوى صرح للجور ، وأعظم بنيان للغطرسة والجبروت ، ويدمر أعظم جيش مدرب كامل العدة والعدد ، ويغرس في القادسية مكان الاستعلاء الفارسي بذور الحضارة الاسلامية التي عقمت الدنيا أن تأتي بأجمل وأنظر وأنور منها •

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يكون مثل خالد بن الوليد فذاً بين أعاظم قواد الدنيا قديمهم وحديثهم ، لا يجاريه أحد ، ولا يبلغ شأوه انسان • ويستطيع بجيش لا يتجاوز الست والثلاثين ألفاً أن يقوض جيش الروم المدرب الذي يجاوز مائتي ألف مقاتل في اليرموك ، ويقضي نهائياً على الامبراطورية الرومانية في الشرق ، ليحل محلها نور الاسلام وعدل القرآن ، وهداية خير الأنام ، ومساواة الانسان للانسان •

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يقف عقبة بن نافع على شاطيء البحر الاطلسي وقد غارت قوائم جواده في لجة الخضم وهو يقول : اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل اعلاء كلمتك ، اللهم اشهد •

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يتوغل قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد الصين ، وأخذ يزحف بجيشه ، ولم يلتفت لانذار العربي الذي

قال له : لقد توغلت في بلاد الشرك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة القدر . تقبل وتدبر ، فأجابه قتيبة : بثقتي بنصر الله توغلت ، واذا انقضت المدة لم تنفع العدة ، فعندئذ أجابه ذلك العربي : أسلك سبيلك حيث شئت ، فهذا عزم لا يفله الا الله .

بهذا النور القرآني وبالارشاد المحمدي يقف صلاح الدين الايوبي في وجه أوربا كلها بملوكها وأمرائها وباباواتها وقساوستها ، ويزحف بجيشه على قواعد الصليبيين فيدكها واحدة بعد الأخرى ، ويطهر بيت المقدس وفلسطين كلها من أدران الصليبيين ، ويعيدها لحظيرة الاسلام ، ويقضي على الضلال والمضلين .

ان الاسلام هو الذي جعل المسلمين يفتحون البلاد بايمانهم لا بقوتهم، ويدخلون الى القلوب بعدلهم ، والى العقول بعلمهم ، فكانوا أصحاب السلطان ، ودعاة الايمان ، وبناة الحضارة والعمران ، لقد فتحوا البلاد فتركوا أهلها أحراراً في أهلهم وأموالهم وأرضهم ، أحراراً في دينهم ومعابدهم ، أحراراً في قضائهم ونظمهم .

هؤلاء هم المسلمون ، وهذه هي أعمالهم وأفعالهم وفي جميع أدوارهم وعهودهم وفي أوج عظمتهم . فأين هي من أعمال وأفعال دعاة حضارة قرن العشرين ، تلك الحضارة التي جلبت الفوضى ، وسلبت السعادة والأمن والاطمئنان ، وجعلت القوي يفتك بالضعيف والغني يستعبد الفقير ، والأبيض يستعلي على الاسود ، والقلة تتحكم بمصائر وثروات الكثرة .

هذه الحضارة التي جعلت العالم فوق بركان من الجحيم ، جعلت حفنة من المجرمين يهددون العالم بالافناء اذا لم يرضخ لمتطلباتهم ، وينصاع لأوامرهم ، ولم يخرج من تبعيتهم .

أنظروا الى حاملة لواء الحضارة العصرية وأم الديمقراطية والحرية بريطانيا ، فبعد أن علمت أن لا مكان لها في البلاد العربية، عمدت الى الانتقام

منها ، فأخذت تجمع اليهود من أطراف الدنيا وتقيم لهم القلاع والحصون في أعز بقعة من بقاع العرب فلسطين ، لتفصل بهؤلاء اليهود بين عرب آسيا وعرب أفريقية ، وليكونوا في خصام مع اليهود الى آخر الزمان ولما استكملت مهمتها واطمأنت على قوة اليهود وتحكمهم في قلاعهم أعلنت انسحابها فجأة عن فلسطين ، ثم سلمت حماية اليهود الى أطفال السياسة المتهورين المراهقين الذين لا يتباهون الا بالمال والسلاح ، وكأنهم لم يدرسوا التاريخ وتقلباته ، ولم يعتبروا بمصائر من كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعاً .

لو كان لحكام أمريكا عقلية دولية أو كياسة سياسية أو حنكة اقتصادية ، لما تظاهروا بمناصرة اليهود الذين أصبحوا عالة عليهم ، وحملا ثقيلا على كاهلهم ، ولما حاربوا العرب الذين يستغلون خيرات بلادهم ، ويحصلو من أرباح النفط وحده سنوياً مليارات الدولارات ، فضلا عن تصريف بضائعهم ومصنوعاتهم ، ولكن من يضلل الله فما له من هاد .

أيها العرب .. أيها المسلمون : لا تقنطوا من روح الله ، واصبروا حتى يأتي أمر الله . واعلموا أن العاقبة لكم ، وان النصر حليفكم ، وان الله معكم ، ولن يتركم أعمالكم . وقد قال مولانا رسول الله : (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك .

الى الايمان

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) .

لقد أرشد الله تبارك وتعالى الأمة المحمدية في هذه الآية الكريمة الى الفارق ما بين العمل الصالح والعمل الطالح ، وبين درجة كل منهما ومنزلتهما دنيا وأخرى .

يخاطب الله تعالى الناس بهذه الآية الى أن الجزاء من جنس العمل ، وأن الحصاد من جنس البذر ، ولا يظن ظان بأن الذين اكتسبوا السيئات والاثم وعملوا المعاصي واستباحوا المحرمات وتركوا الفرائض والواجبات ، لا يظن ظان أن هؤلاء سينالهم من السعادة ما نال الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يخامر عقولهم بأن يتولاهم الله بنصره وعنايته كما تولى الصالحين .

ينادي كل منا لماذا عز سلفنا وذللنا ، لماذا سعد الآباء وشقينا ، لماذا استكمل الاجداد أسباب القوة ونحن استكنا ، لماذا حافظوا على مقوماتهم ورجولتهم ونحن استخذينا .

كل ذلك لانهم آمنوا بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم بأنهم قوة يجب أن تسوس العالم ، أما نحن فقد استخذينا واعتقدنا بأننا ضعفاء فليتحكم القوي بمصيرنا ، انهم باعوا الله نفوسهم فأعزها ، وباعوه عقولهم فأنارها ، ووهبوه قلوبهم فقواها وهداها ، ونحن بعنا هذه كلها للشيطان فجعلها كرة تتقاذفها الشهوات ، ومن عاش أسير شهواته ، لا شك أنه من الخائبين الأذلين .

ان الايمان بالقوة والعزة هو الذي جعل من أربعين ألفاً أو أربعمائة ألف عربي مسلم قوة فتحت العالم وأضاءت الدنيا ، ونشرت الرحمة

والعدل ، والآن ونحن أكثر من مائة مليون عربي، وستمائة وخمسون مليون مسلم من أبناء أولئك الاربعمائة ألف لا نستطيع حولا ولا طولا ، لانستطيع حماية أنفسنا حتى من اليهود لوحدنا ، وما ذلك الا لفقدنا الرجولة والعزة والاعداد الذي تحلى به أوائلنا •

فها هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم يذهبون الى موقعة مؤتة لاظهار الاسلام واعلاء كلمته ، فيجابهون جيشاً لا قبل لهم به ، الا أنهم لم يضعفوا ولم يتخاذلوا ولم يفروا ، وقابلوه بأيمانهم ، وكلما سقط منهم شهيد ، خلفه بطل صنديد •

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرر مقاتلة أهل الردة ولو بمفرده ليعيدهم الى حضيرة الاسلام ، وقد تقدم لذلك الا أن الصحابة الكرام منعوه حرصاً على حياته وأغنوه بأنفسهم •

وهذا عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه ينظر الى جيش الروم في القادسية وقد أطبق على اخوانه المجهدين وصدع صفوفهم فينادي عكرمة هذا بشباب العرب من يعير الله جمجمته ، فيتقدم اليه جماعة من شباب العرب الاشداء ، فيهجم بهم على قلب جيش الروم ويخترق بهم صفوفه ، ثم يضربهم من خلف حتى ألحق بهم الهزيمة ، وقد استشهد هو ومن معه رضي الله عنهم وأرضاهم بعد أن أنقذوا الجيش من الهزيمة •

وهذا سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يكشف بمفرده كل غمة حربية تحيط بجيوش الاسلام ويفرجها الله على يديه •

واليكم ما لاقاه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، ذلك الذي زاده إيماناً بنجاحه وخذلان أعدائه ، لأن النصر قرين الصمود •

دخل عليه الصلاة والسلام الكعبة ليدعو الناس الى الله وترك ما هم عليه من ضلال ، فاستقبله عقبة بن أبي معيط وأخذ بمنكبه ولف عنقه وخنقه خنقاً شديداً ، أوشك أن يقضي عليه ، وعندما علم أبو بكر لحق برسول الله وهجم على عقبة ودفعه عن رسول الله غير خائف ولا وجل وهو يقول : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) .

ودخل أبو بكر الكعبة مع رسول الله يحيط بهما جماعة من المؤمنين ، ثم وقف أبو بكر يخطب قريشاً ذاكراً فضائل الاسلام وعلو تعاليمه ، مفهماً ما هم عليه من كفر وضلال ، فثار عليه المشركون وعلى من معه من المؤمنين يضربونهم ، ووطيء أبو بكر بالأرجل ، وصار عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين مخصوفين على وجهه ، حتى أصبح لا يرى وجهه ، فجاءت بنو تيم قبيلة أبي بكر يتعادون ، فأجلوا المشركين عنه وأدخلوه منزله ، ثم عادوا الى الكعبه فنادوا القوم : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ، وصاروا يكلمونه فلا يستطيع الاجابة حتى آخر النهار ، ولما أفاق قليلا نظر حواليه وقال : مافعل رسول الله وصار يكرر ذلك ، ثم قال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ، فأمهل حتى هدأت الرجل فخرجوا به حتى أدخل على رسول الله ، فلما نظر اليه رسول الله أكب عليه يقبله ، وأكب المسلمون عليه يقبلونه .

انظروا كيف يكون الايمان الذي لا تزلزله الحوادث ولا يلعب به الطمع ، أنظروا كيف يكون الاخلاص ، لم يذكر ألمه وما ناله من بلاء وعناء ، بل سأل عن رسول الله ، وما فعل رسول الله ، وهو يخشى أن تكون قد أصابته أذية ، أو حاق به مكروه . لذلك قال فيه رسول الله : (من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر .

لقد أصيب المسلمون في تاريخهم بنكسات وويلات ، الا أنهم صبروا وصابروا وجالدوا حتى انتصروا وخرجوا ظافرين ، لأنهم لم يتداخلهم اليأس والقنوط ، بل قوى ذلك من عزيمتهم ، ومضيهم في تهيأة أسباب الظفر والغلبة .

لقد دخل القنوط واليأس الى بعض القلوب للنكسة التي أصابتنا ، والهزيمة التي لحقتنا ، ولو أنا تدارسنا تاريخنا لرأينا أننا قد أصبنا من قبل بأكثر من هذا .

لقد دخل هولاكو بغداد بالمغول ، فقتل ما يقرب من مليون من أبنائها ، وقتل عشرات الألوف من علمائها وأدبائها ، ورمى الكتب العلمية في دجله حتى سد منافذها واتخذ من بعضها جسراه ثم دخل جنده دمشق فقتل من أبنائها مائة ألف أو يزيد . ثم دخل تيمور لنك بالتتار فعمل اهرامات من رؤوس القتلى ، وقتل عشرات الألوف ، ودمر ألوف المنازل والمزارع . ثم أنظروا ماذا كانت العاقبة كانت أن ذاب المغول وذاب التتار وانتصر العرب والمسلمون .

ثم انظروا الى أوربا تهجم على فلسطين ، بملوكها وأمرائها وباباواتها وتعيث فساداً في البلاد أكثر من قرن ، ثم يقيض الله لها صلاح الدين فيستردها وتذوب تلك الجيوش كما ذاب من قبلها المغول والتتار .

يجب أن تعلموا بأن اسرائيل ستذوب ، وان أمريكا سندها ستصبح ذنباً كما أصبح الانكليز منشؤها ، وسيمحو الله أعداءنا من الوجود ، لأننا حزب الله ، المؤمنون برسالة نبيه ، وان حزب الله هم الغالبون .

ان المثبطين الذين هم بين أظهرنا هم عملاء أعدائنا ، لأنهم يدخلون اليأس والقنوط على النفوس ، ليترك الحبل على غارب أعدائنا ، ونسلم بالأمر الواقع ونرضخ للمطالب .

حاربوا المثبطين لأنهم رسل أعدائكم ، انهم لا يبغون سوى بقاء مصالحهم وثرواتهم ولو تحت حكم اليهود ، هؤلاء هم المرتدون الذين يتولون أعداء الله ، حاربوا هؤلاء المعوقين الذين تغلغلوا بين الصفوف ، هؤلاء الذين فضحهم الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم فقال : (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا • أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ، أشحة على الخير • أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) •

القدوة الحسنة (١)

لقد أراد الله تبارك وتعالى أن تكون الدنيا دار عمل وجلاد وجهاد ، لا دار خمول وخمود واتكال ، دار اختبار وامتحان ، لا دار كسل وقعود وحرمان ، ليميز الله الخبيث من الطيب وليبرز أصحاب المواهب والفكر السليمة ، وليظهر ذوو المبادئ القويمة .

لقد زود الله تبارك وتعالى بعض عباده بكل الوسائل التي ترفعهم الى المقام الأعلى في العالمين ، وجعل حياتهم سلسلة من التضحيات والثبات على المبدأ ، يتحملونها برحابة صدر وطيب نفس ، ورضا واطمئنان ، ودستورهم في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خاطب به ربه في أشد أوقاته وأحرج ساعاته : ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي .

اليكم القدوة العظمى ، والمثل الاعلى في الثبات على المبدأ ، اليكم معلم الانسانية ومرشد البشرية ، وقائد القادة والمصلحين ، وسيد الانبياء والمرسلين ، محمد بن عبدالله عليه أفضل صلوات رب العالمين .

لقد كانت حياته كلها دروساً عملية في الصدع بالحق ، واحتمال المكاره في سبيل العقيدة ، والوقوف في وجه اشياع الباطل ، ولم يثبط من عزيمته ما رآه من اقبال الايام على أعدائه واشتداد بأسهم ، لأنه يعتقد كما علمه الله أن للباطل جولة ، ولأشياعه صولة ، ولكن العاقبة للمتقين الصابرين .

قدم مسيلمة الكذاب الى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بشر كثير من قومه وجعل يقول : ان جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته ، فأقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس ابن شماس وفي يد رسول الله قطعة جريد حتى وقف عليه في أصحابه

فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن نعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، واني لأراك الذي اريت فيك ، فكان من أمر مسيلمة ما كان في حروب الردة ، ولم تمض فترة من الزمن الا والعلم الاسلامي يخفق على نصف الكرة الارضية ، وان من ثمرة جهاده عليه الصلاة والسلام هذه المدنية التي ينشدق بها المتشدقون ويمنون علينا بها .

لقد بلغه صلوات الله وسلامه عليه أن الروم ومن يظاهرهم من القبائل المتنصرة قد أخذوا يتأهبون للزحف على المدينة للقضاء عليه وعلى دعوته ، فنادى بالنفير العام ، وبعد ان كملت التعبئة زحف على الروم حتى وطيء أرضهم ، فخالط قلوب الروم رعب وجنحوا للسلم فجنح لها ، ووعدهم على أن يعود اتباعه فيديلوا دولتهم ، ويقضوا على سلطانهم ، وهكذا كان .

ولقد شحذ عليه الصلاة والسلام همم أتباعه فأخبرهم بأن الله سيفتح عليهم الدنيا ، وأنها ستكون طوع ارادتهم ووفق مشيئتهم اذا صبروا وصابروا . قال الخباب بن الأرت : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، قلنا : يا رسول الله الا تستنصر لنا من الله عز وجل ، الا تدعو لنا ؟ قال عليه الصلاة والسلام : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق اثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله أو الذنب على نفسه .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه في جماعة من أصحابه فقال لهم : (ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً) .

ولما قدم عدي بن حاتم الطائي على رسول الله عرض عليه الاسلام ثم قال له : يا عدي لعلك يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت لا تخاف ، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم .

قال عدي بن حاتم : فرأيت الضعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف البيت لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد من يقبله منه .

ولقد أخبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سراقة بن مالك الكناني حين أراد التعرض له وهو مهاجر الى المدينة حيث قال له : كيف بك اذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه ، فلما أتى بذلك كله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه دعا سراقة وألبسه السوارين وقال : الله أكبر ارفع يديك وقل ، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما أعرابياً من بني مدلج : ورفع عمر بها صوته ثم أركب سراقة وطيف به في المدينة اظهاراً لمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك قبل وقوعه .

وروى الامام أحمد والحاكم عن بشر الخثعمي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتفتحن القسطنطينية ، ولنعم الامير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش .

ان هذه الدروس وضعها سيد الخلق لأمته لكي تنظر الى بعيـــد ، وتمشي الى بعيد ، وتوصل دعوتها الى بعيد ، وتفكر في بعيد • يجب عـلى كل فرد من أفراد هذه الأمة أن يتصف بهذه الصفاة التي تجعله رجـــل الدنيا وواحدها •

يجب على كل فرد أن يعتقد بأن الحصاد لا يستحقه الا من زرع ، وان النتاج لا يحصل عليه الا من قام بما يلزم لذلك ، يجب تذليل العقبات والثبات على المبدأ الحق ، وليكن رسول الله هو الاسوة الحسنة •

يجب الاهتداء بهدى رسول الله ، والاقتداء بسيرته ، ليعرفوا كيـف تفوز العقائد ، وتنتصر المبادىء •

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) •

القدوة الحسنة (٢)

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته ، وعرفه طريق الهدى والضلال ، وأوضح له أحسن السبل وأنفعها له ، وجمله بالفضائل كلها ليكون مثلا يحتذى به ، ونبراساً يستضاء بنوره ، اذ ليس يجمل بذي النفس الشريفة والهمة العاليه أن يرضى لنفسه أن يكون حيوانا وقد أمكنه أن يكون انسانا ، أو يكون انسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا ، أو يكون ملكا وقد أمكنه أن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وقد قيل فيما يتصف به الانسان الكامل انه اذا رأى أكبر منه أن يقول : سبقني بالاسلام والعمل الصالح فهو خير مني ، واذا رأى أصغر منه يقول : سبقته بالذنوب والمعاصي فهو خير مني ، واذا رأى اخوانه يكرمونه يقول : نعمة أحدثوها ، واذا رأى منهم تقصيراً قال : بذنب أحدثته .

ان الحياة الدنيا فرصة لانتهاز العمل الصالح الذي ترضى به النفس ويجازي عليه الله سبحانه ، وانها فرصة لتهذيب النفس وتوجيهها للخير والعمل النافع لها ولغيرها ، ومحاسبتها على الصغيرة والكبيرة ، وسل الأنانية والأثرة من بين جوانحها ، وأن تعيش للمجموع لا لنفسها ، وأن تقدم النفع العام على المنفعة الخاصة .

لما نحى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خالد بن الوليد عن قيادة الجيش لرأي ارتئاه وأسند القيادة الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ، أبى خالد الا أن يكون جندياً عادياً في صفوف جنود المسلمين ، وسار مع أبي عبيدة يعمل تحت لوائه وفي مقدمة جيشه ؟

وهذا المثنى بن حارثة الشيباني كان يتولى قيادة الجيش الاسلامي في العراق ، ولما انتدب عمر بن الخطاب المسلمين للذهاب الى العراق ، ولى قيادة الجيش لأبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وبقي المثنى جندياً يعمل تحت امرة أبي عبيد .

يدل هذا على أن المسلمين لم يكونوا يفكرون في هذه الصغائر من رآسة وقيادة ، وانما كانوا يقصدون بجهادهم وجه الله تعالى في أي مكان من صفوف المسلمين وضعوا ، لأن هدفهم الأسمى فوق كل اعتبار ، وهذا من تربية الاسلام التي محت الفردية من نفوس هؤلاء العرب ، وقد كانت قوية القبضة على نفوسهم في الجاهلية ، وليس من طبعهم الاذعان بيسر وسهولة .

وقد قيل للسرى السقطي : كيف يجب الاتيان بالطاعة ؟ قال : أنا منذ ثلاثين سنة استغفر الله عن قولي مرة واحدة الحمد لله . فقيل : كيف ذلك ؟ ، قال : وقع حريق في بغداد واحترقت الدكاكين والدور ، فأخبروني أن دكاني لم يحترق ، فقلت : الحمد لله ، وكان معناه أني فرحت ببقاء دكاني حال احتراق دكاكين الناس ، وكان حق الدين والمروءة أن لا أفرح بذلك ، فأنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة عن قولي الحمد لله .

ولقد كان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ينفر من الثناء والمحمدة ويتمنى لو أنه لم يعرف بين الناس ولقد كان يقول : لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر ، أريد أن أكون في بعض شعاب مكة حتى لا أعرف ، قد بليت بالشهرة ، اني لأتمنى الموت صباح مساء .

ولما أدخل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه على الخليفة العباسي أيام المحنة وقد ضرب عنق رجلين بحضرته ، جعل ينظر في وجوه القوم ، فرأى بعض أصحاب الشافعي فأخذ يسأله أي شيء تحفظ عن الشافعي

في المسح على الخفين ، فأثار ذلك دهشة الحاضرين وراعهم ذلك الجنان الذي ربط الله على قلب صاحبه ، وقد قال خصمه أحمد بن أبي دؤاد عندئذ : أنظروا رجلا هو ذا يقدم لضرب عنقه فيناظر في الفقه .

ثم أنظروا الى القدوة الحسنة في الصدع بالحق من غير خوف أو وجل . التقى الامام سفيان الثورى بأبي جعفر المنصور في المسجد الحرام، فأخذ أبو جعفر بمجامع ثوب سفيان وواجه الكعبة وقال له : برب هذه البنية أي رجل رأيتني ؟ فقال سفيان : برب هذه البنية بئس الرجل رأيتك . ولقى يوماً الخليفة المهدي في الحج فقال له : حج عمر بن الخطاب فأنفق في حجته ستة عشر دينارا ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت المال .

ثم أنظروا الى القدوة الحسنة في تقواه وطاعته ، في خوفه ورجائه ، في مروءته وعطفه ، صلى تميم الداري في احدى الليالي عند مقام ابراهيم وكان يتلو سورة الجاثية ، فلما بلغ الى قول الله (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) جعل يبكي ويردد ساء ما يحكمون ، ساء ما يحكمون الى الصباح .

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو الذي رجح ايمانه ايمان المؤمنين ، فلقد كان يقول : لو كانت احدى رجلي في الجنة الأخرى خارجها ما أمنت مكر الله . مع انه من المبشرين بالجنة .

وهذا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الذي هو احدى معجزات الاسلام ومحاسنه ، فلقد كان يقول : لو نادى مناد يا أهل الموقف أدخلوا النار الا رجلا واحداً لرجوت أن أكون ذلك الرجل ولو نادى أدخلوا الجنة الا رجلا واحداً لخشيت أن أكون ذلك الرجل .

ثم أنظروا الى القدوة الحسنة في معاملاته ، الصادق في بيعه وشرائه ، الأمين في أخذه وعطائه • فهذا أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه يبعث الى شريكه حفص بن عبدالرحمن بمتاع ويعلمه بأن فيه ثوباً معيباً ، وأوجب عليه أن يبين العيب عند بيعه ، فباع حفص المتاع ونسي أن يبين ذلك ، ولم يعلم من الذي اشتراه ، فلما علم أبو حنيفة بذلك تصدق بثمن المتاع كله •

ثم أنظروا الى القدوة الحسنة في امارته وحكومته ، الأمين على رعيته وأمته ، المحب لأبناء دينه وانسانيته ، الخائف من ربه وعقابه • دخلت فاطمة بنت عبدالملك زوجة عمر بن عبدالعزيز يوما عليه وهو جالس في مصلاه ، واضعاً خده على يديه ودموعه تسيل على خده ، فقالت له : ما بالك ؟ فقال لها : ويحك يا فاطمة قد وليت من أمر هذه الامة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب والاسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي محمد صلى الله عليه وسلم ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فبكيت •

هذه نماذج من القدوة الحسنة التي رفعت رأس الاسلام والمسلمين عالياً بين الأنام ، وسجل لها التاريخ صفحات من نور •

ثم انظروا الى القدوة السيئة التي لطخت صفحات التاريخ بالخزي والعار •

فهذا محمد بن أحمد بن العلقمي القمي الاصل يسوقه حبه للرآسة والامارة وتعصبه الطائفي أن كاتب المغول لاحتلال بغداد والقضاء على

الخلافة العباسية ، فتقدم الجيش المغولي وتغلب على بغداد ، وقتل ما يزيد على مليون من أبنائها ، وأتى على جميع الشعراء والعلماء والأدباء ، وقضى على أكبر تراث للعرب والمسلمين .

وهذا الأمير دبيس بن صدقة الحلي يترك الحلة ويذهب مع أتباعه لمعاونة الصليبيين في حصارهم لمدينة حلب لأن الحكومة القائمة يومئذ لم تلب طلباته ، ولم تنزل على رغباته ، ولم تطمئن شهواته .

وهذا طاهر بن سعد المزدقاني يراسل الصليبيين ليسلم اليهم مدينه دمشق ، وتقرر بينهم وبينه ميعاد يكون يوم جمعة ذكروها ، وقرر المزدقاني مع جماعته الاسماعيلية أن يحيطوا ذلك اليوم بأبواب الجامع عند صلاة الجمعة ولا يمكنوا أحداً من الخروج منه ، فيجيء الفرنج ويملكوا البلاد ، ولكن تاج الدين قبض على هذا المزدقاني قبل تنفيذ هذه المؤامرة وقتله ، ولكن صنيعته اسماعيل والي بانياس كاتب الصليبيين وسلم اليهم المدينة .

وان لفي التاريخ القديم والحديث نماذج من هذا الطراز السيء الذي أصبح لعنة الدهر وعار الأجيال .

نسأله تعالى أن يهدينا بهدي الصالحين ، والسير على خطى المؤمنين ، لننال الحسنيين ، ونفوز بسعادة الدارين .

القدوة الحسنة (٣)

ان النفوس التي تهذبت بآداب الاسـلام ، والارواح التي استنارت بوصايا خير الانام ، قد صقلتها تلك التعـاليم حتى أصبحت لا تتحسس بالفردية ، بل غدت وكأنهـا جزء من مجموع الامة لا تفصمه فروق ، ولا مناصـب ولا زعامات ، كل همها السير بالامة الى قمة العـلا والفلاح ، وقد تجردت من لذائذ تعودها الانسـان ، وضربت الامثال في التضحية والتعفف والغيرة على الصالح العـام .

لقد حظى الاسلام بصفوة مختارة من هذا الطراز المثالي لا سـيما في قرونه الأولى ، أولئك الذين تذوقوا حلاوة الايمان وجردوا أنفسـهم لخدمة مجتمعهم ورضا ربهم .

لقد كان أبو بكر الصديق رضوان الله عليه من أزهد الناس وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه ولباسه ومطعمه ، كان لبسه في خلافته الشملة والعباءة ، وكان القدوة في ترك سفاسف الأمور والعمل لخير المجموع .

قدم عليـه زعماء العرب وأشـرافها وملوك اليمن وعليهم الحلل والحبرة والبرود المثقلة بالذهب والتيجان ، فلما شاهدوا ما عليه خليفـة المسلمين من لباس وهو يملك الاحمر والابيض ، شاهدوا ما عليه من الزهد والتواضع في الملبس والمأكل والمشرب مع الوقار والهيبة ، ذهبوا مذهبـه وخلعوا ما عليهم من برود .

وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن (ذو الكلاع) ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان من عشيرته ، وعليه التاج والبرود والحلل ، فلمـا شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزي أبي بكر ، حتى

أنه رؤي يوماً في سوق من أسواق المدينة وعلى كتفه جلد شاة ، ففزعت عشيرته لذلك وقالوا : قد فضحتنا بين المهاجرين والانصار والعرب ، فقال لهم : أفأردتم مني أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية جباراً في الاسلام، لا والله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع والزهد في هذه الدنيا •

وقد تواضعت الملوك والقادة ومن ورد على أبي بكر من الوفود بعد تكبر وعظمة درجوا عليها ، وتذللوا بعد التجبر ، فكان رضي الله عنه خير أسوة حسنة لرعاياه •

ولقد أتت القدوة الحسنة التي استنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكلها في الأمة في كثير من الميادين ، لقد سجلت كتب التاريخ بعض المآثر لأمانة القادة والجند في فتوحاتهم العديدة •

لقد ذكر أن سعد بن أبي وقاص قائد حملة فتح العراق عندما دخل المدائن عاصمة الأكاسرة وجد في خزائن كسرى ثلاثة ألف ألف دينار ، وجاء الذين خرجوا في أثر (يزد جرد) آخر أكاسرة الفرس بتاج الأكاسرة وهو مرصع بالدر والجوهر ، وبثيابه من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر •

وجاء عصمة بن خالد الضبي بسفطين في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثغره ولبانه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجامه كذلك ، وفارس من فضة مكلل بالجوهر ، الى غير ذلك من التحف والغرائب ، وهذه كلها لم تغر المجاهدين ، ولم يهم أحد منهم لأخذ شيء منها لنفسه ، بل ذهبوا به كله الى الخزائن •

وجاء رجل بحق نفيس الى الخازن بحيث تعجب هو والحاضرون من نفاسته ، ثم أرادوا أن يتعرفوا عليه فسألوه من هو ؟ فقال : لا أخبركم لتحمدوني ، ولكن أحمد الله بثوابه •

ولقد قال سعد بن أبي وقاص عندما رأى هذه الأمـوال تتكدس في خزائنه : والله ان الجيش لذو أمانة ، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر .

ثم ان سعداً أرسل خمس هذه الغنائم مع بشير بين الخصاصية الى المدينة ، ولما وضعت هذه الغنائم بين يدي عمر بن الخطاب دهش لما رأى من كثرتها ونفاستها ، ثم التفت الى من حوله من الاصحاب وقال : ان قوماً أدوا هذا لأمناء ، فأجابه علي بن أبي طالب : انك عففت فعفت رعيتك ، ولو رتعت لرتعت .

وروى عتبة بن فرقد السلمي أحد قواد عمر ، أنه قدم على عمر بحلواء من بلاد فارس في سلال عظام ، فقال له عمر : ما هذه ؟ فأجابه : طعام طيب أتيتك به ، قال عمر : ويحك لم خصصتني به ، فقال له عتبة : أنت رجل تقضي حاجات الناس أول النهار ، فأحببت اذا رجعت الى منزلك أن ترجع الى طعام طيب فتصيب منه فتقوى على القيام بأمرك ، فكشف عن سلة منها فذاق فاستطاب ، فقال : عزمت عليك يا عتبة اذا رجعت الا رزقت كل رجل من المسلمين مثله ، فقال عتبة : يا أمير المؤمنين لو أنفقت عليه أموال قيس كلها لما وسع ذلك ، فقال عمر : فلا حاجة لي فيه اذن ، ثم دعا بقصعة من ثريد ولحم غليظ وخبز خشن فقال : كل ، ثم جعل يأكل أكلا شهياً، ويقول عتبة : وجعلت آخذ القطعة البيضاء وأحسبها سناماً واذا هي عصبة ، فاذا اغفل عمر جعلتها بين الخوان والقصعة ، ثم أتى بقدح فيه شراب يكاد يكون خلا ، فقال : اشرب ، فلم استطعه ، فنظر الي وقال : اسمع اننا ننحر في كل يوم جزوراً ، فأما أطايبها فلمن حضرنا من المهاجرين والانصار ، وأما عنقها فلآل عمر ، وأما عظامها وأضلاعها وما بقي من لحم فلفقراء المدينة تأكل هذا اللحم الغث وتشرب من هذا

الشراب ، وندع لين الطعام ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها •

هذه نبذة من سيرة الزمرة المؤمنة التي كانت ولا زالت قدوة خيرة للاجيال الصاعدة التي تبغي الحياة الكريمة والعزة لنفسها وقومها وبلادها ، ففيها قد تجسدت الرحمة والعفة والمروءة والعفو والصفح والكرم والفضيلة والدين •

ثم اليكم طرفاً من القدوة السيئة التي استنت الحقد واللؤم والبعد عن مكارم الاسلام ، والعفو عند المقدرة التي هي سجية الأمة العربية •

عندما آل الأمر الى العباسيين بعون من الفرس والموالي الحاقدين على الأمة العربية خاصة والاسلام عامة ، اخذ هؤلاء العباسيون بتحريض من الفرس يقتلون الأمويين شيوخا ورجالا واطفالا ، وهم أبناء عمومتهم ، ثم وصل الحقد الى نبش قبور من مات من الأمويين ، وأخرجوا هياكلهم العظمية وصلبوها على قارعة الطريق ، ثم أحرقوها وذروها في الهواء •

روي ابن خلكان في وفيات الاعيان عن ابن الهيثم بن عدي عن معمر بن هاني أنه قال : خرجت مع عبدالله بن علي عم السفاح والمنصور فانتهينا الى قبر هشام بن عبدالملك فاستخرجناه صحيحاً ما فقد منه الا خرمة أنفه ، فضربه عبدالله ثمانين سوطاً ثم أحرقه ، واستخرجنا سليمان بن عبدالملك من أرض دانق ، فلم نجد منه شيئاً الا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية ، وكانت قبورهم بقنسرين ، ثم انتهينا الى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبدالملك فما وجدنا الا شئون رأسه ، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه الا عظماً واحداً ، ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم •

وقد أوعزوا الى المرتزقة ومؤلفي المحاضرات ليختلقوا الاكاذيب على

الأمويين ، وقد تولى تدوين التاريخ والفتوحات الفرس والموالي فطمسوا كل عمل جليل قام به الأمويون ، ونسبوا اليهم كل نقيصة ، مع أنهم هم الذين نشروا الاسلام وفتحوا الأمصار وحاربوا الضالين وبنو الحضارة الاسلامية .

وها هم غربانهم السوداء ينعقون ليل نهار في انتقاص أصحاب رسول الله الذين أزالوا كسرويتهم وأخمدوا نيران مجوسيتهم ، ولم يسلم منهم حتى رسول الله ، وعملوا على تفتيت تعاليم الاسلام وتعطيل أحكامه ومحاربة أوامره والترغيب في نواهيه . قاتلهم الله أنا يؤفكون .

القدوة الحسنة (٤)

ان الاسلام قد بنى تعاليمه كلها على ايجاد مجتمع مثالي في جميع نواحي الحياة ، مجتمع قد انعدمت فيه الفوارق الاجتماعية والادبية ، والتقليل من الفوارق المادية .

لقد دعا أتباعه الى اقامة حكومة مبرأة من الطغيان ، لا تميل بهـا الموازين ، ولا تجمح بها الأهواء ، وجعلها رقيبة عليها ، على أن تكون تلك الرقابة مستمدة من الايمان الصادق والخوف من الله .

كما أن الاسلام قد اوجب على من يتولى الحكم أن يكون قادرا على معرفة احوال رعيته ، والنظر في كل شئونها المادية والأدبية والروحية ، عاملا على النهوض بها الى مستوى الكمال ، وأن يكون قدوة حسنة لأتباعه وأمته وبطانته .

لقد ظهر في هذه الأمة أفذاذ كانوا مفخرة للحكم والحكام ، ونبراساً للأمراء والحاكمين والقادة من بين الانام ، ومدرسة ينهل من معينها رواد الاصلاح والعمل للصالح العام .

ولقد كان من أفضل من أنجبته هـــذه الأمة هو عمر بن الخطاب الذي جعل من نفسه قدوة صالحة لغيره ، ومعلماً للناس بأعماله قبـل أن يعلمهم بأقواله .

فاذا ذكر الزهد في الدنيا مع القدرة على النهل من أنعمها ذكـــروا زهد عمر ، واذا ذكروا العدل المطلق غير مشوب بشائبة ذكروا نزاهـه عمر ، واذا ذكروا العلم والفقه في الدين ذكروا علم ودين عمر . لقـد ذكروا له من الاعمال الشبيهة بالمعجزات التي تنسب الى الأنبياء .

لقد آمن عمر بالاسلام ايماناً لا يفوقه الا ايمان أبي بكر الصديق ، وفهم الاسلام نصاً وروحاً بما لا ينصرف اليه شك ، ثم هو بعد ذلك أرسى

اسس دولة نبوية ، واقام نظما ادارية ورتب علاقات اجتماعية وذلك كله في رحاب الاسلام ، وعلى هدى من مبادئه وتعاليمه ٠

لقد أحاط عمر بمشاكل الجماهير كلها ، فلقد كان يمشـــي في الاسواق ، ويعمل بنفسه ، ويضع نفسه في الظروف التي تكفـل له أن يعيش في ذات الاوضاع التي يحياها شعبه ، وأن يتنقل في بعض أوجــاء الدولة ليحس بمشاكل الناس ، ويضع لها الحلول الحاسمة ، ولهذا كان اجتهاد عمر أعظم بركة على العرب وعلى المسلمين من كل اجتهاد آخر ٠

لقد عاش عمر عيشة عامة المسـلمين ، بل دون ذلك في كثير مـن الحالات ، وقد قال قولته المشهورة عام الرمادة : كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم ، وهذا هو مفتاح الحكم الصالح في كل عصـر وزمان ، فيوم يحس الحاكم احساس شعبه ، فسـوف يستقيم الحكـم ، وينصلح حال الرعية ، ويوم ينفصل الحاكم عن شعبه ، وتكون له حياتـه الخاصة المرفهة ، فحينئذ ينفتح باب الفساد ويسود التذمر ، وتنتشر الفتن٠ ومن مأثور قول عمر : الرعية مؤدية الى الامام ما أدى الامام الى الله ، فان رتع الامام رتعوا ٠ لذلك ضـرب مثلا للبشـرية مـن نفسـه وممن يلوذون به ٠

أن أخشى ما كان يخشاه عمر أن تخرج النعمة الوافدة العربي عن طبعه الاصيل ، فينسى في غمار اللذة الهدف الكبير للرسالة الســماوية الخالدة التي حمل بها هذا الشعب العربي ، ومن هنا كان نفور عمر مـن انكباب ولاته على الترف الدنيـوي لأنهم بدورهم قدوة للأمة كـل في ناحيتـه ٠

لقد أدرك عمر أن الله حين حمل العرب رسالة الاسلام ، وفـرض عليهم الجهاد ، قد حولهم الى جنود ، والجندي لا يصلح له الترف ، بل الترف يفسده ويعين عليه عدوه ٠

ان الاسلام وان كان عالميا وللناس أجمع ، الا أنه نزل على أمة تمتاز بخصائص معينة ، أبرزها البساطة والتقشف والبعد عن الانغماس في الترف المادي ، ولا يكاد أحد أفرادها يطلب الا الكفاف وان مقدرتها على أداء رسالة الاسلام تتوقف قبل كل شيء على المحافظة على خصائصها الذاتية وأهمها عدم الانغماس في الشهوات .

ولقد رأى عمر أن كنوز كسرى وخزائن قيصر تكاد أن تكون غنيمة خالصة لهؤلاء العرب ، وأنها ستسبب لهم الانحراف وتسوقهم الى الانغماس في نعيم الدنيا وفي ذلك القضاء على مقوماتهم الذاتية وهل تجدي بعد ذلك العظات والتذكير بآيات الله ، فرأى أن يجعل من نفسه القدوة الحسنة للأمة ، وهو الخليفة ورأس الدولة الذي تتجه اليه الأبصار ، وبيده مفاتيح تلك الكنوز والخزائن ، جعل عمر من نفسه علماً حياً على القيم الاسلامية الخالصة ، والخصائص العربية الخالدة ليكون كما أخبر عنه رسول الله : هذا غلق للفتنة ، وأشار بيده الى عمر ، ثم قال : لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم .

روي عن الأحنف بن قيس أنه قال : أخرجنا عمر في سرية الى العراق وبلاد فارس ، فأصبنا من بياض فارس وخراسان ، فحملنا معنا واكتسينا ، فلما قدمنا على عمر أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا ، فاشتد ذلك علينا ، فشكونا ذلك الى ولده عبدالله فقال : لقد رأى عليكم لباساً لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخليفة من بعده ، فأتينا منازلنا ، فنزعنا ما كان علينا واتيناه في البزة التي يعهدها منا ، فقام فسلم علينا ، على رجل رجل ، وعانق رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا ، فقدمنا اليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية ، فعرض في الغنائم شيء من أنواع الخبيص (وهو حلوى) فذاقه فوجده طيب الطعم والريح ، فقال : يا معشر المهاجرين والانصار ليقتلن منكم الابن أباه والاخ أخاه على هذا الطعام . ثم أمر به فحمل الى أولاد من قتل من المسلمين ، ولم يأخذ لنفسه شيئاً .

وكان رضي الله عنه يقول : والذي نفسي بيده لولا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم ، ولكن استبقي طيباتي ، لأني سمعت الله تعالى يقول عن اقوام : (اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) .

لقد صدقت فراسة عمر الملهم ووقع ما كان يخشاه ، فقد غير العرب ملبسهم ومعاشهم ، وانغمسوا في الترف والشهوات ، ونسوا انهم رسل دعوة ، وانهم القدوة للمجتمع الاسلامي في حركاتهم وسكناهم ، لذلك سلط الله عليهم أخس مخلوقاته واذل واضعف البشر ، ليتحكموا بمصائرهم ، ويصولوا ويجولوا في ارضهم ومقدساتهم ، ويقتلوا رجالهم ويسبوا نساءهم ويهدموا منازلهم على رؤوسهم ، لانهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

لقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بدرجته الرفيعة في العلم والدين حيث قال له : بينما أنا نائم اذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن ، فشربت منه حتى اني لأرى الري يخرج في أظافري ، ثم أعطيت فضلتي لعمر بن الخطاب ، قالوا : فما اولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم . وقال عليه الصلاة والسلام : بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي ، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ، قال : الدين . لذلك يقول عبدالله ابن مسعود : كان عمر أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله . ثم يقول : لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة ميزان ، ووضع علم الارض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يروون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . وقال ابن سيرين : الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك في دينه .

ولقد بلغ عمر بشئون الدنيا والدين درجة جعلته يشغل مرتبة لم يبلغها أحد بعده من الخلفاء ، ولقد اجتهد في جميع ضروب الحياة ، وخرج بعلمه من الدائرة النظرية المجردة الى مجال التطبيق الحر .

علينا أن نتأسى بسلفنا الصالح اذا أردنا استعادة مجدنا وعزنا ، ولتكن سيرة رجالنا الخالدين دستور حياتنا والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

الحكم الصالح (١)

لقد نظر أسلافكم الأولون الى أوامر الدين نظراً صادقاً ، وعرفوا قدر الدنيا وقيمتها ، وأيقنوا أن شهواتها لا ثبات لها ولا استقرار ، فلم تخدعهم شهوة الحكم والجاه والسلطان ، ولم تغرهم لذة الرآسة وغطرسة النفوذ ، ولم يفتنهم ملق الناس وطاعتهم والتهافت على رضائهم .

لما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز كتب الى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يصف له الامام العادل ، فكتب اليه كتاباً بذلك جاء فيه : ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والامام العادل كالراعي الشفيق على إبله ، والحازم الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، والامام العادل كالأب الحاني على ولده يشقي لهم صغارا ويعلمهم كباراً ، يكسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد وفاته ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد إئتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وأهلك ماله ، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك ...

فالامام العادل هو ظل الله في الأرض ، وهو من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ، والحاكم الجائر لعنة على نفسه وعلى الأمة ، ينتشر في عهده الفساد ، ويشيع الفزع والاضطراب ، فالرعية منه في بلاء ، وهو نفسه في عناء ، لا يدوم حكمه ، ولا يستقيم ظله .

في سنة ثلاثمائة وست وثمانين للهجرة تولى الحكم الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وكان يدبر الأمر أحد موالي ابيه فدبر قتله ، ومن ذلك الحين بدأ يستبد بالأمر ، وبدأ عهد الطغيان والتناقض والشذوذ والعنف ، وأكثر من اصدار المراسيم الشاذة المتناقضة ما بين حرمان واباحة يحرم بعض الأطعمة على الناس ثم يبيحها ، يصدر الأوامر بأن يكون نشاط العمل ليلا ويكون النهار سكنا ، ثم يمعن في القتل والسفك ، ويبدأ بوزرائه وكتابه واحدا بعد الآخر ، ثم يقتل رؤساء العشائر ويشجع الدعوات السرية الالحادية ، وينتهك حرمات الشريعة • ثم وصل به الجنون الى أن ادعى الالوهية ، وأخذ الشعراء ينعتونه بالألوهية ، فكان كل هذا سبباً لاضطراب أمور الدولة ، وضعف منعتها ، وتعرضت للتهديد الخارجي فأجمعت كلمة الأمة على التخلص من صدر الفساد ، فكان ما أرادت ، وذهب الى غير رجعة •

وهاكم المثل الآخر للحكام الخائنين الفاسدين المفسدين ، ذكر المؤرخون أنه كان للخليفة العباسي المستعصم وزير يدعى محمد بن العلقمي وكان منحرف العقيدة فأراد أن ينتقم من الاسلام والمسلمين فكتب الى هولاكو حفيد جنكيز خان بأن يأتي الى بغداد ويستولي على عاصمة الخلافة الاسلامية ، وكان مع هولاكو نصيرالدين الطوسي يحسن له هذا الأمر ، وقد أخذ ابن العلقمي يسرح الجند ويقلص الجيش حتى أضعفه ، فعندئذ زحف هولاكو بجيشه المغولي فدمر كل شيء مر عليه في العراق الى أن وصل بغداد ، وعندما دخلها ذبح من أهلها أكثر من ثمانمائة ألف نسمة وقيل أكثر من مليون ، ثم أمر بجمع الرؤوس ورصفت بشكل هرم بلغ ارتفاعه خمسين متراً ، ونتج عن ذلك انتشار الطاعون الذي قضى على البقية من الذين بقوا أحياء في المنطقة • ويزيد المؤرخون بأن العصافير والطيور التي كانت تمر بالقرب من الهرم كانت تتساقط ميتة لهول الوباء ،

ولم يكتف المجرمون المخربون بخنق أربعة وعشرين ألفاً من العلماء وخمسة عشر ألفا من الشعراء والأدباء كانوا قد قدموا الى بغداد من أربعة أطراف الأمبراطورية العباسية، بل عمدوا الى اتلاف البساتين وحرق المحصولات وتدمير القصور والمساكن والحمامات العامة والمستشفيات والمكتبات والمختبرات ، والقوا في النهر من المخطوطات والكتب ما كاد يسده ، وخوفا من أن تفيض مياهه احرقوا القسم الباقي من المخطوطات ، وأخيراً ليتأكدوا من انه لم يبق شيء في هذا البلد سوى الخراب والدمار ، خربوا السدود المشيدة على ضفاف النهر لرد الفيضان ، فغمرت المياه المدينة وأتت على آخرها ، وهكذا فعل هذا المجرم العلقمي بالأمة فدمر مجدها وقضى على امبراطوريتها ، وضربها ضربة لم تصح الى الآن من آثارها ، كل ذلك لأنه كانت بيده السلطة والأمر والنهي ، فسول له حقده الاسود وشعوبيته المقيتة أن يعمل لتدمير امبراطورية اسلامية كان يستظل بها المسلمون وتحمي حماهم ، ولم يشفع لها ما اسبغت عليه من اعلا المناصب وأرفع الدرجات ، بل حكمته حتى برقاب وأرزاق أبنائها .

ان الاسلام قد طلب ممن يتولى قيادة أمته أن يسير على هدى تعاليمه، بأن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمته قبل أسرته ، ولانسانيته بعد وطنيته ، وأن يتحد في ذهنه وجود ذاته بوجود سعيه ، يرتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابي لأن فضله أوسع من العصبية .

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه رسالة لواليه على البصرة أبي موسى الأشعري جاء فيها : أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، واذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله ، فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخيفوا الفساق واجعلوهم يداً يداً ورجلا رجلا (أي كبل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود) ، وعد مرضى

المسلمين واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا ، وقد بلغني أنه فشى لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فاياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم الا السمن ، وانما حتفها في السمن ، واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقى به الناس •

لقد كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يشتد اغتباطه حين يرى عماله يتجردون لخير الرعية ولقد ولى على امارة حمص عمير بن سعد ، ثم كتب اليه أن اقبل بما جبيت من فيء المسلمين فلما أقبل سأله عمر عما صنع ، فقال عمير : بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم ، حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شيء لأتيتك به • قال عمر : فما جئتنا بشيء ؟ فأخبره أنه أنفقه على فقراء أهل حمص ، فقال عمر : جددوا لعمير عهداً ، ثم قال : وددت لو ان لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين •

ولقد كان ابن الخطاب رضوان الله عليه يقول : ان هذا الأمر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوى في غير عنف •

لقد حد الاسلام من سلطة الأمراء والحكام ، وأنذرهم بأنهم أعظم تبعة من المحكومين ، وأنذرهم بالقصاص اذا اعتدوا على الرعية ، لأن المسلمين تتكافأ دماؤهم والحاكم واحد منهم ، وانما له مزية النظر في أمورهم كالوصي والوكيل • ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم) •

الحكم الصالح (٢)

ان في دينكم ضمانة لسعادة الانسانية وسلامتها ، وان في سيرة أمراء المسلمين وعظمائهم نبراساً لهداية الانسانية الى وشائج الاخاء والعدل والمساواة ، وهي أنجع دواء لأمراضها العصبية .

لقد جاء الاسلام ليقيم الحكم على أسس تضمن لجميع المحكومين الكرامة الانسانية التي من الله تعالى عليهم بها ، ولينعم بالعدل الاجتماعي . وليس لحاكم أن يستبد برأيه ، وليس لأحد من الرعية أن يتنصل مما عليه من المسئولية فيما يعمل هو نفسه ، أو فيما يعمله غيره وله مساس بالصالح العام ، فالحاكم والمحكومون مسئولون عن خدمة بلادهم ومجتمعهم ودينهم، وكلهم في المسئولية سواء ، فالحاكم انما يعمل لهم ، وهم انما يعملون لأنفسهم ولبلادهم .

ومتى قامت الدولة على أسس صالحة ودعامات قوية ، كانت النتيجة سعادة المجموع عدل شامل ، وعيش رغيد ، ومحبة وأخوة .

كما يجب على الناصحين الا يحجموا عن اسداء النصيحة للحاكم والمحكومين على السواء ، وأن يتحملوا في سبيل ذلك ما لا يرغبون .

شكا الحجاج بن يوسف الثقفي سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم وأنهم يتبعون كل ناعق ، وكان لديه جماعة من القادة والوجوه ، فقال له جامع المحاربي وكان شيخاً صالحاً جريئاً : لو أحبوك لأطاعوك . فقال الحجاج : ما أرى أن أردهم الى طاعتي الا بالسيف ، فقال جامع : أيها الأمير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار ، فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله ، فقال جامع : أجل ولكنك لا تدري لمن يجعله الله . فغضب الحجاج وقال : والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك ، فقال

جامع ، ان صدقناك أغضبناك ، وان غششناك أغضبنا الله ، نغضب الأمير اهون علينا من غضب الله ، فقال الحجاج : أجل • وسكت •

لقد حارب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سياسة اعتكاف الأمراء والولاة بالقصور ، فعندما سمع ان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه والي الكوفة قد بنى دارا وجعل لها باباً ، أرسل محمد بن سلمة وأمره أن ينزل الى الكوفة فيشتري حطباً ويضرم النار في باب سعد ويقول له : كيف تجعل لدار الوالي بابا يمنع السابلة ورواد الليل والفقراء والضعفاء وذوي الحاجة عن الوصول اليك •

ولقد قال رضي الله عنه وأرضاه : ان الناس لا يزالون مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم ، وان الرعية مؤدية الى الامام ما أدى الى الله ، فاذا رتع الامام رتعوا •

ان الأمراء والقادة يحيط بهم في كل وقت وزمان بطانة من الزم واجباتها النصح والتنبيه • ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله نبياً ولا استخلف خليفة الا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصمه الله تعالى •

لما صحت عزيمة الهادي الخليفة العباسي على خلع هارون الرشيد من ولاية العهد ومبايعة ابنه جعفر ، جلس في مجلس الخلافة وشرع في أخذ البيعة لأبنه جعفر وخلع الرشيد ، فبايعه جمهرة من القواد والزعماء ، ثم جيء بالقائد هرثمة بن أعين ليبايع فأبى وقال : ان يميني مشغولة ببيعة أمير المؤمنين ، وشمالي مشغولة ببيعة هارون ، فأبايع بماذا ؟ فرد عليه الهادي : تخلع هارون وتبايع جعفراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل أدين بنصيحتك ونصيحة الأئمة منكم ، وبالله لو تخوفت أن تحرقني على صدقي اياك بالنار لما حجزني ذلك عن صدقك ، ان البيعة يا أمير المؤمنين

هي أيمان ، وقد حلفت لهارون بمثل ما تستحلفني به لجعفر ، وان خلعت اليوم هارون ، خلعت جعفراً غداً • فاستشاط الهادي وغضب وأمر بوجيء عنق هرثمة • ثم رجع عن قوله واكتفى باسقاطه من قيادته واخراجه ملوماً مدحوراً • ثم وجم الهادي ساعة ، وعندما رفع رأسه أمر برد هرثمة وقال له : يا حائك ، يبايع أهل بيت أمير المؤمنين وفيهم عم جده وعم أبيه وعمومته واخوته وسائر لحمته ، ويبايع وجوه العرب والموالي والقواد وتمسك أنت عن البيعة ، فقال هرثمة : يا أمير المؤمنين ، وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من أعيان الناس ، الا أن الأمر على ما بايعت لك انه لا يخلع اليوم أحد هارون ويبقي في غد لجعفر •

فالتفت الهادي الى من حضر مجلسه وقال لهم : شاهت الوجوه ، صدق والله هرثمة وبر وغدرتم ، ثم أمر لهرثمة بخمسين ألف درهم واقطعه أرضاً واسعة •

واليكم مثلا لناصح أمين يغار على أمته وأميره وينبهه لما يحيط به من بطانة سوء هي عليه لا له •

دخل أعرابي على سليمان بن عبدالملك الخليفة الأموي فقال له : اني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان وراءه لو قبلته ما تحب •

انه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنك الله عليه ، فانهم لم يألوا الأمانة تضييعاً ، والأمة كسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عند الله غبناً من باع آخرته بدنيا غيره • فقال سليمان : لقد سللت يا أعرابي لسانك وهو سيفك ، فقال الاعرابي : أجل يا أمير

المؤمنين لك لا عليك • ثم أكرمه سليمان وأكبره •

وهكذا كان الراعي والرعية ، وهكذا دعا لذلك الاسلام ، وهـذا ما يحتمه الواجب الديني والوطني •

اللهم اصلح الراعي والرعية ، ووجهم لخيري الدنيا والآخـرة ، وانقذ بلاد المسلمين من شرور المفسدين ، برحمة منك يا أرحم الراحمين •

الحكم الصالح (٣)

ان اسلامكم دين عام للناس كافة ، وعقيدة اصطفاها الله تبارك وتعالى لتصنع خير أمة أخرجت للناس ، وشريعة تكفلت للامة القوة والسعادة والطمأنينة والعدالة والازدهار .

لقد أراد الاسلام أن يعيش المجتمع الذي يدين به بحرية واطمئنان، فأرشد بأن الحكم ما هو الا عقد بين متعاقدين ، بين الحاكم والرعية ، وما هو الا تعاون بين جميع الأطراف على البر والتقوى ، وكذا أرشد الى أن اختيار الحاكم يجب أن يستند الى الرضا والحب ، لا الى التعسف والاكراه وليس له حق القدسية ولا الهيمنة على عقائد الناس وقلوبهم ، انه طرف في العقد وما هو الا وكيل يقوم بأعمال الوكالة باسم المجموع .

لقد وقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على المنبر غداة توليته الخلافة ليحدد واجباته حيال الأمة فيقول : ولكم عليَّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها ، لكم عليَّ ألا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم من وجهه ، ولكم عليَّ اذا وقع في يدي الا يخرج الا في حقه ، ولكم عليَّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ان شاء الله ، ولكم عليَّ الا القيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم ، واذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال ، فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أموركم ، وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

دستور محدد البنود ، وواجبات واضحة ، والتزامات صريحة ، وحقوق مشتركة بين الحاكم والشعب جلية ، وهل في دساتير الأمم الحديثة

مثل هذا الدستور الذي وضعه عمر وألزم به نفسه والأمة معاً •

لقد جاء الاسلام ليحرر النـاس من الخضـــوع والخنوع للملوك والرؤساء والقادة والزعماء والحكام وأصحاب النفوذ والسلطان ، وليصبح الوعي العام في جمهور الناس منتزعا من طبيعة النفوس الحرة الكريمة ، وليس للحاكم أن يؤدب رعيته بالضرب الا في الحدود ، فان فعل فقد ظلم ووجب القصاص منه • وها هو رسول الله صلى الله عليه وسـلم الذي نعتـه رب العالمين بقوله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) •

يمر بين أصحابه يوم أحد يسوي صفوفهم للقتال وبيده عصا قصيرة، فيرى رجلا خارجاً عن الصف فيغمزه في بطنه قائلا : استقم يا ســواد ، فيقول سواد : يا رسول الله آذيتني وقد بعثك الله بالنصف ، أقـدني مـن نفسك ، فيكشف الرسول عن بطنه ويقول : استقد يا سواد فيحتضنه سواد ويقبله ويقول : انما أردت أن يكون آخر شيء في الدنيا أن يمس جلدي جلدك الشريف •

لقد نظر أوائلنا الى خلفائهم وأمرائهم على أنهم مساوون لســائـر الناس لا يتميزون عنهم بشيء وليس عليهم اطاعتهم الا ضمن حـــدود أحكام الشريعة والعدل ، واذا تحقق ذلك وجب عليهم الطاعة والانقياد وقد تفهم الحكام والمحكومون هذه الواجبات التي فيها الأمان والاطمئنان •

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان في خلافته ، فقال له : السلام عليك أيها الأجير • فقال من حضر المجلس : قل أيها الأمير ، فقال الخولاني : السلام عليك أيها الأجير وأعادها ثم قال : انما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم ، فان أنت داويت مرضاها ، ورددت أولها عـلى آخرها ، وفاك سيدك ، وان أنت لم تفعل عاقبك سيدك •

بهذا كان أوائلنا يصارحون الحكام ، وكان الحكام يتقبـلون ذلك

برحابة صدر وقبول حسن ، ولم تكن من سنة الاسلام والمسلمين الاشادة بالرؤساء والقادة والاشراف في تعظيمهم واعلاء شـــانهم ، لئلا يتملكهم الغرور ، ويستولي عليهم الجشع والطغيان •

صعد عمر بن الخطاب المنبر يوماً فقال : يا معشر المسلمين ، مـــاذا تقولون لو ملت برأسي الى الدنيا هكذا ؟

فقال رجل : اذن نقول بالسيف هكذا ؟

فسأله عمر : اياي تعني بقولك ؟

فقال له الرجل : نعم ، إياك أعني بقولي •

فعندئذ يقول عمر : يرحمك الله ، والحمد لله الذي جعل فيكم من يقوم عوجي •• لقد أراد عمر من وراء هذا الوصول الى الحق والطمأنينة على أنه يحكم أمة من الاحرار ، لا قطيعاً من الغنم •

عندما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز خطب الناس فقال : أيهـــا الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصا الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم •

وهذا هو الاسلوب الاسلامي في اختيار الحاكم يلزم مراقبته مراقبة فعالة على أعماله ، ولم يعرف الاسلام ما هو مقرر في الانظمة الحديثة من أن ذات الملك أو رئيس الدولة فوق القانون ، بل ان الله تبارك وتعالى قـد خاطب نبيه وصفيه وحبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله : (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) •

فهل سمع الناس بحرية وديمقراطية وعدالة أوسع من هذا الاسلام ، وهل عرف التاريخ حكاماً جمعوا الكمال الانســاني كحكام المســلمين الأولـين •

اننا في حاجة الى من يسير بالمسلمين سيرة أوائلنا ليعيد للعـــرب والمسلمين عزهما ، وليعيش الناس أحراراً كما ولدتهم أمهاتهم • حقق الله ذلك ، وعجل بالفرج ، آمين يا رب العالمين •

الحكم الصالح (٤)

لقد حرر اسلامكم أتباعه من جبروت الأباطرة والأكاسرة ، وأطلقهم من رق العبودية العالمية ، وبهذا كون المسلمون أمة مهيمنة سيدة لم يشهد العالم لها مثيلا في جميع ميادين الحياة .

لقد أقام المسلمون حكومة مبرأة من الطغيان ، لا تميل بها الموازين ، ولا تجمح بها الأهواء .

لقد جعل الأمة رقيبة على راعيها وحاكمها ، وتصاحب هذه الرقابة رقابة الضمير ، ورقابة الايمان ، ورقابة الخوف من الله ، مع الزام النصيحة بالتقوى والتوجيه الحسن ، وتقديم الآراء الصائبة في كل أمور الحكم ومشاكله وصوره ، وهذا أمانة الاسلام في رقاب المسلمين .

قال ميمون بن مهران : كنت عند عمر بن عبدالعزيز ، فقال لحاجبه : من بالباب ؟ قال : رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له أن يدخل ، فلما دخل قال : حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم حجب عنه حَجَبَهُ الله عنه يوم القيامة . فقال عمر لحاجبه : الزم بيتك . فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب .

وقال عمرو بن مرة الجهني لمعاوية بن أبي سفيان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من أمير يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسألة الا أغلق الله أبواب السماوات دون حاجته وخلته ومسألته .

ويكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى عامله في مصر يقول : أشعر قلبك الرحمة بالرعية والمحبة بهم والعطف بهم ، ولا تكون عليهم مسبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك

وممن له هوى في رعيتك ، فانك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصيمه دون عباده .

هذه اقوال لا تعرفها القوانين المدنية ، لانها لا تنفجر الا من القلوب المؤمنة المخبتة لربها . المتطلعة الى خالقها ، القلوب التي تجافي الظلم وتحاربه وتبرأ منه .

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف يودع أحد ولاته قبل سفره الى محل عمله وقال له : ماذا تفعل اذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ فأجابه العامل : اقطع يده ، فقال عمر : واذن فان جاءني منهم جائع أو عاطل ، فسوف يقطع عمر يدك ، ان الله سبحانه استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فاذا أعطيناهم هذه النعمة من الله أقمنا عليهم حدود الله كفاء شكرها .

فهذا الدستور العمري يلزم الدولة أن توفر لكل فرد من أبنائها طعامه وكساءه ، وأن تدبر له عملا دائماً يحميه من البطالة ويقيه العوز والحاجة .

يوجب الاسلام على من يتولى الحكم أن يكون قادراً على معرفة أحوال رعيته ، والنظر في كل شئونها المادية والادبية ، عاملا على النهوض بها الى المستوى اللائق بها ، وأن يكون قادراً على الدفاع عن رعيته ، فلا يسمح أن يعتدي أحد على احد ، لا ينثني عن الحق ، ولا يميل مع العاطفة رحيما لا يقسوا في مواطن الرحمة ، قادراً على تأديب من يعبث فساداً ، ومن يثير الفتن ، ومن يخل بالأمن ، ومن يستهتر بالأخلاق والمقومات ، وأن يكون مسئولا عن حياطة الامة ، والقيام بكل ما يصلحها ، ويحول بينها وبين الانزلاق في التيارات المفرقة والمخربة ، فان عجز وجب عليه أن يتخلى عنه لغيره ، وأن قصر أو أهمل كان جزاؤه الخزي في الدنيا والآخرة .

روى الامام مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ، قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وأنها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها .

يروي هذا الحديث أبو ذر نفسه ولم يعارض في وصفه بالضعف ، ولم يحاول الدفاع عن نفسه ، يحدث أبو ذر نفسه بأنه ضعيف لا يصلح للحكم ، يروي ذلك وهو قرير العين منشرح الصدر ، فلم يبال أن يقال عنه أنه ضعيف غير صالح للحكم .

ان هذه الزمرة التي تخرجت من مدرسة محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، ان هؤلاء السادة الميامين لا يرون وجودهم لأنفسهم فحسب ، بل يرون وجودهم لخدمة المجتمع الاسلامي وان الواجب يحتم عليهم أن ينقلوا اليه شريعته بأمانة واخلاص .

ان في هذا لعبرة وتبصرة لهؤلاء الذين يتهافتون على المناصب وهم ليسوا بأكفاء لها . واذا تخطتهم رئاسة ملئوا الدنيا ضجيجاً ، وطرقوا جميع الأبواب لاغتصابه .

ولو أن الروح الطيبة التي كان يتحلى بها الرعيل الأول من هذه الأمة استمرت حية لما كانت الزعامات وكان الحكم مصدر فرقة وبلاء على الأمة الاسلامية وتقدمها .

لقد ابتلى العالم كله بعشاق المناصب الذين لا يرون لأنفسهم حياة الا اذا غمرتهم أبهة المنصب واستمتعوا بثمراته ، ولا يبالي أحد هؤلاء من الصاق التهم بالأبرياء ، والتنكيل بمن لا يسير في فلكهم .

اللهم بصر زعماء المسلمين بما يعود بالخير على المسلمين ، واهدهم اللهم الى سبيل الصلاح والاصلاح ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحـكم الصالح (٥)

لقد نهضت البلاد الاسلامية الآن باحثة عن أسباب العزة لتعتز بها ، وعن أسباب القوة لتتقوى بها ، وعن سياسة الحكم الصالح لتسلك نهجها ، وعن التوجيـــه الاجماعي النافع لتتبع خطاه ، وعن أسباب سعادة الأمة ورفاهها لتتبناهـا •

لقد كان الواجب على الباحثين أن يبدأوا أولا بدراســـــة التاريخ الاسلامي ـ بعد أن يزيلوا منه شوائب الشعوبيين والحاقدين ـ كان عليهم قبل أن يلتفتوا يمنة ويسرة أن يدرسوا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعاليمه للحكم الصالح والدولة المثالية ، ليعلموا كيف كون هو وأصحابه من بعده مجتمعاً قويا يثبت للحدثان ولا يصدعه الزمـان ، مجتمعاً تمثلت فيه العزة والكرامة حتى كانوا أهلا لنعت الله اياهم بأنهم خير أمة أخرجت للنـاس •

لقد كانت الحكومة في صدر الاسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي يقضي بين المتخاصمين ، ويؤلف بين المتنافرين ، وينفذ الاحكام، ويوجه الأمة الى الخير ويهديها الى الصواب ويجنبها عن التردي في المهاوي والهلكات • وكان يعلم انها رسالة القيت على عاتقه ، ليس فيها امتنان على أحد ، ولا فيها استبداد الرؤساء ، ولا زهو الحكام ، ومع الرسالة والعصمة عن الخطأ والزلل كان لا يبت في مسألة الا بعد عرضها على أصـــــحابه يناقشونه غير متبرم بمناقشتهم أو حاقر لجدلهم ، بل يبادلهم المشـــورة ، ويظهر لهم التبسيط •

لقد كان من هذا دروس عملية لأمته واتباعه ، واهتدى خلفاؤه بهديه وساروا على السنن الذي سنه للحكم وقيادة الأمة وتوجيهها ، فقادوها الى

ما فيه صلاحها واصلاحها ، وتحملوا أعباءها وردوا عنها عدوان المعتدين ، وظلم الظالمين ، وجور المستبدين • ووجهوها الى مراعاة الحقـوق وفض النزاع والخصومة ، والتقدم والعمران • ثم أعطوا للأمة من سـيرتهم وسلوكهم وأخلاقهم وعلمهم ورأيهم ما يجعلها تلتف حولهم وتنصـاع لأوامرهم •

لقد أعطى الاسلام الحكام القانون الذي يحكمون به ويسيرون على ضوئه ويعملون بمقتضاه اعطاهم القران ، وهدى خير الأنام ، واجماع خير القرون • ثم نبههم بان ولاية المسلمين ليست بالشيء الهين ، بل هي تكليف قبل ان تكون تشريفا •

ان المسلمين ليعلمون ما كانت عليه حكومة فاروق الاسلام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه من سياسة ورعاية وعناية واصلاح ، وكيف كان يبذل جهده وراحته ليوفر السعادة للامة والرخـاء للناس ، والطمأنينـة للرعية ، ومع هذا كله فقد قال لمن أشاروا عليه بتوجيه الخلافـة لولـده عبدالله وهو أهل لها قال : حسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحداً منهم عن هذه الأمة يوم القيامة •

بهذا سن لمن بعده من الخلفاء والأمراء والحكام بأن لا يجعلوا هذه المراكز سبيلا الى المغانم السافلة والمطامع الدنيئة ، لأنهم مسئولون أمام الله عن رعيتهم ، ومؤاخذون عن تقصيرهم واهمالهم •

لقد الزم الاسلام الحكام القيام بشئون الرعية والسهر على راحتهم وتطمين حوائجهم الضرورية كما أوجب على بيت المال أن يدفع دين مـن يعجز عن الوفاء بدينه ولو كان موفور الحاجيات اللازمة للحياة •

لقد عمم عمر بن عبدالعزيز الى عماله منشوراً جاء فيه : ان اقضـوا عن الغارمين • أي المدينين ، فكتب اليه عامله في العراق : انا نجد الرجل

له المسكن وله الخدم وله الفرس وله الأثاث في بيته ، وهو بعد ذلك مدين .

فكتب اليه عمر : لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى اليه رأسه وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، وأثاث في بيته ، ومع ذلك فهو غارم فاقضوا عنه ما عليه من الدين .

وعندما فسد الحكام وانحرفوا عن الطريق السوي ، واستبدوا بالأمر ، وأحاطت بهم بطانة سوء تحسن لهم المخالفات والانحرافات ، وتزين لهم الابتعاد عن روح الاسلام ، وسولت لهم بأن الحكام أسمى وارفع من المحكومين ، وأن الحكم لا صلة له بالدين ، حدث الانهيار في العالم الاسلامي ، وابتدأ يتخلى عن رسالته العالمية كقوة ايمانية تحمل رسالة ، وتبشر بدعوة ، وتقدم للانسانية تشريعاً ونظما ، وأخذت قوته التي كانت تحتل قلب العالم تتحول الى قطع متناثرة وأمم ممزقة ، تحكمها ذئاب كاسرة ، الذليلة أمام أعدائها .

لقد كان الامام أحمد بن حنبل يقول : لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوت بها للسلطان ، لأن السلطان لو صلح لصلح المسلمون لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس ، واذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء) .

وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل يا رسول الله ، وما اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة .

ان نظم الحكم في البلاد الاسلامية لا تتفق مع طبيعة المسلمين ، بل هي نظم أخذها المخدوعون من الغربيين ليبتعدوا عن مقررات الاسلام في الحكم والتوجيه ، أخذوا من تلك النظم الغث دون السمين ، والطالح دون الصالح ، والالحاد دون الايمان .

لقد أخذوا عن الغرب والشرق ما أحدث مشاكل في تصريف شئون الأمة ، وما فقد عنصر الانسجام والتجاوب بين الحاكمين والمحكومين •

يجب أن يكون الحاكم مؤمنا بما تؤمن به اغلبية المحكومين ليتوحد الهدف ، ولتتجه الميول في اتجاه واحد ، ليمكن التعاون بين طرفي الحكم ، ولتتوفر السعادة للمحكومين وهو هدف الحكم في الاسلام ، ولقد قال عمر بن الخطاب : لا يقيم أمر الله الا رجل لا يضارع ، ولا يصانع ، ولا يتبع المطامع ، ولا يقيم أمر الله الا رجل لا ينتقض غربه ، ولا يكظم في الحق على حزبه •

ثم العجب من قوم يزعمون أنهم مسلمون الى الله ، مؤمنون بالكتاب الذي أنزل ، والرسول الذي أرسل، ثم هم يعطلونه ولا يقيمونه ويضيعونه ولا يحفظونه ، بل هم يلتمسون الهدى من غيره ، ويتطلبون الحياة ممن ضل عن روحه ونوره ، ويولون قلوبهم ووجوههم لاشطر المدنية الاسلامية ولكن شطر المدنية الأجنبية التي ضلت عن ربها ، وعبدت المال والقوة والجاه ، فأداها ذلك الى التحلل والفوضى والارتباك وعدم الاستقرار والخوف والوجل ، يجب أن يفكروا بما يبدد الظلمة ، ويبصر بعواقب هدا النضال الوحشي الذي سيذهب بالأخضر واليابس والنفس والنفيس ، وسيلقي بالانسانية طعمه لنيران الحقد والانتقام والطمع • اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون •

الحكم الصالح (٦)

لقد وضع الاسلام الأسس الصالحة للحكومة الصالحة ، وقيد تصرف القوة الحاكمة في شئون الأمة بالدستور الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، وبما سنه الرسول من أنظمة وقوانين تحدد علاقة الحاكم بالمحكوم ، وأباح للأمة تعرف حكم ما لا نص فيه بالمشورة والاجتهاد ٠ وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشير أصحابه فيما لا توقيف فيه ، ثم يعمل بما يظهر له أنه الصواب ٠

كما أن الاسلام حرم تصرف الفرد بالأمة من غير تقييد بشرع او قانون ، وعلى هذا جرى السلف الصالح من هذه الأمة ، وانعقد عليه اجماعهم ، ولم يبيحوا أن يلي أمورهم من يخالف الكتاب والسنة في حكمه ، وحاربوا الاستبداد والحكم بالهوى لأنه منابذ لحكمة الله في ارسال الرسل وانزال الكتب وتشريع الشرائع ٠

لقد سن الاسلام من أن نصب الحاكم انما هو حق من حقوق الامة ، لذلك لا يحق له التصرف بشئونها الا بعد اختيارها إياه ، لأنها هي صاحبة الحق في هذا الأمر ويستمد سلطانه منها ٠

لقد ذكر العلماء ان للأمة خلع الامام وعزله بسبب يوجبه ، مثل أن يوجد فيه ما يوجب اختلاف أحوال المسلمين ، وانتكاس أمور الدين ، فكما كان لهم نصبه واقامته لانتظامها واعلائها لهم عزله لاخلاله بشروطهم ، وان أدى الأمر الى الفتنة احتمل أدنى الضررين ٠

قال الامام الرازي : ان الرياسة العامة هي حق الأمة التي لها أن تعزل الامام اذا رأت موجباً لذلك ، لأنها ولية الأمر أصلا ، وما هو الا وكيل عنها ، وللأصيل تنحية الوكيل اذا رأى الخير في هذه التنحية ٠

كما أوجب الاسلام نصيحة الحكام • وقد ذكر العلماء الشيء الكثير ، منها : معونتهم على القيام بما تكلفوا القيام به ، بتعليمهم اذا جهلوا ، وارشادهم اذا هفوا ، وتنبيههم إذا غفلوا ، وسد حاجتهم اذا احتاجوا ، وتحذيرهم من سوء يراد بهم ، ونصرتهم في جمع الكلمة ورد القلوب النافرة •

بينما كان الخليفة العباسي المنصور يطوف بالكعبة ليلا ، اذ سمع قائلا يقوغ : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع • فخرج المنصور الى ناحية من المسجد ودعا القائل وسأله عن قوله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ان أمنتني أنبأتك بالأمور على جليتها وأصولها ، فأمنه ، فقال : ان الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله هو أنت يا أمير المؤمنين ، فقال المنصور : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي ، والحلو والحامض عندي ؟ فقال الرجل : لأن الله استرعاك المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد ، وحجاباً معهم الأسلحة ، وأمرتهم الا يدخل عليك الا فلان وفلان ، ولم تأمر بايصال المظلوم والملهوف ، ولا الجائع والعاري ، ولا الضعيف والفقير ، وما من أحد الا وله في هذا الأمر حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، رأوك تجبي الأموال فلا تعطيها وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله تعالى فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه ، فاتفقوا على الا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلأت بلاد الله

بالطمع ظلماً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل، فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك ، فان أراد رفع قصته اليك وجدك قد منعت من ذلك وجعلت رجلا ينظر في المظالم ، فلا يزال المظلوم يختلف اليه وهو يدافعه خوفا من بطانتك ، فاذا صرح بين يديك ضرب ضربا شديداً ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر ولا تنكر ، فما بقاء الاسلام على هذا ؟

وإليكم مثلا آخر للانسان الكامل ، والعالم العامل ، والمؤمن الناصح، والزاهد التقي من جهة ، ومن جهة أخرى يريكم كيف يكون الحاكم الخائف من العواقب ، والطالب للمخرج من مأزق الحكم .

طلب الخليفة العباسي هارون الرشيد من الفضل بن الربيع أن يرشده الى من يزيل ازعاجه وقلقه النفسي الذي لا يذهب به الا عالم تقي زاهد .

وبعد المطاف وصل به الى باب الفضيل بن عياض ، وبعد أخذ ورد فتح لهم الباب ، فقال له الرشيد : خذ فيما جئناك له يرحمك الله ، فقال الفضيل : وفيما جئت وقد حملت على نفسك ذنوب الرعية التي سمتها هواناً وجميع من معك من بطانتك دونك تضاف ذنوبهم الى ذنوبك يوم الحساب، فبك بغوا وبك جاروا ، وهم مع هذا أبغض الناس لك ، وأسرعهم فراراً منك يوم الحساب ، حتى لو سألتهم حين انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصاً (جزءاً) من ذنب ما فعلوه ، ولكان أشدهم حباً لك أشدهم هرباً منك ، ثم قال :

ان عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبدالله ، ومحمد ابن كعب القرظي ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : اني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ . فعد الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبدالله : ان أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فصم عن الدنيا ، وليكن افطارك فيها الموت •

وقال له محمد بن كعب : ان أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك إبناً ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك •

وقال له رجاء بن حيوة : ان أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تحبه لنفسك واكره لهم ما تكرهه لنفسك ، ثم مت اذا شئت•

واني أقول لك : يا هارون ، اني أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزل فيه الاقدام ، فهل معك يرحمك الله من يشير بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه •

فقال له الفضل بن الربيع : ارفق بأمير المؤمنين ، فقال الفضيل : تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ؟

ثم أفاق هارون فقال له : زدني يرحمك الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، بلغني أن عاملا لعمر بن عبدالعزيز شكا اليه ، فكتب اليه : يا أخي أذكرك بسهر أهل النار في النار ، مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل فيكون آخر العهد انقطاع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود الى ولاية حتى ألقى الله عز وجل •

فبكى هارون بكاء شديداً ، ثم قال له : زدني يرحمك الله • فقال : يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء الى النبي فقال : يا رسول الله أمرني على امارة ، فقال له : يا عم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فان استطعت أن لا تكون أميراً فافعل ، فبكى هارون بكاء شديداً ، وقال له : زدني يرحمك الله ، فقال : يا حسن الوجه أنت

الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فان استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل ، واياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة .

لقد كان سلف هذه الأمة يحاسب الحكام على الهفوة والخطأ اليسير ، وكان الحكام يقررون ذلك في مجالسهم . فهذا أبو بكر الصديق يقول لمن يستمع اليه : أنا متبع لا مبتدع ، فان أحسنت فأعينوني ، وان زغت فقوموني، وكان يردد هذا وأمثاله عمر وعثمان وعلي ، لتأثرهم بتعاليم الاسلام ، وشعورهم بواجب المسئولية .

اللهم هيء للمسلمين من يقتفي أثر السلف الصالح ، ليكون لهم الحكم الصالح والأمة الصالحة والعيش الصالح ، والعزة الصالحة ، انك بالاجابة جدير وعلى كل شيء قدير .

المساواة في نظر الاسلام

تنعقد في كل عام اجتماعات تدعى باليوم العالمي ضد التفرقة العنصرية ، للنظر في حقوق الافريقيين الذين تتحكم في بعض بلادهم حفنة من البيض الاوربيين ، وما يقاسيه الملونون في أمريكا من معاملات يندى منها جبين الانسانية خجلا ، حيث حرموا عليهم دخول أنديتهم ومجالسهم ومدارسهم لئلا تتلون بشرة البيض بسوادهم .

ومع هذا فهم لا يخجلون من الادعاء بأنهم رسل الحرية والمساواة ، والعاملون لازالة الفوارق فيما بين الشعوب والاجناس ، يقولون هذا بفمهم وسطروه في قوانينهم ، ولكن الحقيقة تدمغهم ، فهم الذين اضطهدوا غير البيض وعدوهم أقل منزلة من السوائم .

ان الأنانية المادية ، والأثرة الذاتية لم تبلغا في عهد من العهود ما بلغته في عهد المساواة الزائفة ، وان القطيعة لم تصل في عهد من العهود ما وصلت اليه في هذه السنين ، وان النزاع بين الطبقات وحرب الاجناس لم يبلغا من القسوة والفتك ما بلغاه في عهد الديمقراطية والحرية والمساواة الزائفة .

أنظروا الى اسلامكم أيها الراكظون وراء السراب ، فهو وحده الذي جاء بالمساواة الحقة ، والتي سادت المجتمع الاسلامي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

ان الاسلام أول ما بدأ من تعاليمه أن آخى بين الأفراد والجماعات ، وجعل الجميع أمام الله سواء ، وأمام الحق سواء ، وفي أعين أنفسهم سواء ، هذا الاسلام الذي ملأ الدنيا عدلا ، وفاض على الأكوان نوراً ، ونشر السلام على الربوع التي دانت لحكمه أيام كان عزيزاً ، يذيعه رجال أعزاء .

ان الاسلام يحترم القيم الانسانية بغض النظر عن اللون والجنس والنسب ، وقد ارتقى الملونون في ظل الاسلام الى مكان الصدارة والقيادة •

لقد أبطل الاسلام نظام الطبقات الذي كان متفشياً بين الأمم ، وكلما صعد المرء بتاريخ الاسلام الى صدره الأول ، رأى العدل والمساواة والأخاء يكاد يكون على أتمه ، مما لم يحدث به التاريخ عن غابر العصور وحديثها •

فهذا سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبة حجة الوداع : أيها الناس ، ان ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ويقول : الناس كأسنان المشط • فلم يقصر المساواة على جنس أو قبيلة ، ولم يقدم أبيض على أسود •

ولم يتآمر المشركون على مناوأته والعمل على قتله الا بعد خشيتهم من أن يرفع العبيد والضعفاء الى مصافهم ، وقد كانوا يرون أن للمال والجاه والنسب حقوقاً على العامة ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند مرضه الذي توفاه الله فيه : أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدمنه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقدمنه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يخشى الشحناء فهي ليست من شأني •

لقد كان رسول الله المثل الأعلى في أقواله وأفعاله للمساواة ، واذا بدر منه ما يشعر بخلاف ذلك لقى من الله عتابا ، ونزل فيه قرآن يبقى على مر الأيام وكر الدهور •

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أم مكتوم الاعمى ، وعند الرسول رؤساء قريش وهو يرغبهم في الاسلام ويدعوهم اليه ، فقال عبدالله بن أم مكتوم : يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغل الرسول بالقوم ، فكره رسول الله قطعه لكلامه

وعبس وأعرض عنه ، فنزل قول الله : (عبس وتـولى ان جـاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، وأما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك الا يزكى • وأما من جاءك يسعى وهـو يخشى فأنت عنه تلهى) •

ولقد كان رسول الله خير قدوة لأصحابه ، فكانوا في سيرتهم يسوون بين القوي والضعيف ، ويقتصون من السوقي والشريف •كانوا مثالا للعدل الشامل ، والحرية الوارفة ، ينعم في ظلالها المسلمون وغيرهم ، ويتساوى فيها أبيضهم وأسودهم ، وأحمرهم وأصفرهم ، كلهم في الحكم سـواء ، وفي الحق اكفاء •

فهذا أبو بكر الصديق وهو خليفة رسـول الله يودع قائده المولى أسامة بن زيد ، يودعه ماشياً على قدميه وأسامة راكب على فرسه عندمـا اتجه لحرب الروم ، ولم يقبل من أسامة أن يترجل •

وهذا عمر بن الخطاب يقول بعد أن طعنـه عـدو الله أبو لؤلؤة المجوسي : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر اليه لوثقت به ، سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم هذا الذي أراد عمر أن يجعله أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول الله كان عبداً رقيقاً لزوجـة أبي حذيفة فأعتق ، ثم تقدم اليه أبو حذيفة وزوجه ابنة أخيه الوليد بن عتبة ، ولم يقعد به نسبه فالاسلام لا ينظر الى اللون والنسب ، ولكن يقيس الناس بكفآتهم واخلاصهم •

وهذا عبدالرحمن بن عوف أحد المبشرين بالجنة ، وهو من أشراف قريش يزوج أخته هالة من بلال بن رباح الحبشي •

وهذا الحجاج بن يوسف الثقفي أصـلب ولاة الأمويين عوداً ، وأشدهم شكيمة ، وأقساهم على دعاة الفتنة والمخربين ، يعين هذا الحجاج أحد الموالي وهو سعيد بن جبير أميناً على توزيع رواتب الجند ومخصصات

اعاشتهم ، وهو من أهم الوظائف التي لها صلة بالجيش وضمان الاستقرار بين أفراده •

وهذا القائد العظيم أبو عبيد الثقفي عندما فتح احدى مدن الفـــرس أتاه قادتهم بآنية فيها أنواع الاطعمة اللذيذة ليأكلها ، فقـال لهم : أأكرمتم الجند وأقريتموهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسر : فقال لهم أبو عبيد : فلا حاجة لنا فيه ، بأس العبد أبو عبيد ان صحب قوماً من بلادهم فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ، لا والله لا نأكل ما أفاء الله عليهم الا مثل ما يأكل أوساطهم •

ولما وصلت الجيوش الاسلامية الى مصر وعلى رأسـها القائد العظيم عمرو بن العاص ، ارسل ملك مصر المقوقس من يستطلع تلك الحمـــلة ويأتيه بخبرها ، فما راعه الا ان يرى قائد الجيش عمرو بن العاص يتبسط في تناول الطعام مع الجنود على الارض ، فلما رجع الرسول أعطى للملك تلك الصورة الرائعة ، فقال الملك : ان قوما ذلك شـأنهم ، وتلك حـــال كبارهم مع صغارهم ، محال أن تجد الهزيمة الى صفوفهم سبيلا •

لقد هذب الاسلام الروح العربية وجعلها تنادي بالمساواة ، ولا فرق بين عربي وآخر مهما كان لونه أو جنسه •

لقد كانت الجاليات العربية تمتزج مع أصهارها ممن اعتنق الاسلام ، لأن الشرور والآثام والفساد في الأرض انما هو نتيجة التفرقة في الحقـوق والواجبات ، وليس أضر على المجتمع من انقسامه الى طبقات •

ان الاسلام لا يفرق بين الحكام والمحكومين في مظاهر الحياة ، بـــل كان بعض الطبقات المتوسطة أحسن حالا من حكامهم ، وذلك لشدة ورعهم وخوفهم من الله ، لأنهم قد اتعظوا بقول رسول الله : من أشرب قلبه حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا يفرغ منه ، وأمل لا يبلغ منتهـاه ، وحرص لا يدرك مداه •

ان الاسلام يهيء الأمة للشـــعور بالواجب والاعتراف بالكفاءات ، وينادي بحرية الفرد الا أنه لا يتركه يتعدى مصلحة الجماعة ، وفي الوقت الذي يشجع على اكتساب الرزق ويبيح للفرد حريـــة التملك ، يكلفـه بالتنازل عن جزء مما ربحه لمن أشقاه الفقر في حياته ، على أنه لم يشـــاء أن يمنى أتباعه بالمساواة الاقتصادية ، وذلك لأنه دين الفطرة ، والفطـرة جعلت من الناس القزم والعملاق ، والضعيف والقوي ، وجبـــار العقـل والأبله والمعتوه ، وان نواميس الطبيعة تأبى المساواة الاقتصادية •

لقد عمل الاسلام على تقليل الفروق بين طبقات الناس ، فاتخذ لذلك نظام الميراث والضرائب على العقار ، والزكاة على جميع مظـــاهر الثروة ، كما حث في الوقت نفسه على التصدق في كثير من المناسبات •

ولقد وجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم من بعض في حالـة تكافل وتعاضد ، فأكثر من الايصاء بالجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من بات شبعان وجاره جائع • ويروى أن رجلا كان عند عبدالله بن عباس وغلام له يذبح شاة ، فقال ابن عباس يا غـــلام لا تنسى جارنا اليهودي ، ثم عاد فكرر ثانية وثالثة ، فقال له الرجل : كم تقـــول ذلك يا ابن عباس ؟ فقال له : والله ان رسول الله صلى الله عليه وســـــلم ما زال يوصينا بالجار حتى ظننت أنه سيورثه •

هذا هو الاسلام ، وهذه هي تعاليمه ، وهؤلاء القدوة من أبنـــائه ، فيجب على أبنائه أن يضربوا أروع الأمثلة في تطبيقهم مبادءه ، ليعلم الناس أي المبادىء تصلح للحياة السعيدة الرغيدة ، مبادىء الحضـارة الغربيـــة المدمرة الزائفة ، أم مبادىء الاسلام المعمرة الرحيمة والله يأخذ بأيدينـا ، وهو خير الناصرين •

الاخلاص في نظر الاسلام

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا . الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما) .

ان الاسلام دين القلوب الطاهرة ، والنفوس العامرة ، دين الصدور البريئة ، والضمائر الخالصة : (وما أُمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القَيِّمَة) .

ان الاخلاص نور يقذفه الله تعالى في القلوب ، فتستحيل الى طهر وصفاء ، وكمال ونقاء ، والى حب في الله ، وبغض في سبيل الله ، بحيث يتحقق فيهم قول رسول الله : من احب لله ، وابغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان .

لقد جعل الاسلام قبول الاعمال والاقوال متوقفا على الاخلاص ، وربط رفع الطاعة الى الله مشروطا بالاخلاص ، كما جعل العمل بغير نية هباء ، والنية بدون اخلاص وصدق رياء ، وهو يمقت الرياء والمرائين ، والخداع والمخادعين ، والنفاق والمنافقين ، ولقد وصف تبارك وتعالى هذه الاصناف بقوله : (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ، ومن دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله كله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لغيرك فيه شيئا .

واليكم المثل الأعلى للحاكم المخلص لله ولرسوله ولرعيته ، انظروا الى عمر بن الخطاب وهو يقول : والله لو عثرت دابة في العراق لرأيتني مسئولا عنها ، فقيل له : وما ذنب أمير المؤمنين في ذلك ؟ فقال : أمير المؤمنين مكلف باصلاح الطرق وتسويتها ، يمشي عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب .

ولقد اعتزم رضوان الله عليه أن يتجول في البلاد ليتفقد شئون الرعية ، فقتل قبيل اغتياله : لئن عشت ان شاء الله لأسيرن في الرعية حولا ، فاني اعلم ان للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها الي ، واما هم فلا يصلون إلي .

ان الاخلاص من أقوى الوسائل التي تخلص الانسان من وساوس الشيطان وغوايته ، قال تعالى حكاية عن أبليس وغوايته : (فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) . ولم ينصر الله تعالى موسى على فرعون الا لاخلاصه : (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا) .. ولم يصرف الله تعالى عن يوسف السوء والفحشاء الا لاخلاصه : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) .

واذا لم يخلص العبد في حركاته وسكناته ، ولم يقطع أطماعه من هذه الدنيا ، فسيرى حسناته قد آلت الى سيئات ، (وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وبدالهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى للمخلصين الذين اذا حضروا لم يعرفوا ، واذا غابوا لم يفتقدوا ، أولئك هم مصابيح الهدى تنجلي بهم كل فتنة ظلماء . وقال سيدنا عمر بن الخطاب : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس . وقال رضي الله عنه : نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه . وقد تحدثت كتب السير ان صهيبا لما أراد الهجرة

تصدت له قريش قائلة : أتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لايكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا نعم ، قال : فانني قد جعلت لكم مالي كله ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب .

لقد كان الرعيل الاول من هذه الامة سادة الدنيا لاخلاصهم في جميع اعمالهم ، واصبحوا بفضل ذلك الاخلاص الانسان الكامل المثالي الذي يقتدى به ويترسم خطاه : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين .

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع عبدالرحمن بن عوف ليحرسا قافلة نزلت بأطراف المدينة ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه وقال لامه ، اتقي الله ، وأحسني الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد الى أمه وكرر عليها ما قاله من قبل ، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه وقال لها : ويحك اني لاراك أم سوء ، مالي أرى ابنك لايقر منذ الليلة ؟ فقالت له : ياعبدالله قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أريغه على الفطام فيأبى ، قال لها عمر : ولم ، قالت : لان عمر لا يفرض الا للفطيم ، قال لها : وكم له ، قالت : كذا وكذا شهرا ، قال لها ، ويحك لاتعجليه . يقول عبدالرحمن بن عوف : فصلى عمر الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديا فنادى ان لاتعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام ، وكتب بذلك الى جميع الافاق .

روى الطبراني ان جرير بن عبدالله الانصاري أمر مولاه أن يشتري له فرساً ، فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم ، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس ، فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، وأخذ

يزيده في الثمن حتى اشتراه بثمانمائة درهم بدلا من الثلثمائة المتفق عليها ، فقيل له في هذه الزيادة فقال : اني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم .

وروى ان سليمان بن عبدالملك الخليفة الاموي بينما كان جالساً وحوله أصحابه اذ دخل عليه أحد العلماء فقال له سليمان : ما حال القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فيلقى جزاء احسانه ، وأما المسيء فيود لو تسوى به الأرض ، فقال سليمان : اذا كان الامر على ما وصفت فما بالنا نكره الموت ونحب الحياة ؟ فقال له : أعفني يا أمير المؤمنين من الجواب : فقال سليمان : قل وأنت آمن ، فقال له : لانكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فتكرهون ان تنقلوا من العمار الى الخراب ، فقال بعض من بالمجلس : يا هذا لقد نغصت على أمير المؤمنين مجلسه ، فقال سليمان : دعه فانه رآنا في غفلة فأراد أن ينبهنا .

لما أخذ الخليفة الاموي الناصر لدين‌الله في بناء قصر الزهراء في الاندلس شغله ذلك عن حضور صلاة الجمعة بالمسجد الجامع حينا من الزمان ، ثم رجع الى صلاة الجمعة بعد ذلك ، فأراد الامام المنذر بن سعيد البلوطي خطيب المسجد أن ينبه الخليفة فاستهل خطبته يقول الله تبارك وتعالى : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله واطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأموال وبنين . وجنات وعيون . اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) .

ثم وصل ذلك بكلام فيه الاشتغال بتشييد الابنية وزخرفتها والاسراف في الانفاق عليها ، فبكى الناصر لدين الله واستعاذ من سخط الله ، ولكنه في الوقت نفسه تأثر من البلوطي ، وشكا الناصر ذلك الى ولده الحكم ولي

عهده وقال له : والله لقد تعمدني منذر في خطبته وأسرف في ترويعي ، ثم اقسم لايصلي خلفه الجمعة ، فقال له ولده الحكم : وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به ؟ فقال له الناصر : أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يعزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد ، هذا مالايكون ، واني لاستحي من الله الا أجعل بيني وبينه شفيعا في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد ، والله لوددت أن أجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي ، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا ، فما أظننا نعتاض عنه أبدا •

فبهؤلاء وأمثالهم قامت دولة الاسلام وعلا شأنها وانتشرت بنودها ، وقامت حضارتها ، وسما ذكرها ، لانه كان نصب أعينهم قول رسول الله : يبعث العبد على ما كان عليه ، من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم وهم فيها لايبخسون • أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) •

ان الاخلاص دعامة المجتمع ، وبدونه تكون الامور فوضى يتسرب الى صفوفها الوهن والانحلال ، وما هلكت الامم السابقة ، وما خفق الزعماء ، وذل العلماء ، وأهين الرؤساء ، وما اندحرت الجيوش ، ونكست البنود ، الا لفقدان الاخلاص •

نحن الان في أشد الحاجة الى الاخلاص في جميع أعمالنا ، وفي حركاتنا وسكناتنا ، لانه سلم النجاح ، وسبيل الفلاح ، وخذلان للباطل ، ودفع للظلم ، وحرب على الهوان •

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال : أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة ، رجل آتاه الله العلم ، فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت ؟ فيقول : يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة كـذبت ، بل أردت أن يقال فلان عالم ، الا فقد قيل ذلك ، ورجل آتاه الله مالا ، فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يارب كنت أتصدق به آناء الليل واطراف النهار ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت ، بل أردت أن يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ، ورجل قتل في سبيل الله ، فيقول الله تعالى : ماذا صنعت ؟ فيقول : يارب أمرت بالجهاد فقاتلت ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت ، بل أردت أن يقال فلان شجاع ، الا فقد قيل ذلك ، قال أبو هريرة : ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطه على فخذى وقال : أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة •

الاستقامة في نظر الاسلام

ان من كملت معرفته بربه ، عظم عنده أمره ونهيه ،وصرف جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لاجله ، من عبادة مولاه وطاعته .

ان حظ كل أمة من الرقي والسيادة على قدر حظها من استقامة أفرادها ، وسلوكهم المنهج القويم ، وهدايتهم الى الصراط المستقيم ، وبذلك تستقيم جميع نواحي الحياة ويعم الخير والفلاح .

فاذا كان الفرد المستقيم راعيا استقامت رعيته ، أو كان مربيا حمدت سيرته ، وأثمرت في الناشئين تربيته ، أو كان صانعاً تقدمت صناعته وحسن انتاجه ، وعظم ربحه ، أو كان تاجراً راجت تجارته وربحت بضاعته ، وان كان زارعاً كثر خيره ونمت زراعته ، وان كان والداً صلحت ذريته وسعدت أسرته ، وان كانت امرأة هناء زوجها وسعد أبناءها وانتظم بيتها .

ومن عرف بالاستقامة عظمت حرمته ، وعلت درجته ، وكان مقبولا لدى الله والناس أجمعين .

قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي ـ الخليفة العباسي ـ وأتى بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ، ولم يسلم بالخلافة ، والربيع بن يونس قائم على رأس المهدي متكئاً على سيفه يرقب أمره فأقبل المهدي على سفيان بوجه طلق وقال له : ياسفيان تفر هنا وهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؟ فقد قدرنا عليك الان أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ، فقال سفيان : ان تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ، أئذن لي أن أضرب عنقه ، فقال له المهدي : أسكت ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله الا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم ؟ أكتبوا عهده على

قضاء الكوفة على أن لايعترض عليه في حكم فكتب عهده ورفع اليه ، فأخذه وخرج ورمى به في دجلة وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد .

ان الانسان لايكون سعيدا بماله ولا بجاهه ولا بمعارفه ولا لحظوظه الدنيوية ما لم يكن مستقيما في نفسه ، لايسعى الا الى حقه ، ولا يجحف بغيره ، ويكون قلبه مراقبا ربه .

حدث للامير محمد بن سليمان حادث فأرسل الى حماد بن سلمة كتابا يقول له فيه : وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها ، فكتب اليه حماد بقوله : انـا أدركنا العلماء وهم لايأتون أحداً ، فان وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدا لك ، فلم تمض مدة حتى جاء الامير محمد بن سليمان فدخل وجلس بين يديه ، ثم ابتدأ فقال : مالي اذا نظرت اليك امتلأت منك رعبا ، قال حماد : حدثني ثابت البناني قال سمعت أنساً يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، واذا أرادأن يكنز الكنوز هاب من كل شيء ، فقال الامير : ماتقول رحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله ؟ فقال حماد : لايفعل رحمك الله ، فاني سمعت أنساً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا أراد الله أن يعذب عبدا من عباده في حياته وفقه لوصية جائرة . فعرض الامير على حماد مالا فلم يقبله .

لقد ذكر المؤرخون ان من أسباب هجوم الصليبيين على الشرق الاسلامي هو مراسلة الفاطميين لامم الافرنج وتشجيعهم على مهاجمة السلاجقة لان هؤلاء الاخيرين قد تغلبوا على الفاطميين وافتكوا منهم البلاد الشامية . وذكر بعض المؤرخين أن اتفاقا سريا وقع بين الخليفة الفاطمي والامبراطور البيزنطي ضد السلاجقة المسلمين حيث انفذ المستنصر الفاطمي لذلك وزيره الافضل بن الوزير الارمني بدر الجمالي ، وعندما أخذ

الصليبيون في محاصرة انطاكية خرج الافضل بجيشه للاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين ، وكان بمثابة التمهيد للصليبيين الذين تمكنوا بعد أشهر قلائل من دخول بيت المقدس بعد مقاومة ضعيفة . ولما رأى العالم الزاهد أبو بكر النابلسي خيانة هؤلاء الفاطميين ، أخذ ينادي الامة بقوله : اذا كان مع رجل مسلم عشرة أسهم وجب عليه أن يرمي في الكفار سهماً واحداً وفي الفاطميين تسعة أسهم . ولما أحضر بين يدي الخليفة الفاطمي قال له : بلغنا عنك كيت وكيت ، فقال النابلسي : لقد قلت اذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة ويرمي العاشر فيكم أيضا ، فانكم غيرتم الملة وقتلتم الابرياء ، ونصرتم الضلال .

ثم انظروا ماذا كانت نهاية الفاطميين ، كانوا هشيما تذروه الرياح فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا متظرين .

لقد وقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأصحابه على مزبلة ، فأطال الوقوف حتى أضجرهم ، فقالوا : مالك حبستنا هنا ؟ فقال : هذه دنياكم التي تتنافسون عليها .

وعندما زار عمر بن الخطاب الشام ، أراد أن يرى أمير الشام وفارس الاسلام والبطل الفاتح أبا عبيدة عامر بن الجراح ، فلما دخل منزله لم ير شيئاً ، فقال له عمر : أين متاعك ؟ قال : ما ترى ، قال عمر : لست أرى الاقصعة وقطعة من لبد ، قال أبو عبيدة : حسبي هذا ، فهذه لطعامي ووضوئي ، وتلك لمجلسي ومنامي ، فبكى عمر اشفاقا على ابن الجراح . فقال له : أتبكي يا أمير المؤمنين علي لانني بعت دنياي واشتريت آخرتي .

وهذه البلاد العربية كلما سعى جماعة للم شعثها وتوحيد صفوفها ، وقف أصحاب النفوس المريضة في وجه المصلحين وأثاروا الحزازات

والعداوات ، وأشعلوا نار الفرقة والوقيعة ، لان وحدة العـــرب تضـــر بمصالحهم ومصالح أسيادهم ومستأجريهم .

أيها المسلمون : لايستقيم الظل والعود أعوج ، فالرجل ليس هـــو الجسم الذي نراه ، بل هو الكلمة الطيبة التي تخرج من فمه ، والعمـــل الصالح الذي يصدر عنه ، والنفس الطاهرة التي يملكها .

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لايخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون)

الشفاعة ومكانتها في الاســلام

ان الاسلام يربي أتباعه على التعاطف فيما بينهم فـي جميع الظروف والحالات ، وان لايبخل أحدهم على الاخر بنفسه وماله وجاهه ، ليعيش الضعيف متمتعا بحقوقـه كالقوى ، ويبذل الغني الخير لاخوانه المحتاجين . قـال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نفس عـن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

ومن الضمان الاجتماعي الذي دعا اليه الاسلام الشفاعة لذى حاجة عند من يملك قضاءها يقول تعالى : ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شـيء مقيتا ﴾ . وفي الحديث الشريف : ان الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله وعمره فيقول : جعلت لك جاها ، فهل نصرت به مظلوما ، أو قومت به ظالما ، أو أغثت مكروبا . وقال عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابـه طرق الخير ليتزودوا منها : اني أوتي وأسأل أو تطلب الى حاجة وأنتـم عندى فاشفعوا لتؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اتصلت نعم الله عليـه كثرت حوائج الناس اليه ، فمن لم يحتمل المؤن عرض لزوال تلك النعم . وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : ان لله تعالى أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ما بذلوها فان منعوهـا نزعها منهم وحولها الى غيرهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنـه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . وقال علي رضى الله عنه : عجبـت

لرجل بجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كنا لانرجو جنة ولا نخاف من نار ولا ننتظر ثواباً ولا نخشى عقابا ، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الاخلاق ، فانها تدل على سبيل النجاة ٠

وقال الحسن : قضاء حاجة أخ مسلم أحب الي من اعتكاف شهرين٠ ولقد أمر الخليفة المهدي بضرب عنق رجل وكان عنده ابن السماك ، فقال للمهدي : ان هذا الرجل لايجب عليه ضرب العنق ، فقال المهدي : فما يجب عليه ؟ قال ابن السماك : أن تعفو عنه ، فان كان من أجر كان لك دوني ، وان كان من وزر كان علي دونك ٠ فخلى سبيله ٠

ان الشفاعة تكون حيث تكون المظالم ، فيسعى المظلوم الى رفع الظلم عن نفسه ، فتكون الشفاعة سببا في رد حقه اليه ، أو دفع الأذى عنه ٠

لقد وجد أناس هيئوا أنفسهم لازالة المظالم عن المظلومين ، والتماس العفو عن المذنبين من غير أن يطلب منهم ذلك ، ومن غير أن تكون بينهم وبين من يشفعون له معرفة أو رابطة ، بل يعملون المعروف للمعروف ٠

فهذا أحمد بن أبي دوآد الايادي قاضي القضاة يدخل على المعتصم العباسي فيرى أن قد أحضر السيف والنطع ، وأحضر رجل من أهل الجزيرة الفراتية ، والمعتصم يخاطبه بقوله : فعلت وصنعت ، ثم أمر بضرب عنقه ، فيتدخل بن أبي دوآد في الامر ويخاطب المعتصم بقوله : يا أمير المؤمنين سبق السيف العذل ، فتأن فانه مظلوم ، فسكن المعتصم قليلا وهنا يحدثنا بن أبي دوآد عن نفسه فيقول : وغمرني البول فلم أقدر على حبسه ، وعلمت أني ان قمت قتل الرجل ، فجمعت ثيابي تحتي وبلت فيها حتى خلصت الرجل ، قال : فلما قمت نظر المعتصم الى ثيابي وطبة فقال : يا أبا عبدالله أكان تحتك ماء ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان كذا وكذا ، فضحك المعتصم ودعا لي وقال : أحسنت بارك الله عليك ٠

وذكر أنه بينما كان هارون الرشيد يخطب خطبة الجمعة في مدينة بغداد ، اذ قام اليه رجل من بين الناس فقال : والله ما قسمت بالسوية ، ولا عدلت في الرعية ، ولقد فعلت ما فعلت فأمر به فأخذ ، ثم أدخل على الرشيد بعد الصلاة ، وأحضر الجلادون وبأيديهم السياط ، وبينما الرجل بين يدي الرشيد اذ دخل الامام أبو يوسف يعقوب الانصاري قاضي القضاة ، فقال له الرشيد : يا يعقوب كلمني هذا بما لم يكلمني به أحد ، فرد عليه أبو يوسف : يا أمير المؤمنين قد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسم قسمه . ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله • فعفا وصفح • وقيل له وقد قسم قسما : أعدل ، فقال صلى الله عليه وسلم ومن يعدل اذا لم أعدل ، فعفا وصفح • وقيل له أشد من هذا ، خاصم اليه الزبير ورجل من الانصار ، فقضى للزبير ، فقال الاخر : يا رسول الله أأن كان ابن عمتك ، فعفا وصفح فسكن غضب الرشيد وأمر بالرجل فأطلق سراحه •

وذكر ابن الجوزي : ان هارون الرقى قد عاهد الله أن لايسأله أحد كتاب شفاعة الافعل ، فجاءه رجل فأخبره أن ابنه قد أسر بالروم ، وسأله أن يكتب الى ملك الروم في اطلاقه ، فقال له : ويحك ومن أين يعرفني ، واذا سأل عني قيل هو مسلم فكيف يقضي حقي ؟ فقال له السائل : أذكر العهد مع الله تعالى ، فكتب له الى ملك الروم ، فلما قرأ ملك الروم الكتاب قال : من هذا الذي قد شفع الينا ؟ فقيل له : هذا رجل قد عاهد الله لايسأل كتاب شفاعة الاكتبه الى أي من كان ، فقال ملك الروم : هذا حقيق بالاسعاف أطلقوا أسيره ، واكتبوا جواب كتابه وقولوا له : اكتب بكل حاجة تعرض فانا نشفعك فيها •

أما الشفاعة التي من قبيل الدعاء فقد رغب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له ، وقال له الملك ولك مثل ذلك •

أما الشفاعة السيئة فقد جعل الاسلام نصيبا من وزرها على الشفيع : (ومن يشفع شفاعة سيئة له كفل منها) •

وان بعض المستشفعين يرون أن من واجب الشفيع قضاء حاجاتهم وانجازها مهما بلغت خطورتها وتشعباتها واذا لم تنجز انقلبوا ناقمين حاقدين على ذلك الشفيع الذي بذل جاهه وراحته في سبيل انجازها من غير جزاء ولا أجر • ان هؤلاء الناس وما أكثرهم في بلادنا يجنون على أنفسهم وعلى الناس معا ، اذ يقطعون بهذا سبيل المعروف ، ويسدون طريق الخير على الناس ، وعلى المستشفع لقضاء حاجته ، وعلى المشفع لنيل الاجر والثواب ، وعلى المتشفع لتسهيل معاملات الناس •

هذا وليكن قول عبدالله بن عباس دستورا لعامل المعروف حيث يقول: لايزهدنك في المعروف كفر من كفره ، فانه يشكرك عليه من لم تصنعه اليه•

وانا لنصرخ في آذان المشفعين بقول فاروق الاسلام عمر بن الخطاب: الا ان الله خلق وجوها يرفعون حاجة الضعيف فأكرموهم • والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه •

الشورى ومكانتها في الاسلام

ان أعظم ركن من أركان الاجتماع ، وأثبت دعامة من دعائم العمران ، والمنار الذي يسترشد به كل ساع وراء تثبيت قوائم العزة القومية والسيادة الوطنية ، والحصن المنيع الذي يدفع به كل غائلة ، هو الشورى الذي جعله الاسلام من أقوى ركائزه ، وأعلى مبادئه وتشريعاته ، وفي الاثر : المشاورة حصن من الندامة ، وأمن من الملامة.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : الرأي الفرد كالخيط السحيل (أي المفتول) ، والرأيان كالخيطين المبرمين والثلاثة مرار لايكاد ينتقض . (المرار الحبل الذي أجيد فتله) .

لقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله الكريم أن لايستبد بشئون المسلمين، وان يشاورهم أمرهم ، فقال عز شأنه (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) . أخرج ابن عدي والبيهقي عن ابن عباس أنه لما نزل قول الله تعالى (وشاورهم في الامر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع الشورى نصب عينيه فيما يحدث له من الشئون . قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله . ولقد وقف قبيل يوم بدر عندما علم بخروج قريش من مكة لحربه ، ولم يبرم الحرب حتى وافق عليه المهاجرون والانصار ، وقال لهم عندئذ : سيروا وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، واني قد رأيت مصارع القوم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ما بعث الله من نبي وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعــــروف تعالى • فدل هذا الحديث على أن يكون للحاكم مجلس مشورة من أهـل العلم والقوى والامانة ، ومن ذوي الرأي في الامة الاسلامية ، ومن الطبقة الناضجة الواعية التي تستطيع أن تفتي اذا استشيرت ، وتعدل اذا حكمت ، وان يكونوا ممن عرفوا بالخلق الكريم ، والفضائل الاسلامية والبعد عن المعاصي والرذائل •

عليه أصحابه ولو كان مخالفا لرأيه ، فان اختلفت آراؤهم أخذ بما استقرت

ولقد كانت قاعدته عليه الصلاة والسلام في المشورة أن يأخذ بما أجمع عليه أغلبيتهم ، كما حدث فيما استشار أصحابه في شأن بعض الاسرى ، أيقتلون أم يطلق سراحهم في مقابل فداء يدفعونه ؟ فأشار معظمهم بقبـول الفداء ، واشار عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ رضي الله عنهما بقتلهـم فنزل عليه الصلاة والسلام على رأي الاغلبية حتى جاء القرآن مؤيداً لمـا ذهب اليه عمر وسعد (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فـي الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) •

حتمت على أن تكون الحكومة التي تدير شئون المسلمين حكومة قرآنية ،

ان المتتبع لمبادىء الاسلام سواء كانت كتابا أم سنة يظهر له انها قـد وأن الامر فيها ليس خاصا بفرد وانما هو الامة ممثلـــة في أعضاء مجلس شوراها • ولقد ذكر : ان النصح والشورى لايتمان الا بقيام فئة خاصة من

الناس تشاور وتناصح ، اذ ليس في وسع جمهور الامة القيام بهما ، واذا كان ذلك الواجب المفروض على الحكام والمحكومين لايتم الا بوجود هذه الفئة ، كان تخصيص فريق من الامة لهذا العمل واجباً ، عملا بالاصـل المتفق عليه (ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) •

ان العضو في مجلس الشورى مستشار ، والمستشار يشترط أن يكون كفوءا عالما فطنا وقورا له رأي بارز ، لأنه عضو عامل في المملكة ، ولكل عضو في الجسد خاصية يمتاز بها عن غيره •

عندما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارسال جماعة من أصحابه يدعون الناس الى الأسلام ، قال بعض من حضر : يارسول الله أفلا تبعث ابا بكر وعمر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم هما لابدلي منهما هما مني بمنزلة السمع والبصر • يعني أنه يستشيرهما ، وهما من خواصه في الشورى • ولو كانت عامة لاستغنى عنهما بغيرهما •

لقد جعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشورى في نفر من الاصحاب ليختاروا من بينهم من يخلفه في الامارة ، وكان أولئك النفر هم أهل المكانة الذين تخضع الامة لرأيهم ، فكانوا أحق بأن توضع الشورى فيهم ، وكان كل منهم أهلا لان يلي الخلافة اذا اختاره الباقون لها •

لقد قضت حكمة الله تعالى عدم وضع نظم خاصة بالشورى ليكون ذو الشأن في سعة من وضع نظمها بما يلائم حال الامة ومقتضيات المصلحة والزمن •

ان الاسلام يريد أن يضع دعامة الحكم الصالح ، وهو يختلف باختلاف البيئات والازمان وهو لايريد أن يلزم اتباعه بقواعد للحكم ربما صلحت للازمنة الاولى ، لكنها لاتصلح للازمان القادمة لذلك ترك أمر شكل الحكم الى الامة ، فهي التي تختار ما يلائم بيئتها وعاداتها واخلاقها وتطورها •

لقد كان المسلمون في الصدر الاول يطبقون مبدأ الشورى تطبيقا دقيقا ، فاذا حدث حادث يتصل بسلامة الدولة ، أو طرأ شأن لم توضع

له قواعد من قبل ، أو احتيج الى تشريع جديد ، أجروا الاستفتاء العام ونزلوا على رأي الاغلبية .

من ذلك أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيقن بانه لم تعد للمسلمين مندوحة من حرب الفرس ، وانه اذا دانت لهم تلك البلاد خفقت راية الاسلام في ربوع الشعوب الاخرى ، لم يشأ عمر أن يستبد بالامر أو يستأثر بالراي ، فاستشار الخاصة والعامة ، فأشار عليه الخاصة وقسم من العامة أن يسلم القيادة لغيره وان يبقى هو يدير دفة شئون البلاد ، وان يكون على رأس الجيش سعد بن أبي وقاص ، فنزل على ارادتهم .

ولقد أراد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن يعرف مقدار درجة الشورى من نفوس المسلمين عندما كان في مجلس وحوله المهاجرون والانصار فقال لهم : أرأيتم لو ترخصت في بعض الامور ماكنتم فاعلين ؟ فسكتوا ، قال ذلك مرتين أو ثلاثا ، فقال بشير بن سعد : لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح (وهو السهم المعوج قبل أن يراش وينصل) فقال عمر : أنتم اذن أنتم اذن . استحسانا لقوله ، فالشورى هى قوام الحكم ودعامته وروحه دون اعتبار بالصور والاشكال ولقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الحزم ؟ قال : أن تستشير ذا الرأي وتطيع أمره . لم يهلك امرؤ عن مشورة . وقيل لرجل من بني عبس : ما أكثر صوابكم ؟ قال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكأنا ألف حازم .

ولا يحسبن المرء أن الحكم النيابي لايوجد الا حيث يوجد مجلس النواب ، ففي بعض البلاد المتمدنة لايوجد مجلس نواب بل يستفتى الشعب في جميع الشئون التي تمس حياته العامة ولقد يوجد التمثيل النيابي ، ولكن سلطة الامة منعدمة . وانا لنرى انصار الحكم النيابي وخصومه على

السواء في أوربا يشكون من اضطهاد الاغلبيات للاقليات في المجالس النيابية •

لقد أهمل المسلمون في كثير من أزمانهم تنظيم الشورى حتى ذهبت روحها ، واغفلوا المسؤولية حتى استقل بأمرهم ولاتهم • وخرست الالسنة عن النصيحة ، وصمت الاذان عن سماعها ، ولقد ظهرت كثير من حكوماتهم في كثير من الأزمان على أشكال بعيدة عن شكل الحكومات الدستورية ، وهذا كله ليس من الاسلام في شيء ، ولكنه من اهمال المسلمين ، وزيغهم عن تعاليم دينهم واتباعهم الهوى والضلال ، واذا فرطت الامة في واجباتها، فرط الحاكم في واجباته ، واذا استهترت استهتر بها ، وهكذا : عمالكم أعمالكم ، كما تكونوا يولى عليكم • وسمع الحسن البصري رجلا يدعو على الحجاج ، فقال له الحسن : لاتفعل يرحمك الله ، انكم من أنفسكم أوتيتم، اننا نخاف ان عزل الحجاج أو مات ان تليكم القردة والخنازير ، فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : عمالكم أعمالكم ، كما تكونوا يولى عليكم •

الجهاد سياج المملكة

بعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وانزل عليه شريعة ومنهاجاً تضمن لمن اتبعه حياة رغيدة ، وسعادة موفورة، وجعل رأس الاسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، لانهما يجمعان السعادتين ، وينيلان الحسنيين، ولهذا جمع الذكر الحكيم بينهما في مواضع كثيرة من الايات •

لقد أراد الاسلام أن ينظم شئون الحياة في يسر وسهولة ، وبساطة وعمل ، وحق وقوة ، فبين ان لابد للحق من قوة تحميه ، وأيد تناصره وتؤيده ، فشرع الجهاد واعداد القوة وحصره في أدق الحدود وأسلم طرائقها ، كما حدد أهدافه وغاياته ، وجعله حارس الحدود وسياج المملكة وحصن الدولة ، والقوة التي تردع الغاصب والطامع •

ان الاساس في الجهاد هو الايمان الصادق بأن النصر من عند الله ، والمجاهد له احدى الحسنيين الشهادة أو الظفر ، وان الاعداد وسيلة مفروضة على المسلمين ، وان الجيش هو عدة الوطن وحصنه وسياجه ، بل هو قوة الدولة حين تغضب ، وعظمتها حين تهادن ، وعقلها حين تفكر ولسانها حين تتكلم ، وقد حشد الاسلام للجيش كل القوى المادية والمعنوية، وفضل العمل فيه على جميع الاعمال : (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفوراً رحيما) •

وقد حتم على المجاهد أن يتصف بأعلا معنويات القوة والشجاعه الروحية ، والا ينظر الى قوة أعدائهم مهما كانت عظيمة ، وليجزم بان قوته مهما كانت صغيرة فهي المنتصرة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) •

وليعتقد كل فرد بأن لاحياة لامة بدون قتال : (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون) •

وليعلم كل مسلم بأن الاسلام مسجد وقلعة ، ودين ودولة ، ولا قيام للمسجد الا في ظل القلاع ولا حياة للدين الا في ظل القوة •

ان الجهاد فرض مكتوب على المسلمين كالصوم والصلاة ، والعمل به ماض الى يوم القيامة ، وهو عبادة من أسمى العبادات المفروضة ، ربطت ببقية العبادات لحفظ العقيدة وحرية الحياة ، وبناء الامة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه : ألا أخبركم بخير الناس ؟ قالوا: بلى يارسول الله ، قال : رجل يمسك برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل • وقال ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا غير الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ، وروى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت اخواننا يعلمون ماصنع الله لنا • وفي لفظ : قالوا : من يبلغ اخواننا أننا أحياء في الجنه نرزق ، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون •

فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون) .

عن الاسود بن عبدالله السدوسي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابايعه فاشترط علي شهادة ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وان اقيم الصلاة ، وأن أودي الزكاة ، وأن أحج حجة الاسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وان أجاهد في سبيل الله . فقلت : يارسول الله : اثنتان فوالله لا أطيقهما الجهاد والصدقة ، فانهم زعموا أن من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله وأخاف انحضرت تلك خشعت نفسي وكرهت الموت ، والصدقة فوالله مالي الا غنيمة وعشرة ذود هن رسل أهلي وحمولتهم . قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها ثم قال : فلا جهاد ولا صدقة ، فلم تدخل الجنة اذن . قال : قلت يارسول الله : أنا أبايعك ، فبايعت في نفوسهم .

ولنذكر ان أسلافنا سادوا الدنيا وغنت لهم الحياة بايمانهم وقوة يقينهم وثبات عزائمهم وصبرهم على الشدائد .

ينادي الانصار سيد الابرار : والله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .

وهذا المعتصم العباسي يأتيه رجل ويقول له : يا أمير المؤمنين كنت بعمورية ورأيت جارية عربية قد لطمها أعجمي في وجهها فنادت وامعتصماه ، فقال الاعجمي : وما يقدر عليه المعتصم ، يجيء على حصان أبلق وينصرك ، وزاد في ضربها ، فقال المعتصم : لبيك أيتها الجارية لبيك ، هذا المعتصم بالله أجابك ، ثم تجهز الى عمورية في اثنى عشر ألف فارس يركبون على أفراس بلق ، وحاصر المعتصم بهذا الجيش عمورية ، وبعد فتحها سار الى مكان الجارية ولما رآها قال لها : ياجارية هل أجابك المعتصم ؟ ثم جعل الاعجمي الذي لطمها أسيراً لها وملكها أمواله .

ايها المسلمون : لقد اوجب الاسلام عليكم الجهاد بالنفس والمال ، وان الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس في جميع آيات الذكر الحكيم ، لان المال سلاح المجاهدين المدي والمعنوي ، فيه تتقوى العزائم ، وتستكمل العدة ، وتبث العيون وتحرز وسائل الغلبة والظفر ، لذلك أعلا الله تبارك وتعالى درجة الانفاق في سبيل اعلاء كلمته ، وضاعف الحسنات أضعافا كثيرة . قال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

ولقد روى الامام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسم قال : من أنفق زوجين في سبيل الله ـ أي شيئين من أي نوع كان مما ينفق دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب : أي فلان هلم . وقال عليه الصلاة والسلام : من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا .

واعلموا ان الذى يعطف على المجاهدين ويعينهم بماله ولسانه وقلبه له أجر المجاهدين ففي غزوة تبوك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه : لقد تركتم في المدينة أقواماً ماسرتم من مسير ، ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد الا وهم معكم فيه ، قالوا : يارسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر .

ان البلاد الاسلامية هي بلد واحد ، فاذا هوجم جزء منه فكأنما هوجمت جميع البلاد الاسلامية ، ووجب الجهاد على كل مسلم ، كل حسب طاقته واستطاعته : (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مامن امرىء مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته ، وما من امريء مسلم ينصر

امرءا مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره في موطن يحب فيه نصرته

أيها المسلمون : اننا الان في دور التجربة والامتحان لنرى مقـــدار قوتنا وضعفنا ، ومقدار ما ينقصنا من معدات الظفر والغلبة ، ولنعلم من هم أعداؤنا ومن يبيتون الايقاع بنا ، لنفتح عيوننا ونعلم أننا كنا في غفلـــة وسبات ، كنا نمد أعداءنا بجميع المقومات من ثروتنا ليصنعوا بها ما يدمرنا ويذلنـــا •

يجب علينا أيها المسلمون الا نيأس من نصر الله ورعايته ، ولنتأس برسول الله صلى الله عليه اسلم ، فلقد انتصر يوم بدر ، وهزم أتباعه يوم أحد ، وشج رأسه وكسرت رباعيته ، ثم بعد ذلك أصبح هؤلاء الغالبـــون المنتصرون يتساقطون أمام أقدام رسول الله وأتباعه صاغرين •

نحن على خير ، لان شعوبنا قد انتبهت وعرفت طريق الحرية والقوة والغلبة وسيعلم أعداؤنا أي منقلب ينقلبون •

الجهاد فرض على جميع المستطيعين

جاءت الدعوة الاسلامية لنشر السلام في العالم ، وبث المحبة والسعادة بين أبناء الانسان ، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونشر الدعوة بالبرهان والدليل والحجة البالغة : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون) •

الا أن أعداء الدعوة الى الحق والخير لم يرق لهم ذلك المنهج الخير القويم • فأخذوا يتجمعون ويضعون الخطط والمؤمرات لخنق الدعوة في مهدها وتمادوا في غيهم وطغيانهم ، وبذلوا جهودا لتسيء الى الدعوة المحمدية والوقوف في وجه دعاتها • ولم يقف بهم الامر عند هذا الحد بل تجاوزوه، ووثبت كل قبيلة على من امن من رجالها فآذوهم وعذبوهم وحكموا عليهم بالحبس والضرب والجوع وغير ذلك من أنواع العذاب •

أما العبيد فقد ذاقوا جميع أنواع العذاب والاضطهاد ، حتى اضطر أبو بكر الصديق الى شراء جماعة ممن تولتهم قريش بالتعذيب ، فاشترى بلال بن رياح وعامر بن فهيرة وأبا مليكة وامرأتين هما زنبرة وأم عنبس •

لم يكتف هؤلاء بمقاومة الدعوة ومناهضتها والعمل على تدميرها واثارة المشاكل والصعوبات في طريقها ، بل أخذوا أهبتهم لاشهار السيف واعلان حرب لا هوادة فيها •

أما وقد أصبح الامر أمر افناء وحرب فقد أذن الله لرسوله بالقتال : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) ، وذلك لصد الاعتداء وصيانة الدعوة وحماية الداخلين في الاسلام •

وهكذا فرض الجهاد على المسلمين مع الحد من فظائع الحـــــرب وحصرها في أضيق نطاق مستطاع •

لقد وجه الجهاد توجيها اسلاميا نزيهاً ، وجعل عباده من أســـمى العبادات المفروضة ، وربط بغيره من العبادات كالصلاة والصوم والزكاة •

لقد أخذ القرآن الكريم تحريك عواطف المسلمين ناحية القتـال ، فأوضح انه قتال في سبيل الله الذي يضاعف أجر المجاهدين ، لانه فـــي سبيل انقاذ الضعفاء ، ومقاومة الطغيان ، ودحض عوامل الشر : (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) •

اذا نودي للجهاد وجب على المسلمين تلبيـــــة النداء ، ولايعفى الا العاجزون عنه : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله) •

فاذا أعلن النفير العام فليس لمسلم أن يتخلف عنه الا لعذر قهرى ، لان التخلف عن الجهاد كالتولي يوم الزحف وهو من الكبائر ، لانه يؤدي الى الهزيمة والفتنة والضعف والخذلان المبين ، وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال : الاشراك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات • وقال عليه الصلاة والسلام : اذا استنفرتم فانفروا •• وقال تبارك وتعالى : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) •

ان بعض الناس يظنون ان الاسلام صلاة وصيام ، أما حماية الدين والاوطان من المعتدين فذلك لايدخل في اسلامه ، فاذا دعي أحدهم للجهـاد انخلع قلبه وطارت نفسه شعاعا ، واعترضته أعراض نفسية فتخور قواه • وقد وصف الله تعالى هذا الصنف من الرجال : (ألم تر الى الذين قيل لهم

كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) .

وقد ندد تبارك وتعالى بالمتخلفين عن داعي الله فقال (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير) .

تلبية الدعوة الى الجهاد ، والثبات في المعركة عاملان أساسيان في انتصار الجيش وتفوقه على عدوه .

لقد كان التخلف عن الجهاد جريمة كبرى وعاراً على المتخلف .

لقد كانت غزوة تبوك أو غزوة العسرة امتحانا للنفوس واختباراً ، لانها جاءت في وقت كان المسلمون في عسرة من المال وضيق من العيش ، ونفح شديد من الحر . وقد أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وجهة غزوته نظراً لبعد المسافة وقسوة الظروف .

وقد انتهز قوم من المنافقين هذه الفرصة فأخذوا يحرضون الناس على التخلف عن القتال ، واجتمع نفر منهم في بيت سويلم اليهودي لتثبيط الهمم والقاء الرعب في القلوب ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرق عليهم البيت ، ولكن المجرمين أفلتوا ولاذوا بالفرار ، وكان ذلك ردعا لغيرهم ، وزاجراً لهم .

وكان ممن تخلف : أبو خيثمة الانصاري ، فانه رجع بعد أن سار مع النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى شدة الحر ، وعندما أقبل على أهله رأى أن قد هيء له محل بارد وطعام شهي ، الا أنه وقف على باب منزله وقال : رسول الله في الضح ـ أي في الشمس ـ والريح والحر ، وأبو خيثمة في

ظل بارد وطعام ، ماهذا بالنصف ، ثم امتطى راحلته وتبع رسول الله حتى لحق به حين نزل تبوك ، ونال عفا الرسول عنه ٠

وممن تخلف عن تلك الغزوة ثلاثة نفر : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن مرة ، تعدت بهم الهمة فلم يذهبوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم ندموا على مافعلوا ، فهموا أن يلحقوا ولكنهم لم يدركو الغزوة ٠ ولما عاد رسول الله من تبوك جاءه كعب بن مالك يتعثر في مشيته من الخجل فقال له رسول الله : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك - أي دابة لك - فقال : بلى يارسول الله ، والله ما كان لي من عذر، والله ماكنت أقوى ولا أيسر في حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك ٠ وجاء مرارة وهلال فتحدثا بمثل ماتحدث به كعب ، فتركهما رسول الله لقضاء الله وقدره ٠

ثم انظروا ماذا حدث لهؤلاء المتخلفين عن الجهاد ، وكيف نبذهم المجتمع الاسلامي ، وكيف قاطعهم حتى الأهل والاقارب ، واعتزلتهم حتى نساؤهم ٠

لقد قعد مرارة بن الربيع وهلال بن مرة في بيتهما يبكيان وينحبان ، أما كعب بن مالك فكان يخرج الى الصلاة ويشهد الاسواق فلا يكلمه أحد واذا أتى الى رسول الله أعرض عنه ٠

مكث الثلاثة على ذلك خمسين يوما حتى تاب الله عنهم ، ونزل فيهم قول الله : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ٠ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) ٠

هذه قصة سجلها القرآن الكريم لثلاثة أصحاب رسول الله تخلفوا عن

غزوة واحدة كان المسلمون هم البادئون بالقتال ، فكيف بنا وقد ابتدئنا بالقتال ، وهوجمت بلادنا ، واحتلت أراضينا ومقدساتنا ، وقتل رجالنا وشرد اخوننا ، وسبيت نساؤنا ، فماذا يكون حكم الله فينا .

قليل من الغيرة والحمية والكرامة أيها المسلمون ، فلا خير في حياة في ذل وشنار ، ولا سعادة في مال بخمسة وصغار . فالى الجهاد ، الى حياة سعيدة ، الى شهادة في سبيل الله ، واعلموا أن الآجال مقدرة من الازل : (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون .. ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها) ، ورب موت خير من حياة . فرددوا قول الله : (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

الاسلام يدعو لاعداد القـوة

طبعت النفوس البشرية على حب الذات ، وتقديمها على مصلحة الاخرين الا من اختارهم الله تعالى لتبليغ رسالته واصلاح عباده ، ولم تزل الاقوام والشعوب تعمل للغلبة والاستعلاء على غيرها بطرق الغزو والحرب والقتال .

وان الاسلام لم يهمل هذه الناحية ، بل حث معتنقيه على اعلاء شأنهم ، واستكمال قوتهم ، وتوفير معدات قتالهم ليخش الاعداء مصاولتهم ، بل يسعون لمسالمتهم ومهادنتهم .

لقد أمر الاسلام اتباعه بأن يجعلوا الاستعداد للحرب من أول وجائبهم . بل صيره ركنا من أركان دينهم ، وحتم على الامة أن يكون لها جيش دائم مستعد للدفاع عنها ، مستكمل لجميع أسباب القوة والدفاع والهجوم .

لقد ترك الاسلام تحديد القوة الى حكم الزمان والمكان ، وأساليب القوة ، وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تلا قول الله تبارك وتعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) قال ثلاثا : الا ان القوة الرمي ، لان رمي العدو عن بعد بما يعطله أسلم من مصاولته عن قرب . وقد ورد في الاثر : ارموا واركبوا ، لان ترموا أحب من أن تركبوا . واطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يرمي به العدو من أصناف الاسلحة ، لان عموم اللفظ يشمله .

وبهذا يحث الاسلام على أن تكون القوة بالغة أقصى ما يتوصل اليه العقل من وسائل الحرب ، ولقد قال سيدنا أبو بكر الصديق لقائده المظفر خالد بن الوليد : اذا لاقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به ، السهم للسهم ، والرمح للرمح ، والسيف للسيف ، ولو كان في ذلك الزمن غير

هذه الاسلحة لذكرها ، اذ الواجب الدنوء في القوى المماثلـــة في آلات الحرب واساليب النضال ، والغلبة في كل زمان ومكان لمن كان سلاحـــه اشد ، ورميه أسد ، وعدته أكمل •

ومما اوجبه الاسلام تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها اعداد القوة والارهاب • ولقد قال سيدنا رسول الله : ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة ، صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والرامي به ، والممد به •

ومن تلك الواجبات التدريب على اساليب القتال واستعمال معداتـــه وآلاته ، وان يكون كل فرد من افراد الامة جاهزا لاجابة الدعوة ومباشرة القتال بدون تباطوء او تعلل • لذلك كان المسلمون الاولون على اختلاف مراتبهم وكفاءاتهم وأعمارهم جنودا مدربين • وقد كان عدد جند المسلمين هو عدد المسلمين بأسرهم ، ولايعذر الا من أقعده المرض أو الشيخوخة ، وذلك امتثالا لقول رسول الله : من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق •

لقد كان التخلف عن الغزو والجهاد جريمة كبرى ، يغضب لهـــا الله ورسوله والمؤمنون ، وان قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبـوك تظهر لنا مقدار عقوبة التخلف عن الجهاد : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) والثلاثة هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة •

لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكالمة هؤلاء الثلاثـــة ، فاجتنبهم الناس وتغيروا عليهم ، وتنكرت لهم حتى نساؤهم وأهلوهـــم ، ولبثوا على ذلك خمسين يوما ، الى أن تاب الله عليهم وعفا عنهم •

ثم قارنوا بين حالة الجندي الان وحالة ذلك الجندي العربي الاول• لقد نفر أولئك الأبطال لنداء رسول الله في غزوة تبوك ، وكانت غزوة عسرة

لما أطلق عليها ، كانت عسرة حتى فيما يسد الرمق حتى اقتسم بعضهم التمرة ، بل كان البعض يمتص التمرة ، وكانت عسرة في الدواب ، حتى كان العشرة يعتقبون بعيرا واحداً ، الى غير ذلك مما دونته كتب السير والتاريخ ، ومع ذلك كانوا يتسابقون على الجهاد ويعدون التخلف عارا وصغارا .

لقد كان هذا الجيش من العرب الذين نشأوا في الجزيرة العربية ، تلك التي وهبتهم صفات طبيعية جعلتهم جنودا بالفطرة ، وان الاسلام قد هذب هذه الطبيعة ووجهها حتى خرج العربي جنديا مثاليا متصفا بجميع صفات الجندي الفاضل المناضل ، صابرا على الشدائد ، قوي شجاع ، حازم يقظ ، ذكي متبصر ، يعتقد أن كل ما يصيبه انما هو في سبيل الله ، وفي سبيل نصرة دين الله ، وفي اعزاز راية الاسلام ، ونشر الفضيلة والايمان بين الانام .

فهل يعتقد أحد ان مثل هذا الجيش تخذل جنوده ، أو تندحر راياته ، لقد كانوا أمنع من عقاب الجو وجبهة الاسد . جند يقول أحد أفراده لقائده : لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى عدونا ، أنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لقد تفهم كل منهم وصية خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ، لسيف الله خالد بن الوليد : اعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك ، فاذا لقيت فاحرص على الموت توهب لك الحياة .

أما الذين يظنون بحياتهم عن فداء بلادهم وكرامتهم ودينهم ، ويتوهمون أن الحذر ينجي من القدر ، ولا يلبون داعي الوطن ، فحسبهم زاجرا ووازعا كلمة بطل الاسلام خالد بن الوليد الذي لم ينهزم لافي جاهلية ولا في اسلام ، حيث قال وهو على فراش الموت : لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها وما في جسدي موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة

برمح أو جرح بسهم ، وها انا أموت على فراشي كما يموت البعير فـلا نامت أعين الجبناء .

نأين هؤلاء من الذين يتخلفون عن مدرسة الرجولة ويتهربـون عن التدريب الذى هو واجب وطني على كل قادر ، لاسيما وان البلاد محاطـه بالاعداء وهم يتربصون بها الدوائر .

يجب أن يشعر كل فرد بالمسؤولية التى هي من أهم العناصر في تكوين الامـة وتربية العزة في نفوسها ، وان التهرب من المسئولية لاسيما في هـدا الوقت خيانة وقعود عن الجهاد ، لان الجهاد موزع على جميع أفراد الامه كل حسب طاقته واختصاصه . فالذي لايستطيع حمل السلاح يستطيـع الجهاد بعمله ، والذي لايستطيع القتال يمكنه أن يجاهد بماله لانه مقدم على الجهاد بالنفس لاستكمال التسلح وتوفير القوة به .

ان الاسلام لايرضى لابنائه الذلة والمسكنة والضعف ، بل دعاهم الى العزة والكرامة والغلبة (ولله الغزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقـين لايعلمون) .

الصبر سلم النجاح

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) .

لقد قضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تكون الدنيا دار عمل وجلاد ، دار امتحان واختبار ، دار تقول بملء فيها ، حذار حذار من بطشي وفتكي . دار يتميز فيها الصابرون من الساخطين ، والراضون من المتذمرين ، والعاملون من القاعدين ، ولقد قرن تعالى الصبر بالصلاة في قوله : (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) .

فالصبر هو زاد المسافر في سفره ، وجهاد العامل في عمله ، وقوة العابد في عبادته ، وما سمي الجبل بالصبر الا لرسوخه ، فلا تحركه العواصف ، ولاتزيله القواصف ، والصبر عند الملمات كالاوتاد تحفظ المرء من أن يميد أو يتزلزل ، فان اصابته نعماء شكر ، وأن أصابته ضراء صبر .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب لامته أحسن الامثال في الصبر على الشدائد وكيف كان يتلقى الخطوب بعزم يزيل الراسيات ولا يزول ، فلقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو قومه الى الله ويذكرهم به ، وكان يتلقى تكذيبهم وأعراضهم وأذاهم بالصبر ، وكان يعرض نفسه على القبائل وخلفه عمه أبو لهب يرميه بالحجارة ويكذبه وينفر القبائل من تصديقه ، فكان لايزداد الا مضاء وثباتا ، وصبر على اذاهم حتى أعياهم الصبر ، ثم كسروا رباعيته وجرحوا وجنته وشفته ، وخدشوا ركبته حتى

اضطر الى أن يؤدي الصلاة جالسا ، ولقد أدموا وجهه فكان يمسح عنه الدم ويقول : اللهم أهد قومي فانهم لايعلمون • ولقد قتل عمه حمزة بن عبدالمطلب ومثل به أفظع تمثيل ، فقابل هذا وغيره بالجلد ، ولم يمنعه عن أن يصدع بما أمر الله ، ولم يحجم به يوما عن أن يضرب بالدعوة في وجوه أولئك الجبابرة • ولقد قال بعض أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين : ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى •

وحسب الصبر فضلا أن كل حسنة تجزي بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، الا الصبر فجزاؤه بغير حساب (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) • وقد قال عمر بن الخطاب : وجدنا خير عيشنا الصبر • وقال خالد بن الوليد يوصى جنده : أيها المسلمون اعلمو أن النصر عز ، وان الفشل عجز ، وان النصر مع الصبر •

قال أنس بن مالك رضى الله عنه : اشتكى أبن لابي طلحة فمات وأبو طلحة خارج ، فلما رأت امرأته أن ولدها قد مات ، هيأت شيئا وجعلت ابنها في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة انها صادقة ، فبات ، فلما أصبح اغتسل ، ولما أراد أن يخرج أعلمته بأن ولده قد مات ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخبره بما كان منها ، فقال عليه الصلاة والسلام : لعل الله أن يبارك لهما في ليلتهما ، فكان لابي طلحة بعد ذلك تسعة أولاد •

فهذه الام لم تجزع عند الصدمة الاولى ، ولم تظهر الحزن لقوة ايمانها وشدة صبرها ، وقابلت زوجها بأحسن ما اعتادت أن تقابل به من البشر والابناس ، كاتمة جزعها على ولدها الوحيد ، ارضاء لله ولزوجها •

ولقد نظر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى عدي بن حاتم الطائي رضى الله عنه كئيبا ، فقال يا عدي مالي أراك كئيبا حزينا ،

قال عدي : وما يمنعني وقد قتل أبنائي وفقئت عيني ، فقال : يا عدي من رضي بقضاء الله كان له أجر ، ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله .

لما ألقى القبض على البلجاء الخارجية وقد كانت تحرض الناس على مقاتلة الحكومة التي كا يمثلها في الكوفة عبدالله بن زياد ، امر بن زياد بتعذيبها ، فجاؤها بالحبال والحديد ، فقالت لهم : اليكم أتكلم بكلام يحفظه عني من سمعه ، ثم قالت : هذا آخر يرمي من الدنيا وهو غير مأسوف عليه، وارجو أن يكون أول أيامي من الآخرة وهو اليوم المرغوب فيه ، الى ان قالت ، والحمد لله على السراء والضراء ، وعلى العاقبة وعلى البلاء ، ولما قطعت يدها وسال دمها قالت : حياة كريمة وميتة طيبة ، لانني نلت ما أملت يا نفس من جزيل ثواب الله ، فقد نلت سروراً دائما لايضرك معه كدر .

وروى الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابنه ، فقال لابنه : أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فجاء فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم الاب فقتل ، فاجتمعت النساء عند أمه معاذة العدوية فقالت : مرحبا ، ان كنتن جئن لتهنئتي مرحبا بكن ، وان كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن .

ان الصبور هو الحليم الذي يعفو ويصفح ، ولقد قيل للاحنف بن قيس ، ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه : حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فوالله ما حل حيوته ولا قطع كلامه ، ثم التفت الى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخي ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر : قم يابني فوار أخيك وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة .

وليس المراد من الصبر عدم الحزن أصلا ، فان ذلك مما لاسبيل اليه،

لان الحزن والفرح طبيعة من طبائع البشر ، وغريزة من غرائز الانسان ، وانما المراد بالصبر عدم الجزع والهلع عند صدمة المصيبة ، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله . يقول تعالى في كتابه الكريم (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير . لكيلا تيأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور) . وقال عليه الصلاة والسلام : الصبر عند الصدمة الاولى .

قال الاصمعي : خرجت أنا وصديق لي الى البادية فضللنا الطريق ، فاذا نحن بخيمة عن يمين الطريق ، فقصدناها فسلمنا فاذا امرأة ترد السلام ، قالت : ما أنتم ؟ قلنا : قوم ضالون عن الطريق أتيناكم فأنسنا بكم، فقالت : يا هؤلاء ولو وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل ، ففعلنا ، فألقت لنا مسيماً فقالت اجلسوا عليه الى أن يأتي ابني ، ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها الى أن رفعتها فقالت : أسأل الله بركة المقبل ، أما البعير فبعير ابني ، وأما الراكب فليس ابني ، فوقف الراكب عليها وقال : أم عقيل أعظم الله أجرك في عقيل ، قالت : ويحك مات ابني ، قال : نعم ، قالت : وما سبب موته قال : ازدحمت عليه الابل فرمت به في البئر . فقالت : انزل فاقض ذمام القوم ، ودفعت اليه كبشا فذبحه وأصلحه وقرب الينا الطعام ، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها ، فلما فرغنا خرجت الينا وقد تكورت ، فقالت يا هؤلاء هل فيكم من أحد يحسن من كتاب الله شيئا ، قلت : نعم ، قالت : اقرأ عليّ من كتاب الله آيات أتعزى بها ، قلت : يقول الله عز وجل في كتابه (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ، فقالت : انها لفي كتاب الله هكذا ، قلت : انها لفي كتاب الله هكذا ، قالت : السلام عليكم ، ثم صلت ركعتين ، ثم قالت : انا لله وانا اليه

راجعون ، عند الله أحتسب عقيلا ثم قالت اللهم اني فعلت ما أمرتني به فانجز لي ما وعدتني •

ومما ينافي الصبر والرضا ما يفعله أكثر الناس عند المصيبة من شق الثياب ولطم الخدود وخمش الوجوه ونتف الشعور ، ولم يعلم هؤلاء بأن البلاء هو امتحان المرء ورضاه بما قدر الله وقضاه • لما نزل في احدى عيني عطاء بن يسار التابعي الجليل الماء مكث عشرين سنة لايعلم به أهله ، حتى جاء ابنه يوما من قبل عينه التي أصيبت فيها فلم يشعر به ، فعلم أن الشيخ قد أصيب ، وشكا الاحنف بن قيس الى عمه وجع ضرسه وكرر ذلك عليه ، فقال له عمه : ماتكرر علي ، لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها الى أحد •

فبالصبر حلق الانسان في الجو ، واخترع الكهرباء والبخار والقذائف عابرة البحار واخترق الحواجز حتى رقى الى الكواكب ، وطاف في الاجواء كما تطوف الطيور الكواسر ، وذلل الصعاب حتى غاص البحار ، فضلا عن المدمرات والمهلكات •

ولما كان الصبر جماع الفضائل وملاكها ، وأس الحياة وهناءها ، ذكره تعالى في قرآنه في تسعين موضعا وقرنه بالصلاة ، وقال فيه سيد الخلق والهادى البشير : وما أعطى أحمد عطاء خير وأوسع من الصبر •

ففي الصبر سعادة الحياة ، والتغلب على حوادثها ، ومكافحة خطوبها، اذ الدنيا دار بوار وبلاء وامتحان ، لايجتازها بسلام الا الصابرون ، (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) •

الاسلام ثورة على الضلال

لقد كان اسلامكم ايها المؤمنون ثورة عاتية على الانظمة الفاسدة التي كانت سائدة قبل أن تشرق شمسه وتعم هدايته ، تلك الانظمة التي كانت تسود حكومتي الفرس والرومان .

لقد قضى الاسلام على أنظمة الضرائب التي كانت تتحكم بالمجتمع آنذاك ، والتي كانت تفرض على الفقراء ليؤدوها الى الاغنياء من مالهم أو من جهدهم ، واذا تخلف أو تردد أحدهم عن الدفع كان دمه الفداء ، وكان هذا الاجحاف دافعا للفقراء من حين لآخر للثورة والتذمر والحقد على الاغنياء .

وعندما جاء الاسلام عكس هذا النظام ، وألزم الغني بتقديم ضريبه للفقير ، واذا امتنع عن أدائها أخذت منه بالقوة لانها (حق معلوم للسائل والمحروم) ، وكان دستور الحكام قول مجدد الاسلام الثاني أبي بكر الصديق : والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها .

لقد كان المال قبل الاسلام هو المسيطر على الناس كما هو الان ، فلما جاء الاسلام قطع الصلة بين المال وبين السيطرة ، وبينه وبين الحكم ، وأحل محله العمل والمقدرة والاخلاص .

ان الاسلام دين الفطرة التي من مستلزماتها أن يعيش الانسان عزيزا غنيا بماله ونفسه وكرامته ، وبين طرق الكسب وحصرها في ناحيتين العمل والميراث ، وبما أن العمل هو الدعامة القوية لكسب المال حث عليه ، بل ارتفع به الى أن جعله أسمى منزلة من الانقطاع للعبادة .

ولقد اهتدى سلف هذه الامة الى هذا التوجيه فنعموا بالحياة الطيبة والعيش الرغيد والقوة والسلطان •

ومن تلك الانظمة التي لم يسبق لها مثيل في الدول المعاصرة لانبثاق الاسلام الزام الدولة بالانفاق على العاجزين عن الكسب ، لهذا كانت الدولة الاولى تنفق على العاجزين من خزينتها التي كانت تعتبر المال الفاضل عن حاجة العمران وشئون الدولة ملكا لكل المسلمين ، يأخذ منه ذوو الاعمال بمقدر عملهم ، وذوو الحاجة بمقدار مايسد حاجتهم ، ولهذا قرر العلماء أن القاضي له أن يحكم على الدولة بالانفاق على الفقير العاجز عن الكسب عجزا مطلقا •

وكما كلف الاسلام الدولة بالانفاق على العاجزين ، كلف ذوي اليسار من الامة بمساعدتهم والاحسان اليهم والقيام بحوائجهم ، ولايدعونهم يتكففون الناس ، حتى أن بعض الفقهاء قرر بالزام أهل المحلة بالانفاق على المحتاجين من سكانها •

لقد استعمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه حذيفة بن اليمان على ماسقت دجلة ، واستعمل عثمان بن حنيف على ماسقى الفرات ، فلما حضرا اليه قال لهما : كيف فعلتما ؟ أخاف أن تكونا حملتما الارض ما لاتطيق ، فقالا له : حملناها أمرا هي له مطيقة ما فيها كثير فضل ، فقال لهما عمر : انظروا أن تكونا حملتما الارض ما لا تطيق ، قالا : لا ، فقال عمر : لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لايحتجن الى رجل بعدي أبدا • ولم يمض عليه الا أربعة أيام حتى طعنه مجوسي بمؤامرة مجوسية يهودية لايقاف الاندفاع العربي الاسلامي ذاك الذي لم يكن له مثيل في التاريخ ولن يكون •

لقد كان رضي الله عنه يطعم الناس بالمدينة المنورة ويطوف عليهم ، وقد مر برجل يأكل بشماله ، فقال له عمر : يا عبدالله كل بيمينك ،

فأجابه : بأنها مشغولة ، فقال له عمر : وما شغلها ؟ قال الرجل : أصيبت يوم مؤتة • فجلس عنده عمر يبكي ويقول له : من يوضؤك ، من يغسل رأسك وثيابك ، من يصنع كذا وكذا ، فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغي له •

وقد كان ينفق على سكان مدينة رسول الله وحدها ثلاثين مليونا من الدراهم في كل عام كما ذكر ذلك المؤرخون •

هذا عمر العظيم في جميع نواحي الحياة ، يقول عنه عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب وعلى عاتقه قربة ماء ، فقلت يا أمير المؤمنين انه لاينبغي لمثلك هذا ، فقال عمر : لما أتتني الوفود سامعة مطيعة مهادنة ، دخل نفسي نخوة ، فأحببت أن اكسرها ، ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الانصار فأفرغها في انائها •

وعندما حاصر المسلمون بيت المقدس طلب بطريك المدينة مفاوضة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ليتفق معه على شروط الصلح وتسليم المدينة ، وعندما أخبر عمر بذلك ، قبل به حقنا للدماء ، ونزولا على روح التسامح الذي اتصف به الاسلام ، وجاء عمر الى بيت المقدس ومعه غلامه ولم يكن لهما الا ناقة واحدة ، فكانا يركبانها الواحد بعد الاخر حتى اقتربا من بيت المقدس وجاء دور العبد فركب ومشى عمر خلفه على قدميه حتى وصل الى معسكر أبي عبيدة القائد العام ، فقال له أبو عبيدة : ان الانظار متجهة اليك ، ولايليق أن تصنع ماصنعت ، فقال له عمر : لم يقل ذلك أحد قبلك ، لقد كنا أذل الناس وأقل الناس ، فأعزنا الله بالاسلام •

لقد ساوى الاسلام بين أبنائه ، لافرق بين صغير وكبير ، وآمر ومأمور ، وسيد ومسود وسل من نفوس أبنائه الانانية والأثرة والتعاظم •

جاء في كتب السير أن زنباع بن سلامة الجذامى وجد غلاما له مع جارية فجدع أنفه ، فأتى الغلام النبي صلى الله عليه وسلم يشكو زنباعا ،

فقال رسول الله لرتباع : ماحملك على هذا ؟ فقال رتباع : كان من أمره كذا وكذا ، ولما رأى رسول الله تفاهة أدلته قال للغلام : اذهب فأنت حر ، قال الغلام : يارسول الله ، فمولى من أنا ؟ قال له مولى الله ورسوله .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء هذا الغلام الى أبى بكر الصديق فقال له:وصية رسول الله صلى الله عليه وسلمفقال أبوبكرنعم تجرى النفقة عليك وعلى عيالك ، ثم قال مثل ذلك لعمر بن الخطاب حين خلافته، فقال عمر : نعم ، أين تريد ، قال : مصر ، فكتب الى عامله بها أن يعطيه أرضا يأكل منها .

هذا هو الاسلام وهؤلاء هم الذين صقلهم الاسلام ، وجعل منهم أئمة يهدون الى الحق وبه يعدلون .

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

التواص بالحق والنهي عن المنكر

قال تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم مخاطباً أمة الدعوة الاسلامية ، وحماة الشريعة المحمدية (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)

لقد من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين أن هداهم للاسلام ، وأنهم خير الامم وأفضل الاقوام ، وهذه الخيرية والاحسنية لاتكون الا باستيفاء شروطها • ولقد قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: يا أيها الناس من سره أن يكون من تلكم الامة فليؤد شرط الله تعالى فيها • يشير الى قوله تعالى (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) • وهذا المدح ملازم للامة ما اتصفت به فاذا تركت التغيير وتواطأت على المنكر ، تجردت عن هذه الصفة ولحقها الذم • وقد قال عبدالله بن عباس عن المقصودين بهذا المدح : هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة وشهدوا بدرا والحديبية• وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من فعل فعلهم كان مثلهم • وقيل : هم الصالحون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الفضل • روى أن رجلا قام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يارسول الله ، أي الناس خير ؟ قال : خير الناس أقراهم وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم •

ثم اشترط سبحانه وتعالى أن يكون الآمر الناهي ممن يؤمن بالله تعالى ليكون لأمره ونهيه تأثير ، وليكون القدوة الحسنة • وقدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان الذى هو مقدم على كل عمل ، لانهما سياج الايمان وحفاظه ، فقد مهما للاهتمام بهما •

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة من ضرورات النفوس

ومقوماتها ، وحاجة من حاجات بقائها مصدراً للخير ، وينبوعا للفضائل والكمالات •

ان الحياة كفاح ومغالبة ، وكل يحب أن يقهر ويغلب ، وكل يود أن يكون الامر الناهي والمالك المتصرف ، ولو ترك العالم وشأنه دون حارس يحرسه لكان الدمار والفناء ، وهذا الحارس الذي يوقفه عند حده المشروع، هو ما يلقى عليه من أمر بمعروف نسيه أو حاد عنه ، ونهى عن منكر قارفه أو قرب منه •

ان للدعوة الى التواصي بالحق أثرا كبيرا في فلاح الامم وتسابقها في مضمار الحياة الزاهرة ، وقد ألقى عليها الاسلام عناية شديدة ، فعهد الى الامة بأن تقوم طائفة منها على الدعوة الى الخير واسداء النصيحة للافراد والجماعات (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) • فالدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة ملقاة على رقاب الامة ، لاتخلص من عهدتها حتى تؤديها طائفة منها على أكمل وجوهها •

لقد أمر رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة لاالتسليم أمته بالعناية بهذا الواجب ، وان لاتقعد عنه فقال صلوات الله وسلامه عليه : من رأى منكم منكر فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان • وحذر أمته مغبة التهاون بهذا الواجب فقال : والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم •• ولقد سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من جهاد غير جهاد المشركين يا رسول الله ؟ قال : نعم يا أبا بكر ، ان لله تعالى مجاهدين في الارض،أفضل من الشهداء أحياء مرزقون يمشون على الارض ، يباهي الله بهم ملائكة السماء فقال أبو بكر : ومن هم يار سول الله ؟ قال : هم الآمرون بالمعروف

والناهون عن المنكر والمحبون في الله المبغضون في الله .

ولقد عمد بعض الناس لعهد سيدنا أبي بكر الصديق رضوان الله عليه الى قول الله تبارك وتعالى في قرآنه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) فتأوله على غير حقيقته ، فقام الصديق خطيبا وقال : ان الناس اذا رأوا المنكر ولم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب . وقال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم .. وقال أبو ذر الغفارى : أوصاني خليلي بخصال من الخير ، أوصاني ألا أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق ولو كان مرا .. وكتب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولاتكثرى، فكتبت له : سلام عليك ، أما بعد : فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله ، وكله الله الى الناس ، والسلام عليك .

لما قدم عبدالله بن علي العباسي الشام وقتل من قتل من بني أمية ونبش حتى قبور موتاهم واتى من الخمسة ما سجله التاريخ ، بعد هذا كله استدعى الامام عبدالرحمن بن عمرو الاوزاعي وقال له : ماتقول في دماء بني أمية ؟ فقال له الاوزاعي : قد كانت بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن تفى بها ، قال له عبدالله ويحك اجعلني واياهم لا عهد بيننا ، قال الاوزاعي : فاجهشت نفسي وكرهت القتل ، ثم تذكرت مقامي بين يدى الله فلفظتها فقلت : دماؤهم عليك حرام ، فغضب عبدالله وانتفخت عيناه وأوداجه ، فقال : ويحك ولم ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث ، ثيب زان ، ونفس بنفس ، وتارك لدينه ، قال : ويحك أليس لنا ديانة ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : أو ليس كان رسول الله أوصى لعلي ؟ قلت : لو أوصى لعلي لما حكم الحكمين . فسكت



وقد اجتمع غضبه، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يديه ، فأشار بيده وأومأ ان أخرجوه فخرجت •

واليك المثال الثاني :

كان يحيى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد خرج على هارون الرشيد ، فكتب له الرشيد أمانا ، ثم ألقي القبض عليه ، وأراد الرشيد التخلص من ذلك الامان حتى يقتله ، فأرسل الى محمد بن الحسن الشيباني وكان قاضيا على الرقة ، والحسن بن زياد ، وأبو البختري وهب بن وهب وكان اذ ذاك قاضي القضاة بعد وفاة أبي يوسف • وقد روى لنا محمد بن الحسن تلك الحادثة فقال : أخرج الينا الرشيد الامان الذي كتبه ليحيى بن عبدالله بن الحسن ، وجعل يحيى على نطع وعلى رأسه رجل في يده سيف فدفع الي الامان فقرأته فآثرت أمر الله والدار الآخرة فقلت : هذا أمان مؤكد لاحيلة في نقضه ، فقال الرشيد : هذا أمان لم أكتبه انما أمرت من يكتبه ، ثم قال للامام محمد : فما تقول في رجل حلف أن لايكتب كتابا فأمر غيره فكتب ، فقال محمد : ان كان هذا الحال من العامة لم يحنث حتى يتولى ذلك بنفسه وان كان سلطانا حنث لان كتاب السلطان هو ماكتب بأمره ، فاشتد غيظ هارون الرشيد عليه ، فرماه بدواة فشجه وسالت الدماء على وجهه وثيابه وقال له : انما تقوى عزم هذا وأمثاله في الخروج علينا أنت وأمثالك ، فانتزع الصك من يده ودفع الى الحسن بن زياد فقرأه وقال بكلمة ضعيفة : لاأدري انها سمعت أو لم تسمع : هذا أمان ، فانتزع من يده ودفع الى أبي البختري فقرأه ثم قال : ما أرجأه ولا أرضاه ، هذا رجل سوء قد شق العصا وسفك دماء المسلمين وفعل وفعل فلا أمان له ، ثم ضرب بيده الى خفه فاستخرج سكينا فشق الكتاب نصفين ثم دفعه الى الخادم ثم التفت الى الرشيد فقال : أقتله ودمه في عنقي •

قال عبدالله بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

وكان حاضرا في مجلس الرشيد : فلما خرج محمد بن الحسن جعل يبكي حتى كثر بكاؤه ، فقلت له : يا أبا عبدالله أتبكي هذا البكاء من أجل هـذه الشجة ؟ فقال : لا والله مامن أجلها أبكي ، ولكني أبكي لتقصيري ، قلت وأي تقصير كان منك قد قمت مقاما ليس لاحد على وجه الارض أشرف منه ، قال كان ينبغي لما قال أبو البختري ما قال أن أقول له : من أين قلت هذا ؟ حتى أقيم عليه الحجة بفساد ما قال .

وهاكم مثالا من أمثلة الرجولة والاصرار على الحق :

لما صحت عزيمة الهادي الخليفة العباسي على خلع أخيه هـــارون الرشيد من ولاية العهد ومبايعة ابنه جعفر جلس في مجلس الخلافة وشرع في أخذ البيعة لابنه جعفر وخلع الرشيد ، فبايعه جمهرة من القواد والزعماء ثم جيء بالقائد هرثمة بن أعين ليبايع فأبى وقال : ان يميني مشغولة ببيعة أمير المؤمنين وشمالى مشغولة ببيعة هارون ، فأبايع بماذا ؟ فأجابه الهـادي بقوله تخلع هارون وتبايع جعفرا ، فقال هرثمة : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل أدين بنصيحتك ونصيحة الائمة منكم ، وبالله لو تخوفت أن تحرقني على صدقي اياك بالنار لما حجزني ذلك عن صدق ، ان البيعة يا أمير المؤمنين انما هي أيمان ، وقد حلفت لها رون بمثل ما تستحلفني به لجعفر ، وان خلعت اليوم هارون خلعت جعفر غدا .

فاستشاط الهادي غضبا وأمر بوجيء عنق هرثمة : ثم ثاب لرشده واكتفى باسقاطه من قيادته واخراجه ملوما مدحورا ، ثم وجم الهادى ساعه ثم رفع رأسه وأمر برد هرثمة ، ولما حضر قال له : ياحائك أهل بيت أمير المؤمنين وفيهم عم جده وعم أبيه وعمومته واخوته وسائر لحمته يبايعون ، ويبايع وجوه العرب والموالي والقواد وتمسك أنت عن البيعة ، فقال هرثمه: يا أمير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من أعيان

الناس ، الا أن الامر على ما بايعت لك ، ، انه لايخلع اليوم أحد هارون ويبقى في غد لجعفر .

فالتفت الهادى الى من حضر مجلسه وقال لهم : شاهت الوجوه صدق والله هرثمة وبر وغدرتم ، ثم أمر لهرثمة بخمسين ألف درهم وأقطعه أرضا واسعة .

ان العمل الصالح لايتيسر نشره ، ويسهل تحقيقه الا اذا صلحت البيئة ، وهذا لايتم الا بالتواصي بالحق والتناهي عن المنكر ، اذ به احقاق الحق ، ونشر الفضيلة ، والحث على الاعمال النافعة والحماية من الفساد وضروب الغواية ، فبانتشار المنكرات تفسد النفوس وتنقبض عن فعل الخير ، ويتقوض أركان الامن ، وينزوى السلام ، ويعم الحرج ، ويبدأ انحلال الامة وانحطاطها حتى لاتستطيع جلب النفع لها ولاكشف الضر عنها ، وهنا يبدأ الاستعباد والعقوبة والطرد من رحمة الله (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون) ولقد سأل ابن عباس النبي صلى الله عليه وسلم : أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل : بم يارسول ؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله .. وقال صلوات الله وسلامه عليه : أوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة ان أقلب مدينة كذا على أهلها ، فقال : يارب ، ان فيهم عبدك فلان لم يعصك طرفة عين ، قال : اقلبها عليه وعليهم ، فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط .

لقد تهاون الناس في اداء هذا الواجب ، حتى أصبح حبل كل انسان على غاربه ، واستشرى الفساد في الارض ، وغرق فيه الناس الى الاذقان ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

العــدل أساس الملك

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) •

ان العدل هو القاعدة الاساسية في نظام الاسلام ، لان فيه قيام المجتمع وصلاح الدولة ، وسعادة الأفراد والجماعات ، هو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض ، والتي امتن الله بها على عباده ، وقرنها بالخير الكثير •

العدل أساس الملك ، ودعامته الكبرى وركنه الركين ، هو ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق •

ولولا العدل ما عاش ضعيف بجانب قوى ، ولا وقفت حرية أمام استبداد ، هو الذي تكون به الحقوق محترمة ، والامانة سائدة والامن مستتباً ، والرخاء عاماً ، والنظام شاملا ، والوطن محميا ، والدين عزيزاً موهوباً •

لقد دعا الاسلام الى العدل الذي لايعرف محاباة ولا مجاملة ، ولا قرابة ولا صداقة ، ولا يتأثر برضى وغضب ، ولا بغير ذلك مما يوهن من قوته ، ويضعف من مضائه •

فمتى عدل الحاكم وحارب العوامل التي تحول بينه وبين اقامة العدل ، فقد ظفر بالسعادة هو ورعيته التي يحوطها •

فهذا أبو بكر الصديق يقول في أول يوم من خلافته : القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق •

وهذا عمر بن الخطاب يأبى الا أن يمضي الجزاء في جبلة بن الايهم ملك الغساسية عندما استعدا عليه أحد بني فزارة ، وعندما يعترض جتله على امضاء العقوبة من أجل أحد السوقة وهو من السلطان والشـــرف والمكانة ، يجيبه عمر بقوله : لقد ساوى الاسلام بينكما فلا تفضلـــه الا بالتقـــوى .

وهذا الامام أبو يوسف الانصاري صاحب الامام أبي حنيفة يشـــهد عنده الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد ، فيرد شهادته ، فشكاه الفضل الى الرشيد ، ولما التقى الرشيد بأبي يوسف قال له معاتبا : ان وزيـــرى رجل لايشهد بالزور فلماذا رددت شهادته ؟ فأجابه أبو يوسف : لانـــي سمعته يوما يقول للخليفة ، أنا عبدك ، فاذا كان صادقا فلا شهادة للعبيد ، وان كان كاذبا في مجلس الخليفة لايبالي أن يكذب في مجلسي .

وقد ذكر ان السلطان بايزيد بن محمد أحد ملوك آل عثمان حضر الى المحكمة بين يدى شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى قاضـــــي القسطنطينية ليشهد في قضية رفعت اليه ، فما كان من القاضى الفناري ، الا أن رد شهادة السلطان ولم يقبلها ، ولما سأله السلطان عن وجه ردها قال له : أنك تارك للصلاة مع الجماعة ، فبنى السلطان في الحال مسجداً أمام قصره وعين لنفسه موضعا فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك .

فكيف الان وقد قبلت شهادة السراق والخمارين والنشالين والفسقة والمستهترين والزناة وبنيت عليها أحكام أخذ الناس بجريرتها .

لقد أجزل الاسلام الأجر والثواب للحاكم العادل ، وهذه أحاديـث رسول الله تؤازر العدل وتدعم أركانه ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام : يوم من امام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ... أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناه منه مجلساً أمام عادل ، وأبغض الناس الى الله تعالى وأبعدهم منه مجلسا أمام جائر .

فالامام العادل ظل الله في ارضه ، به تصلح رعيته ويستقيم أمر دينها ودنياها ، وان الله يقيم الدولة بالعدل ولو على الكفر ، ولايقيمها بالظلم ولو على الاسلام •

روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خطب في موسم الحج فقال : اني والله ما أبعث اليكم عمالي ليضربوا ابشاركم ، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكني أبعثهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفسي بيده لاقتصه منه • فوثب اليه عمرو بن لعاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت ان كان رجل من المسلمين والياً على رعية فأدب بعضهم انك لتقتصه منه ؟ قال عمر : أي ولذي نفسي بيده لاقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليهم وسلم يقتص من نفسه ، الا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولاتنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم •

وروى الاسود بن أبي يزند أنه قال : كان الوفد اذا قدموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن اميرهم ، فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه

لقد فرض الاسلام العدل حتى مع الاعداء والمخالفين في الدين

بالضعيف ، هل يجلس على بابه ، فان قالوا لخلصة منها : لا عز له •

والعقيدة : (ولايجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا هو أقرب للتقوى) وأمر بالعدل في الحكم : (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) • وأمر بالعدل في القول : (: واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) وأمر بالعدل في المعاملة : (وأمرت لأعدل بينكم) • وأمر بالعدل في اصلاح الطائفتين المتخاصمتين : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) •

لقد كان لعدل شاملا لجميع الرعايا على اختلاف مذاهبهم وتحلهم وأجناسهم وميولهم ملهم كامل حريتهم فيما يأتون وما يفعلون اذا سلم من الاضرار بالغير •

فأين هذا من العدل المزيف عدل القرن العشرين ، قرن الظلم والاستبداد قرن العبودية والاستغلال ، قرن الهمجية والسيطرة والانحلال، يوجد في القرن العشرين هيئات لنشر العدل والمساواة وأخذ الحقوق من غاصبيها ، يوجد مجلس الامن ، وهيأة الامم المتحدة ، ومحكمة العدل ، وقد سافها العدل بأن تحكم باخراج أكثر من مليون من لبشر من ديارهم وأموالهم وتسليمها لاناس جمعوا من أقطار العالم ، ولم تكتف بذلك بل أمدت هؤلاء الشذاذ بالمال والسلاح والمتطوعين والدعم الخارجي لتمكينهم من تلك البلاد وايغالهم في البطش والاستعلاء •

ألا ما أتعس هذا العصر عصر الظلم والاستبداد ، عصر البطش والاستعمار ، قل من كان في الضلالة فليمدد له "لرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون أما العذاب وأما الساعة فسيعلمون سن هو شر مكانا وأضعف جنداً) •

الظلم ظلمات

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فأجعل لي صريحاً لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين • واستكبر هو وجنــوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لايرجعون • فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمــين • وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون • وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم مــن المقبوحــين •

العدل رمز المحبة ، وعنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض، والتي امتن الله تعالى بها على عباده ، وقرنها بالخير الكثير ، وهو أســاس الملك ودعامته الكبرى وردنه الركين • وهو ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق ، كما أن الظلم مفتاح الشرور ، وباب لانهيار الحكومــات وتفتيت الاقوام واضمحلال الامم • واذا شاع الظلم في أمة ســاء نظامها ، وفسدت أحوالها وضاع أمنها ، وزاد اضطرابها ، وأسرع الخراب والفناء الى كيانها ، ولو أوتيت الملك العظيم والعلم الجم •

من وقف على تاريخ الامم الماضية ، واعتبر بما قصه الله تعالى فــي كتابه العزيز من أخبارها السالفة حكم حكماً قاطعا بأن ماحاق السوء بأمة ، ولا ذلت بعد عزة ، ولا ضعفت بعد قوة ، الا وكانت هي الظالمة لنفسها بما جاوزت من حدود الله ، وانتهكت من محارمه : (فأخذهم الله بذنوبهــم وما كان لهم من الله من واق) •

ان من أشد أنواع الظلم ، ظلم الحاكم فيمن ولي عليه ، واستبداده برعيته ، بأن يجعل هواه شرعا وقانونا ، ولايحكم الا حسب شهواتــه

ومنافعه ، فتذهب حرمة النفس والمال ، ويتقلص الأمن والاطمئنان ، وتهدر حقوق الامة ، وللمعترض البطش والتعذيب ، والسجن والحجز والتأنيب، لئن غر هؤلاء اقبال الايام وابتسام الدهر وقوة السلطان ، فليحذروا تقلبات الزمان فانها شديدة قاسية .

لقد عاش الظلم مع الحكومات المستبدة ، وانتقل الى هؤلاء الذين يدعون التمدن والرقي والتطور الصناعي والاجتماعي ، لقد أخذوا يتخبطون في تنظيم الطرق والسبل اليه ان هؤلاء الذين تمادوا في ظلم الافـــراد والجماعات ، ستكون عاقبتهم الخسران والهوان . فلينظر هؤلاء الظلمة ، فعما قريب سينالهم غضب من الله ولعنة ونقمة ، وسيهدم بنيانهم عـــلى رؤوسهم ، وسيأتيهم العذاب من حيث لايشعرون . وان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته .

لقد ألزم الاسلام حماية المظلوحم والوقوف في وجه الظالم ، فمتى يحس المسللم من أي أحد ظلما في معاملة الاخرين ، وجب عليه تنبيهـــه ونصحه وردعه ، كما يجب عليه نصرة المظلوم ودفع الظلم عنه بمختلـف الوسائل ، والسكوت على ظلم الظالم اقرار له واعانة وتأييد ، ومن أعـان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه .

أيها الظلمة : الا تعرفون ما تجني يدكم ، سوف تندمون في الدنيا فضلا عن الاخرى ، ألم تسمعوا قول سيد الرحماء : ثلاثة لاترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فـــوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقل الرب وعزتي لانصرنك ولـــو بعد حين .

أيها الظلمة : لئن اغتررتم بقوة أجسامكم ، وامتـــداد سلطانكم ، فستذوقون مرارة الصاب والعلقم ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيـــه وصاحبته وبنيه ، يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مـــع

الرسول سبيلا ، هنالك تنجاب عن العيون الغشاوة ، ويتفرق الاصحاب والانصار ، ولا يبقى الا ما أسلف المرء من خير أو شر ، ويؤخذ بيد الظالم فينصب على رؤوس الناس ، وينادى مناد هذا فلان بن فلان ، فمن كان له حق فليأت ، فيأتون ، فيقول الرب : آت هؤلاء حقوقهم ، فيقول : يارب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم ، فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فاعطو كل انسان بقدر طلبته ،

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس من لا درهم له فنيا ولا متاع ، فقال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ،

الاخاء في نظر الاسلام

لم يظهر الاسلام عنايته بشيء اكثر من الدعوة الى الاخاء والاتحاد والتحابب بين أتباعه، كما أنه حـــدد أغراض المسلمين في الحياة وفي مشاربهم ومآربهم ، ليمتزجـوا ويكونوا جسما متحدا مرصوصا ، لا متنافرا ولامتخاذلا، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من عبـاد الله لآناساً ماهم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبيـــاء والشهداء يوم القيامة • بمكانهم من الله تعالى ، هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أمـــوال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لايخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس •

لقد جعل الاسلام رابطة أخوته فوق الرابطة النسبية ، اذ النسبيـة تنقطع بالكفر ، واشاع تلك الاخوة بين عموم المسلمين على اختلافهـم ، فقال عز شأنه : (انما المؤمنون اخوة) والاخوة هم الاشقاء الذين هم في صلاتهم أقرب ، وفي تضامنهم أقوى ، وفي اتحادهم أمتن ، ولم يقل تعالى اخوان ، لأنه يطلق على غير الاشقاء كما أنه يشمل اخوان الصحبـــه والصداقة •

لقد وثق الله تبارك وتعالى الصلة بين المؤمنين ، ووثق الرابطة فيمـا بينهم فقال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فهذا نسب مشروع بحكم آلهي ، لاتنقطع أواصره ، ولا تنفصم عراه ، فقد حكم تعالى ببنوة المؤمنين لازواج النبي الطاهرات ، ويجب على المؤمنين اعتقاد ذلك ، ومنكره جاحد لنصوص القرآن ، وقد أيد ذلك رســول الله حيث قال : انما أنا لكم بمنزلة الولد أعلمنم •

لقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يربط بين أتباعه برباط

الاخوة الذي لاينفصم ليكون لهم ولغيرهم درسا عمليا يسيرون على خطاه ويحرصون على تطبيقه ، لقد آخى بين أصحابه قبل الهجرة فآخى بين أبي بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين سعد بن أبي وقاص ومصعب بن عمير ، وبين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيدالله كما آخى بين جميع أصحابه في مكة .

ولما نزل عليه الصلاة والسلام المدينة المنورة آخى بين المهاجرين والانصار على المواساة والحق في دار أنس بن مالك ، فآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ، وبين أبي عبيدة عامر بن الجراح وسعد بن معاذ ، وبين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة ، وبين طلحة بن عبيدالله وكعب بن مالك ، ، وهكذا آخى بين جميع أصحابه من مهاجرين وأنصار . وقد كانوا يتوارثون بذلك دون القرابات . وبلغ من اكرام الانصار للمهاجرين أن قال المهاجرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلا من كثير ، كفونا المئونة وأشركونا في الهناء ، لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم .

لقد نبه القرآن الكريم الى وحدة الابوين الموجبة للوحدة الاجتماعية والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، كما أنه حارب جميع أسباب التفرقة ووسائل النفرة ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام : كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه . حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم .. مامن امرىء يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته

وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته •

ان الاسلام قد حتم على جميع أتباعه أن يكونوا اخوة متحدين متحابين ، وقد عاد ذاك على أوائلنا بالعزة والكرامة ، والقوة والمنعة والسلطان • فما أحوجنا نحن العرب هذه الايام الى التمسك بالاخوة التي ربطنا بها ربنا في كتابه ، ونبينا بقوله وعمله • بعد ان سعى أعداؤنا لتفرقة صفوفنا ، والقاء الشحناء والبغضاء بين حكامنا ، وبعد ان وجد الاعداء من بيننا من باع دينه وقوميته ووطنه وسار في ركابهم ، وأخذ يعمل لتفرقة الصفوف ، واختلاق الاكاذيب وتوهين القوى •

يجب على الغيارى في البلاد العربية السعي للوحدة الشاملة ورفع الحواجز ، وجعل المائة والعشرين مليونا من العرب تحت لواء واحد وسياسة واحدة ، واتجاه واحد ، وهذا لايضر الاسلام في شيء ، لان الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أول ما دعا أقرباءه : (وأنذر عشيرتك الاقربين) ، ثم دعا مكة ومن حولها من قريش : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها) ، وبعد أن تركز في المدينة المنورة دعا أبناء جزيرة العرب ، ثم بعد ذلك دعا الاقوام الاخرين ، فوجه كتبه المشهورة الى الملوك والامراء : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون) • فبعد أن تتوحد البلاد العربية التي هي سنام الاسلام ودعامته ، ستتوحد معها البلاد الاسلامية من نفسها كما كان من قبل •

وان من بوادر الخير اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم بين فترة وفترة وذلك لرص الصفوف وجمع القلوب وازالة الحواجز والقضاء على

الحزازات ، ولكي تكون للامة العربية راية واحدة ، وجيش واحـــد ، وسياسة واحدة ، وثقافة واحدة ، واتجاه واحد ، وكلمة واحدة ، ولتكون الامة العربية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا • وقد رأينا تجمعهـــم تجاه اسرائيل يوم عشرة من رمضان وكأنهم حكومة واحـــدة وجيش واحد لانهم أمة واحدة •

(وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الـــى عالم الغيب ولشهدة فينبئكم بما كنتم تعلمون) •

الوحدة ومكانتها في الاسلام

من مظاهر التكريم الذي أسبغه الله تعالى على الانسان ، أن أودع فيه حبا لبني نوعه ، فجعله يحس بالحاجة الملحة الى الاقامة في كنفهم ، وتبادل العون معهم ، والاعتصام بحبل مودتهم • وان هذا المجتمع لاتقوى دعائمه ، ويحكم بناؤه الا بتظافر القوى وتآزر الافراد • وقد يعرض لهذا ما يفسد جوهره ، ويضعف سلطانه •

لذلك جاء الاسلام حاميا لهذه الفطرة ، فأعلن بأن الوحدة دعامة الامة التي تركز عليها قواعدها ، وتشيد صروح عزها •

دعا الاسلام للوحدة ليلم للامة شعثها ، وينظم عقدها ، ويقيم صفوفها ويذكرها بالاله الواحد والاب الواحد ، والكتاب الواحد •

لقد عاش سلف هذه الامة ورياح السلام تهب على رؤسهم ، ورايات الوئام ترفرف عليهم ، لقد عاشوا والرضا يغمر نفوسهم ، والود والاعزاز يملء جوانحهم ، عاشوا موازين عدل ، وينابيع حكمة ، وأئمة هداية واصلاح ، يقول فيهم ربعي بن عامر لقائد جيش الفرس : ان الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى سعة الاسلام •

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما استهدف الوحدة بين العرب ، فكانت نصب عينيه في مكة ، ثم لما هاجر الى المدينة آخى بين المهاجرين والانصار ، ثم آخى بين الأوس والخزرج ليكونوا يدا واحدة في الجهاد في سبيل الله ، وفي سبيل اعزاز العرب وانقاذهم من أيدي الفرس والروم والاحباش ، والاندفاع بالاسلام الى شرق المعمورة وغربها •

لقد صنع الاسلام من أتباعه أمة واحدة ، لها رئيس واحد ، تتبع سياسة واحدة ، وتستهدف غاية واحدة ، حيث نادى أتباعه : (ولا تكونوا

من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون) .

مضت أعوام والمسلمون ينعمون بالعزة والمجد والسيادة ، حتى بدأ المفرقون يطلون برؤوسهم على هذه الامة المجتمعة الكلمة ، وهم ممن التحقوا الاسلام ولم يستبطنوه ، بدا هؤلاء بنغمة تعدد الاوطان في الامة الواحدة ، وتعدد الملوك والامراء ، وتعدد الانظمة والقوانين ، وتعدد الجيوش والقيادات ، وتعدد الاتجاهات والانطلاقات ، وتعدد الاحزاب والجماعات . وهذا ما خشيه الرعيل الاول من هذه الامة ، فوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وجه من طلبوا نصب أمير من المهاجرين وأمير من الانصار بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقف بين صفوف المجتمعين مناديا : هيهات ، لايجتمع اثنان في قرن . أي لايجتمع أميران في عمل واحد ، لان ذلك يكون مثارا للخلاف بينهما ، سببا للنزاع ، منقذا للتفرق ، وأثرة للحكم .

لما تغلغلت الشعوب الحديثة العهد بالاسلام في مراكز الدولة ، عملت على اضعاف نفوذ الخلافة والاستيلاء على مقدراتها ، وبث نفوذها وسيطرتها، وأبعدت حماة الاسلام ورسله عن الامارة والقيادة ، فعندئذ انحلت العقدة، وتفرق الشمل .

وهاهي الدولة العباسية قد انقسمت الى دويلات ، يرأس كل واحدة منها شعوبي ملأ الحقد جوانبه على العرب والرسالة التي قام بها العرب ، وبقى الهدم والتفتيت الى أن قضي على الدولة العباسية .

ثم انتقل هذا الوباء الى الاندلس ، وقسمت الدولة الاموية الى ملوك طوائف ، فساد النزاع بين أمرائها ، حتى كان بعضها يستنصر بأعداء الاسلام ، على المسلمين هكذا الى أن انتزعت تلك البلاد من أيدي المسلمين .

ولما استولى المستعمرون على البلاد العربية التي انتزعوها من الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى ، مزقوها الى دول وحكومات ، وجعلوا لكل واحدة منها كيانا وحكومة ، ونصبوا لكل بلد سريراً وعلما ، وحدودا وموانع ، وساعدهم على ذلك نفر ممن اغرموا بالتيجان التافهة والرياسة الذليل ، وسول أولئك الشياطين لبعض المخدوعين بأنهم بذلك سيصبحون في بحبوحة من العيش الرغيد ، فخدعوا واستكانوا .

ثم تنبه أبناء تلك البلاد العربية الى لعبة الاستعمار من هذا التفتيت ، فأرادوا لم الشعث وتوحيد الاتجاه ، وترصين الصفوف ، لتعود للامة العربية سيرتها الاولى من العزة والكرامة والوحدة ولتحمل راية الحق والعدل من جديد كما حملها أوائلها .

ولكن هذا الاتجاه لم يعجب بعض الدجالين أعداء وحدة العرب وجمع كيانهم وتوحيد حكوماتهم ، فأخذوا يقاومونه تحت ستار منافاته للوحدة الاسلامية ، كأن وحدة العرب تعوق وحدة المسلمين .

ان جميع الفرق التي ظهرت لهدم العرب والاسلام ومحاربتهم كانت تتقمص هذا الرداء .

لاندري من الذي حمل رسالة الاسلام في قرونه الاولى غير العرب . ومن الذي حمل السلاح ففتح العراق وسورية ومصر وافريقية والمغرب والاندلس وايران وتركستان وحتى حدود الصين غير العرب ، فهل هؤلاء أغير على الاسلام من العرب ، انها لشعوبية مبرقعة بهذا الغطاء .

منذ أكثر من عشرين عاما والعرب يقاومون الكيان الاسرائيلي الذي أنشأه الاستعمار في بلادهم ، وطرد اخوانهم من أرضهم وسلمها لليهود ، فماذا عملت الدول الاسلامية لمعاونة العرب لازالة هذا الظلم عن بلد يعتقدون قدسيته ، هل أرسلت هذه البلاد التي تدعي الاسلام المجاهدين ، هل أعانت المشردين ، هل قدمت مالا أو سلاحا لتقوية المجاهدين ، ان

بعض هذه الدول الاسلامية قد اعترفت باسرائيل ، وجعلت من بلادها مركزا لدعاة اسرائيل ، وترويج بضاعتهم ، واصدار الصحف التي تنطق بلسانهم ، بل ان بعض تلك الدول الاسلامية صيرت من صحفها واذاعاتها منبرا للتشهير بالعرب والحملة على قادتهم وزعمائهم ، وترديد ما تقوله اذاعة اسرائيل .

يجب على قادة العالم العربي وزعمائه أن يتحد بعضهم مع بعض ، وان تكون لهم سياسة واحدة ، وهدف واحد ، واتجاه واحد ، وأمة واحدة ، ليزيلوا العدوان ، ويطهروا أرضهم من رجس اليهود والاستعمار ، يجب أن تزول الفردية وتحل محلها الجماعية ، والله يأخذ بأيدي المصلحين : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) .

وحدة الامة واتفاقها

لم يعتن الاسلام بشيء عنايته بوحدة أتباعه وجمع صفوفهم ، ولم يترك فرصة ولا مناسبة تمر دون أن يتطرق الى الوحدة وفضائلها ، والاختلاف والتنازع وعواقبهما ، حتى ليجعل الوحدة من أجل النعم التي من الله بها على المسلمين : (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) . وقال سبحانه وتعالى : (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) . فذكر سبحانه وتعالى الامة بالوحدة ، وانها واحدة في كل شيء .

ان الاتحاد هو سر القوة واساس النهضة ، وسلاح الامم التي تطلب الحياة ، ولا يطلب الاسلام وحدة الاجسام فقط بل وحدة القلوب والارواح وأن يستشعر كل مسلم لاخيه الحب ، وأن يكون معه كما قال عليه الصلاة والسلام : المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الاخرى . وأن يشعر كل فرد بأنه عضو من جسم أمته . عليه واجب يؤديه ، وله وظيفة يقوم بها لخير المجموع بأمانة واخلاص .

وهذا كله لايكون الا مع أصحاب الايمان الصحيح والعقيدةالراسخة الذين يبتغون ثواب الآخرة وسعادة الدارين ، أما المنحرفون والمتشككون والملحدون والماديون ، فلا يرجى منهم خير ولايعتمد عليهم في الملمات ، لانهم كما قال تعالى : (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) . لذلك جعل الاسلام جزاء المرتد القتل ، لانه أصبح وجوده ضارا بالمجتمع الذي يعيش فيه ، أداة افساد لكيان الامة ومقوماتها .

لقد كون الاسلام بهذا الايمان وهذه العقيدة وحدة لم تبلغ وحدة من العظم والتجانس ما بلغته ، غرس المحبة ولتضامن بين أجزاء هذه

الامة فقال عليه الصلاة والسلام : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وجعل أتباعه أبناء رحم واحد تجب الصلة فيما بينهم ، وجعل منهم مجموع أسرة مؤلفة من أفراد يجب ان تتواصل حتى تكون كرجل واحدة ، عزيزة الجانب ، صالحة لان يستخلفها الله في الارض ، ولقد قال عبدالله بن عباس : الجماعة الجماعة ، فانما هلكت الامم الخالية بتفرقها. وخطب عبدالله بن مسعود فقال : أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله تعالى الذي أمر به ، ثم تلا قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) . فحبل الله هو القرآن وهو الجماعة .

واعلموا بأنه لاتبتلى أمة في حياتها بشر من العداوة والبغضاء والفرقة والانقسام : (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

ان التفرق والتنازع والاختلاف لمن الجنايات العامة والجرائم الكبرى التي تهدم بنيان الامم وتضعف قوتها ، حتى لاتقوى على الثبات أمام أعدائها ، وتنذرها بوخامة العاقبة وسوء المصير . وها هو رسول الله صلى الله عليهم وسلم يأمر المسلمين بضرب عنق من يسعى لتفرقة الامة حيث يقول : من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق شملكم فاضربوا عنقه .

يجب أن يكون هذا الرباط منبعثا من الروح ، لان الرباط المادي منها أمام المنافع والمقاصد والغلبات ، يجب أن تكون الصلة الروحية فيما بين المسلمين قوية صلبة لاتزعزعها الدعايات البراقة والمبادىء المزخرفة، ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب .

ان الصلة المادية التي تدعو اليها بعض الفئات ، ماهي الا هيكل جامد غير متحرك سرعان ما تحطمه الزلازل والعواصف ، فيصبح وكأنه لم يغن

بالامس ، أما الصلة الروحية فانها كالطود الشامخ ، أصلها ثابت وفرعها في السما تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، لانها منبعثة من القلب ، والقلب هو العضو المحرك لسائر الاعضاء والجوارح ، والمسيطر على حركات الجسم وسكناته ٠

ان الامة بدون عقيدة روحية صحيحة لايركن اليها ، ولا يؤمل فيها الخير ، لانها تسير مع المادة ودواعيها ، ومع المنافع وأسبابها ، فأينما دارت المنفعة داروا معها ، ولو كان في ذلك ضرر لوطنهم وقومهم ٠ أما صاحب العقيدة فانه لاينظر الى المادة بل يحتقرها اذا رأى منها ضررا لدينه ووطنه وقومه ، ويراها حقيرة مزدراة ، وأنها عرض زائل ، وهي كما جاءفي الاثر: يقول الانسان مالي مالي وليس له من ماله الا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى ، وما عدا ذلك فانه ذاهب وتاركه للناس ٠

أيها المسلمون : أنظروا ماذا فعل طلاب المادة ودواعيها في تفريق صفوف العرب والمسلمين عندما غلبوها على الروحيات وفضائلها بعد تلك الانطلاقة التي حيرت العقول ، اقرأوا في تاريخكم فانه يحدثكم عن الفواجع التي حلت بحكوماتكم ومقدساتكم ومقوماتكم عندما دب في الصفوف عباد المادة والشعوبيون والانانيون ٠

فقد كانت الدولة الاموية من أقوى دول العالم ، بل كانت الآمرة الناهية في هذه الكرة الارضية ، ثم دب في صفوف أبنائها التنازع والتخاصم على المناصب والثراء والجاه الذي بذر بذوره الشعوبيون والدساسون من الموالي واليهود وأصحاب الاطماع ، فكانت النكبة وقضي على أعظم دولة كانت الحصن الحصين للعرب والاسلام ، ثم انظروا ماذا كانت عاقبة الدولة العباسية ، فان هذه الفئات الطامعة قد أوقدت بين المسلمين نار التفرقة ، وأحيوا العنصريات والجنسيات والاطماع والزعامة ، حتى أصبح الخلفاء العباسيون العوبة بيد المتغلبين من الشعوبيين الذين يضمرون للاسلام

والمسلمين الكيد والعداء والوقيعة • وانكم لتعلمون نهاية الدولة الاموية في الأندلس التي كانت درة في جبين التاريخ الاسلامي ، وكيف أن التنازع بين أمرائها قد كان السبب المباشر في محوها مع اسلامها من تلك البلاد الزاهرة •

ولا نبعد بكم الى التاريخ الماضي ، بل ان في حوادث التاريخ المعاصر لعبرا وعظات ، قد شاهدتموها وتحسستم بها وكوت قلوبهم لوعتها وأحزانها •• نأتي بكم الى نكبة فلسطين البلد العربي المسلم المقدس ، فلقد ذهب هذا البلد ضحية التفرق والتنازع والانانية وحب الذات ، ذهبت فلسطين ضحية الأثرة والمنافع والزعامات • هذا الدرس القاسى يجب أن يتخذ عبرة وعظة للمسلمين وحكامهم •

ان أعداء العرب والمسلمين والاسلام يسعون جاهدين لتفرقة الصفوف ، والقاء الشحناء والبغضاء بين أبناء البلد الواحد ليصفوا الجو أمام المستعمرين واليهود للاستيلاء على البلاد ومواردها وخيراتها ، ولقد وجدوا من باع دينه ووطنه من عباد المادة وخدامها من يسير في تبعيتهم وركابهم لينفذوا خططهم ويختلقوا الاكاذيب للايقاع بالمخلصين الساعين لتوحيد الصفوف ولم الشتات •

أيها المسلمون : الى لم الصفوف والتكاتف والتعاضد والتعاون أمام المفرقين الدساسين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون • (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين • كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز) •

الاسلام كفيل بسعادة الانسان[1]

يخرج الانسان لهذا العالم طفلا ضعيفا ، فتأتيه القوة تدريجيا الى أن تكمل قواه ، وكلما روض جسمه كانت قوته أقوى ، فالواجب أن يعطي الانسان لجسمه حقه من الرياضة والحركة ، وان يعطي لروحه حقها من المراقبة والخشية .

وكما يجب الاعتناء بصحة الاديان ، يجب كذلك في صحة الابدان ، وكما تجب لله حقوق يجب للجسم حقوق . قال تعالى : (وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا) وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد أصحابه : ان لربك عليك حقا ، وان لبدنك عليك حقا ، وان لاهلك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه .

ولقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض شباب الانصار وهم يلعبون الدركلة ، وهي من الالعاب الرياضية التي كان يتعاطاها شباب العرب، فقال لهم تشجيعا وترغيبا : جدوا يابني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة .

فالرياضة عامل قوي في تربية البدن وتهذيب الخلق ، ومرب كبير يحفز الى الشجاعة في ميادين الحياة ، وفيه مران على تحمل أوزار الحياة ، فيقابل سراءها وضراءها بهدوء وسكينة وصبر وجلد ، كما تمرن الاعضاء وتنقي الدم وتنشط دورته .

ان الاقوياء هم حماة الامة وسياجها الحصين ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك عندما أخبرت ملكة سبأ قومها بأن سليمان عليه السلام يريد الاستيلاء على مملكتها ، فكان جوابهم لها : (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) .

قد يظن البعض ان الاسلام لم يحث على ترويض البدن ، ولم يلتفت اليه ، وان الرياضة البدنية من مستحدثات الزمن الحاضر ، مع أن الاسلام قد ضرب الامثال في قوة البدن ترغيبا لاتباعه وحثا لمعتنقيه ، ولم يختر الله تعالى طالوت للملك وتدبير الامور الا لقوة جسمه ، وسعة علمه ، قال تعالى : (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال • قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) •

وقد كان سيدنا رسول الله كما قال القاضي عياض : عظيم الصدر ، عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، عبل العضدين (العبل الضخم) والذراعين والاسافل ، رحب الكفين والقدمين ، ربعة القد ، ليس بالطويل البائن ، ولا القصير المتردد ، وقال أبو هريرة : ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الارض تطوى له ، انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث •

ولقد أقر الاسلام السباحة وحث على تعلمها ورغب فيها ، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : خير لهو المؤمن السباحة • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : علموا أولادكم السباحة والرماية وليثبوا على الخيل وثبا • وكتب الى أهل حمص : علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية واخشوشنوا وانزوا على الخيل نزوا • وروى عنه انه كان يأخذ بناصية فرسه وأذنه بيساره واذن نفسه بيمينه ويثب على فرسه •

ومن الرياضة التي دعا اليها الاسلام المسابقة عدوا ، ولقد روى ان رسول الله سابق صاحبيه أبي بكر وعمر فسبقهما ، ولقد سابق عمر بن الخطاب الزبير بن العوام غير مرة ، فكان السابق أحدهما مرة والاخر الاخرى • وتسابق الصحابة رضوان الله عليهم على الاقدام بين يدي رسول الله بغير رهان •

وعن سلمة بن الاكوع قال : بينما نحن نسير وكان رجل من الانصار لايسبق أبدا فجعل يقول الا مسابق الى المدينة ، هل من مسابق ؟ فقلت : أما تكرم كريما ولا تهاب شريفا ، قال : لا الا أن يكون رسول الله ، قال سلمة فقلت يا رسول الله بأبي وأمي ذرني أسابق الرجل ، قال : ان شئت قال سلمة : فسبقته الى المدينة .

وقد أجاز الشافعية المسابقة على الاقدام بعوض لانها من الرياضة البدنية المقوية للابدان على القتال وغيره من الاعمال .

ومما رغب الاسلام فيه المصارعة التي تدل على قوة الجسم ، ومتانة العضلات وقوة القلب والشجاعة الادبية .

لقد كان في العرب رجل مشهور بقوته وبطشه لا يصرع أبدا يقال له ركانة بن عبيد بن يزيد . وقد روى بن اسحاق أن ركانة قد خلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله: ياركانة الا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ فقال : لو أعلم الذي تقول حقا لاتبعتك ، فقال رسول الله : أفرأيت ان صرعتك أتفهم أن ما أقول حق ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك ، فقام اليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله وأضجعه وهو لايملك من نفسه شيئا ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فانطلق ركانة وهو يقول : ساحر ، والله ماملكت من نفسي شيئا حين وضعت جنبي على الارض . ثم بعد هذا اسلم وحسن اسلامه . ثم جاء ولد ركانة واسمه يزيد وكان مشهورا كأبيه بالمصارعة وقوة البأس ، جاء يزيد هذا الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثلاثمائة من الغنم ، فقال : يامحمد ، هل لك أن تصارعني ؟ قال : وما تجعل لي أن صرعتك ؟ قال : مائة من الغنم ، فصارعه الرسول فصرعه ، ثم قال يزيد : يا محمد ، ما وضع جنبي على الارض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض الي منك ، وأنا أشهد الا اله الا الله وانك رسول الله ، فرد الرسول اليه غنمه .

وكان أبو الاسود الجمحي من أشد الناس قوة وشكيمة ، وقد بلغ من قوته أن يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة من الرجال لينتزعوه من تحت قدميه ، فيتقطع الجلد ولم يتزحزح عنه ندعا أبو الاسود هذا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال : ان صرعتني آمنت بك • فصرعه عليه الصلاة والسلام مرارا •

ولما خرج رسول الله الى غزوة أحد ، استعرض الجند قبل اشتباكه بالقتال ، وبينما هو يستعرض اذا به يجد فتى صغيرا يتطاول على أطراف اصابعه هو رافع بن خديج ، فتقدم منه رسول الله وسأله عما يحسن من فنون الحرب ، فأخبره بانه يجيد ضرب السهام ، ثم رأى سمرة بن جندب وكان صغيرا أيضا ، فأمره الرسول بالرجوع الى أهله ، فحزن الفتى وأخذ يبكي ، ثم اعترض على قبول رافع بن خديج الذي هو بسنه مع أنه يصرعه، فأمر رسول الله بان يتصارعا أمامه ، فصرع سمرة رافعا فابتسم رسول الله وسمح لسمرة بالقتال •

ومما حث عليه الاسلام الرمي بالنبل المعروف للعرب ، وقد صار الان بالمسدس والبندقية والرشاشة والمدفع ، ولقد مر رسول الله على قبيلتين من العرب وهم يترامون بالسهام والنبال ، فقال لهم : أرموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا ، أرموا وأنا مع بني فلان ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال لهم الرسول : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ، قال: أرموا وأنا معكم جميعا • وروى أن قوما كانوا يتناضلون ، فقيل يا رسول الله قد حضرت الصلاة ، فقال : انهم في الصلاة فشبه رمي النشاب بالصلاة وكفى بذلك فضلا •

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوس عربية فرأى رجلا بيده قوس فارسية ، فقال : ما هذه ؟ القها ، وعليك بهذه وأشباهها ورماح القنا فانهما يؤيد الله بهما في الدين

ويمكن لكم في البلاد •

وفي هذا حث للعرب على المحافظة على عاداتهم وبساطتهم ، والا تأخذهم زخارف الامم الاخرى والتي لاتتجاوز المظاهر ، ولقد صدق رسول الله فيما قال : فلقد استولى العرب بتلك السيوف العارية والرماح الذوابل ، والخيول المجردة على نصف الكرة الارضية وانطلقوا كالسهام المفوقة ، لاتقف أمامهم قوة من قوى البشر مهما بلغت عددا وعددا ، ينشرون دين الله في الارض ويبثون الاخاء والعدل والمساواة ، وعندما أخذتهم زخارف القوم المغلوبين أخذوا يرجعون القهقرى وينكمشون ويتقلصون على أنفسهم ويتحكم الخول والموالي بهم ، ويفرق الشعوبيون صفوفهم •

وقد فطن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الاخطار التي ستحدق بالعرب عند مخالطتهم سواهم من الامم ، وتقليدهم في عاداتهم واخلاقهم وترفهم ومرحهم ، فأرسل الى الجيش الاسلامي الذي كان يقاتل بأذربيجان كتابا جاء فيه :

أما بعد : فأتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا ، وألحفوا الخفاف ، وعليكم بثياب أبيكم اسماعيل ، واياكم والتنعيم وزي العجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، واخشوشنوا واخلولقوا ، واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزواً •

وهذا كله لئلا يدب الفساد الى أجسامهم ونفوسهم ، ويستكينوا للدعة والترف ، والكسل فيحيق بهم الخذلان ، نعم انهم عندما ضربوا بهذه النصائح عرض الحائط ، ضربهم الاعداء بعرض الحائط ، ولا يظلم ربك أحدا •

الاسلام كفيل بسعادة الانسان(٢)

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وجعله وسطا بين عالمين ، فهو بجسده يشاطر الارضيات حياتها المادية ، ويتصل بروحه بالعالم الروحاني ، ويستمد منه مواهبه المعنوية .

وانا لنرى الاسلام قد أعطى هاتين الناحيتين اهتماما عظيما ، وحث اتباعه بمختلف الطرق على الاعتناء بهما .

ومن أهم ماحث عليه النظافة ، لانه يريد أن يعيش أبناؤه سعداء في أجسادهم وأرواحهم وعقولهم .

لقد جعل الاسلام النظافة مظهرا من مظاهره ، وغاية من غاياته ، كما جعلها من متممات الايمان ووسيلة يتقرب بها العبد من ربه ، وشرطا لصحة الصلاة ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام : تنظفوا بكل ما استطعتم ، فان الله بنى الاسلام على النظافة ، ولن يدخل الجنة الا نظيف .

وهذا الوضوء الذي هو مفتاح الصلاة انما هو غسل جميع الاطراف الظاهرة في الجسم المعرضة للغبار والتراب والذباب ، ولا يبقى وسخ على عضو يغسل في اليوم خمس مرات .

ولقد سن السواك أو ما يقوم مقامه في كل وضوء وعند الاستيقاظ من النوم ، وعند تغير الفم تطهيرا له مما علق بالاسنان واللثة من بقايا الطعام . لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسوكوا فان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب .

ثم يأتي الغسل للجنب والحائض والنفساء ، وهي حالات يخرج فيها من الجسم افرازات تضعفه فينتعش بالغسل ويتقوى . ثم سن الغسل للاجتماع في الاماكن العامة كالجمعة والعيدين والاحرام ، وللدخول الى

مكة ، والوقوف بعرفة ، ولطواف الوداع كل هذا لئلا تؤذي الروائح الكريهة المجتمعين ، ولئلا تتراكم الاوساخ على الجسد وتسد المسام، فتتعطل عن القيام بمهمتها الحيوية وتمتنع عن الافرازات • ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته ولبس من صالح ثيابه ، ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغ عن الموعظة ، كان كفارة لما بينهما •• وقال حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسمه •

وكما أمر الاسلام بطهارة البدن أمر بطهارة الثياب • قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كل مسجد) ، والزينة أن يلبس الانسان الملابس النظيفة ، وأن يكون متجملا نظيفا متطيبا ، ولقد زار اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب دون ، فقال للاعرابي ألك مال ؟ قال : نعم ، قال النبي : من أي المال ؟ قال الاعرابي : من كل المال قد أعطاني الله تعالى ، قال النبي : اذا أتاك الله مالا فلير نعمة الله عليك وكرامته •

كما أمر بازالة جميع الزوائد التي يضر الجسم بقاؤها ، فأمر بتقليم الاظافر ، وحلق الشعر من الجسم ، وغسل عقد الاصابع ومفاصلها ، وازالة ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن وصماخها وفي الانف والاظفار وسائر الجسد •

ولقد شرع غسل الشعر ومسحه ، وسن ترجيله وتطبيبه لئلا تتراكم عليه الاوساخ،وتنسد منافذه المتصلة بالهواء•ولقد دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل وهو ثائر الرأس ، أشعث اللحية ، فقال : أما وجد هذا شيئاً يسكن به شعره وقال : من كان له شعر فليكرمه •• وروى انه عليه الصلاة والسلام كان لا يفارقه المشط •

كما أوجب الاعتناء بنظافة الاغذية واختيار الصالح منها ، وحرم

تناول ما فسد من الاغذية وما خبث • (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون) •

وامر رسول الله بتغطية أواني الشراب والطعام لئلا تدخلها الجراثيم •

ولقد نهى الاسلام عن البول والتغوط في الطرقات أو في الامكنة التي يجتمع فيها الناس ، أو في ظل شجرة ، أو جدار يجلس فيه الناس ، لانه ينافي المروأة ، لما ينبعث منها من الروائح الكريهة وما يتولد عن ذلك من الجراثيم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا اللاعنين ، قالوا : وما اللاعنان يارسول الله ؟ قال : الذي يتخلى في طرق الناس او في ظلهم •كما نهى عن البول في اناء يبقى في الحجرة • وعن البول في مكان الاغتسال حيث قال : لاتبولن في مغتسلك •

ولقد اعتبر الاسلام جثث الحيوانات الميتة وروثها نجسا ويصبح الماء الذي يخالط شيئا من هذا نجسا ، وكذلك الماء الذي يمر على ميتة أو نجاسة فلا يجوز شربه ولا الاغتسال به ولا الوضوء •• وكذلك البول في الماء الدائم أو الراكد لقوله عليه الصلاة والسلام : لايبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه • وقد أثبتت النظريات العلمية الحديثة أن حمى التيفوئيد والزهار الاميبي والبول الدموى من الماء النجس •

ولقد منع الشارع البسق في الاماكن العامة حيث قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : البصاق في المسجد خطيئة كفارتها دفنها • وروى أن عثمان بن مضعون تفل في المسجد ، فأصبح مكتئبا ، فقالت له امرأته : مالي أراك مكتئبا ؟ فقال لاشيء الا اني تفلت في القبلة وأنا أصلي فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم طيبتها •

ومن أهم أنواع النظافة في الاسلام نظافة المساكن والدور واماكن العبادة والمجتمعات وكذلك نظافة الملابس والاجساد ، وتمشيط الشعر

وتسريح اللحية ، وقتل الحشرات أو الهوام كالقمل والبراغيث والبق والذباب والجرذان وغير هذه مما ثبت انه من عوامل انتشار الامراض وتفشي الحميات •

والطهارة من الدين بل هي أساس الدين • وكما تكون حسية في الجسم والثوب والمكان تكون معنوية في القلب والاعمال والاداب والاخلاق، بأن يكون الانسان طاهر القلب من درن الكبر والحقد والحسد والعجب وكل الصفات الذميمة المزرية بالمرء المفسدة للاخلاق •

ان بين طهارة البدن وطهارة النفس ملازمة قوية ، وان أكثر الناس قذارة أكثرهم ذنوبا • ولقد قال الاستاذ بنتام في كتابه أصول التشريع : ان كثرة الطهارة في دين الاسلام مما يدعو معتنقيه الى رقي الاخلاق والفضيلة اذا أقاموا بأوامره في النظافة خير قيام •

فيجب على الانسان أن يكون نظيف الجوارح من الاعمال الذميمه التي يكون منشؤها من ميله وشهواته ، أو من وساوس ترد عليه من غيره ، وان يكون طاهر النفس من الاخلاق السيئة ، ولا قيمة للطهارة الحسية مالم تصحبها الطهارة المعنوية ، حتى يتفق الظاهر مع الباطن ، وبطهارة الظاهر والباطن يكون المسلم كله رحمة ونعمة ، ومصدر عدل واحسان لنفسه وذويه واخوانه والناس أجمعين •

ان الاسلام دين النظافة الظاهرية والباطنية ، ودين العفة والطهارة ، ودين البعد عن كل رجس ونجس •

واذا وجد من المسلمين من لايعني بالنظافة والطهارة فهو ليس من الاسلام في شيء والاسلام بريء من ذلك بل مخالف لقول الله تعالى : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) • ومخالف لقول الرسول الكريم الذي يقول : ان الله طيب يحب التطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود •

تسامح الاسلام

وهمجية دعاة حرية الشعوب

ان من يدرس تعاليم الاسلام بجد وتجرد ، وينظر فيما شرعته للناس من مباديء وانظمة ، يدرك بدون ريب انه دين السماء الذي نزل ليضرب بهدايته في ارجاء المعمورة ، وليعلم الامم أرقى نظم الاجتماع ، لذلك ارتفعت رايته يوم تولى أمره رجال لبسوا من آدابه برودا بهية وتحروا في الدعوة اليه سبلا سنية .

ان القرآن الكريم الذي هو القانون الاساس لدولة الاسلام ، لم يترك ناحية من نواحي الاجتماع أو التشريع أو السياسة الا وضع لها أصلا يهتدى به في تفاصيل أحكامها .

لقد صقل الاسلام أبناءه حتى جعلهم مثال العدالة والنصفة والرحمه لكل من يعاملهم أو يجاورهم أو يستأمنهم أو يدخل معهم في عهد أو ذمام، بخلاف ما نراه ونسمعه الآن من هذه الحكومات التي تطنطن بالحرية والاخوة الانسانية ، مع أن أعمالها تناقض أقوالها .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة لامته وأتباعه ، كان يعامل حتى المشركين من أعدائه ومناوئيه بعفو وتسامح لم يعهد من غيره .

لقد كان عكرمة بن أبي جهل من أشد قريش عداء لرسول الله وللاسلام كأبيه ، ولما فتح رسول الله مكة المكرمة هرب عكرمة منها ليركب البحر ، فلحقته زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وكانت قد أسلمت قبل الفتح وأخذت أمانا لزوجها عكرمة من رسول الله ، وقالت لعكرمة : جئتك من عند أبر الناس وخيرهم ، واني قد استأمنته لك . فرجع معها . ولما رآه رسول الله وثب قائماً فرحاً به وقال : مرحبا بمن جاءنا مهاجرا .

ثم أسلم وناضل في سبيل اعزاز الاسلام حتى استشهد يوم اليرموك بعد بطولة منتهية النظير .

لقد منع الاسلام من التعرض بالاذى لمن لن ينصبوا أنفسهم للقتال ، كما منع قتل النساء الا اذا قاتلن في صفوف الاعداء .

واذا وضع المحاربون الاطفال والنساء أمام الجند الاسلامي وجب الكف عن محاربتهم الا اذا اتخذوا ذلك ذريعة للفوز .

فأين هذا من سنن الحروب الحديثة ، حروب القرن العشرين ، قرن الحرية والعدالة والمساواة والنور كما يثرثرون ، تلك الحروب التي تجردت من كل رحمة ومروءة وعدالة ، وبنيت على تفجير القنابل الذرية ، والتي يبلغ تدمير الواحدة خمسين مليون طن من أشد المتفجرات والتي لم تترك شخصا ولا امرأة ولا مريضا ولا طفلا ولا أخضر ولا يابس الى وتأتي عليه .

ان دعاة السلم والسلام ، والامن والامان ، والسعادة والاطمئنان ، والرأفة حتى بالحيوان ، جادون الان لاختراع ماهو أشد وأقسى من تلك القنابل ، ليكون الفتك أعم ، والتدمير أشمل .

وأمامكم أمريكا المجرمة ، فانها تقصف الامنين ، وتدمر كل موجود على سطح الارض وتدعي أنها بذلك تدافع عن حرية الشعوب ، ولم نسمع صوت استنكار ، لان أوربا مجمعة على تدمير الشعوب الضعيفة والقضاء عليها .

عندما كان عمرو بن العاص في طريقه الى مصر لفتحها وجد ابنة المقوقس حاكم مصر ، فبعث بها الى أبيها مع الحفاوة والتكريم ، فأثرت هذه المعاملة الحسنة في نفس أبيها ، فبعث رسلا من قبله للمفاوضة مع عمرو في شأن الصلح ، فلما رجعوا اليه قالوا له : لقد وجدنا قوما التواضع أحب اليهم من العظمة ، ليس لاحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمة ، جلوسهم على الارض ،

وأميرهم كواحد منهم ، لايعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا الحر فيهم من العبد ، اذا حضرت الصلاة قاموا اليها ولم يتخلف منهم أحد ، يغسلون اطرافهم ويتخشعون في صلاتهم ، فقال المقوقس وقد وقع هذا الكلام في نفسه موقع الاعجاب : لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها ولا يقوى على قتالهم أحد ، فالرأي أن نصطلح معهم ، وكتب الى عمرو بن العاص يقول : اني لم أزل حريصا على اجابتك الى خصلة مما طلبت ، فأبى ذلك من حضرني من الروم ، ثم عرفوا نصحي فرجعوا الى قولي ، فاعطني أماناً حتى أجتمع أنا وأنت في نفر من أصحابي ونفر من أصحابك ، فان استقام ما بيننا تم الصلح • واجتمع الفريقان وتم الصلح •

لما تولى ألب أرسلان السلجوقي السلطنة اتجه نحو الارض البيزنطية، فأخذ يفتح البلاد الواحدة تلو الاخرى ، ثم تولى أمور الدولة البيزنطية (ارمانوس) ، وأول ما فكر به أن ينهض لملاقاة ألب أرسلان ورجاله ، فحشد مائة ألف مقاتل وسار بهم للقاء الجند الاسلامي ، وكان ألب أرسلان قد انصرف اذ ذاك عن بلاد الروم لبعض شئون دولته في أذربيجان ، ولما وصلته أخبار أرمانوس أسرع بمن تيسر له من الجند بنحو خمسة عشر ألف مقاتل • وساروا حتى أصبحوا أمام الجيش البيزنطي ، وأراد ألب أرسلان أن يكسب بعض الوقت نظرا لقلة جنده ، فأرسل الى أرمانوس يطلب المهادنة ، فأبى وملكه الغرور وقال : لاهدنة الا بالري ، والري هي قلب مملكة ألب أرسلان ، وهي في شرقي فارس •

وفي رمضان من سنة أربع وستين وأربعمائة للهجرة رقي الخطباء المنابر لخطبة الجمعة وأخذوا يحثون الناس على الجهاد ويدعون للمسلمين بالنصر ، وبعد أن فرغ ألب أرسلان وجنده من صلاة الجمعة دخلوا المعركة ونفذ المسلمون وسط صفوف الاعداء كالسهام المارقة ، فتبدد شمل الجيش البيزنطي وضاع نظامه ، وقتل من قتل وأسر من أسر وفر الباقون ، ووقع أرمانوس أسيرا بيد المسلمين ، وأحضر بين يدي ألب أرسلان ، فقال :

له : ألم أرسل اليك في الهدنـــة فأبيـــت ، فقـــال أرمانـــوس : دعني من التوبيخ وافعل ما تريـــد ، فقال له ألب أرســـلان : ماذا عزمـــت أن تفعل بي لو كنت أســـرتني ؟ فقال أرمانوس : أفعل القبيح ، فقـــال ألب أرسلان : فما تظن أنني فاعل بك ؟ فقال : أما أن تقتلني ، أو تشهرني في بلاد الاسلام ، والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعـــي نائبـا عنك ، فقال ألب أرسلان : ماعزمت على غير هذا •

ثم أطلق سراحه وأنزله في خيمة خاصة وأعطاه عشرة الاف دينار يتجهز بها الى بلاده •

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل اناء بالذي فيه ينضـح

وهؤلاء اليهود عندما طردهم الاسبان ، وشردتهم روســيا وأوربا ، فتحت لهم البلاد الاسلامية أبوابها ، وآوتهم وعطفت عليهم ، ولم تكتف بذلك بل سلمتهم زمام اقتصادياتها وتجارتها وأغدقت عليهم من خـيرات بلادها •

لقد رأيناهم في عراقنا هذا يسكنون القصور وأبناء البلاد يســكنون الاكواخ ، كانوا يأكلون أطايب الاطعمة والفواكه ، وأكثرية أبناء البلاد لايحصلون الا على كسر من الخبز والماء الكدر كانوا يتصرفون في ثـروة العراق واقتصادياته وأبناء البلاد عمال لديهم •

لقد كانوا يتحكمون في بعض حكام العراق ويوجهونهم حســـب رغباتهم ومطامعهم ، وهذا كله لم يغير من حقدهم وكيدهم ودسائســـهم ، وكان الواحد منهم عيناً للمستعمرين والصهيونيين لان جبلتهم قد تكيفت من طينة خبيثة ، لايصدر منها الا الخبث •

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتـــوا بغيظكم ان الله عليهم بذات الصدور ﴾ •

الاسلام يؤسس المجتمع المثالي

ان الاسلام هو عقيدة في القلب ، وقانون في الحكم ، وقواعد في الاخلاق ، ونظام في الاجتماع ، ودستور للحياة السعيدة ، ورباط معتنقيه ، هو الذي يوجه الفرد ويدفعه ليكون مواطنا صالحا ، ويوفر الاسباب كلها للامة ، لتكون مجتمعاً سعيداً قوياً مهيباً .

لقد جاء الاسلام بالامن والسلام ، وبحرية الانسان وحماية سائر حقوقه الطبيعية ، ومنعه من الانسياق لنزعات الشر والسوء والشهوات ، وحال بينه وبين اليأس والقنوط ، وأن مع العسر يسرا .

لقد علم الاسلام أتباعه بأن الافراد يتفاوتون في تكوينهم العقلي والجسمي ، كما يتفاوتون في المزايا والمواهب ، وفرق بين العاملين وغيرهم، وأباح للعامل التمتع بثمرة عمله وكده ، لا أن يسلب منه ثمار عمله ليتمتع به غيره ، لان في ذلك القضاء على العبقريات والمواهب الخاصة .

كما أن الاسلام عمل على تفتيت الثروات وتوزيعها ومنع تكديسها في أيد قليلة يمكن أن تطغى وتتجبر ، وتظلم وتتكبر ، فسن أنظمة الميراث .

وقد حرم الربا لانه كسب غير مشروع ، وهو يؤدي الى تضخيم رؤوس الاموال من غير عمل أو اجهاد .

وحرم جميع الاحتكارات والتحكم بأقوات الناس ، وأجاز للحاكمين تسعير الحاجيات وحماية المستهلك من التعسف والاستغلال .

ولو أن الناس تقيدوا بمباديء الاسلام ، وساروا على نهجها وما قضت به تعاليمه من أنظمة وأحكام ، لكانوا أسعد حالا ، وأهنأ بالا ، وأبعد عما نراه اليوم من مآثم وشرور .

لقد نص الاسلام على التكافوء بين جميع أبنائه في المال ، فقال فاروق

الاسلام عمر بن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، والله ما أنا أحق به من أحد ، والله ما أحد الا وله في هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليصلن الراعي بجبل صنعاء حقه من هذا المال وهو في مكانه يرعى •

وعندما أخذت الاموال تأتي الى عمر من كل ناحية وصوب ، دعا مجلس الشورى للاجتماع وقال : قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلنا كيلا، وان شئتم عددنا عداً ، فقال علي رضي الله عنه : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، فأرى أن يحصوا حتى نعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، وقال الوليد بن هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فأخذ عمر بقوله وشرع في تأسيس الديوان ، ودعا عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من نسابة العرب فقال لهم : اكتبوا الناس على منازلهم • وبعد أن انتهى التسجيل والتدوين ، فرض خمسة الاف درهم للمهاجرين والانصار ممن شهدوا بدرا ، وأربعة الاف درهم للمهاجرين والانصار الذين لم يشهدوا بدرا ، وثلاثة الاف درهم لمن هاجر قبل الفتح ، والفي درهم لمن شاهد القادسية واليرموك ، وأربعمائة درهم لاهالي اليمن ، ومائتي درهم لمن شهدوا الحروب التي وقعت بعد القادسية واليرموك ، ومائتي درهم لبقيه الناس •

وروى عبدالرحمن بن عوف أحد المبشرين بالجنة أنه خرج مع عمر بن الخطاب ليحرسا قافلة نزلت بأطراف المدينة ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لامه : اتقي الله وأحسني الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه ، فعاد الى أمه وكرر عليها ما قاله من قبل ، فلما كان اخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال : ويحك اني لاراك أم سوء مالي أرى أبنك

لا يقر منذ الليلة ، قالت : يا عبدالله قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أريغه على الفطام فيأبى ، قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لايفرض الا للفطيم ، قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهرا ، قال : ويحك لاتعجليه ، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديا فنادى أن لاتعجلوا صبيانكم على الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود في الاسلام ، وكتب بذلك الى الآفاق .

لقد كانت الامة يعيش أفرادها في رخاء وهناء ، لايفكر أحدهم في طعامه وشرابه ، بل كان تفكيره ينصب لخير بلاده ومجتمعه ودينه ، فكان المجتمع المثالي الذي لم يذكر التاريخ مثيلا له في جميع البقاع والعصور .

ذكر الحسن البصري أنه شهد منادي عثمان بن عفار رضي الله عنه ينادي : يا أيها الناس أغدوا على أعطياتكم ، فيغدون ويأخذونها وافية ، يا أيها الناس أغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى والله سمعته اذ نادى يقول : أغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل ، أغدوا على السمن والعسل ، ثم قال البصري : أرزاق داره ، وخير كثير ، وذات بين حسن ، ما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا الا يوده وينصره ويألفه .

وكتب عمر بن الخطاب الى عماله في الجزيرة العربية : ارفعوا عن الرعية وخاصة المعسرين ما شرعه أشرار العمال من سنن الظلم ، وما أحدثوا من الرسوم الباطلة والمعاملات الجائرة وأغدقوا على المكدود الاجر ، ولا يضام منهم كسير ، ولاتباح لهم سائمة ، وأقيموا الملاجيء لارباب الفاقة الذين أصابهم حيف ، وانظروا بعد ذلك في سبيل صرف ما تجمع لديكم طبقا لما ذكر الله في كتابه الكريم .

ولقد أمر المنصور ولاته باجراء الارزاق على القواعد من النساء اللاتي لا أزواج لهن والايتام والعميان . كما أمر الخليفة المهدي باجراء الارزاق على المجذومين .

له : ألم أرسل اليك في الهدنـــة فأبيـت ، فقــال أرمانــوس : دعني من التوبيخ وافعل ما تريـد ، فقال له ألب أرســلان : ماذا عزمــت أن تفعل بي لو كنت أسـرتني ؟ فقال أرمانوس : أفعل القبيح ، فقــال ألب أرسلان : فما تظن أنني فاعل بك ؟ فقال : أما أن تقتلني ، أو تشهرني في بلاد الاسلام ، والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعـــي نائبـا عنك ، فقال ألب أرسلان : ماعزمت على غير هذا •

ثم أطلق سراحه وأنزله في خيمة خاصة وأعطاه عشرة الاف دينار يتجهز بها الى بلاده •

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل اناء بالذي فيه ينضـح

وهؤلاء اليهود عندما طردهم الاسبان ، وشردتهم روســيا وأوربا ، فتحت لهم البلاد الاسلامية أبوابها ، وآوتهم وعطفت عليهم ، ولم تكتف بذلك بل سلمتهم زمام اقتصادياتها وتجارتها وأغدقت عليهم من خـيرات بلادها •

لقد رأيناهم في عراقنا هذا يسكنون القصور وأبناء البلاد يسـكنون الاكواخ ، كانوا يأكلون أطايب الاطعمة والفواكه ، وأكثرية أبناء البلاد لايحصلون الا على كسر من الخبز والماء الكدر كانوا يتصرفون في ثـروة العراق واقتصادياته وأبناء البلاد عمال لديهم •

لقد كانوا يتحكمون في بعض حكام العراق ويوجهونهم حســـب رغباتهم ومطامعهم ، وهذا كله لم يغير من حقدهم وكيدهم ودسائســـهم ، وكان الواحد منهم عيناً للمستعمرين والصهيونيين لان جبلتهم قد تكيفت من طينة خبيثة ، لايصدر منها الا الخبث •

(ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتـــوا بغيظكم ان الله عليهم بذات الصدور) •

الاسلام يؤسس المجتمع المثالي

ان الاسلام هو عقيدة في القلب ، وقانون في الحكم ، وقواعد في الاخلاق ، ونظام في الاجتماع ، ودستور للحياة السعيدة ، ورباط معتنقيه ، هو الذي يوجه الفرد ويدفعه ليكون مواطنا صالحا ، ويوفر الاسباب كلها للامة ، لتكون مجتمعاً سعيداً قوياً مهيباً .

لقد جاء الاسلام بالامن والسلام ، وبحرية الانسان وحماية سائر حقوقه الطبيعية ، ومنعه من الانسياق لنزعات الشر والسوء والشهوات ، وحال بينه وبين اليأس والقنوط ، وأن مع العسر يسرا .

لقد علم الاسلام أتباعه بأن الافراد يتفاوتون في تكوينهم العقلي والجسمي ، كما يتفاوتون في المزايا والمواهب ، وفرق بين العاملين وغيرهم، وأباح للعامل التمتع بثمرة عمله وكده ، لا أن يسلب منه ثمار عمله ليتمتع به غيره ، لان في ذلك القضاء على العبقريات والمواهب الخاصة .

كما أن الاسلام عمل على تفتيت الثروات وتوزيعها ومنع تكديسها في أيد قليلة يمكن أن تطغى وتتجبر ، وتظلم وتتكبر ، فسن أنظمة الميراث .

وقد حرم الربا لانه كسب غير مشروع ، وهو يؤدي الى تضخيم رؤوس الاموال من غير عمل أو اجهاد .

وحرم جميع الاحتكارات والتحكم بأقوات الناس ، وأجاز للحاكمين تسعير الحاجيات وحماية المستهلك من التعسف والاستغلال .

ولو أن الناس تقيدوا بمبادىء الاسلام ، وساروا على نهجها وما قضت به تعاليمه من أنظمة وأحكام ، لكانوا أسعد حالا ، وأهنأ بالا ، وأبعد عما نراه اليوم من مآثم وشرور .

لقد نص الاسلام على التكافوء بين جميع أبنائه في المال ، فقال فاروق

الاسلام عمر بن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، والله ما أنا أحق به من أحد ، والله ما أحد الا وله في هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليصلن الراعي بجبل صنعاء حقه من هذا المال وهو في مكانه يرعى .

وعندما أخذت الاموال تأتي الى عمر من كل ناحية وصوب ، دعا مجلس الشورى للاجتماع وقال : قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلنا كيلا، وان شئتم عددنا عداً ، فقال علي رضي الله عنه : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، فأرى أن يحصوا حتى نعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، وقال الوليد بن هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فأخذ عمر بقوله وشرع في تأسيس الديوان ، ودعا عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من نسابة العرب فقال لهم : اكتبوا الناس على منازلهم . وبعد أن انتهى التسجيل والتدوين ، فرض خمسة الاف درهم للمهاجرين والانصار ممن شهدوا بدرا ، وأربعة الاف درهم للمهاجرين والانصار الذين لم يشهدوا بدرا ، وثلاثة الاف درهم لمن هاجر قبل الفتح ، والفي درهم لمن شاهد القادسية واليرموك ، وأربعمائة درهم لاهالي اليمن ، ومائتي درهم لمن شهدوا الحروب التي وقعت بعد القادسية واليرموك ، ومائتي درهم لبقية الناس .

وروى عبدالرحمن بن عوف أحد المبشرين بالجنة أنه خرج مع عمر بن الخطاب ليحرسا قافلة نزلت بأطراف المدينة ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لامه : اتقي الله وأحسني الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه ، فعاد الى أمه وكرر عليها ما قاله من قبل ، فلما كان اخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال : ويحك اني لاراك أم سوء مالي أرى أبنك

لايقر منذ الليلة ، قالت : يا عبدالله قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أريغه على الفطام فيأبى ، قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لايفرض الا للفطيم ، قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهرا ، قال : ويحك لاتعجليه ، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديا فنادى أن لاتعجلوا صبيانكم على الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود في الاسلام ، وكتب بذلك الى الآفاق •

لقد كانت الامة يعيش أفرادها في رخاء وهناء ، لايفكر أحدهم في طعامه وشرابه ، بل كان تفكيره ينصب لخير بلاده ومجتمعه ودينه ، فكان المجتمع المثالي الذي لم يذكر التاريخ مثيلا له في جميع البقاع والعصور •

ذكر الحسن البصري أنه شهد منادي عثمان بن عفار رضي الله عنه ينادي : يا أيها الناس أغدوا على أعطياتكم ، فيغدون ويأخذونها وافية ، يا أيها الناس أغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى والله سمعته اذ نادى يقول : أغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل ، أغدوا على السمن والعسل ، ثم قال البصري : أرزاق داره ، وخير كثير ، وذات بين حسن ، ما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا الا يوده وينصره ويألفه •

وكتب عمر بن الخطاب الى عماله في الجزيرة العربية : ارفعوا عن الرعية وخاصة المعسرين ما شرعه أشرار العمال من سنن الظلم ، وما أحدثوا من الرسوم الباطلة والمعاملات الجائرة وأغدقوا على المكدود الاجر ، ولا يضام منهم كسير ، ولاتباح لهم سائمة ، وأقيموا الملاجيء لارباب الفاقة الذين أصابهم حيف ، وانظروا بعد ذلك في سبيل صرف ما تجمع لديكم طبقا لما ذكر الله في كتابه الكريم •

ولقد أمر المنصور ولاته باجراء الارزاق على القواعد من النساء اللائي لا أزواج لهن والايتام والعميان • كما أمر الخليفة المهدي باجراء الارزاق على المجذومين •

ولقد كان منادى الوالي ينادي : من نزل به ضيف أو طرأت له حاجة تتكفل الدولة بما يلزمهم ، وكانوا أحيانا يبحثون عن محتاج يدفعون اليه الزكاة فلا يجدون • فهل وصلت التشريعات قديمها وحديثها الى ما وصل اليه الاسلام والمسلمون من رعاية لحقوق الافراد والجماعات •

ان كل هذه التطورات التي نقلت العالم من حال الى حال ، ودفعت العقول الى مناح من النظر المستقل عن جميع الاعتبارات قد وضع أصولها الاسلام ، وأقام عليها صرحه الوطيد الاركان ، وهي التي أحدث بها آيته الكبرى من الانقلاب الفجائي الذي أوجده في جزيرة العرب وعم أرجاء العالم •

(قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) •

لا حرية الا في الاسـلام

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مخاطبا خير امـة اخرجت للناس : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

ان الاسلام هو دين الفطرة التي أرادها الله تعالى لعباده ، وهي التي طبقها رسول الله في جميع حركاته وسكناته ، واقتدى به أصحابه في حلهم وترحالهم . لذلك نعتهم الله بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي الامـي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم) .

لقد رفع الاسلام عن الناس الاغلال التي وضعها الحاكمون والمتغلبون على محكوميهم والتي فرضتها العادات والعصبيات على بعض الطبقـات والفئات . ووضع النظم التي تتضمن حرية الافراد مع الحدود التي تتفق وحرية المجتمع . لان الحرية محبوبة للناس ، يرون فيها سعادتهـم وطمأنينتهم ، مع احاطتها بما يحدها ، والا انقلبت الى فوضى تذهب بالامن والامان والفضيلة ، والقوة والسلطان ، وتسلب من الاخرين الحريـة باسم الحرية .

لقد ضمن الاسلام حرية الاعتقاد ومنع الاكراه ودعا الى الاقناع : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

لقد نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية .

وهذا رسول الله يضرب لامته المثل الاعلى في الحرية التي قامت عليها الدعوة الاسلامية من أن الناس متساوون في الحقوق والكرامة • فنادى عليه الصلاة والسلام من على المنبر في مرضه الذي اختاره الله اليه : أيها الناس من كنت جلدت لهظهرا فهذاظهري فليستقدمني،ومن كنتقدشتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقدمني،ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه،ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني •

لقد قام الرعيل الاول من هذه الامة على هذه الحرية التي جاء بها الاسلام وحث عليها سيد الانام ، فكان الفرد يتمتع بكامل حريته ، وكان الحكام والامراء على جانب عظيم من سعة الصدر والاستجابة الى الحق ، يسمع الشكوى ، ويزيل الظلم ، ويرجع الى الحق ، ويصغي الى الناصحين •

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب يقوم في الناس خطيبا معلنا دستوره الذي ألزم نفسه السير عليه فيقول : ان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني •

سمع الناس هذا من عمر بعد توليه الخلافة ، عمر الذي عرف بالشدة والصرامة ، سمع الناس هذا من عمر فحمدوا الله على ذلك ، ولكن رجلا من القوم لم يكتف بهذا القول بل أراد أن يفهم الناس معنى الحرية التي جاء بها الاسلام ومساواته بين الحاكم والمحكوم ، فقال لعمر : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا • هذا ما قاله رجل من سواد الشعب قبل أربعة عشر قرنا ، والذي لم يستطع أن يقوله أي رجل في القرن العشرين، القرن الذي ينعت بالحرية والمساواة والديمقراطية زوراً وبهتانا •

سمع عمر هذا التهديد ، وهذه الصراحة والصرامة ، فلم يغضب بل فرح واستبشر ، واطمأن على أن التربية الاسلامية قد بدأت تؤتي ثمارها

في النفوس ، وأراد أن يشجع أقوياء النفوس ويقوي ضعفاءها فقال بأعلى صوته : الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر بحد سيفه .. لان عمر لايريد أن يحكم أمة غافلة خنوعة مستكينة ، بل يريد أن يحكم من اذا رأوا اعوجاجا من حاكم أو طغيانا قوموه ليرجع الى الصواب .

ولقد خطب أبو جعفر المنصور يوما فقال : أيها الناس اتقوا الله . فقام اليه رجل من بين السامعين فقال له : أذكرك الذي ذكرتنا به . فقال له المنصور : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله .

ولقد حج هارون الرشيد ، وبينما هو يسعى بين الصفا والمروة اذ تصدى له عبدالله بن عبدالعزيز العمري فقال له : يا هارون ارق الصفا ، فلما رقاها ، قال له : أرم بطرفك الى البيت ، قال هارون : قد فعلت ، قال العمري : كم هم ؟ قال هارون : ومن يحصيهم ، قال العمري فكم في الناس مثلهم ، قال هارون : خلق لايحصيهم الا الله ، فقال العمري لهارون : اعلم أيها الرجل ، ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ، فبكى هارون ، ثم قال العمري : وأخرى اقولها لك ، قال هارون : قل ياعم قال : ان الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين .

روى عن حذيفة بن اليمان أنه قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت يا رسول الله ، انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، قال : نعم ، وفيه دخن — أي فساد — ، فقلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد

ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم اليها قذفوه فيها ، قلت يارسول الله صفهم لنا ، فقال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وأمامهم ، قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا أمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها .

المسلمون على مفترق الطرق

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) .

تجتاز الانسانية اليوم أزمة يشترك في الاكتواء بنارها الشرق والغرب على حد سواء ، فهذه الحضارة الغربية توشك على الافلاس بعد أن ابتعدت عن العنصر الروحي ، وغرقت في المادة ودواعيها ، وعجزت عن أن تحقق للناس أي لون من ألوان السعادة والرضا والاستقرار ، بل انتشر القلق والتوتر ، وساد الخوف والحيرة .

ثم قامت حركة مذهبية في الشرق بدعوى القضاء على هذه الحيرة والقلق ، وازالة أسبابها الجذرية باسم الماركسية ، فكانت أشد جهلا بحقيقة الوجود الانساني ، واصطدمت بمقتضيات الفطرة ودواعيها في نفوس الناس، فالتقت الرأسمالية الغربية بالمذهب الماركسي ، وغدا الانسان في كلا المذهبين آلة ميكانيكية مسلوبة الارادة والاختيار ، يعمل في الغرب لاسعاد أصحاب المال وتفخيم ثرواتهم ، ويعمل الثاني للدولة وللمسيطرين عليها ولا يعطى له الا الكفاف .

لقد أخذ المذهبان يتصارعان ، ويستعد كل منهما للايقاع بالاخر والقضاء عليه .

أما الامة المسلمة فهي تقف اليوم على مفترق طرق كثيرة ، تواجهها دعوات ومذاهب ونظم مختلفة ، ومن أخطر الامور في هذه المرحلة أن تختار الامة طريقها تحت تجربة عارضة ، أو نظم عابرة ، تنحرف بها عن الطريق السليم .

ان الاسلام يتعرض الان الى انحرافات لصرف المسلمين عن دينهم ،

وتصور تلك الانحرافات على أنها من الامور اللازمة للاسلام • والتي لاتنفك عن دعوته •

لقد صور البعض بأن تقدم المسلمين لايتم الا بعد أن يتجاوزوا نطاق الاسلام ، وينبذوا آدابه ، ومع هذا يدعون بأنهم مسلمون •

لاندري كيف يدعي الاسلام من ينقض بناء الاسلام •

ان المسلم الحق هو الذي يعتقد بأن دينه جد لاهزل فيه ، وانه اخلاص لا يشوبه تدليس •

وان المسلم الحق هو الذي يعتقد بأن الله قد وضع شريعة حددت الواجبات والمنهيات وبينت ما للمرء وما عليه ، ثم أوضحت الايمان الصادق والكفر الواضح ، حتى لايلتبس على أحد شأن من شئونها (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) •

ان الاسلام كعقيدة وشريعة وبناء أخلاقي واجتماعي هو النظام الشامل الوحيد الذي استطاع أن يحقق للبشرية في ماضيها أقصى درجة من درجات الاطمئنان النفسي ، والرخاء الاجتماعي ، والعدل السياسي •

ان على الامة الاسلامية اليوم أن تختار بين طريق لا ثالث لهما ، أما أن تسير مع قافلة الحيرة والتذبذب واللا انسانية التي عليها الشرق والغرب، فتقضي عمرها بين حيرة وقلق وبلبلة وشك • وأما أن تخرج من هذا كله الى الحق الذي لاحق بعده ، وتتسلم الامانة التي وكلها الله اليها في قوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) •

فعلى الذين يريدون لهذه الامة أن تنصرف عن دينها وحضارتها ، وأن تنطلق راكضة وراء القطعان الشاردة في الشرق والغرب ، أو مذبذبة بينهم ، على هؤلاء أن يدركوا أن الاعراض عن الاسلام وتعاليمه سيوقعهم في دوامة الاتعاب والقلق والثورات ، وسيحرم البشرية من مخلصها الوحيد

الذي يستطيع أن يخرجها من تيهها الى المعرفة الحقة والاهداف الواضحة .

أيها الناس : ليس بالمسلم من لم يتأدب بآداب الاسلام ، وليس بمسلم من ينقض بناء الاسلام ، وليس بمسلم من ينحرف بالاسلام ، وليس بمسلم من ينتقص تعاليم الاسلام .

ان الاسلام لايرضى بالخداع ، ولا يتجاوز عن التدليس ، وأن القرآن الكريم ليصدع أسماعنا آناء الليل وأطراف النهار بآياته ، وأحكامه وعبره ليدلنا عن الطريق السوي والصراط المستقيم .

أيها المسلمون : ان الاعداء يريدون بنشر التعاليم الوافدة القضاء عليكم وعلى وحدتكم فقفوا سدا أمام دسائسهم ومخططاتهم ، واحزموا أمركم (ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) .

قال نبينا الاكرم صلى الله عليه وسلم : ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا الا من أحياه الله بالعلم .. ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف ، فان استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فأفعل .

المسلم الكامل

لقد جاء دينكم ليجعل من الانسان المثل الكامل ، والقدوة لطلاب الصلاح والاصلاح • جاء الاسلام لخلق انسان محمود الخصال ، شريف الشمائل ، كريم الاخلاق ، أن تكلم صدق ، وان وعد وفى ، وان أؤتمن أدى الامانة ، بعيد عن المخالفات نافر من المحرمات •

جاء الاسلام مطالبا معتنقيه أن يتحلوا بأسمى الفضائل ، واكمل الاخلاق ، والمثل الاعلى للانسان الكامل • وليكونوا القدوة الحسنة للامم والاقوام ، وللتتبع والاهتداء ، والاسعاد دنياً وأخرى •

لقد كان الرعيل الاول من هذه الامة الانسان الكامل والقدوة الحسنة للاجيال الصاعدة ، وكانت سيرتهم حافزة الامم الى الاسلام ، ليغترفوا من معينه الذي انشأ هذا الانسان الكامل وصيره ملكا في صورة انسان •

لقد كان دستورهم قول الله : ﴿ لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرت الخبيث ولاتتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن •• هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ •

ولقد تأدبوا بما أدب الله به نبيه اذ قال : ﴿ أدع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن •• ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك •• ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور •• واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير •• ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون •• ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة •• وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون •• قول

معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

وهذه الاية الاخيرة تذكرنا بالحادثة التالية : روى أن الحر بن قيس من النفر الذين كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنيهم ويشركهم في الاستشارة ، وقد قدم عليه خاله عيينه بن حصن ، وطلب من ابن أخته أن يستأذن له على عمر ، فأذن له ، فلما دخل على عمر قال : يا ابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولاتحكم فينا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يعاقبه لسوء أدبه وقلة ذوقه واتهام عمر بالظلم ، وهو المعروف بالعدل ، فقال له الحر بن قيس : ياأمير المؤمنين ، ان الله تعالى قد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ، وان هذا من الجاهلين . فعفا عنه عمر .

لقد كان دستور الرعيل الاول من هذه الامة في الحياة قول رسول الله : لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا .. أرحموا عزيز قوم ذل .. أنزلوا الناس منازلهم .. اليد العليا خير من اليد السفلى .. وابدأ بمن تعول : ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات فخشية الله تعالى في السر والعلانية ، والاقتصاد في الغنى والفقر ، والحكم بالعدل في الرضا والغضب ، وأما المهلكات فشح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه .. نجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذو الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه .

لقد تفهم هؤلاء الكرام آي الذكر الحكيم ، وتأدبوا بأقوال وأفعال الرسول الكريم ، تلك التي تدعو لسمو النفس ، ومكارم الاخلاق ، وحسن

المعاملة ، والاخوة الشاملة ، والتسامح من غير ضعف ، والترفع عن النقائص ، والاحسان الى كل محتاج ، والتعاون على البر والتقوى وأن يخاف الله في أقواله وأفعاله ، وبيعه وشرائه وأخذه وعطائه ، وأن يحب للناس ما يحبه لنفسه .

واليكم مثلا للتاجر الانسان الكامل ، ذاك الذي راقب ربه في معاملاته روى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ، كل نوع له قيمة خاصة به وقد ذهب يوما لاداء الصلاة وترك ابن أخيه في حانوته ، فجاء اعرابي وطلب حلة بأربعمائة درهم ، فعرض عليه حلة من الحلل التي ثمنها مائتا درهم ، فاستحسنها الاعرابي واشتراها بأربعمائة درهم ، وعندما انصرف الاعرابي بالحلة استقبله يونس بعد أداء الصلاة وعرف الحلة التي في يده وأنها من حانوته فاعترض الاعرابي وقال له : بكم اشتريت هذه الحلة ، فأجابه بأربعمائة درهم ، فقال يونس :انها لاتساوي أكثر من مائتين، فارجع حتى تردها ، فقال الاعرابي : هذه في بلدنا تساوي خمسمائة درهم وأنا راض بها ، فقال له يونس : تعال فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده الى الحانوت ورد له مائتي درهم ، وقال لابن أخيه : أما استحيت ؟ أما اتقيت الله ، تربح مثل الثمن ، وتترك النصح للمسلمين ، فقال ابن اخيه : والله ما أخذها الا وهو راض بها ، فقال يونس : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وقد قال رسول الله : لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه .

فالاسلام هو الذي يصلح النفوس ويوجهها الى الخير،وهو الكامل في نظمه وآدابه وأحكامه وتشريعاته وأخلاقه ، هو الكفيل باصلاح هذا العالم المضطرب المتنازع ، المملوء بالقلق والاضطراب ، الجالس على بركان من نار ، العالم المتوحش الذي يتلذذ بسفك الدماء ، وتدمير المعمور من الارض،

والقضاء على البشر بالجملة ، ذاك الذي يرقص فوق أشلاء البشر ، ويتبجح بتلك الهمجية والوحشية ويعلن عنها بجميع وسائل الاعلان .

لايقف أمام هذه الامم المتنافرة المتباعدة الحاقدة سوى الاسلام ،فهو الذي يأخذ بها الى الطريق السوي والصراط المستقيم (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .

أمة التضحية والفداء

لقد بنى الاسلام كثيرا من أحكامه على رعاية العزة وقوة العزيمة والارادة ، ومصاولة الاعداء ، وعدم الخنـــوع والضعف والاستخذاء ، ومنحهـا الانفة التى لاتستخذى للذل ، ولاتخضع للغطرســـة والجبروت ، واذا تقدمت تقدمت بقلوب مفعمة بالايمان والثقة واليقين • ومن هنا أبيح رد العدوان والظلم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله •

لقد قامت هذه الامة على الجهاد والاستبسال وسادت حضارتها عـلى العلم والعرفان ، كان بناتها قلة مستضعفة ، ولكنهم بالايمان والصبر عزوا وكثروا ، وصارت لهم دولة دانت لها عروش الاكاسرة والقياصـــرة ، وانتشرت مع فتوحاتهم علومهم وآدابهم التي تهدي الى الخير والسلام كان شعارهم القران هاديا ، والسيف حاميا •

لقد قامت هذه الامة ودرجت على التضحية ، وباعت الله نفسها وكل ما تملك فكان أن آواها الله وأيدها بنصره ورزقها من الطيبات ، وجعلهــا في طليعة الفائزين : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمـــع المحسنين ﴾ •

لقد جعل الله تبارك وتعالى من هذه الامة ملائكة البشر لقوة ايمانهم ، وشدة عزمهم ، حتى كان كل فرد منهم بأمة ، والامة منهم بعالم مجموع ، وحسبك أن ترى كل فرد منهم رجلا فدائيا يقدم نفسه وماله وأهله فـي سبيل دينه وعقيدته وأمته •

لقد وقف مالك بن سنان يوم أحد يقول للمسلمين : نحن والله بين احدى الحسنيين ، أما أن يظفرنا الله بهم فلا يبقى منهم الا الشـــريد ،

والاخرى يرزقنا الشهادة ، والله ما أبالي أيهما كان ، ان كلا لفيه خير .

لما كانت موقعة أحد عين رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الرماة المهرة ليسيطروا على الممر الذي ينفذ منه الاعداء ، وأمرهم بالا يتركوه مهما كانت الظروف ، وبعد أن نشب القتال انهزم المشركون وتبعهم المسلمون ، فما كان من الرماة الا أن يتركوا أماكنهم ويندفعوا مع المندفعين . فما كان من خالد بن الوليد الذي كان يقود فرسان قريش أن يقتحم الممر ويضرب المسلمين من خلف ، فتبعثر القوم وتفرقوا ولحقتهم الهزيمة .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في المعركة ، ولم يتزعزع في هذه المحنة ، بل أخذ يرمي القوم عن قوسه حتى تكسرت ، فأخذ يرمي الاعداء بالحجارة ، وهو أقرب الناس اليهم وقد تجمعوا عليه بعد أن سمعوا بأن محمدا قد قتل ، وكل منهم يريد أن يحظى بشرف رؤية رسول الله .

وقد أصيب عليه الصلاة والسلام بهذه الموقعة عدة اصابات ، فقد رماه عبدالله بن شهاب فشجه في وجهه ، ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجر فكسرت رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى ، ثم سقط في حفرة أعدها المشركون فرفعه طلحة بن عبيدالله وحمله حتى استوى قائما .

وكان يحيط برسول الله ثلة من أصحابه الكرام ، وقد تترس دونه عليه الصلاة والسلام طلحة بن عبيدالله وأصيب ببضع وسبعين طعنة أو رمية أو ضربة وقطع اصبعه وشلت يده . ووقف عبدالرحمن بن عوف يدافع عن رسول الله حتى أصيب باحدى وعشرين جراحة بعضها في رجله فعرجت كما سقطت ثناياه . وأخرج أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقات التي دخلت في وجنتي رسول الله بثنيتيه فسقطتا حتى كان في الناس أثرم ، وكان سعد بن أبي وقاص يرمي النبل دفاعا عن رسول الله حتى رمى ألف سهم وما منها سهم الا ورسول الله يقول : ارم فداك أبي وأمي .

ولما خلا الميدان من الاعداء قال رسول الله : من رجل ينظر ما فعل

سعد بن الربيع أفي الاموات هو أم في الاحياء ؟ فتقدم أبي بن كعب لهذه المهمة ، فقال له رسول الله ان رأيته فاقرئه مني السلام وقل له ، كيف تجدك ؟ قال أبي فوجدت سعد بن الربيع في اخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم ، فقلت له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن انظر في الأحياء أنت أم في الاموات ؟ فقال : اني في الاموات ، فابلغ رسول الله مني السلام وقل ، ان سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن امته ، وقل اني أجد ريح الجنة، وأبلغ قومك مني السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : ولا عذر لكم عند الله سبحانه وتعالى ان خلص الى رسول الله مكروه وفيكم عين تطرف • ثم لم يبرح أن مات ، فجئت رسول الله فأخبرته خبره •

لقد بلغ من حب أوائلنا للاستشهاد ورغبتهم فيه أن الواحد منهم كان يتمنى أن يموت ثم يبعث ليموت ، وما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض شيء الا الشهيد ، يتمنى أن يرجع الى الدنيا عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة •

لما استعد المسلمون للخروج لغزوة أحد دعا عبدالله بن جحش ربه قائلا : اللهم ارزقني غدا رجلا شديداً بأسه ، شديدا حرده ، أقاتله ويقاتلني ويأخذني فيجدع أنفي واذني فاذا لقيتك قلت : ياعبدالله فيم جدع أنفك واذنك ، فأقول : فيك وفي رسولك • ولما اشتبك الفريقان فعل الله به ما دعاه له • فقتل بعد أن أبلى أحسن بلاء •

وجاء الى رسول الله خيثمة سيد بني عمرو بن عوف قائلا له : لقد أخطأتني وقعة بدر وقد كنت عليها حريصا ، لقد بلغ من حرصي ان ساهمت ابني سعداً في الخروج ، فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد كنت على الشهادة حريصا ، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة

يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ، وهو يقول : الحق بنا ترافقنا في الجنة ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ، ومرافقة سعد في الجنة .

وكان عكرمة بن أبي جهل يواجه الرماح والأسنة في اليرموك حتى جرحت صدره ووجهه فقيل له : اتق الله وارفق بنفسك ، فقال : كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزى فأبذلها لها ، فأستبقيها الان عن الله ورسوله ، لا والله أبدا .

وهاهم أولاد أحيحة سيد بني عبد شمس الخمسة : خالد وابان وعمرو وعبدالله وسعيد قد بذلوا حياتهم فداء لدينهم فاستشهدوا جميعا في معارك الاسلام .

وهذه الخنساء تقدم أولادها الاربعة ليستشهدوا في حرب القادسية ، وعدت موتهم في سبيل الاسلام شرفا وثوابا . وهي التي ملأت الدنيا عويلا على أخيها صخر .

هذه صور لبعض أبطال الاسلام الذين حملوا السلاح وجاهدوا في سبيل الله واستجابوا لدعوة الله وتقدموا الصفوف لينالوا الشهادة في سبيل نصرة دين الله ، فنالوا أمنيتهم ، وانتقلوا الى الرياض الخالدات ، في جنان عالية قطوفها دانية .

بهؤلاء وأمثالهم من الرعيل الاول ارتفع لواء الاسلام وشيدت أركان دولته ، ولا نجاة مما نعانيه الا بالسير على خطاهم ، ونطلب الموت ليوهب الله لنا الحياة .

لقد تقاصرت هممنا ، وضعفت نفوسنا ، وبعدنا عن شريعتنا ، فسلط الله علينا من لا يرحمنا ، وصدق فينا قول رسول الله : يوشك أن تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها ، قيل : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل .

لقد تداعت علينا هيئة الامم ، وظهر جل أعضائها وكأنهم في محاكم التفتيش ليصدروا حكمهم على العرب وبلادهم بالافناء والامحاء ، هذه الهيأة التي أوجدت اسرائيل ، وحمتها أكثر من ربع قرن ، وغضت الطرف عن جميع جرائمها ومخالفاتها • ثم ايدتها على غدرها واحتلالها لبلاد العرب •

ان الواجب على البلاد العربية مقاطعة الحكومات التي لم تصوت فى جانب قضيتهم العادلة ، فهؤلاء هم حماة اسرائيل والمؤيدون لغدرها واستهتارها وبغيها •

كما يجب علينا أن نستعد لجولة وجولات مع أعدائنا ، فان الله لن يخذلنا ، وسيأخذ بأيدينا ، لاننا حملة رسالة نبيه : (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا • ربنا ولا تحمل علينا أصراً كما حملته على الذين من قبلنا•ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) •

محاربون الاسلام تحت ستار الموالاة

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين • كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز) •

ولد الاسلام بين خصوم الداء ، وأعداء يتربصون به الدوائر اعداء قد تمكنت الوثنية من نفوسهم ، ورسخت العصبية في قلوبهم ، وسيطرت الضلالات على عواطفهم •

لقد بدأ الاسلام يدعوهم بالتي هي أحسن ، ويرغبهم في نيلهم السعادتين اذا انتهوا بنواهيه وانقادوا لاوامره ، الا أنهم تمادوا في غيهم ، وقابلو الحسنة بالاساءة ، واللين بالايذاء ، وعندئذ جوبهوا بالقوة والشدة لردعهم ودفع شرورهم •

ثم أخذت تشب نيران الفتن والتمرد في أرض الاسلام ، وتبذر بذور الشر والوقيعة في ربوعه ، وتولى ذلك اليهود والفرس وبعض المغرر بهم من العرب ، فحاقت بالمسلمين لاسيما العرب منهم نكبات أشد وأقسى مما نقاسيه الان من الاعداء ، حتى أن ضعفاء الايمان كانوا يحسبون أنها نهاية الاسلام وخاتمة المسلمين • الا أن المسلمين انتفضوا انتفاضة محمدية مزقت جميع الحواجز ، والقوا الأثقال التي وضعت على كاهلهم ، ومشوا في طريقهم مسرعين نحو العلو والاندفاع •

ومع هذا فقد ظلت جراثيم الفساد والافساد ، تنحدر من رأس الى رأس ، وتتسمى بأسماء مختلفة لتغطية الضلال والاضلال يقوم بهذا جماعه من الشعوبيين •

لقد ترعرعت الشعوبية وانتشرت وقوى سلطانها في عصر العباسيين الذين كانت دولتهم عربية صورة فارسية حقيقة ، وان وزر عداء هؤلاء

للعرب بل قل للاسلام يقع على كاهل العباسيين وعلى رأسهم ابراهيم الامام الذي يوصى داعيتهم الشعوبي أبا مسلم الخراساني بأن يأخذ حذره من مضر ويقتل من شك في أمره منهم ، بل يبالغ فيقول له : وان استطعت الا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله .

ثم تنبه بعض الخلفاء الى ما يبيته هؤلاء للعرب والاسلام من كيد وتدمير ، فأخذوا يقاومونهم ويحدون من نفوذهم ، الا انهم استمروا في وضع الخطط والمؤامرات ويترقبون الفرص والظروف .

ولما علموا بقوة المغول واندفاعهم في التخريب والتدمير ، راسلوا رؤساءهم وتعهدوا لهم بتمهيد جميع السبل ، وازالة جميع الحواجز ، وكان أحدهم يترأس شئون الدولة يومئذ في العراق وهو ابن العلقمي .

فبدأ في تسريح غالبية الجيش الاسلامي حتى أصبح رمزا بعد قوة ، وخبرا بعد عين ، فعندئذ زحف جيش المغول نحو بغداد ، يتقدمه قائده هولاكو وعلى يمينه نصيرالدين الطوسي مع جمهرة من قادة الفرس ، وأخذ يدمر ويحرق ويقتل كل ما مر به حتى طرق أبواب بغداد ، فوجد في استقباله ابن العلقمي مع زمرة من كبار رجاله ، وقضي على آخر دولة للاسلام .

لقد رجع هؤلاء الى التاريخ فشوهوا محاسنه ، وسطروا في صفحاته الاكاذيب ونسبوها للقادة والخلفاء والعلماء ، ولم يذكروا للعرب الذين حملوا لواء الاسلام وطوفوا به في الافاق لاسيما الامويين منهم لم يذكروا لهم فضيلة أو منقبة ، أولئك الذين فتحوا الامصار كالاندلس وأفريقية وبلاد السند وبعض بلاد الهند ومدن ما وراء النهر وبلاد الافغان وأرمينيه وأذربيجان وبقية بلاد ايران ، كما حاصرت جيوشهم استانبول مرتين .

ان التاريخ ليسجل لهؤلاء بمداد من الفخر انصارهم على الروم في موقعة ذات الصواري ، التي جمع فيها الروم كل ما لديهم من أساطيل . وكانت ستمائة مركب حربي بقيادة قسطنطين بن هرقل ، فقابلهم الاسطول الاسلامي بقيادة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت معركة قاسية ، بذل فيها الروم كل قواهم وعنادهم ، الا ان معاوية بعون من الله تغلب عليهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، ولم ينج من جيش الروم الا القليل .

لقد أنشأ هؤلاء الشعوبيون فرقا وأحزابا للهدم والتخريب ، ولئلا تلفت اليها انظار الناس تظاهرت بالدعوة لموالات آل البيت ، وادعى ذلك حتى بابك الخرمي الذي أباح المنكرات والغى العبادات ونشر الشيوعية في الاموال والنساء ، ولقد ادعى هذه الموالات حتى القرامطة الذين أذاع رئيسهم الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه قرمط في مجتمعه شيوع الاباحية ، والغاء الملكية الفردية ونظم لاتباعه مجتمعا شيوعيا قرر فيه شيوع المرأة ، وكان يقول ذلك هو الكمال واقصى درجات الصداقة والاخاء ، حتى أن الزوج كان يقدم زوجته الى رفاقه متى سرهم ذلك ، وقد أمر اتباعه بترك جميع العبادات ، واباح سفك دماء غيرهم ونهب أموالهم .

وبعد وفاته تولى خليفته الحسن بن بهرام الرئاسة ، وكان يعرف بأبي سعيد الجنابي فغزا البصرة واستباحها وخربها ، ثم سار الى مكة وفتك بالحجاج ونهب أموالهم واقتحم البيت الحرام ، ونزع كسوة الكعبة وقسمها في أصحابه ، واقتلع الحجر الاسود وانصرف به الى الاحساء ، وأراد أن يجعل فيها الكعبة بدلا من مكة ، ولبث القرامطة زهاء قرن ينشرون الوية الدمار والموت فيما حولهم من الاقطار الاسلامية ، ويتهددون بالافناء كل مجتمع مسلم منظم ، كل هذا باسم الموالات كذبا وافتراء . وقد نشرت كتب الان في تمجيد البابكية والقرمطية وانها ثورات للتحرر ، وهكذا يسجل التاريخ .

وانا ليطول بنا سرد أسماء وأفعال الفرق التي تقمصت هذه الدعـــوة لهدم الاسلام من قواعده ، وهدم الامجاد العربية ، ومحاربة لغة القرآن لانها عربية وهاكم نبذة من أقوال أحفادهم في هذه السنين • لقد طبعـــت جامعة طهران كتاب (مقدمة الادب للزمخشري) بتعليـــق من أحـــد أساتذة الجامعة •

ولقد افتتح الزمخشري كتابه بقوله : الحمد لله الذي فضل على جميع الالسنة لسان العرب كما فضل الكتاب المنزل به على سائر الكتب •• فعلقت جامعة طهران على قوله هذا : ان هذا الابهتان عظيم ، تعالى الله عن ذلك ، فان الله لم يفضل أية لغة على أخرى ، ثم يتبع هذا بقوله : فقد اختار الله رسوله من العرب ، وأنزل الله كتابه بلغة العرب ، وما أراد الله بهذا الا اظهارا لعظمته ، واكبارا لجلالته ، وختم هذا بقوله : حيث اختار (أي الله تعالى) أحسن رجل وأحكم كتاب من أخس قوم وأسوأ لغة !! هذا هـــو نظر الشعوبيين للعرب وللغة القرآن •

وهاهو طاغيتهم البهلوي يقول في ذكرى احتفالهم بالمجوسية الوثنيه مخاطبا زعيم المجوسية : ان الحضارة التي قمت على تأسيسها قد هدمها رعاة الابل ، يريد بذلك المسلمين الفاتحين •

ويقول هذا المجوسي البهائي في رسالة نشرها بالفرنسية مانصه : ان هؤلاء العرب قد تغلبوا علينا ، الا اننا قد تغلبنا عليهم وأنشأنا دولة فارسية باسم الخلافة العباسية ثم أوجدنا لنا دينا خاصا يناهض الدين الذي جاء به العرب ، وهو ما نحن عليه الى الان وأنا أدين به •

ان الكتب التي تطبع الان وكلها طعن بالقادة والفاتحين والطليعة من أصحاب رسول الله ، انها بأقلام فارسية حاقدة بحجة الدفاع عمن اسموهم بآل البيت بيت رسول الله وحقوقهم المغتصبة ، وان أكثرية هـــذه الكتب

توزع مجانا ، ولا ندري من الذي يقوم بتمويل هؤلاء بهذه الالوف من الدنانير ، ثم لاندري أين هي مراقبة المطبوعات من هؤلاء .

أين هي الغيرة على أمجاد العرب وتاريخ العرب ورجالات العرب ، أما قال شاعرهم من قبل :

قدما يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولم تنزل بـه الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهموا فان دينهموا أن تقتل العـرب

علينا أن ننتبه لما يبيته هؤلاء الدخلاء علينا وعلى الاسلام من خطط ومؤامرات ، فقد كفى ما قد مضى ولا يظلم ربك أحدا .

هم العدو فاحذروهم

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون) •

لقد ذكر القرآن الكريم صفات هؤلاء اليهود التي جبلوا عليها منذ نشأتهم ، ذكر مساويء أعمالهم وميولهم الاجرامية ، وغدرهم ونكثهم للعهود ثم ذكر بأن هؤلاء اليهود كانوا يقتلون أنبياءهم ويكفرون بالله ويفترون عليه الكذب ، لان مزاجهم النفسي وميولهم الذاتية قد تركز على الاعتداء واتيان الفساد والمنكر في الارض ، ويتباهون بذلك ، حتى غدت هذه المنكرات من علاماتهم المميزة والتي لا تفارقهم أبدا • هذه أوصافهم منذ أن نزل القرآن، بل منذ خلق الله يعقوب عليه السلام الذي يدعونه باسرائيل ، وقد قام أولاده بتمثيل بعض الادوار من صفات اليهود مع أخيهم وأبيهم •

لقد تجمعت في هؤلاء اليهود المساويء التي تفرقت في جميع الامم ، حتى أن أنبياءهم كانوا يتبرمون منهم ويتقربون الى الله بلعنهم والتبرء منهم ، وقد بقيت هذه اللعنة لاصقة بهؤلاء اليهود منذ الازل الى يوم الناس •

لم تصب الانسانية منذ خمسة وثلاثين قرنا بمثل ما أصيبت به في هؤلاء اليهود ، وان كل مصيبة تصيب البشرية منذ ذلك التاريخ حتى اليوم يقف وراءها يهودي ، فهم كما قيل : شعب لا يستقيم على حال ، ولا يستقر على نظام ، تتحكم فيه نزعات نفعية ، وتستبد بهم رغبات مادية ، فهم أمساخ من البشر انفلتوا من مجتمع الانسان ، وتعالوا على كل هداية واصلاح ، ولايعرفون الجماعة الا اذا كان في ذلك كسب يعود عليهم •

نرى القرآن الكريم يقص علينا بعض ما أنعم الله به على هؤلاء اليهود

لعلهم بذلك تتغير بعض طباعهم ، ويستقيم سلوكهم ، ولم يزدهم ذلك الا طغيانا وكفرا : (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون) ٠

وقد سردت سورة البقرة تلك النعم ، وبدلا عن أن يقابلوها بالطاعه والاستجابة قابلوها بالوقاحة والاغترار ، والتزييف والكفر والضلال : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) ٠

لقد اختبر الله تبارك وتعالى هؤلاء اليهود بالنعم الوفيرة ، وبالعقوبات الرادعة ، لعلهم ينتهون عما هم عليه ، ولكنهم تمادوا في غيهم ، وظلوا في طغيانهم يعمهون ، لذلك وعد الله تعالى بانزال العقاب عليهم الى يوم القيامة : (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ٠ وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ٠

بعد وفاة سليمان عليه السلام تشكلت دولتان لليهود في الشمال وفي الجنوب من فلسطين ، وقد سادت بينهما المنازعات ، فانقض عليهم سرجون الآشوري وقتل الالاف من رجال مملكة الشمال التي كانت عاصمتها نابلس وذلك قبل التاريخ الميلادي بثمانية قرون ، وقضي عليها ٠ أما مملكة الجنوب فقد هاجمها بختنصر البابلي ، فدك مدينة القدس دكا ، وهدم المعبد ، وساق من بقى من اليهود أسارى الى العراق ، وهكذا انتهت حكومة اسرائيل ٠

ثم حاول اليهود القيام بثورة ضد الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين ، فتقدم الجيش الروماني وحاصر أورشليم ، ثم دخلها عنوة ودمرها عن آخرها ، وقتل مئات الالوف من اليهود ومن بقى منهم أخرج

من البلاد • وبعد خراب أورشليم تفرق اليهود في بلاد الله ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك •

كل هذا لم يثن اليهود عن اخلاقهم المدمرة للانسانية المستعلية عليها، لذلك اخذت الامم التي يساكنونها تضطهدهم وتقتلهم وتطردهم وتصادر اموالهم ، كاسبانيا وانجلترا وفرنسة وايطاليا وروسيا والمانيا وغيرها من دول العالم كبيرها وصغيرها ، وذلك لانانيتهم التي زرعتها فيهم كتبهم وأفهمتهم بأن العالم كله ملك أيديهم ، وأن المال الذي بأيدي الناس انما هو ملكهم أخذ منهم غصباً ، فعليهم أن يعيدوه بجميع الوسائل •

ولما ظهر الاسلام وأخذ نوره ينتشر وقف اليهود يناصبونه العداء ، وبدأوا بتوجيه الشكوك الى تعاليمه ، وكان رسول الله يدفع شكوكهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وتتنزل الايات القرانية تترى للرد عليهم وتسفيه أقوالهم • ثم أخذوا يوقدون نار الفرقة والعداء بين صفوف المسلمين يذكرونهم بأيام الجاهلية وما فيها من منازعات وحروب •

ولما لم يجدهم ذلك نفعا أخذوا ينقضون العهود التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ، وجاهروا بمعاونة المشركين أعداء المسلمين •

ثم بدأوا بالصدام المسلح ، وأول ما بدأ بين المسلمين وبني قينقاع ، فقد جاهروا بالعداء وتحصنوا بحصونهم ، وقد أراد الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أن يتجنب الصدام فاجتمع بهم في سوق بني قينقاع وخاطبهم بقوله : يامعشر يهود ، احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة ، واسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم ، فأجابوه بكل صلافة ووقاحة : يا محمد ، أنك ترى أنا غير قومك ، فلا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس •

وعندئذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتقدم الى حصون بني قينقاع ، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة • وبعد حصار دام خمس عشرة ليلة نزلوا على حكم رسول الله ، فجلاهم عن المدينة ، وانتقلوا الى أذرعات بالشام • وقد سجل القرآن الكريم هذه الحرب الاولى مع اليهود : (قـل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد • قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الالباب) •

وفي السنة الرابعة للهجرة نقض بنو النضير العهد الذي بينهم وبـين رسول الله ، وفضلا عن موالاتهم للمشركين هموا بقتل رسول الله وهـو مستند الى حائط بديارهم بالقاء صخرة عليه ، وكان معه أبو بكر وعمـر وعلي ، وقد أطلعه الله تعالى على ذلك •

فارسل اليهم رسول الله محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج مـن المدينة فلا يساكنونه بها وقد هموا به من الغدر ، وقد أجلهم عشرا ، ومن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه ، الا أنهم تحصنوا بحصونهم ولم يخرجوا •

فخرج اليهم رسول الله بأصحابه وحاصرهم ، وبعد ستة أيام استسلموا وخرجوا من المدينة صاغرين الى خيبر والشام ، وقد نزل في بني النضـير قول الله عزوجل : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب مـن ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهـم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الالباب) الى آخر الايات •

وفي السنة الخامسة للهجرة كانت غزوة بني قريظة بعد أن نقضـوا العهد وكادوا أن يوقعوا بأصحاب رسول الله ويعينوا الاحزاب في وقعـة الخندق ، فلذ ارسل اليهم رسول الله سعد بن معاذ سيد الاوس وسـعد

ابن عبادة سيد الخزرج ليريا الامر ولينهيا بني قريظة عن هذا الغدر فقابلا كعب بن اسد وسألاه وحذراه ، فسخر منهما وأظهر لهما الخشونة والبغي ، ولم يسمع لرجاء منهما أو تحذير ٠

وبعد انصراف الاحزاب عن حصار المدينة أمر رسول الله أصحابه بالتوجه الى بني قريظة وعندما دنا الرسول من حصونهم ناداهم : يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ٠ فأجابوه : يا أبا القاسم ما كنت جهولا ٠ وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، حتى أجهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس الذي كان حليفهم ، فحكم فيهم حكما جعلهم عبر للخائنين وموعظة التاريخ للاجيال ، حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وان تسبى ذراريهم ، وان تقسم أموالهم ، فقال رسول الله : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله ، وقد نزل فيهم قول الله : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا) ٠

وفي السنة السابعة كانت غزوة خيبر ، تلك البقعة التي كانت مركزا لدسائس اليهود الذين تجمعوا فيها ٠ وقد قرر الرسول الكريم فتح هذه المدينة اليهودية لينهي دسائس هذه الفئة الضالة المضلة ٠

تقدم المسلمون الى حصن خيبر وأحاطوا بها ، ثم نشب القتال بين المسلمين واليهود وأخذت تتساقط الحصون الواحد تلو الآخر الى أن تم الفتح ٠

وبهذه المصادمات المسلحة انتهى أمر اليهود في مكة والمدينة ، الى أن جاء عمر بن الخطاب فأجلاهم عن جزيرة العرب ، وطهرها من كيدهم ومكرهم ورجسهم ٠

ان الله لم يخلق طائفة أشد فسادا في الارض من هؤلاء اليهود ، ولقد أصبح الشيطان جنديا مخلصا من جنودهم .

وحكمة الله في خلق الشيطان في هذه الارض ، هي حكمته في خلق هؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم في الافساد والاضرار بالناس .

فاليهود من أبعد الناس عن التدين باليهودية ، الا أنهم اتخذوها ستارا لتنفيذ أطماعهم وتوسعهم . واتخذوا اليهودية عنصرية للتحكم لا للتدين . فهم أبعد الناس عن الله وعن دين الله . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

من جرائم اليهود

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) .

نزلت هذه الآية في هؤلاء اليهود ، وقد اخبرنا القرآن الكريم بأن اباء هم قد طردهم الله من رحمته لعدم ادراكهم الحق ، وشدة خبثهم وفسادهم ومكرهم ، كما مسخ بعضهم الى قردة وخنازير ، مبالغة في المشابهة بينهم ، حتى كأنهم الاصل في هذين النوعين : فلقد مسخت قلوبهم، وصاروا في نزواتهم واستيلاء الشهوات على نفوسهم ، وعبثهم بكل مقدرات القيم الخلقية كالقردة ، كماصاروا في قذارات نفوسهم كالخنازير . وهذا عام يشمل الجميع .

وسواء كان المسخ حقيقيا كما رواه بعض العلماء ، أم مسخا معنويا ، فانه يدل على مقدار حطتهم وانزال شأنهم عن منازل الانسانية والكرامة ، وضرب الذلة عليهم الا بحبل من الناس ، واتصالهم بأشرار الارض كالانكليز والامريكان ، فهم في ذلك كالتبعية ، وهم أبعد عن الطريق السوي المستقيم .

ان القرآن الكريم لم يخص أسلاف اليهود بالجرائم التي ارتكبوها وحدهم ، بل أوردها عامة تشمل جميع اليهود في جميع الازمان ، لان الابن كالاب والحفيد كالجد : (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) ، وذلك لانهم يعيشون في جو نفسي واحد ، لايعملون لنفع غيرهم ، الا اذا كانت العقبى لهم ، وهم نحلة يتشابه الماضي بالحاضر في الشر على السواء .

لقد أراد الله تبارك وتعالى أن يذيق هؤلاء اليهود العذاب الفينة بعد الفينة ، وهو تعالى لايريد لهم راحة ، فكان من حكمته أن يرجع اليهم الحياة الهانئة فترة حتى اذا بدأوا يشعرون بنعيمها لحقتهم اللعنة ، فصبت على رؤوسهم مقامع الحديد ، وهكذا دواليك حتى يرث الله الارض ومن عليها : (كلما أرادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) .

عقب سقوط دولة اسرائيل تحت أقدام الاشوريين والبابليين تفرق سكانها اليهود ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، ولم يعد لهم في التاريخ ذكر ، وقد ساحوا في الارض ، وأقاموا هنا وهناك ، وأصبحوا ضيوفا ثقلاء ، وما بالك بضيف يرى نفسه أرقى عنصرا من المضيف،وبغريب يفضل نفسه على صاحب الدار .

لقد سجل الذين دونوا الاسفار والتلمود التي هي كتب اليهود المقدسة ، على أن اليهود قد ميزهم الله على غيرهم ، وأنه يؤيدهم في كل حال ، ومن حقهم الاستيلاء على ما في أيدي الافراد وقد ذكرت أن أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهود امتلاكه ، وقد دونوا في تلك الكتب بأن الكوييم (غير اليهودي) كالكلاب والخنازير ، وبيوتهم كحضائر للبهائم نجسة ويحرم على اليهودي أن يعطف عليهم ، وأن الموت جزاء الكوييم اذا ضرب اليهودي .

انهم خلفاء ابليس في الارض ، وهم أداته التي يستخدمها لاغواء البشر ، وهم الطغمة التي يتخذ منهم أعوانه وحزبه . وكما أن أبليس جعل موضع دراسة لاصل الشر في هذا الوجود ، جعل القرآن الكريم اليهود موضع الدراسة للآفات التي تبثها في الجماعات لافسادها ونشر الفوضى الاخلاقية بين صفوفها .

لقد نصت أسفار اليهود على أنه يباح للاسرائيليين بل يفرض عليهم قتل من أمكنهم من الكوييم واغتصاب أموالهم وسرقتهم ٠

واليكم ما قصه التاريخ عن فضائعهم وخبثهم وفضائحهم :

لقد كان اليهود يسكنون مدينة قبرص والقيروان في عهد الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ ق٠م) ، وكان أهل تلك المدن يعاملونهم بالحسنى والرأفة والعطف وبدلا من أن يقابلوا هذا العطف بالحب والولاء ، تآمروا على سكانها وثاروا عليهم وأخذوا يفتكون بهم ، وأبدوا من القســـوة والهمجية ما لايكاد أن يصدقه الانسان ، حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دمهم ، ويتحزمون بأمعائهم ، ويلتفون بجلودهم ، وقد شطروا كثيرين من رأسهم الى أسفل ، وأرغموا كثيرين على قتل بعضهم بعضا ٠

لقد روى أن عدد الذين قتلهم اليهود في ليبيا والقيروان (٢٢٠ر٠٠٠) مئتا ألف وعشرون ألفا ٠ كما قتلوا من أهل قبرص (٢٤٠ر٠٠٠) مائتين وأربعين ألفا ٠

ثم ان اليهود في انطاكية جاهروا في العصيان في أوائل القرن السابع الميلادي ووثبوا على المسيحيين وقتلوا بطريكهم ، ودخلوا منازل الاعيـان فحرقوها وقتلوا اهلها ، فأرســـل اليهم القيصر فوقاجيشاً بطش بهم قتـلا وتشريدا ٠

ولما غزا الفرس بلاد الشام سنة ٦١٥م وسبوا من سبوا من النصـارى اشترى اليهود عددا كبيراً من أولئك السبايا يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ ألفا ، ثم ذبحوهم عن آخرهم وأشعلوا النار في جميع كنائس النصارى حتى كنيسه القيامــــة ٠

ولما ظهر بين اليهود رجل يدعى ابن الكوكب ، اعتبره اليهود المسيح

المنتظر ، وانضوى اليه كثير منهم ، وأخذوا يعتدون على غيرهم ، وعلى الجنود الرومانيين ، فنهض اليهم روفوس الوالي الروماني وأعمل فيهم قتلا. ثم أرسل الامبراطور - ادريان - جيشا كبيرا لتدمير قرى اليهود فدمر تسعمائة قرية وهدم خمسين حصنا . وبلغ عدد القتلى من اليهود في تلك الموقعة ٥٨٠ ألفا . خمسمائة وثمانين ألفا ، عدا من هلك جوعا ومرضا وحرقا وسبوا كثيرا من النساء والاولاد وباعوهم بأبخس الاثمان في أسواق غزة وترابيتا ، وبعثوا الى روما بكثير من الاسرى قدموا طعاما لاسود الملاعب ، وحرموا على اليهود دخول أورشليم الا يوما واحدا في السنة لينيحوا على خرائب المدينة .

ولقد حل جماعة منهم في بعض المدن الاوربية ، فقابلهم أبناؤها بالعطف والرعاية ، وعندما استقر بهم المزار وتمكنوا من الاستيطان ، عادت عليهم جبلتهم الاولى ، وأخذوا في السيطرة على اقتصاديات تلك البلاد وامتصاص ثروات الناس بالربا والصيرفة وغيرهما من أنواع المغريات ، وعندئذ بدأ سكان تلك البلاد مقاومتهم ، والحد من أطماعهم ، واخراجهم من ديارهم .

وقد أمر لويس التاسع بالغاء ثلث ما كان لليهود على رعاياه المسيحيين من الدين الذي هو نتيجة الربا . ثم أصدر أمرا بحرق جميع كتبهم المقدسة ، فحرقوا في باريس وحدها حمول أربع وعشرين مركبة من نسخ التلمود .

وفي عهد - فيليب - ثار عليهم الشعب الفرنسي وعمل فيهم القتل والنهب ، ثم أمر بطردهم من فرنسا ، وبعد اثنتي عشرة سنة عادوا الى فرنسا ، ولما أرادوا المطالبة بمالهم من ديون على الفرنسيين ، اشترط على أن يقدموا ثلثيها للملك .

وفي سنة ١٣٢١م هاج عليهم الشعب في أواسط فرنسا بعد اتهامهم بسرقة أولاد المسيحيين والقاء السم في ابار الشرب ، هاج عليهم الشعب وذبحوا منهم جماعة ، وحرقوا البعض منهم ، ونفى من بقى منهم الى خارج فرنسا •

أما في بريطانيا فقد ثار الشعب على اليهود بعد أن امتصوا ثروة البلاد بالربا والصيرفة ، ونهبوا بيوتهم ، ثم خيروا بين الموت أو اعتناق المسيحية •

ثم ان الملك – يوحنا – عطف عليهم واكرمهم فكان ذلك حافزا لجشعهم واستغلالهم فعندئذ أمر بنهبهم وحبسهم في جميع أنحاء مملكته •

اما الملك هنري الثالث ١٢٣٠م فقد أصدر أمرا بأن يدفع اليهود الى الخزينة ثلث أموالهم • ثم نصحوا بترك الربا لتتحسن أحوالهم ويقضوا على كراهيتهم التي عمت البلاد ولكنهم لم يصغوا الى النصائح لانهم جبلوا على امتصاص أموال الناس بمختلف الطرق والوسائل وكان ذلك سببا لثورة الشعب عليهم سنة ١٢٩٠م حتى أخرجوا من انكلترا •

أما في المانيا فقد ثار الشعب عليهم بعد أن رأى تماديهم في استغلاله والاستيلاء على ثروته وأخذ يفتك بهم ، وظل ذلك مستمرا الى أن طردوا من البلاد بحيث لم يبق منهم أحد في المانيا •

ثم أذن لهم بالعودة الى البلاد ، الا أن الحكومة كانت تلغي ديونهم التي كانت على الشعب من طريق الربا والصيرفة •

ثم رأى النازيون أن اليهود قد أصبحوا يسيطرون على البلاد اقتصاديا وسياسيا وأنهم عيون لاعدائهم ، وأن المانيا لايمكن أن تنهض ما دام لليهود نفوذ في بلادها لذلك عملوا على تحديد تصرفاتهم ، وعندما رأوا أن اليهود الالمان ليسوا بمواطنين بل انهم عيون للاعداء أخذوا يضطهدونهم ويجلونهم عن البلاد •

أما في أسبانيا فقد كان اليهود يسيطرون على منافذ الثروة في البلاد ، وأصبحت أكثر أملاك الاسبانيين مرهونة عندهم ، وأخذ نفوذهم يتزايد ولما رأى الشعب أن اليهود سيقضون عليه وعلى عيشه ثار عليهم وأخذ في قتلهم وحرق الالوف منهم • ثم طرد من بقي منهم وذلك سنة ١٤٩٢م بعد أن استولى على ثرواتهم •

هذا جزء من تاريخهم المملوء بالجرائم والموبقات والاستعلاء في الارض •

حياة كلها جرائم واستهتار ، ومحاربة للقيم الانسانية ، لقد غرقوا في الاثم والخطيئة الى الاذقان ، وهذه هي جبلتهم منذ وجد اسرائيل الى يوم الناس •

هؤلاء هم اليهود في كل زمان ومكان ، وفي جميع الظروف والاحوال، يجحدون نعم الله ، ويكذبون عليه ويحرفون أوامره ووصاياه ، لايتقيدون بعهد ولا ميثاق ، ويشجعون كل حاقد وينشرون في الارض الفساد ، تعرت نفوسهم من معاني الشرف والكرامة ، ومن كل فضائل الانسان •

هؤلاء اليهود الذين أقسم الله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب •

وكلنا أمل بأن عذابهم الاخير سيكون على أيدينا ، وسيخزيهم الله مع مؤيدهم وسينصرنا عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين • ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) •

الناس أمام الفتن

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (الم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

بلفت القرآن الكريم في هذه الاية الاذهان المؤمنة الى أنهم لن يتركوا وما يعتقدون وما يدعون اليه دون أن يمحص الله دعواهم ، ودون أن يفتنهم بألوان من الاحداث ، وصنوف من المحن ، لينكشفوا عن صبر جميل ، أو عن جزع أليم . (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون).

ان الله تبارك وتعالى لم يضمن لاحد من عباده أن تجرى أموره في الحياة الدنيا حسبما يشتهي ويأمل من سعادة وطمأنينة وأمان ، لان حكمته تعالى اقتضت أن يكون الناس بين بسط وقبض ، وبين عطاء ومنع ، وبين غناء وفقر ، وبين صحة وسقم ، وبين اجتماع وافتراق ، وبين حرب وسلام، وغير ذلك من سنن الحياة ، تمحيصا للصابرين ، وتمييزا للمنافقين . (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين ونبلو أخباركم) .

ان الله تبارك وتعالى لايجزي الناس بالثواب والعقاب على ما يعلم عنهم، بل يجزيهم على ما يبدوا منهم . (ولله ما في السموات وما في الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) .

قد يبتلي المرء في نفسه بمرض أو ضيق ، وقد يبتلى في ماله بنقص أو عسر ، وقد يبتلي في أهله وولده ، وقد يبتلي في من يحيط به من عشراء وخلطاء .

وقد يفتن الناس في أخلاقهم ، حيث تقوم طائفة ممن تحللت فيهم

عناصر الفضيلة،وانهارت معنوياتهم ، لينفثوا في المجتمع سموم الاثم والدنس دون ابقاء على عرض ولا خلق ولا كرامة ، فيشيعون المجون والخلاعة ، والمضي بالتهتك الى أبعد مداه •

وهاهو بعض الشباب يخلع ثوب الطهر والرجولة ، كما أن بعض النساء تكشف عن مظاهر الفتنة والاغراء ، ويلعب الشيطان فيؤلف بين الاثم والخطيئة ، ليقذف الامة بالعار والتحلل ، فاذا لم تقم تجاه هذه الفتنة مناعة الامة وقوة تحصينها وصمود مقاومتها ، اذا لم تقم بذلك ساء الحال والمئال •

ولقد يفتن الناس في أوطانهم من داخلها وخارجها ، ويأخذ المجرمون في تحطيم كيان الامة ، وهدم دعائم وحدتها والفتها ، كما أنهم يوهنون مقاومة الاعداء ، لتنكشف الامة عن تخاذل واستسلام ولكي تعيش واهنة ضعيفة ، كل هذا كيلا تحطم قيود استغلالها ، وتبرز الى ميدان العزة والكرامة والعيش الرغيد ، رافعة الرأس ، ناصعة الجبين •

وكما يبتلى الافراد بالفتن والمصائب ، كذلك تبتلى بعض البلاد وسكانها بهما معا وقد خشى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته من تلك الفتن • ولقد روى عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت : استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ، وبل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ ووضع طرف السبابة في أصلها وضمها ـ أي ظهر لي قليل من الفتن التي تعم كل انسان •

لقد صدق رسول الله ، فقد صبت على هذه الامة جميع المصائب ، من هدم وتخريب وقتل ، وذاق أبناؤها ألوان العذاب وأنواع الفتن ، في جميع ظروف تاريخها •

ان كل دارس لتاريخ الفرق التي ظهرت للوجود استهدف أصحابها

هدم الاسلام ، وتشويه تعاليمه ، وتهديم العرب ، والصاق المثالب بهم ، لقد كانت من العناصر الحاقدة على العرب وعلى التعاليم التي حملها اليهم العرب عناصر الدخلاء حتى ان بعضها وضع أسس الشيوعية والاباحية والصقها بتعاليم الاسلام ، وجعلت بعض الفرق من صلب دعوتها الطعن بحملة رسالة الاسلام الاولى ، وأنه هو الطريق الموصل الى السعادة والنعيم .

وبنت بعض الفرق تعاليمها على الطعن بكل كيان للاسلام ، وبكل قائد حمل لواء الاسلام وبكل من يغار على الاسلام وأبنائه ، وهذا هو الدستور الذي سنه لهم عبدالله بن سبأ اليهودي .

وهكذا امتحن الاسلام بهزات عنيفة أدركته في كل عصر من حياته ، فقد نشأ بين قوم معتدين وترعرع في بيئة كانت تحاربه ، وتحرض على القضاء عليه ، ولم يكد يتم أمره ويقوى عوده ، حتى انتفضت الجزيرة كلها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أبا بكر الصديق مجدد الاسلام الثاني وقف في وجه هذه الفتنة يقلب الامر ، ويضع الخطط ويحشد الامة .

لقد خلع بعض الناس الثوب الذي ألبسهم اياه رسول الله متعللين بالتخلص من ضريبة الزكاة التي تحمل في زعمهم وصمة الذلة والاتاوة ، وكشف قوم اخرون القناع عن خاصة نفوسهم ، فظهر مسيلمة الكذاب في اليمامة ، وطليحة بن خويلد الاسدي ببزاخة ، والاسود العنسي بصنعاء اليمن ، كما أعلنت العصيان قضاعة وعمان وأهل مهرة وتهامة والبحرين وبنو سليم ومن معهم من هوازن ، واستمرت هذه الحركة حتى تشجع الجبان واجتراء الضعيف ، وعادت الجزيرة جاهلية كما كانت من قبل .

ولم يبق في ظل الاسلام سوى المدينة وبعض نواحيها ، وشعرت طائفة من المسلمين أن الزمام كاد يفلت من أيديهم ، وأنهم لا قبل لهم

بالجموع التي ارتدت أو اعلنت عصيانها ولكن القلة وعلى رأسها أبو بكر الصديق كانت تعتقد انها على الحق • ولابد للحق أن ينتصر ، فجندوا أنفسهم في سبيل الله ، واعطيت القيادة لسيف الاسلام خالد بن الوليد وبعض اخوانه من حماة الاسلام فزلزلوا اركان الكفر وصدعوا صفوف المرتدين ، ومازالوا بهم حتى رجعوا الى الاسلام ، وكتب النصر لهذا الاسلام •

لقد ابتليت الامة بأناس يتظاهرون بالقوة والثبات ، ويتحدثون عن الصبر والجهاد ، وذلك كله ماداموا في خير وسلامة وأمن وطمأنينة ، حتى اذا طرقت الاحداث أبوابهم ، أو أطلت عليهم فتنة من الفتن ، رأيتهم يتبدلون أشخاصا اخرين ، فتتبدل قوتهم ضعفا ، وثباتهم تزعزعا ، وصبرهم جزعا ، وجهادهم فرارا ، كالمعدن المغشوش تخرجه النار أسود محترقا : (ان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه) ، فقد تحول الى حقيقته ، كما أخبرنا بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء ، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ، فمنهم من يخرج كالذهب الابريز لاير بد ، ومنهم دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا •

فيا أيها المسلمون : عليكم بالرجوع الى الايمان والحرص على الاسلام لانكم حملته ورافعوا رايته وعليكم باتباع سنن أوائلكم وكيف استطاعوا التغلب على الفساد والمفسدين وبهذا وحده تصبح اسلحة عدوكم مفلولة ، وأياديه مغلولة ، وجموعه ذليلة ، ويكون الاسلام واضح الجبين ، مرفوع العماد ، لان الاسلام لايغلب ، وانما يغلب المسلمون المتخاذلون •

الايثار والاثرة

في نظر الاسلام

لقد أودع الله سبحانه وتعالى في قلوب بعض عباده حب الخير والتفاني في عمله لاسعاد مخلوقاته ، بصرف النظر عن أنسابهم وجنسياتهم ومنازلهم .

لقد خلق الله أناسا سباقين الى المكرمات ، تواقين الى الفضائل ، حريصين على عمل المعروف أولئك الذين ملئوا النفوس اجلالا ، والعيون جمالا ، والقلوب حباً وتقديراً .

ان الحياة جديرة أن تنتهز أوقاتها القصيرة ، ليس في جمع المال أو اقتناء الامتعة والعقارات ، بل يجب أن تنتهز لكريم الاحدوثة ، ونبيل الذكر .

ان تاريخ هذه الامة مملوء بالتضحيات ، وايثار الغير بالخير والصالحات لان نفوسها قد هذبها الاسلام ، فضلا عن جبلتها المفطورة على الكرم والاحسان .

لقد جعل الاسلام هذه الامة لا تشعر الا بما يحيط بها ، وكان ذلك سر عظمتها واتساع سلطانها واقبال الناس على اعتناق دينها والتخلق بأخلاقها .

لقد مدح الله تعالى في قرآنه تلك النفوس الطاهرة الخيرة ، وجعلها مثلا يحتذى في العطف والايثار : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن بوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وان سبب نزول هذه الاية كما رواه الامامان البخارى ومسلم : أن رجلا

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أصابني الجهد ، فأرسل الرسول الى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال صلى الله عليه وسلم : الا رجل يضيف هذا الرجل الليلة رحمه الله ؟ فقال أبو طلحة : أنا يارسول الله ، فذهب الى أهله وقال لامرأته : اكرمي ضيف رسول الله ، قالت والله ماعندي الا قوت الصبية ، قال : اذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالي فاطفىء السراج ونطوى الليلة لضيف رسول الله ، ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله ، فقال صلوات الله وسلامه عليه لاصحابه : لقد عجبت من فلان وفلانه ، فأنزل الله فيهما (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) •

لقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش هو وأهله على كسرات من الخبز والزيت مع أن الله تعالى قد أحل له خمس الغنائم ، فكان يوزعها على أصحابه لينعموا بالحياة ، ولقد قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليتين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم • وتحدث اليها عروة بن الزبير ابن أختها أسماء ذات النطاقين فقالت له : والله يا ابن أختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال لاثثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قال عروة فقلت لها : يا خالة ، فيم أذن عيشكم ؟ فقالت : يا ابن أختي كان معظم عيشنا بالاسودين التمر والماء •

ولقد قرر عليه الصلاة والسلام أن ما يتركه بعد وفاته لايرثه أحد ، بل يضم الى بيت مال المسلمين ، كما ضمت بيوت أزواجه بعد وفاتهن الى المسجد النبوي •

ولقد اقتدى بهذا النبي الكريم في الايثار والمواساة صحابته الكرام ، فكان يجود الواحد منهم بنفسه وماله وتالده وطريفه ، رغبة في رضوان الله ، وابتغاء رفع كلمة الحق ، وتلبية لنداء الوطن والدين •

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع رجله في جحر الحية ليلة الغار ، ويصبر على لسعاتها وآلامها خوفا من أن تصيب رسول الله ، وهاجر معه والاعداء تطاردهما لقتلهما ، ثم خرج عن جميع ماله للمسلمين .

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاد يموت جوعا عام الرمادة مع أنه يشبع في كل يوم آلاف الناس ، وكان يعرى ليلبس الناس ، ويجوع ليشبع الناس ، ويسهر لينام الناس ، ويتعب ليستريح الناس . وحدث رضي الله عنه انه قد أهدى له رأس شاة ، فقال ان أخي فلانا هو أحوج مني اليه ، ولما أرسله اليه ، ارسله ذلك الى أخ له ، فلم يزل كل واحد من الصحابة يبعث به الى الاخر حتى تداوله سبعة الى أن رجع الى الاول .

ولقد أبى الا اظهار الاسلام ، فجالد قريشا وناضلها ، وتحمل ما تحمل حتى أعلى صوت الاسلام وأرغم أنوف أعدائه . ولقد قال عبدالله بن مسعود : لقد رأيتنا ولم نستطع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا .

وهذا الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه أنفق جل ماله في سبيل الله وسد حاجة المسلمين وتحمل الجوع والعطش يوم الدار عندما ثار عليه الرعاع والموالي واليهود لايقاف الاندفاع بالاسلام واثارة الفتن واشغال العرب بأنفسهم ، وصبر رضوان الله عليه على القتل ولم يسمح لاحد من أقاربه أو عبيده أو اتباعه أن يسل سيفا ، أو يريق دما في سبيل نصرته .

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة فداء لحامل لواء الشريعة ، ونصرة لدين الله .

وهذا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يذب عن رسول الله يوم أحد ويترس عليه ، حتى وجد فيه نيف وسبعون جراحة وشلت من ذلك يده .

وهذا مثل نسوقه للعبرة والعظة : كان صلاح الدين الايوبي يعتبر نفسه وأسرته خزنة المسلمين وحراسا لاموالهم ، وهذا الايوبي الذي

استولى على خزائن الفاطميين ، ووضع يده على كنوز الصليبيين ، قد توفى ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا شيئاً ذا قيمة ، بل كل ما تركه سبعة وأربعون درهما •

وهذا السلطان عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية وصاحب الفتوحات العظيمة ، قد انحصرت تركته بعد وفاته في قفطان مطرز وعمامة ومناطق من نسيج القطن ، لانه كان يؤثر الرعية بما تقع عليه يده •

وهذا الجراح بن عبدالله الحكمي تولى قيادة الجيوش الاسلامية وامارة المدن الكبرى مدة عشرين سنة ، ولما استدعاه عمر بن عبدالعزيز من خراسان التي كان يتولى اماراتها ، صعد المنبر وخطب الناس ، ومما قاله : يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي علي وعلى فرسي ، لم أصب من مالكم الا حلية سيفي ، ثم استدان من أحد معارفه بما يوصله الى الشام ، لانه لايملك نفقة الطريق •

ففي هؤلاء وأمثالهم ممن يطول سرد أسمائهم قامت الدعوة الاسلامية، وانتشرت في مدة يسيرة حتى عمت الدنيا ، وكان كلما حل ركاب هؤلاء في بلد من البلاد ورأى أهلها ما عليه هؤلاء المجاهدون من انكار الذات ، وتفان في عمل الصالحات ، اكبروا تلك النفوس ، وما يلبث غير المؤمن منهم أن يدخل في دين الله طائعاً مختاراً ، مغتبطاً مسروراً •

لقد أنجز الله تبارك وتعالى لهذه الصفوة المختارة من عباده ما وعدهم من الخلافة في الأرض والنصر على الاعداء وقد رفعوا للدولة الاسلامية منارا عاليا • وبقي يشع نورهم على العالم قرونا متطاولة ، وما ذلك الا لتحليهم بالايثار وتقديم خدمة المجتمع على خدمة أنفسهم لعلمهم بان الاثرة وحب الذات تجر وراءها آفات اجتماعية خطيرة ، كالحسد والحقد والجشع وغيرها من الآفات المدمرة للمجتمعات •

ان عبر التاريخ لم تؤثر في أصحاب الاثرة الذين يظنون بأنهم في مأمن من تقلباتها ومئاسيها ، أو كان حفنة من ذوي المطامع والاهواء ، ومن الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ، يظنون أنهم في حمى من سخط الله ولعنة الاجيـــال •

ثم انظروا الى اثار الاثرة والطائفية الحاقدة والشعوبية المنحطة وكيف انها قضت على كيان أمة بأسرها ، واحالت عزها الى ذل ، وسعادتها الى شقاء وعناء ، وتراثها الى هباء •

فهذا نصير الدين الطوسي مع عدو الله محمد بن أحمد بن العلقمـي القمي وزير المستعصم العباسي يشاركهما عبدالحميد بن أبي الحديد شارح نهـج البلاغة ، كيف ان هؤلاء حملهم حقدهـم وشعوبيتهـم علـى تحريض هولاكو الوثني على اقتحام بغداد للقضاء على الخلافة الاسلامية التي كان يرأسها عربي ، ولاستئصال شافة الاسلام الصحيح من العراق • ولقد استمر القتل والنهب والسبى في أهل بغداد أربعين يوما ، وأحصى من قتل من أبنائها فبلغ ألف ألف وثمانمائة الف ، والذى لم يحصوه أضعـــاف أضعاف ذلك •

ولقد وصف مؤرخ هؤلاء الشعوبيين الميرزا محمد باقر الخونسارى في كتابه (روضات الجنات) وصف هذا عمل نصير الدين الطوسى الاجرامي بانه قطع دابر سلسلة البغي والفساد ، واخماد نائرة الجـور والالباس ، بابادة ملك بني العباس ، وايقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام ، الى أن أسال من دمائهم الاقذار كأمثال الانهار ، فأنهار بها ماء دجلة ومنها الى نار جهنم دار البوار •

فيعد هذا الشعوبي الحاقد على الدولة العربية مجيء الطوسى للسفاح هولاكو اصلاحا للبلاد ، ويفخر لسفكه دماء المسلمين ، وهذا ديدنهم في

ظروف التاريخ كلها ، ويترقبون الفرص لقتل المسلمين ، كما فعل شاه اسماعيل الصفوي وشاه عباس عندما احتلا بغداد . لاطفاء نور الله .

ان الاثرة لاتدع لربها نوعا من الراحة ، أو اثارة من القناعة ، وانها لتغرى الاخ بقتل أخيه ، والاب بقتل أبنه ، والابن بقتل أبيه ، ولقد أفاض التاريخ بنماذج من تلك النفوس الساذجة . لقد حدثنا التاريخ أن المأمون قتل أخاه الامين في سبيل الملك والسلطان ، وأن محمد المنتصر قتل أباه المتوكل كي يستولي على الولاية بعده، وفي التاريخ القديم والحديث نماذج من هذه الاثرة امتلأت بها صفحات الكتب ، وفيها العبرة والعظة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

جعل الله التضحية شعارنا ، والايثار دثارنا ، وحب الخير مبتغانا ، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ، انه سميع مجيب .

القيم الروحية تسعد النفوس

ان القيم الروحية اذا سيطرت على النفس جعلتها في سعادة يصغر في جانبها كل شيء ، بل يتلاشى في جانبها كل نعيم ويقبل على حظه الدنيوي بنفس سعدت بسواه ، زاهدة فيه غير مشغوفة به .

لقد خلق الله تبارك وتعالى أناسا جبلت نفوسهم على حب الخير ، والاستعداد لمختلف الخدمات ، وان الامة التي يكثر فيها هذا اللون من البشر لابد أن ترقى بالانسانية الى أكرم قيمها ، لانه هو المثل الاعلى الذي أراده الله .

لقد من الله تبارك وتعالى على هذه الامة بجمهرة من هذا الطراز المثالي الذي طوف بالاسلام في الآفاق ، وأقبل الناس على اعتناقه طائعين بعد أن رأوا سمو أخلاق دعاته وحاملي لوائه .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هيأه الله تعالى لهذه الامة ، وجعله مثلا عاليا في رجولته وحكومته ، في عدالته ومرؤته ، في ثباته وانسانيته يقول عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب وعلى عاتقه قربة ماء ، فقلت يا أمير المؤمنين انه لا ينبغي لمثلك هذا ، فقال عمر : انه لما أتتني الوفود سامعة مطيعة مهادنة ، دخلت نفسي نخوة ، فأحببت أن أكسرها ، ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الانصار فأفرغها في انائها .

ولما رجع رضي الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبار الرعية ، فمر بعجوز في خباها فقصدها ، فقالت العجوز : ياهذا ما فعل عمر ؟ قال : هو ذا أقبل من الشام ، قالت : لا جزاه الله عني خيرا ، قال لها عمر : ويحك ، وما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع ؟ فقالت العجوز : سبحان الله ، ماظننت أن أحدا يلي على الناس ولا يدري ما بين

مغربها ومشرقها ، فانفجر عمر بالبكاء وهو يقول : واعمراه ، واخصوماه ، ثم قال لها : بكم تبيعيني ظلامتك منه ، فأني أرحمه من النار ، فقالت له العجوز : لاتهزأ بنا يرحمك الله ، فقال لها عمر : ليس بهزء ، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا ، وبينما هو كذلك اذ أقبل علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت : وأسوأتاه ، شتمت أمير المؤمنين في وجهه ، فقال لها عمر : لا عليك يرحمك الله ، ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيه ، فلم يجد ، فقطع قطعة من فروة كان يلبسها وكتب : باسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الى يوما بخمسة وعشرين دينارا ، فما تدعي عند وقوفي في الحشر بين يدي الله تعالى ، فعمر منه بريء ، وشهد على ذلك علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود ، ثم دفع الكتاب الى علي وقال : اذا أنا تقدمتك فاجعلها في كفني •

وقد كان عمر ينفق على سكان مدينة رسول الله وحدها كما ذكره المؤرخون ثلاثين مليونا من الدراهم في كل عام • هذا بعض ما عمله عمر لاسعاد الامة التي يتولى رعايتها • وهل يوجد مثله في قواميس القوانين والمبادىء الوافدة •

ثم انظروا الى أعمال عمر مع أهله وأقاربه • روى أنه بينما كان يمشي في سكة من سكك المدينة ومعه جماعة من أصحابه اذا هو بصبية تطيش هزالا ، تقوم مرة وتقع أخرى ، فقال عمر : يا حوبتها يا بؤسها ، من يعرف هذه منكم ؟ فقال له ابنه عبدالله ، أما تعرفها يا أمير المؤمنين قال : لا ، قال عبدالله ، هذه احدى بناتك ، قال عمر : وأي بناتي هذه ؟ قال : هذه فلانة بنت عبدالله بن عمر ، قال عمر : ويحك ما صبرها الى ما أرى ؟ فقال : منعك ماعندك ، قال عمر : ومنعي ما عندى منعك أن تطلب لبناتك ما يطلب الناس لبناتهم ، انك والله مالك عندي غير سهمك في المسلمين وسعك أو

أعجزك ، هذا كتاب الله بيني وبينكم .

وكان خازن بيت مال المسلمين لعمر بن الخطاب معيقيب بن حسنة وقد كسح يوما بيت المال فوجد فيه درهما ، فدفعه الى ابن لعمر ، قال معيقيب . ثم انصرفت الى بيتي ، فاذا رسول عمر قد جاء يدعوني ، فجئت فاذا الدرهم في يده ، فقال : ويحك ما معيقيب أوجدت علي في نفسك سببا ؟ أو مالي ومالك ؟ فقلت : ماذاك ؟ قال : أردت أن تخاصمني أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة ثم دفع الدرهم الي .

وهذا عمر بن عبدالعزيز الخليفة الاموي يصدر أوامر لولاته وأمرائه يقول لهم فيها : ان أفضوا عن الغارمين ـ أي عن المدينين ديونهم ـ .فكتب اليه أحد عماله في العراق : انا نجد الرجل له المسكن وله الخدم وله الفرس وله الاثاث في بيته وهو بعد ذلك مدين .

فكتب اليه عمر : لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى اليه رأسه، وخادم يكفيه مؤنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، وأثاث في بيته ، ومع ذلك فهو غارم فاقضوا عنه ما عليه من الدين .

ولقد دخلت على عمر يوما زوجته فاطمة بنت عبدالملك فرأته جالسا في مصلاه واضعا خده على يديه ودموعه تسيل على خده ، فقالت له : مابالك؟ فقال لها : ويحك يا فاطمة قد وليت من أمر هذه الامة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، واليتيم المكسور ، والارملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب والاسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الارض وأطراف البلاد فعلمت ان ربي عزوجل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وان خصمي محمد صلى الله عليه وسلم فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فبكيت .

وان أول ما عمله عندما تولى الخلافة أن مزق جميع سجلات ما ورثه من أملاك وقدمها لبيت مال المسلمين ، فقال له مزاحم : يا أمير المؤمنين هـــل تدري كم ولدك ، فقال له عمر : أكلهم الى الله • ومن خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله •

هؤلاء هم الذين صقلهم الاسلام ، وجعل منهم أئمة يهدون الى الحق وبه يعدلون •

النفاق وضرره على المجتمع

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (لئن لم ينتـــه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينـة لنغرينك بهــم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا • ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) •

عندما ظهر الاسلام وانتشرت دعوته ، وذاع صيته ، وأقبل النـــاس للانضواء تحت لوائه انبرى جماعات كثيرة لمقاومته ومناهضته والقضاء عليه وعلى أتباعه ومناصريه ، واشاعة الفوضى في صفوف أبنائه • وكان من أشد هؤلاء خبثاً وتضليلا وحقداً وحسداً اليهود ومن على شاكلتهم ممن يتظاهرون بالاسلام ، ويبطنون الكيد والضلال ، كانوا يعملون جاهدين لبث الشك في نفوس الناس ، واشاعة الفوضى في المجتمع الاسلامي •

وان من أشد ما ابتليت به المجتمعات هو وجود أناس يتلونون تلـون الحرباء ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم الحق والفضيلة والاخلاق الكريمه والرجولة والعزة والدين ، يجهدون لاشاعة الفاحشة والفوضى وايـــذاء خلق الله وتلفيق التهم بالابرياء الآمنين •

لقد دأب هؤلاء على الاستهزاء بآيات الله ، وقد حذر القرآن الكريم المؤمنين من مجالستهم ، والاقبال على حديثهم ، لانهم لا يخوضون الا بمنكر القول وسقطه •

لقد ذكر الله تعالى بعض صفات هؤلاء المنافقين ، فهم يخادعون الله في اظهار الايمان وابطال الضلال ، والتظاهر بالاعمال الصالحة مع الانطـواء على الخبث والدهاء •

وان من أظهر صفاتهم وأخص خصائصهم الرياء ، فاذا صلوا فليس

تقربا الى الله وانما ليقال عنهم انهم صالحون ، واذا تصدقوا فليس حبا في الله ، ولكن ليقال انهم كرام أجواد ، واذا علموا الناس أو أرشدوهم أو نهوهم فليس ذلك امتثالا لامر الله وانما لطلب الشهرة والجاه .

ومن أخص صفاتهم الانتهازية ، ويقوم نشاطهم على استغلال كل حادث يحدث في المجتمع ، والتربص للفرص ، ومحاولة الانتفاع بكل ما يسنح منها .

كما أنهم مذبذبون بين الحق والباطل ، وهم مع كل من حضر ، وكل من غلب ، هم نهازون للفرص ، جبناء ، لايتمسكون برأي ، ولايستطيعون تكوين شخصية مستقلة لانفسهم .

لقد ابتلى المسلمون بهؤلاء المنافقين منذ فجر الاسلام ، وكانوا ينشرون الشكوك في أفعال وأقوال المسلمين ، ليقللوا من مكانتهم ، ويبعدوا الناس عن اتباعهم والاهتداء بهديهم .

من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل عبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة ليبشر أهل المدينة بانتصار المسلمين في موقعة بدر ، وأركب زيد بن حارثة ناقته القصواء ، فلما رآهما كعب بن الاشرف اليهودي أخذ في تكذيبهما وبدأ يقول : ان كان محمد قتل هؤلاء فبطن الارض خير من ظهرها ، وقال لابي لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقا لايجتمعون معه أبدا ، وقد قتل محمد وغالب أصحابه ، وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب . قال أسامة بن زيد فبلغني ذلك ، فجئت حتى خلوت بأبي - يعني زيد بن حارثة - وسألته عما يقول الرجل - أي كعب بن الاشرف - فقال زيد : أي والله انه لحق ما أقول يا بني ، فقوى نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت له : أنت المرجف برسول الله ، لنقدمنك الى

رسول الله اذا قدم فليضرب عنقك ، فقال : انما هو شيء سمعته من الناس يقولونـــه •

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد وسمعوا بارجاف المنافقين الذين كانوا يشيعون الخوف والرعب في نفوس المؤمنين اجتمعوا حول رسول الله ، فقال بعضهم له : أقتلهم لأنهم فتنة وعارض بعضهم ذلك ، فنزل قول الله تبـارك وتعالى (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) •

وعندما وقعت غزوة تبوك ألف المنافقون فرقة منهم همها تثبيط همـم الناس عن الجهاد ، وكانوا يجتمعون في بيت يهودي يدعى سويلم ، وكانوا يقولون : أتحسبون جلاد بني الاصفر - ويعنون الروم - كقتال العـــرب بعضهم بعضا ، وكانوا يقولون للمسلمين : والله لكأنكم غدا مقرنون فــــي الجبال • ونشروا ذلك في أنحاء المدينة ، وبلغ رسول الله خبرهم ، فقـال لعمار بن ياسر أدرك القوم فانهم قد احترقوا ، فسلهم عما يقولون ، فـــان انكروا فقل لهم بلى قلتم كذا وكذا ، فأتوا رسول الله يعتذرون اليه ، وبعث طلحة بن عبيدالله الى دار سويلم اليهودي ليحرقه على المجتمعين فيه ، الا انهم أفلتوا ونجوا بأنفسهم •

واليكم قصة تدلكم على مقدار هؤلاء المنافقين ودرجة حمقهم • لقـــد تنازع أحد المنافقين ويدعى بشراً أحد اليهود ، فطلب اليهودي أن يكـــون الحكم بينهم رسول الله ، ولم يرض المنافق بذلك بل أراد كعب بن الاشرف اليهودي ، لكن اليهودي أصر على قوله ، فذهبا الى رسول الله فحكم لليهودي على المنافق الذي كان يتظاهر بالاسلام ، فلم يرض المنافق بهذا الحكم وقال لا أرضى ، وانطلق بنا الى أبي بكر ، فحكم أبو بكر لليهودي ، لكن المنافق لم يعجبه هذا الحكم فطلب من خصمه الذهاب الى عمر بن الخطاب ليكون الحكم بينهما فذهبا الى عمر ، وبادره اليهودي بما حكم به رسول الله وأبو

بكر وأنهما حكما له على خصمه الذي لم يرض بحكمهما ، فقال عمر للمنافق : هكذا ، فقال المنافق : نعم ، قال عمر : أصبرا ان لي حاجة أدخل فأقضيها وأخرج اليكما ، فدخل عمر وأخذ سيفه ثم خرج اليهما فضرب به المنافق فقتله ، وهرب اليهودي ، فجاء أهل المنافق فشكوا عمر الى رسول الله وطلبوا دية القتيل ، فسأل رسول الله عمر عن قصته ، فأخبره بها ، فعندئذ قال رسول الله لعمر : أنت الفاروق ، ونزل في ذلك قول الله : (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا • وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا • الى قوله : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) •

لقد ابتليت هذه البلاد منذ فجر تاريخها الاسلامي بهذا اللون من الناس ، منذ ركز الشعوبيون أقدامهم فيها ، ولقد قاست هذه البلاد هزات وهزات على يد هؤلاء المنافقين ، فهم يمالئون الضلال ، ويزكون أنعال المخربين والجهال ، لان لهم سطوة وقوة ، وفيهم نزوة ونبوة •

ان ما عاناه العراق وما يعانيه من خلاف لاينتهي ، ونزاع لا ينقطع ، واضطراب نفسي ، ليس الا بعض سيئات النفاق الاجتماعي الذي أصبح خلقا ملازما لبعض النفوس لاينفك عنها • لقد غدا هؤلاء يتفننون في اشاعه الافتراءات للايقاع بالناس ، ونشر الفوضى والاضطراب ، وقد صار بعض هؤلاء يتقلبون في المجالس يخوضون في الباطل ، ويترددون على شتى المحافل ، يحملون الفاظا قد حبروها ، يموهون بها على السامعين ، ويدسون في ثناياها سمومهم وحقدهم وشكوكهم ، لنشر الفوضى ، وارباك الامن ، والبلبلة في الاسواق •

ومن المعلوم أن معظم هؤلاء المفسدين منذ فجر تاريخ هذه البلاد والى الان هم الدخلاء على البلاد ، الذين سلبوا خيراتها واستأثروا بمصالحها ، أو ممن استأجرهم أعداء البلاد ، أو من أصحاب المصالح الذين يريدون أن يسرحوا ويمرحوا بدون رقيب أو عتيد .

ان الواجب يحتم على كل فرد أن يعري هؤلاء المجرمين الذين لا يروق لهم أمن البلاد واستقرارها ، لان منافعهم مرتبطة بعدم الاستقرار .

فحذار حذار من المنافقين المرجفين وقالة السوء ، فهم رسل أعدائكم يريدون الشر بكم وبلادكم ، هم عملاء مأجورون ، قاتلهم الله أنا يؤفكون .

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) .

العمل في نظر الاسلام

لقد جعل الاسلام للناس في هذه الدنيا نصيبا يجب أخذه ، وأن يجعلوا من كل خير ينالونه ثواب الاخرة : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) ولن يفوز المرء في الاخرة الا اذا قام بما فرضه الله عليه من خدمة دينه وامته .

لقد وضع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نظاما للعمل يتفق مع مطالب الحياة ، ولا يجحف بحقوق الله ولا بحقوق العباد فقال : ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، وانما خيركم من عمل لدنياه واخرته .. وقال صلوات الله وسلامه عليه : من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر .

لقد نوه الاسلام بالعمل وببعض الصناعات العامة وجليل فضلها ومنها صناعة الحديد وكيف انه تعالى من بها على نبيه داود فقال (وألنا له الحديد أن أعمل سابغات وقدر في السرد .. وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم) .

ثم يقول تعالى منوها بالحديد وصناعته (وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس) وقوله (آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا) .

كما نوه تعالى بالنحاس ومنافعه (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) وقوله (وأسلنا له عين القطر) .

وقد نوه تبارك وتعالى ببقية الصناعات حيث يقول (واصنع الفلك

بأعيننا ووحينا •• وحملناه على ذات ألواح ودسر •• وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) وقوله تعالى : (ويوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا •• وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) •

لقد جاءت دعوة الرسول الكريم الى العمل تفصيلا لاجمال القرآن المجيد ، من ذلك أنه كان جالسا مع أصحابه ذات يوم ، فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله •

ولقد جاء رجل عامل الى رسول الله فقال له : يارسول الله ، ما تقول في حرفتي ؟ قال : وما حرفتك ؟ قال : حائك ، فقال له رسول الله : حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام • وكان أول من نسج ، وكان جبريل يعلمه •

ان الاسلام قد جعل العمل لاكتساب الرزق فرض عين ، وكذا للانفاق على العيال لقول رسول الله : كفى بالمرء أثما أن يضيع من يقوت •• رحم الله امرءا اكتسب طيبا •

كما ان الاسلام قد فرض العمل في الصناعات التي يحتاجها المجتمع ، كما أن للحاكم اجبار الناس على الاعمال التي تحتاجها الامة •

ولقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : اني لارى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة ؟ فان قالوا لا ، سقط في عيني •• ويقول رضوان الله عليه: اني لاكره أن أرى أحدكم سهلا بروح ويغدو في غير شيء ، ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يعلم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة •• ويقول : اذا غضب الله على قوم منعهم العمل ومنحهم الجدل • ولقد رأى

رضي الله عنه زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك ، وأكرم لك عليهم •

لم يخلق الله تبارك وتعالى الانسان الا ليعمل ، وجعل العمل والتكسب هو الاصل ، وحض عليه بجميع الوسائل ، فقال رسول الله : طلب الحلال فريضة على كل مسلم •• وعندما مس يد رجل ورأى فيها خشونه قال : هذه يد لاتمسها النار •

وان الخلود الى الراحة وترك السعي هما السبب المباشر في التأخر والانحطاط • جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله شيئا من المال وهو قوي معافى ، فقال له رسول الله : أما في بيتك شيء، قال بلى ، حلس (كساء غليظ) نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، قال : أئتني بهما ، فأخذهما رسول الله بيده وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا اخذهما بدرهم ، قال رسول الله : من يزيد على درهم قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه وأخذ الدرهمين واعطاهما الانصاري وقال : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك ، واشتر بالاخر قد وما فائتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال رسول الله : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة •

لقد أمر الله تعالى بالعمل عقب العبادة لئلا يتطرق الى نفوسنا الكسل فقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) •

قال شعيب بن حرب لسفيان الثوري : ما تقول في رجل قصار اذا اكتسب الدرهم كان في الدرهم ما يقوته ويقوت عياله لم يدرك الصلاة

جماعة ، واذا اكتسب أربعة دوانيق أدرك الصلاة في الجماعة ، ولم يكن في الاربعة دوانيق ما يقوته ويقوت عياله ، فأيهما أفضل ؟ قال بكسب الدرهم ويصلي وحده أفضل •

لقد أنصف الاسلام المجتمع بالزامه الدولة لايجاد العمل لمن لايجده ، وأن تحمي من يعجز عنه ، وأوجب على من يعسر عليهم الكسب في محل أن يهاجروا الى حيث تسهل لهم المعيشة •

لقد وضع على العامل واجبات والتزامات يقضيها العمل ، فعليه أن يقوم بعمله بكل قوة وجد واخلاص ، ولقد مجد الاسلام العامل القوي الامين في أداء عمله دون مماطلة أو مخاتلة أو كسل (ان خير من استأجرت القوى الامين) وقال سيدنا رسول الله (وان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه ، كما يجب على العامل تجنب الغش والخديعة في عمله (من غشنا فليس منا) اذ كل ما يضر صاحب العمل بفعل العامل هو خيانة عقوبتها التعزير وضمان الضرر اذا كان بتقصير منه •

وان العامل أجير ، وقد نص الفقهاء على أن الاجارة بيع ، والبيع لا يصح الا بالقدر المتفق عليه ، والعامل لايستحق الاجرة الا بعد قيامه بالعمل بمقدار المدة المتفق عليها •

وعندئذ يستوفي العامل أجره كاملا • وقد جاء في الحديث : أعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه •• وفي الحديث القدسي : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه أجره •

كما أن على صاحب العمل الانتفاع بعمل العامل ، وليس له أن يتعدى الاوقات المتعارف على العمل فيها والا يشق عليه ، وقد جاء في قصة موسى

مع شعيب (على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك) .

فللعامل حقوق ولصاحب العمل حقوق وللعمل حقوق ، يجب مراعاتها اذا أريد الاصلاح والعمل الصالح .

(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

أمراضنا الخلقية

لقد شهدت التجارب ، وصدق الحس ، أن الاخلاق في الامم هي أساس مجدها ، وعنوان فخارها ، وآية تقدمها وارتقائها ، وأن الامة التي تطلب المجد ، وتنشد السعادة من غير طريق الاخلاق أمة خاطئة هازلة ، جديرة بالذلة والمسكنة والفناء .

لقد شهدت التجارب ، وصدق الحس ، أن حاجة الامم الى الاخلاق أشد من حاجتها الى المال والرجال ، لانها بالاخلاق تدير أمرهما وتجعلهما ركيزة عزتها وعظمتها ، ومن غير الاخلاق ينقلبان معولي هدم وتخريب ، ونذيري شؤم وشقاء .

ان تهذيب النفوس هو تخليتها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل ، ومتي صلحت القلوب وبرأت من الامراض ، صلحت الجوارح وسلمت من الاعوجاج .

ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

والقلب كالارض ، والاعضاء كالنبات ، فان كانت الارض نقية كان نباتها جيدا ، وان كانت سبخة كان نباتها رديئا : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الا نكدا) .

والقلوب كالجسم اذا عرضت لها الامراض والعلل ، أضعفت نورها ، وأطفأت ضياءها وأفقدت حياءها : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ، ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه ، فان تاب واستغفر صقل قلبه ، وان

لم يتب زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه •

ان العلم اذا لم تقم عليه كفالة من الاخلاق الفاضلة تضمن للناس الانتفاع به ذهبت فائدته وأصبح معولا للشر أكثر منه الى الخير •

ان جميع القوى التي وهبها الله تعالى لعباده كالمال والعلم والجاه والشجاعة اذا لم يأخذ بزمامها قائد من الاخلاق الفاضلة كانت وبالا وشقاء •

لقد أراد الله تعالى أن يجعل من المسلم في ذاته مثالا صالحا في حركاته وسكناته ، فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ، ولايقع منه مايخل بالمروءة والفضيلة ، ولقد ورد عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قل : وصاني ربي بتسع أوصيكم بها ، أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغني والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا •

انها لتسع خصال جمعت آداب الاسلام ، ففي كل كلمة منها معان سامية يسعد من يتحلى بها دنيا وأخرى •

يريد الاسلام أن يجعل من المسلم المثل الكامل والقدوة الصالحه لمن ينشد الحياة السعيدة والمجتمع الفاضل •

ان أول ما أراد الاسلام من أتباعه أن يلقى كل منهم الناس بالبشاشه والبشر ، وأن يبتديء من يعرف ومن لا يعرف بالتحية والسلام ، وأن يكون صادقاً في معاملته ، أمينا في مخادنته ، كريما في معاشرته ، ان عاهد وفى ، وان تاجر أوفى ، وان ولي عدل ، وان سئل بذل ، شعاره الفضل لايتبدل به لباسا ، وزينته النبل يسمو به احساسا ، يحب الخير للخير ، يتقي الله في سره وعلنه ، وفي سروره وحزنه ، وفي شدته ورضائه • يعفو عن المذنب ، ويصفح عن المسيء • كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه

جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع في أبي بكر وهو ساكت ورسول الله يبتسم ، ولما رد أبو بكر بعض الـذي قال ، غضب رسول الله ثم قام ، فلحقه أبو بكر فقال : شتمني وأنت تبتسم ، ثـم لاقعد في مقعد فيـه الشـيطان ، يا أبا بكر ثلاثـة حق ، ان ليس عبد يُظلم حين كنت ساكتا كان ملك يرد عليه ، فلما تكلمت وقع الشيطان ولم أكـن لاقعد في مقعد فيه الشيطان ، يا أبا بكر ثلاثة حق ، أن لبس عبد يُظلـم بمظلمة فيعفو عنها الا أعزه الله ونصره ، وليس عبد يفتح باب مسألة يريد كثرة الازاده الله قلة ، وليس عبد يفتـح باب عطية أو صلـة الازاده الله بها كثرة •

وقال الفضيل بن عياض : احتمل لاخيك الى سبعين زلة ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لان الاخ الذي أحببته في الله ليس يزل سبعين زلة •

ليصغ المسلم الى هذا الأدب الحسن والخلق الجميل الـذي جاء في كتاب الله تعالى حكاية عن لقمان يوصي ابنه : (يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور • ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لايحب كـل مختال فخور • واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصـوات لصوت الحمير) •

ولقد أراد ملك الروم أن يتعرف شخصية خليفة المسلمين وأميرهم وهو عمر بن الخطاب ويتبين العوامل التي جعلت حفنة من العرب تدوخ الممالك وتبسط سلطانها على الامبراطوريتين العظيمتين فارس والروم فبعث رسولا من قبله ، فتلمس الرسول طريقه الى عمر ، واذ سأل الناس عنـه أشاروا الى رجل نائم الى جنب جدار وهو يتوسد عصاه ، فعندئذ قـال الرسول : عدلت فأمنت فنمت يا عمر •

وروى الحاكم أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام ومعه أبو عبيدة عامر بن الجراح ، فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له ، فنزل وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض في الماء ، فقال له أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا ، وما يسرني أن أهل البلد استشرفوك ــ يريد الروم ــ ، فقال عمر : أوه لو قال هذا غيرك يا أبا عبيدة لجعلته نكالا لامه محمد ، انا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله •

ان الاخلاق الاسلامية هي المحور الذي يدور عليه الكمال النفسي ، وهي الدعامة الثابتة التي يرتكز عليها كل سؤدد وفخار •

ان الاسلام لم يعتن بشيء أكثر من اعتنائه بالخلق وتحسينه وتجويده • جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ قال : حسن الخلق ، ثم أتاه من قبل يمينه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ قال : حسن الخلق ، ثم أتاه من قبل شماله فقال : ما الدين ؟ قال : حسن الخلق ، ثم أتاه من ورائه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فالتفت اليه وقال : أما تفقه هو الا تغضب •

اللهم انا نسألك حسن الخلق ، وسداد الرأي ، واخلاص العمل ، وتوفيقا الى طريقك المستقيم •

خير الزاد التقوى

ان الله تبارك وتعالى قد خلق الخلق وهو غني عن طاعتهم ، لاتنفعه طاعتهم ، ولا تضره معصيتهم ، بل ذلك لايتعداهم •

ولكن الله تبارك وتعالى قد رغب في عمل الصالحات ، وحذر من ارتكاب المنكرات ، لينال الانسان سعادة الدارين ، ونيل الحسنيين •

ومن أولئك المتقون الذين هم أهل الفضائل ، الذين يبتعدون عن فضول العقول وسقطه ، ويتقون مواطن الشبه والتهم ، هم الذين أرادتهم الدنيا ولكنهم لم يريدوها ، وانفلتوا من أسرها وأسارها •

أن من يتقي الله يعيش عيشة بعيدة عن المكاره ، ان نام نام آمنا ، وان استيقظ استيقظ مطمئنا ، وان مشى مشى معه الزمان ، وان عمل ساعدته وأعانته الأيام : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) •

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الى ولده عبدالله في غيبة غابها : أما بعد فان من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكره زاده ، ومن أقرضه جزاه فاجعل التقوى جلاء بصرك ، وعماد ظهرك ، فانه لا عمل لمن لانية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خلق له •

التقوى هي النور الذي يضيء لاهلها الطريق ، ويعبد أمامهم المسالك ، ويهديهم الى سواء السبيل هم الذين يعطون من حرمهم ويصلون من قطعهم ، ويعفون عمن ظلمهم : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) •

لقد كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام ، فقال الرجل لعمر : اتق الله ، فقال رجل ممن كان حاضرا : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله . فقال عمر : دعه ليقلها لي ، نعم ما قال ، لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها . وقال يزيد بن كميت سمعت رجلا يقول لأبي حنيفة : اتق الله، فانتفض ابو حنيفة واصفر واطرق وقال : جزاك الله خيرا ، ما أحوج الناس كل وقت الى من يقول لهم مثل هذا . وذكر الامام زفر بن الهذيل تلميذ الامام أبي حنيفة : جالست أبا حنيفة أكثر من عشرين سنة ، فلم أر أحداً أنصح وأشفق للناس منه ، وانه كان يبذل نفسه لله تعالى ، أما عامة النهار فانه كان مشغولا بالمسائل وحلها وتعليمها وما يعرض عليه من النوازل وجوابها ، فاذا قام من المجلس عاد مريضاً ، أو شيع جنازة ، أو واسى فقيراً ، أو واصل أخاه ، أو سعى في حاجة ، فاذا كان الليل خلا للتلاوة والعبادة والصلاة فكان هذا سبيله حتى توفي .

ففي التقوى نجاة من كل كرب ، وفرج من كل ضيق ، ويسر من كل عسر : (ومن يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

لقد جاء في الآثار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة المنورة ، وفجأة نادى : ياسارية بن حصن الجبل الجبل ، من استرعى الذئب ظلم ، فالتفت الناس بعضهم الى بعض ولم يفهموا مراده ، فلما قضى عمر صلاته قال له علي رضي الله عنه : ما هذا الذي قلته ؟ قال عمر : سمعته ، قال : نعم أنا وكل من في المسجد ، قال عمر : وقع في خلدي أن المشركين هزموا اخواننا وركبوا اكتافهم وأنهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وان جاوزوه هلكوا ، فخرج مني هذا الكلام ، فجاء البشير بعد شهر وذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر يقول : ياسارية بن حصن الجبل الجبل . فعدلنا اليه ففتح الله علينا .

وجاء في التاريخ : أن عقبة بن نافع لما أراد أن يختط مدينة القيروان واختار موضعها قال له أصحابه وكان فيهم خمسة عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : انك أمرتنا بالبناء في شعاب وغياض لاترام ونحن نخاف من السباع وغير ذلك من دواب الارض فمضى عقبة حتى وقف على الوادي الذي كانت تسكنه السباع وبقية الحيوانات ، فنادى : أيتها السباع ارحلوا ، فانا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر الناس الى السباع تخرج اليهم من الغابة تحمل أشبالها ، والى الذئب يحمل أجراوه ، والى الحية تحمل أولادها سمعاً وطاعة ، ثم نادى عقبة في الناس كفوا عنهم حتى يرتحلوا . فلما خرج ما بها من الوحش والهوام ، أمرهم أن يقتطعوا ويختطوا وأسس دار الامارة .

وذكر المؤرخون : أن أبا الحسن بنان بن محمد المعروف بالحمال قد انكر يوما على ابن طولون شيئا من المنكرات ، فأمر به ابن طولون فالقى بين يدي الأسد الذي كان في حدائقه ليقضي عليه ويعدمه الحياة ، ولكن الأسد أقبل على بنان يشمه ويحجم عنه ، فأخذ ابن طولون العجب ، وأمر برفعه من بين يدي الأسد ، وأقبل يعظمه ويوقره ويعتذر اليه . وقد قيل لبنان عندما أخرج من بين يدي الأسد : ما الذي كان في قلبك حين شمك الأسد ؟ قال كنت أتفكر في اختلاف الناس في سؤر السباع ولعابها هل هو طاهر أم نجس ؟.

فهذه هي ثمرة التقوى ، فبنورها اخترق عمر الحجب وطوى المسافات الطويلة ، فنادى أولئك المتقين الذين تلقفت أسماعهم ذلك الصوت ، ويسرها القويم خضعت الوحوش الضارية وتلاشت ضراوتها وأصبحت وكأنها كالانعام ونزحت عن عرينها لتخليه الى فرسان الايمان وأمثلة التقوى ، وبقوة الايمان وروح التقوى لم يعبأ بنان بالأسد وشراسته ، ولم يخطر بباله الا ما قرأه في

الكتب في فصل أسئار الحيوانات واختلاف العلماء فيهـا ، ذاك الذي انقلبت طبيعته المتوحشة الى حيوان اليف ، وقد قيل من خاف الله ، أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء •

اللهم املأ قلوبنا من خوفك ، وأبعدنا عن معصيتك ، واحشرنا مـــع المتقين ومحبيك انك كريم وهاب •

التوبـــة

ان القلوب متى انتبهت من رقدتها ، ورأى صاحبهـــا ماهو عليه من أنحرافات ومخالفات ، تعرضه لسخط الخلق والخالق ، ثم ذكر ضعفه وعدم احتماله العذاب وشدائده ، والحساب ومرارته ، حمله ذلك كله الـــى الرجوع الى الله ، وعلى التوبة والانابة الى الله ، ثـــم الاسف على ما أساء وفرط في جنب الله ، ومن ثم التضرع والاستغفار ، ولقد ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لايحتسب • وقال صلوات الله وسلامه عليـــه : ان الرجل ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ، فقيل : وكيف يا رسول الله ؟ قال : يكون نصب عينيه خائفا منه حتى يدخل الجنة •

ان التوبة هي الرجوع الى الله من مخالفته الى طاعته ، وشعور الانسان شعوراً تاماً بثقل الذنوب ، وعظم ضررها ، وانها حجاب يحول بين العبـد وبين ما يحبه من رضا ربه ، والمبادرة الى التوبة من أوجب الواجبات ، لقول رب الأرض والسموات : (وتوبوا الى الله جمعياً أيها المؤمنون لعلـكم تفلحون) • ولقول رسول الله : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون •

واذا تاب المرء ارتفع الى قلبه نور فيمحوا ظلمة المعاصي ، واليه أشـار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وفي الأثر : ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية : (قل يا عبـادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) • بهذا يفتح الله باب الامل والرجاء امام المخطئين ليثوبوا الى رشدهم ويرجعوا عن خطئهم •

ولقد دخل عبدالله بن مسعود رضى الله عنه المسجد فاذا قاص يذكر النار والأغلال . فجاء عبدالله حتى قام على رأس القاص فقال له : يا مذكر أتقنط الناس : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

قال عبدالله بن عباس يوماً لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما : (أي آية أرجى ، قال : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقال : ان هذه لمرجوة وأرجى منها قوله تعالى : (ان الله لذو مغفرة للناس على ظلمهم) .

وسمع أعرابي عبدالله بن عباس يقرأ قول الله تعالى : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فقال الأعرابي : والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها . فقال ابن عباس : خذوه من غير فقيه . وجاء أعرابي الى ابن عباس فقال له : من يحاسب الخلق يوم القيامة ؟ قال : يحاسبهم الله تعالى ، قال الأعرابي : نجونا ورب الكعبة ، فقال ابن عباس : كيف ؟ قال الأعرابي : ان الكريم اذا قدر غفر .

وروى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء .

اجتمع أربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل ان يموت بيوم .

فقال الثاني : وانا سمعته يقول : ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل ان يموت بنصف يوم .

فقال الثالث : وانا سمعته يقول : ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل ان يموت بضحوة .

فقال الرابع : وانا سمعته يقول : ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه • (وهو الذي يقبل التوبة عن عبـــاده ويعفو عن الســـيئات ويعـلم ما تفعلون) •

وروى الحاكم عن جابر بن عبدالله أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : واذ نوباه مرتين أو ثلاثا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوني ، ورحمتك أرجى عنـــدي من عملي • فقالها • ثم قال له : عد ، فعاد ، ثم قال له : عد فعاد ، فقـال له : قم فقد غفر الله لك •

ولقد روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر في سكك المدينة فاستقبله شاب حامل قارورة تحت ثيابه فقال له عمر : ما الذي تحمله تحت ثيابك ؟ وكان فيها خمر ، فخجل الشاب وخاف أن يقول فيها خمر ، وقال في سره : الهي لا تفضحني واسترني عند عمر ، فلا أشرب الخمر بعدها أبدا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، الذي أحمله خل ، فقال : أرنيه ، فكشفها بين يديه ، فاذا هي خل كما قال • وقد تاب الشاب توبة نصوصا •

فانظروا الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله خمره بالخـــل لما علم منه اخلاص النية ، فلو تاب العاصى عن الاعمال الفاسدة ، وندم على ذنبه لبدل الله تعالى خمر سيئاته بخل الطاعة •

وعن مولانا أبي بكر الصديق رضى الله عنـــه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له • ثم قرأ (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) •

ان الله تبارك وتعالى قد فتح أبواب رحمته لمن أناب اليه وتاب ، لاسيما في الاشهر المباركات ، ومهد للناس سبيل الاخلاص • وقد ورد في الخبر : قال الله عزوجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الي ذراعاً تقربت اليه باعا ، واذا أقبل الي يمشي أقبلت اليه أهرول •

وروى الامام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا أيها الناس توبوا الى الله واستغفروه ، فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة •• وروى الامام البخاري عن رسول الله انه قال : والله اني لا ستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْي ، فاذا امرأة من السَبي تبحث عن صبيها وكان ضائعا ، فلما وجدته اخذته فالصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر الا تطرحه ، فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها•

وليس عجباً أن يغفر الله تعالى لمن تاب اليه وأناب • وقد ورد في الحديث القدسي يا ابن آدم ، انك لو دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم ، انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة •

أيها المسلم : لاشك أنك تخاف الاقوياء وتخشاهم ، وتعمل جاهدا للابتعاد عن أذاهم فهل علمت أحداً أقوى من الله خالق القوى والقدر ، قاصم ظهور الأقوياء الظالمين •

أيها المسلم لقد أصبح جل اخوانك يتقربون الى العظماء والرؤساء

والأمراء ، فهل رأيت عظيما أوسع سلطانا من الله واكبر ، وغدا الناس يحرصون على التملق للاغنياء وذوى المناصب والثراء ، لينالوا عطفهم وبرهم ، فهل رأيت كريما أوسع عطاء وبراً من الله واكثر ، فعلام الاعراض عن الله والركون الى سواه ، وعلام خشية المخلوقين وعدم الخشية من الله .

راجع نفسك أيها المقصر ، فهل تجد أعطف من الله واكرم ، هل تجد أغض منه عن الاساءة وأحلم ، تسيء اليه في كل وقت بل في كل لحظة ، وهو لا يقطع عنك نعمه ، ولا يقبض عنك رزقه وفضله ، فليرجع الى حضيرة قدسه الهاربون ، وأن يتوب اليه المذنبون ، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد .

حقوق الانسان

ومكانتها في الاسلام

احتفلت هيأة الامم ومعها دول الهيأة بذكرى اعلان حقوق الانسان (١٠ كانون الاول ١٩٤٨) ولقد احتفلت بهذه الذكرى امريكا وانكلترا وأضرابهما بعد أن سنوا قانون الغاب وتحكم القوى بالضعيف ، والغنى بالفقير ، والمسلح بالاعزل .

احتفلت أمريكا بهذه الذكرى بعد أن وضعت تلك المواد والبنود تحت قدميها ، واعلنت قانون الحديد والنار ، وطبق في مجتمعها قانون التمييز العنصري ، واباحة الفتك بالملونين ، حتى أن جماهيرها البيض لتقبض على الاسود اذا خالفهم فيما يرغبون وتربطه الى شجرة أو سارية ويصب عليه النفط ويحرق أو يقطع اربا اربا .

تذكرنا وحشية امريكا في فيتنام عندما كانوا يجمعون اهل القرى المسالمة ثم يطلقون النار عليهم ويبيدونهم ، يذكرنا هذا بما سجله التاريخ من أن صاحب الزنج علي بن محمد شن حربا شعواء على الاسلام والمسلمين بجيشه المتكون من الموالى والعبيد والشقاة ، ثم هجم على مدينة البصرة ، وعندما دخلها فتك بأهلها فتكا ذريعا ، وبعد ذلك أعلن الامان لأهلها وأمر أن يجتمع الناس بالجامع الكبير ، فاجتمع فيه زهاء مائة الف نفس ، ولما استقروا داخل الجامع أمر جنده بوضع السيوف في رقابهم فأتوا عليهم جميعا حتى اصبح الجامع بحيرة من الدماء ، ثم أمر بهدم الجامع على من فيه واحراقه هذا فضلا عن هدمه جميع الجوامع والدور ونهبها . وقد نشر احد الشعوبيين كتابا عن الزنج كله مدح وتمجيد لاعمال هؤلاء المجرمين لانه من فصيلتهم .

ولقد احتفلت بهـذه الذكـرى انكلترا مدبرة الاجرام وأس بلاء الانسان ، اذ هي السبب في هذه الفوضى التي تسود الشرق الاوسط ، وهي المتسببة لسفك هذه الدماء البريئة ، فهي التي جمعت هؤلاء اليهود ومكنتهم من فلسطين وتشريد أبنائها منها ٠

ولا تسل عما يجري في جنوب افريقيا وروديسيا من التمييز العنصري بأيدي اولئك البيض الدخلاء ٠

ومع هذا كله فهم يدعون بأن العالم مدين لهم بتشريع هذه الحقوق ، مع أن الاسلام هو أول من قرر هذه الحقوق على أوسع نطاق وأتم نظام ٠

وقع بين بلال بن رباح الحبشي وأبي ذر الغفاري العربي كلام ، فقال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء : فشكاه بلال الى رسول الله ، فقال رسول الله لأبي ذر : أعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك جاهليـة ، ثم قال عليـه الصلاة والسلام : طف الصـاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح ، فقال أبو ذر : هذه من كبر السن ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : نعم هم اخوانكم ، ثم ان أبا ذر وضع خده على الارض ورجا من بلال أن يطأ بقدميه على خده حتى يرضى ٠

لقد احتفل اليهود بهذه الذكرى ، وهل يصدق أحد أن اليهـود يؤمنون بحقوق غيرهم ، لان كتبهم المقدسة قد نصت على أنه يحرم عـلى اليهود قتل بعضهم بعضا ، كما يحرم أن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين أباحت لهم بل اوجبت غزو الشعوب الاخرى وبعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجاله البالغين بحد السيف ٠ فهذه عقيدتهم وأس شريعتهم ٠

والذي يستعرض التاريخ القـديم يجد أن اليهود قد كانت لهم محاولات وجولات للسيطرة على بعض البلاد والتعالى على أبنائها ، مما يدفع

أبناء البلاد للثورة عليهم وتكون بذلك نهايتهم ، وهكذا سيكون بعون من الله عندما ينادي الحجر يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله •

نحن نقول لهذه التي تحتفل بهذه الذكرى أين حقوق شعب فلسطين، اليسوا من فصيلة الانسان ، لماذا شردوا من ديارهم وأعنتم على تشريدهم حتى أصبحوا يعيشون بأقل من السوائم ، لعل مفهوم الانسان لديكم لا يشمل العرب فانتظروا أيها السفاكون المجرمون فان للعرب جولة ستندمون عندها ولات ساعة مندم •

أما بعد هذا فنشنف المسامع والابصار بنبذ من حقوق الانسان التي رعاها الاسلام وطبقها المسلمون يوم عزهم وسلطانهم ويوم كان العالم طوع ارادتهم لقد قرر الاسلام مساواة الناس في جميع الحقوق والواجبات (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ، كما ساوى بين المسلمين وغير المسلمين في الحقوق ، من ذلك قول سيدنا ومولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام : من آذى ذميا فقد آذاني •• ومن قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار • ويقول صلوات الله وسلامه عليه : من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا خصمه يوم القيامة •• ويقول : لا تفلح أمه لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى •• انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها •

وعن ابن مسعود البدري قال : كنت أضرب غلاما لي بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفي اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب ، فما دنا مني اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يقول : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر منك على هذا الغلام ، فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله ، فقال :

أما لو لم تفعل للفحتك النار او لمسك النار . وعن سويد بن مقرن قال : لقد رأيتني سابع اخوة لي من بني مقرن مالنا خادم الا واحدة لطمها اصغرنا، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعتقها .

ويقول سيدنا أبو بكر الصديق في احدى خطبه : الا ان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له .

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رسالته لأبي موسى الاشعري : آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .. وقال في رسالة لعامله على مصر عمرو بن العاص : ان معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله خصمك .

وهذا مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي اصحابه بنصارى مصر خيرا ، ويقول لرؤساء السرايا اذا بعثهم في غزو : ستجدون رجالا في الصوامع معتزلين الناس فلا تتعرضوا لهم ، ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعا ، ولا كبيرا فانيا ، ولا تحرقن نخلا ولاتقلعن شجراً ولا تهدموا بيتا ، كما أوصى بالرهبان والفلاحين والشيخ الكبير والاجير والاعمى والمريض المزمن والاطفال والنساء خيرا .. ويقول صلوات الله وسلامه عليه في خطبة حجة الوداع : ايها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لاحمر على أبيض ولا لأبيض على احمر فضل الا بالتقوى : الا هل بلغت ، اللهم اشهد ، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أما دعاة حقوق الانسان في هذا الزمان فقد سنوا القوانين للتمييز بين الاجناس والالوان ، واخترعوا ولا زالوا يخترعون أفتك المدمرات للبشرية والمدنية من قنابل ذرية وصواريخ عابرة القارات وغيرها لهدم المدن وقتل

الانسان من ثوان قليلة ، ومع كل هذا يثرثرون بالحرية والديمقراطيه واحترام الانسان والعمل على اسعاده .

اسمعوا أيها المفتونون بهذه المدنية المجرمة ومبادئها ، اسمعوا كيف تكون حرمة الانسان في الاسلام ، اسمعوا الى قول عمر بن الخطاب لجنده : انه بلغني أن رجالا منكم يطلبون العلج (المقاتل العجمي) حتى اذا استند الى الجبل وامتنع ، قال رجل لا تخف ، حتى اذا أدركه قتله ، واني والذي نفسي بيده لا أعلم مكان واحد فعل ذلك الا ضربت عنقه . وقال سيدنا رسول الله : لعلكم تقاتلون قوما فتظهروا عليهم فيتقوكم باموالهم دون انفسهم وابنائهم وتصالحوهم على ذلك فلا تصيبوا منهم بعد ذلك شيئا .

أما هؤلاء اللا انسانيون فيأمرون طياريهم بقصف المدن الآمنة البعيدة عن ساحات القتال ليهدموها على من فيها ويقتلوا اكبر كمية من أبنائها ، ثم يتباهون بذلك في بياناتهم وان طياراتهم قد عادت سالمة بعد هذا التدمير والقتل الاجماعي .

هذه بعض تعاليم الاسلام للمحافظة على كرامة وحرمة الانسان ، وهذه الاعمال الاجرامية لمشرعي قانون حقوق الانسان ، فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم صادقين .

(واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

السلم والسلام في الاسلام

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) .
لقد هتف الاسلام بالناس بأن أصل الانسان واحد ، واذا اتحد الاصل انتفى الاختلاف على الفروع ، وعلى هذا دعا منذ أربعة عشر قرنا للاخوة الانسانية ونبذ التنافر والتناحر .

انا نسمع في هذه الايام كما سمعنا من قبل أن قد عقد مؤتمر للسلام ومؤتمر لنزع السلاح ، ومؤتمر لمنع التجارب الذرية وغيرها وغيرها .

وان من المتحمسين للسلام العالمي أمريكا والقابضين على ناصيتها وبالطبع منهم اليهود ، ونرى في الوقت نفسه ان الامريكان هم سبب التوتر العالمي ودفعه للاغراق في التسلح ، وهم السبب المباشر في اثارة هذه الحروب وحتى بين الجنس الواحد والوطن الواحد .

الامريكان هم مدوا ويمدون الاسرائيليين بجميع ما يمكنهم من التعالى والتهديد والتحكم في الارض العربية وتشتيت اكثر من مليون من أبنائها ، ومع ذلك يدعون الى السلام بين اليهود والحكومات العربية ، ولولا امريكا هذه لعاشت الأمة العربية في سعادة وهناء ولوجهت موارد بلادها لتعمير أرضها وخير ابنائها . فالامريكان اعدى أعداء السلام والتعايش السلمي في القرن العشرين .

اننا لنسمع من حكام اوربا شرقيها وغربيها الدعوة الى التعايش السلمي ونزع السلاح ، ومعاملها تشتغل ليل نهار لصنع الطائرات والقنابل العابرة للقارات والاسلحة الفتاكة التي تقضي على أعظم مدينة بمن فيها في ثوان معدودات .

هذا هو مفهوم السلم والسلام والتعايش السلمي في لغة القرن العشرين، عصر الوحشية والتحلل .

نحن المسلمين دعاة السلم والسلام الحقيقي ، المبني على العدالة والاخوة والمحبة واعطاء كل ذي حق حقه ، وليس أبلغ على طلب السلام من قول رب الانام : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .

وان أول ما نزل من القرآن الكريم كان في ليلة تحف بها ملائكة السماء : (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) .

ولقد جعل الاسلام التحية فيما بين أتباعه بالسلام : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) ، وان المسلمين يكررونها في قعودهم لكل صلاة : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وجعل ختام كل صلاة بالسلام على من في اليمين ومن في الشمال .

وقد سمى الله تبارك وتعالى الجنة بدار السلام : (لهم دار السلام عند ربهم) ، وان الملائكة تستقبل المؤمنين بقولهم : (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ، وأما أهل الجنة : (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) ، ومن صفات الكمال للانسان : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

لقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب السلم والسلام ويكره الحرب والخصام . ومن قوله : يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا . وان صلح الحديبية لاعظم برهان

على ذلك ، ذاك الصلح الذي رأى فيه المسلمون الغبن حتى كادت أن تكون فتنة .

لقد وادع عليه الصلاة والسلام اليهود منذ قدومه المدينة على ان لا يظاهروا عليه عدواً ، وبعد موقعة بدر قطع اليهود ما كان بينهم وبين رسول الله من عهد ، وقد ازدادوا غياً وعدواناً عند موقعة الخندق حيث ظاهروا المشركين ، وكادوا يقضون على المسلمين لولا عناية الله .

ولما حاصر المسلمون بيت المقدس وكادوا يفتحونه عنوة ، طلب أهله عقد صلح على أن يكون المفاوض لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد أجاب عمر الطلب حباً في السلم والسلام وحقناً للدماء ، فسار من المدينة حتى وصل بيت المقدس ، وكتب صك الصلح الذي أعطاهم فيه أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يسكن معهم أحد من اليهود . أعطى عمر هذه الوثيقة والمسلمون في عزة وشوكة ، والجيوش الاسلامية تكتسح من أمامها كل قوة ، وتحطم كل مقاومة ، تعطى هذه الوثيقة من جيش ظافر لشرذمة مغلوبة مقهورة ، وذلك حباً في السلام ، ورغبة في الأمن والامان ، وحقناً للدماء .

ولقد أعطى سيف الاسلام خالد بن الوليد الامان لأهل الحيرة ، وجعل بيت المال ملزماً باعالة من يعجز عن العمل منهم ، والانفاق عليه وعلى عياله ما أقام بدار الاسلام .

وقد كان المسلمون يعوضون من يلحقه الضرر خطأ ، ولقد شكا ذمي الى عمر بن الخطاب ان المسلمين قد قطعوا عنباً من كرومه أثناء فتح الشام ، فأمر عمر بأن يعوض الرجل عما فقد من عنبه حتى يرضى .

وعندما فتح المسلمون العراق وأراد عمر أن ينظم ادارة البـــلاد المفتوحة استدعى زعماء أهل العراق من غير المسلمين يستشيرهم ويستأنس بآرائهم •

وقد حدث عند فتح العراق أن أعطى أحد العبيد أماناً لأهـل بلدة ، فتوقف الجيش الاسلامي عن التقدم اليها ، وكتب قائـــده الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأخذ رأيه في هذا الامان ، فأجابه عمر بأن الله عظم الوفاء فلا تكونوا أوفياء حتى تفوا • فوفوا لهم وانصرفوا عنهم •

ولما رفع هرقل الملك الروماني راية العصيان ونقض الصلح وجمـع الجموع وهاجم بهم المسلمين ، كتب أبو عبيدة بن الجراح القائد العـــام للجيش الاسلامي الى جميع عماله على المدن المفتوحة برد أموال الجزيـــه لمن أخذت منهم ، وان يبلغوا أبناءها بأنهم لا يقدرون الآن عـلى حمايتهم ، لذلك ردوا عليهم أموالهم •

وقد منع الاسلام قتل الرهائن اذا نقض أصحابهم العهد ، وقد نقض الروم عهدهم زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان فامتنع المسلمون من قتـــل الرهائن بل خلوا سبيلهم وقالوا : وفاء بغدر خير من غدر بغدر •

ولما انقضى العهد فيما بين الروم والمسلمين في خلافة معاوية ، أغـــار معاوية على الروم ، ولكن عمر بن عبسة تصدى له ومنعه عن الاغارة وقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً ولا يشدنه حتى يمضي أمـــده ، أو ينبـذ اليهم على ســـواء) •

فأين هذا من غدر هذه الحكومات التي لم تبرم مواثيق الســـلام الا لاقتضاء مصلحتها وقتذاك ، واذا انتفت المصلحة فلا سلام ولا أمان •

ليس للناس من وسيلة الى الهدوء والاطمئنان والسلام الا اذا تفهموا تعاليم الاسلام ، التي هي دين وعدالة وأمن وأخوة وسلام ، والتي تقضي على جميع أسباب الفتن ، وتمحوا الفوارق الجنسية واللونية ، وتقيم العدالة بين جميع البشر ، فعندئذ يسود السلام ، ويعيش الناس في حرية وتعاضد ، والا فلا تنتهي حرب الا للاستعداد الى حرب أخرى •

(لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) •

الاعياد الاسلامية

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان مدنيا بطبيعته ، ألوفا عطوفا بسجيته ، تميل نفسه الى المرح ، وهو يجهد لاسعادها وادخال السرور عليها ، ودفع جميع المنغصات عنها ، لذلك أخذ يسعى لايجاد وسائل يطلق لنفسه فيها العنان ، للانطلاق من تعب الحياة ومرارة العمل وجهد العيش ، فاتخذ لذلك أياما عامة تتكرر في كل حين وكل مناسبة ، على أن تشمل كل الافراد والجماعات ، وتعم جميع الاجناس والطبقات ، يجتني ثمارها الكبير والصغير ، ويغتبط بها الغني والفقير ، ويفرح بها العظيم والمسكين .

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر العيد عندما سأل الحواريون عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، فدعا الله تعالى بهذا الدعاء : (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآيه منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) أي عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا .

ولما جاء الاسلام جعل لاتباعه مواسم وأعياداً يتنسمون فيها نسيم الحياة ، ويتناسون فيها هموم هذا الزمان وبلواه .

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله : ان الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر .

لقد جعل الاسلام من أعياده دروساً عملية في المواساة والعواطف الانسانية ، وايقاظاً للضمائر ، واحياء للنفوس ، حتى تسموا الى صفوف

الملائكة الاطهار ، وفي ذلك السعادة الحقة والحياة الرغيدة ، لانه يريد من المسلم أن يتغلب في أيامه هذه على البخل والشـــــح ، وأن يخفف آلام المكروبين ، وينفس عن مصاب المنكوبين ، ليعم السرور والفرح جميـــع طبقات المسلمين ، ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مـــن وجد سعة لأن يضحي ولم يضح فلا يحضر مصلانا ..) أي لا يحضـــر صلاة العيد معنا ، لأنه ليس على سنتنا . وروي عن جابر بن عبدالله أنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الاضحى بالمصلى ، فلما قضى خطبته نزل من منبره ، وأتى بكبش فذبحه بيده ، وقال باســم الله والله أكبر ، هذا عني وعمن لم يضح من أمتي .

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في يوم عيد ، فـرأى الصبيان يمرحون ويلعبون ويغنون ، فابتسم في وجوههم ، ثم شاهد طفـــلا عليه سيماء الكآبة والحزن قد انعزل عن الصبيان ، فدنا منه وســـأله عن سبب انعزاله عن رفاقه ، فأجابه بأنه يتيم من الأبوين ، فأخذه عليه الصـلاة والسلام الى داره وألبسه ثياباً جديدة ، وظل يداعبه حتى أزال عنه الكآبة والحزن وانضم الى اخوانه مشاركاً إياهم في مرحهم ولعبهم .

ولقد كان المسلم قبل أيام العيد يفكر بقريبه وجاره وصديقه قبل أن يفكر بنفسه ، ويقدم حاجة أولاد هؤلاء قبل التفكير بحاجة أهله .

حدث محمد بن عمر الواقدي بقوله : كان لي صديقان أحـــــدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضائقة شديدة ، وحضر العيد فقـالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البأس والشدة ، أما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لما عليهم من الثيـــاب الرثة ، فانظر كيف نعمـــل لكسوتهم ، قال الواقدي : فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ ، فوجه إلي كيساً مختوماً فيه ألف درهم ، فما استقر في يدي حتى كتب الي

الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صديقي الهاشمي ، فوجهت اليه الكيس بختمه ، ثم أخبرت امرأتي بما فعلت فاستحسنته ولم تعنفني عليه ، فبينما أنا كذلك اذ وافاني صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي أصدقني مما فعلت بالكيس الذي وجهته اليك ، فعرفته الخبر فقال لي : انك حين طلبت مني المال لم أكن أملك الا ما بعثت به اليك ، ثم أرسلت الى صديقي الثالث أسأله المواساة فوجه الي الكيس الذي بعثت به اليك ، قال الواقدي : فتواسينا الألف فيما بيننا ، كل واحد ثلاثمائة ، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونما الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .

وروي البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله الانصاري أنه قال : شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا اقامة ، ثم قام متكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ، ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، فقال : تصدقن فان أكثركن حطب جهنم ، فقامت امرأة من سِطةِ النساء (أي خيارهن) سَعْفاء الخدين (أي سواد مشرب بحمرة) فقالت : لم يا رسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير ، قال : فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن .

وان أول عيد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد كان في السنة الثانية من مقدمه الى المدينة .

ولقد ندب الاسلام لاتباعه أن يتجملوا بأحسن ما عندهم من الثياب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل يوم العيد قبل خروجه الى المصلى ، ويلبس أجمل ثيابه ، وكان بُرْدَ حِبَرة في كل عيد ، وهو برد من برود اليمن .

كما أباح في الاعياد اللعب المباح ، وان الاحباش كانوا يلعبون برماحهم في المسجد أيام الاعياد والرسول ينظر اليهم ويشجعهم بكلام حسن جميل : دونكم يا بني أرفدة (وهو لقب الحبشة) ، وروي ان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما رآهم على هذه الحال ، زجرهم وأهوى الى الحصباء فحصبهم بها ، فقال له رسول الله : دعهم يا عمر •

لقد ذكر لنا التاريخ بأن بيوت الأمراء والزعماء والأغنياء قد كانت مفتحة الأبواب طوال أيام الأعياد لاستقبال المهنئين من مختلف الطبقات ، وكان للفقراء النصيب الأوفر من بر أولئك المحسنين ، وكانت تقدم الهدايا والخلع والهبات للجميع كل حسب منزلته ومكانته ، ليشعر الجميع بأنهم في أيام عيد حقاً ، وليتذوق الكل حلاوة العيد وسروره ، لا يستقل به غني ولا يحرم منه فقير •

وكانت عادة المسلمين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى ، وكانت مظاهر هذا الاحتفال في الصدر الأول تبتديء بالصلاة ثم بالتزاور والانفاق على الفقراء والمساكين • ثم أخذت تظهر الاعياد بمظهر جديد • فكان الخلفاء الامويون والعباسيون والامويون في الاندلس يهتمون بالاحتفال بالعيد ، حتى أصبح العيد مثاراً للبهجة والسرور •

فعن عصر العباسيين كان الاحتفال بعيدي الفطر والاضحى في العراق في منتهى الروعة ، كانت الانوار تسطع في ليالي العيد ، وتتجاوب الاصوات بالتكبير والتهليل ، وكان الخلفاء والامراء والقادة والاغنياء يعملون المآدب والحفلات ، ويمدون الأسمطة التي يدعى اليها الخاص والعام •

ولقد كان أبو جعفر المنصور بعد أن يصلي بالناس صلاة العيد يجلس لقبول التهاني ، ثم يقوم الى أضحيته فيذبحها بيده ، وكان يأمر بأن توزع الخيرات على الفقراء والمعوزين •

أما ابنه محمد المهدي فقد كان أكثر انفاقاً من أبيه في هذه الايـام ، ويظهر على الناس بموكب لم ير مثله لملك من الملوك •

أما هارون الرشيد فقد جعل الأمة تتذوق حـلاوة العيـد بمختلف طبقاتها لما يقدمه اليها من هبات وعطايا ، وقد كانت بغداد تلبس حلة الزينة والافراح بما جعل الناس يقصدون بغداد من جميع الاطراف للمشـاهدة والاستمتاع ، وقد كان الخليفة الرشيد يخرج على الناس بعد صلاة العيـد بموكب فخم لم ير مثله الراؤن •

ولما دخل المأمون بغداد أقام بالرصافة الى ان بني منزله على شـط دجلة ، ولما كان يوم عيد الفطر خرج فصلى بالناس في (عيساباذ) ، وعبأ الجند تعبئة لم ير مثلها من قبل لأحد من الخلفاء من اظهار السلاح وكثرته وكثرة الجند ، ولم يصل بالناس صلاة العيد حتى قرب نصف النهار •

وكان المقتدر بالله يفرق في يوم التروية ويوم عرفة من البقر والغنم ثلاثين ألف رأس ، ومن الابل ألفي رأس ، ويطلق أهل الحبوس الذيـن يجوز اطلاقهم •

وكان الطائع لله يخرج لصلاة العيد بموكبه ويذهب الى جامع القطيعة الذي أنشأته أم الأمين السيدة زبيدة وهو يقع في قضاء الكاظمية ويصـلي بالناس ثم يخطبهم ، ثم يجلس في قصره لقبول التهاني وتوزيع الهبات •

أما الخليفة المسترشد فانه كان يجمع الامراء يوم العيد ، ثم يخـرج الوزير وقاضي القضاة ونقيب النقباء وأرباب الدولة ، كما يخرج العسكر بملابسه وعدته الحسنة للاستعراض وعدتهم أكثر من خمسة عشـر ألف فـارس •

وأما الامير نازوك الذي كان يشغل وظيفة تشبه وظيفة مدير الشرطة في بغداد ، فلقد كان يخرج لصلاة العيد في موكب عظيم وبين يديه أكثر من

خمسمائة رجل بالشموع الكبيرة سوى أصحاب النفط وكان عددهم أكثر من أصحاب الشموع ، الى أن يصل الى المسجد .

ولقد جاء في كتاب (مفرج الكروب) ان الملك نورالدين زنكي اذا جاء يوم العيد يركب الى الميدان الاخضر الشمالي بدمشق لطعن الحلق ورمي القبق (وهي أهداف للرمي) ، ثم يأمر فتضرب له خيمة في الميدان القبلي الاخضر ، ويأمر بوضع المنبر ليخطب عليه قاضي العسكر شمس الدين ابن الفراش بعد الصلاة ، ثم يمد السماط العام ، ثم يعود نورالدين الى القلعة فيمد خوانه الخاص ، وفي اليوم الثاني يخرج فيلعب بالكرة مع خواصه .

وقد كان الشعراء ينظمون القصائد في تهنئة الخلفاء والامراء والقادة بهذه المناسبة . وها هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي يمدح المتوكل على الله العباسي واصفاً الأبهة التي خرج بها الخليفة يوم العيد الى المصلى :

بالبر صمت وأنت أفضل صائم   وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيناً انه   يوم أغر من الزمان مُشَهّر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل   لَجِب يحاط الدين فيه وينصر

الى أن يقول :

حتى انتهيت الى المصلى لابساً   نور الهدى يبدوا عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع   لله لا يزهى ولا يتكبر

ولقد ذكر الرحالة ابن بطوطة محمد بن عبدالله في رحلته عند ذكره السلطان شاه بن السلطان غياث الدين تُغْلُق شاه ملك الهند والسند وكيف يخرج للعيد ما ملخصه :

واذا كانت ليلة العيد بعث السلطان الى الملوك والخواص وأرباب الدولة والأعزة والكتاب والحجاب والنقباء والقواد وأهل الاخبار ، بعث الى هؤلاء الخلع التي تعمهم جميعاً ، فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والجواهر ، ويكون منها ستة عشر فيلا لا يركبها أحد ، وانما هي مختصة بالسلطان ، ويركب السلطان فيلا منها ، ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه والنقباء وهم نحو ثلاثمائة ، وبركب قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي ، وقاضي القضاة ناصر الدين الخوارزمي ، وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمغاربة ، كل واحد منهم على فيل ، ويركب المؤذنون أيضاً على الفيلة وهم يكبرون • الى ان قال : ثم ينزل ويصلي صلاة العيد ، ويجلس السلطان على عرشه ثم يتقدم الناس للسلام ووضع لهم الطعام على حسب مراتبهم ، ثم يأخذ بعتق العبيد وتوزيع الصدقات •

ولقد ذكر المؤرخون وأطنبوا في ذكر ما كان يجري في هذه البلاد من احتفالات وبذل وهبات في أيام الاعياد المباركات ، وليطنب المؤرخون في ذكر الاعياد التي تمر بها هذه البلاد في العصر الحاضر والتي اتسمت بالشح وانقباض اليد ، بل وكأنها لم تتسم بطابع العيد ، اذ أوصدت الأبواب وأحكم اغلاقها ، وأصبح لا يعرف العيد الا الاطفال بلباسهم ، وهكذا استحال العيد الذي تنطلق فيه الانفس وترتاح القلوب ويعم الفرح الى حقد وأحزان •

وان صلاة العيد واجبة عند الامام أبي حنيفة النعمان ، وفرض كفاية عند الامام أحمد بن حنبل ، وعند الامامين مالك والشافعي سنة مؤكدة • وقد قال العلماء اذا امتنع أهل موضع من اقامتها قوتلوا عليها كسائر فروض الكفاية ، اذ في تركها خروج على شعائر الاسلام •

وشرع لعيد الاضحى النحر ، وقد أوجبه الامام أبو حنيفة النعمان على من ملك نصاباً ، أما الامام الشافعي فقد قال بأنها سنة عين مؤكدة على من ملك ثمن الاضحية زائداً عن حاجته وحاجة عياله أيام العيد ، أما الامامان مالك بن أنس وأحمد بن حنبل فقد قالا بأنها سنة مؤكدة على من يمكنه الحصول على ثمنها ولو بالاستدانة ، وكل هذا ليكون العيد شاملا كل الطبقات ، عاماً بين جميع الهيئات •

وشرع لعيد الفطر صدقة الفطر وجعلها عامة تشمل الكبير والصغير ذكراً كان أم أنثى ، وانها لتجب على من ملك النصاب عند الامام أبي حنيفة النعمان ، فتجب عليه وعلى أولاده الصغار ، أما الأئمة الثلاثة مالك ابن أنس ومحمد بن ادريس الشافعي وأحمد بن حنبل فقد قالوا بوجوبها على من ملك قوت نفسه وعياله يوم العيد وليلته ، وانها لتجب عليه وعلى جميع من يعولهم •

ولقد خشي الاسلام على اتباعه أن يندفعوا في هذه الأيام في الفرح فيقعوا في المحرم فبدأ يوم العيد بصلاة خاصة به زائدة عن الصلوات الخمس ، وشرع لها التكبير والخطبة والجماعة •

روى الامام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال : خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال : (ان أول ما نبدأ به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل أن يصلي فانما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء ، فقام خالي أبو بُرْدَة بن نيار فقال : يارسول الله ، أنا ذبحت قبل أن أصلي وعندي جذعة خير من مسنة ، قال : اجعلها مكانها ، أو قال : اذبحها ولن تجزي جذعة من أحد بعدك •

كفى بالموت واعظا

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم : (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) .

في كل يوم تتجدد العبر وتتوالى المواعظ ، وفي كل ثانية من ثواني العمر مناديا ينادي : (كل نفس ذائقة الموت) .

ان الانسان شبح يروح ويجيء ، وهو بين أجل يمسي ويغتدى ، وانفاس تتقطع من دونها حزناً وأسا ، هي سنة الخلق ، كون يليه زوال ، وعقد يسبقه انحلال ، وان لكل شيء أجلا موقوتاً ، وان لكل أجل كتاباً .

استعرض أيها المرء وتصفح سطوره وزواياه . فأين آدم أبو البشر أين نوح الذي بلغ عمره ألف سنة الا قليل ، أين ابراهيم أبو الانبياء ، أين محمد حبيب الله .

تذكر أيها المسلم أين آباؤك الذين مروا وسلفوا ، أين أقرانك أما رحلوا وانصرفوا ، أين أرباب التيجان والقصور أما أقاموا في القبور وعكفوا ، أين الاحباب أما هجرهم المحبون وصدفوا ، وحملهم الاهل الى قعر اللحود وربما مروا بهم فانحرفوا ، لقد ذهب الكل وذهبت معهم أعمالهم .

فتجزى كل نفس بما كسبت ، ان خيرا فخير ونعيم ، وان شرا فعذاب مقيم .

ان في الموت لموعظة وعبرة لمن يعقلون ، انه لنذير للاحياء بذلك المصير ، انه يقول للاحياء ستكونون يوماً ما جثة هامدة لا حراك لها ولا

حس ، وان أعز الناس اليكم سيسرع بكم الى القبر ويحث عليكم التراب • لانه يخشى أن تظهر رائحتكم التي يتأذى منها حتى أقرب الناس اليكم •

ان الموت ليقول لهؤلاء البخلاء المقصرين ، ان مالك سيكون غنيمة لغيرك ، عليك حسابه ووزره ، ولغيرك نفعه ونماؤه •

وقد روى ان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال : أذكروا الموت ، أما والذي نفسي بيده ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا •• وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لعبدالله بن عمر بن الخطاب : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك يا عبدالله ما تدري ما أسمك غداً •

يجب أن يذكر المرء الموت دائماً ، وليعلم أنه موعد اللقاء مع الغافر الرؤوف الرحيم ، يجب أن يذكر المرء الموت ويستعد له لانه سيحل ضيفاً على أكرم الاكرمين • وقد ورد عن حذيفة بن اليمان أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء علي فاقة ، اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الي من الغنى ، والسقم أحب الي من الصحة ، والموت أحب الي من الحياة ، فسهل عليّ الموت ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : اكثروا ذكر هادم اللذات، فانه لا يكون في كثير الا قلله ، ولا في قليل الا أجزله •

ان هذه الدنيا قد فتنت الناس وشغلت البابهم ، وجذبت بسحرها قلوبهم • هي عروس كل خاطب ، وأمل كل حي ، وضالة كل ناشد ، هي التي لم يفز أحد بوصلها ، ولم ينل قربها ، ولم يتمتع قريب أو بعيد بجمالها :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركموا مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

هذه الدنيا ، ان أضحكت أبكت ، وان صفت كدرت ، وان صاحبت غدرت ، لا تفي بذمام ولا يوقف لها على مرام ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، وما فاز أحد منها الا بصدها ، ولا نال أحد منها الا اعراضها ، ثم تسلمه الى الردى ، فينتقل منها فريدا وحيدا ، لا مال ولا ولد ولا جاه ، الا كفنه الحقير ، وعمله المجهول ، ويستقبل حياة هي أشد من أختها ، وأمر من سابقتها •

ولو إنا اذا متنا استرحنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا ويسأل جمعنا عن كل شيء

ومما ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : فيا أيها الذام للدنيا والمتعالي بتغريرها متى غرتك ، أبمصارع آبائك في البلى ، أبمضاجع أمهاتك في الثرى ، كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك ، تبتغي لهم الشفاء ، وتستوصف لها الأطباء ، وتلتمس لهم الدواء ، لم ينفعهم تطلبك ذلك ، ولم يشفهم دواؤك ، مثلت لك الدنيا مصرعك ومضجعك ، حيث لا ينفعك بكاؤك ، ولا يغني عنك أحباؤك ، ثم وقف على أهل القبور فقال : يا أهل الثروة والعز ان الأزواج بعدكم قد نكحت ، والأموال قد قسمت ، والدور قد سكنت ، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟ ثم التفت الى أصحابه فقال : أما والله لو أذن لهم لقالوا ان خير الزاد التقوى •

ليسمع هذا من ضحكت عليه الدنيا بزخارفها ، وأصبح في أسرها ، ونسي صفاء الحياة الأبدية ، وليذكر ما يكون حاله : (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) • هنالك القضاء لله وحده ، ويقال له : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك

حسيبا) وعندئذ : (فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا) •

أيها الناس تذكروا ما لا ينساكم ، وتفكروا فيما لا بد أن يلقاكم ، واعمروا القبور فانها مأواكم ، واحذروا غرور دنياكم ، واعتبروا فقد وعظكم من سواكم بسواكم •

قال نبينا الاكرم صلى الله عليه وسلم : عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وعجبت لغافل وليس بمغفول عنه ، وعجبت لضاحك ملأ فيه ولا يدري أرضي عنه أم سخط •

هذا ما يسره الله تعالى الآن ، واذا أعان تعالى سنتبعه بمجموعة أخرى لدينا أكثر موادها ومنه العون والتوفيق والتيسير وهو حسبي ونعم الوكيل ٠ ربنا أغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

ربيع الاول ١٣٩٥/آذار ١٩٧٥

كتب للمؤلف

المطبوع منها

١ ـ موجز البيان في مباحث القرآن
٢ ـ قواعد التلاوة (الطبعة الثانية)
٣ ـ علوم الحديث وأصوله
٤ ـ من هدى النبوة
٥ ـ من هدى الجمعة
٦ ـ كيف عالج الاسلام مشكلة الفقر
٧ ـ التوحيد والفرق المعاصرة

المعدة للطبع

١ ـ من هدى القرآن
٢ ـ من أحاديث الاذاعة
٣ ـ رسالة في أصول الفقه
٤ ـ رسالة في المنطق
٥ ـ رسالة في الوضع

فهرس من هدى الجمعة

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٢ لسنة ١٩٧٥